PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 014112328

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

مقالات

المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

في طهران

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

في منظمة الاعلام الاسلامي

Mu'tamar al-'Ālamī
" li-l-Fikr al-Islāmī

مقالات

المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي

في طهران

(Attalo)
BP15
.M796
1984

دومین کنفرانس اندیشه اسلامی ۱۵-۱۷ بهمن ۱۳۶۲ هـ.ش

المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي ١-٣ ج ١٤٠٤١ هـ.ق

الكتاب: مقالات المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي في طهران.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي
الجمهورية الاسلامية في ايران. طهران. ص. ب. ١٣١٣ــ١٤١٥٥.

المطبعة: سپهر طهران.

عدد النسخ: ٥٠٠٠ نسخة.

التاريخ: الطبعة الاولى: ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 014112328

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

«كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولوا الْأَلْبابِ».
(ص/٢٩)

* * *

انه كتاب مبارك .. فيه من البركات ما لايحصى ولا ينطفئ على مرّ العصور، انه كالشمس تشرق كل يوم فتمنح الأرض والبشرية الحياة والنور. والشرط الأساس الذي يجب توفره لكي تنهلّ البركة الحضارية على البشرية، هو؛ التدبر، والتعقل، والتفهم، والتذكر، والعودة الى الواقع الفطري الأصيل.

ان بركات القرآن تتكفل هداية الإنسانية الى علائها، موضحة لها نقاط الإنطلاقة الصحيحة، والهدف الدقيق السامي، والمسيرة المتوازنة المتعالية نحو الهدف.

* * *

وان الدرس الأول الذي يعقب هذا الإعلان الرائع، يُعطى بشكل مثالين إنسانيين نموذجيين ــ هما في الظاهر على طرفي نقيض ــ أحدهما في أقصى درجات القوة المادية، والثاني في أقصى درجات الضعف... إلاّ أنهما معاً شخص واحد، واحد من الزاوية الإنسانية... يحمل نفس الرؤية، ونفس الروح، ونفس القوة المعنوية.

فهذا سليمان(ع) يبدو على الصعيد المادي ــ في أقصى درجات القوة.

«فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْري بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ * وَالشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ وَغَوّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ * هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ».

(ص/ ٣٦ــ٣٩)

وهذا أيوب(ع) على الصعيد المادي ــ في أقصى درجات الضعف البدني.

«إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب».

(ص: ٤١)

هما إذن على طرفي نقيض على الصعيد المادي.

إلاّ أن الإنسان، إنسان بروحه و جانبه المعنوي، لا بجسمه وقدرته؛ تماماً على العكس مما يظن الجاهلون المخدوعون بقارون وفروعون. فهدفهم الأعلى لايتجاوز الكون مثلها ودعاؤهما: «يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ»!!

(القصص/ ٧٩)

نعم، الإنسان، انسان بروحه.

والروح واحدة في هذين النموذجين الرفيعين.

فسليمان نعم العبد ــ يقوم بحق عبودية الله خيرقيام، إنه أواب ــ راجع الى الله دائما، راجع الى ذاته التي تذكره الله دائماً، شاعر بضعفه وفقره دائماً ــ يتذكر من قول نملة فيخرلله ساجداً، ودعاؤه دائماً هو: «رب اغفرلى».

لاتنسيه القوة ضعفه وحاجته لربه، إنه يحمل عنصر الوعي والقوة النفسية في نفس الوقت الذي يمتلك فيه القوة المادية، وربما كان اختيار القوة النفسية في هذه الحالة أشد، والمغريات كثيرة، وسبل الطغيان مفتوحة إلاّ ان القوة النفسية والوعي الكامل يصرخان في وجه الإغراء دائماً (مَعاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ).

وأيوب أيضاً على هذا الغرار:

إنه لجوء الى الله دائماً، وصبرٌ على المصيبة دائماً.

وما أروع قول الشاعر ــ عبر هذا الحوار المتصور:

قيل لأيوب: جفاك الإ له ... فقال لا يجفو

من شدّ بالايمان لامقلناه ... تسهو ولا تغفو

إنه ينادي ربه دائماً، وإنه من أُولي الألباب والوعي، ولذا يأتي الخطاب الإلهي:

«اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ * وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ».

(ص/ ٤٢ــ٤٤)

وهكذا تكون الحصيلة واحدة، نعم العبد إنّه أوّاب هنا و هناك معاً، والسر واحد دائماً يكمن في:

الوعي، والقوة.

ومن هنا يأتي التعقيب التالي ــ مباشرة ــ ليوضح هذه الحقيقة.

«وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ».

(ص/٤٥)

وطبيعي أن الأيدي رمزُ القوة، وان الأبصار هي رمز البصائر.

إنها صفتان رئيستان لأولي الألباب.

ولا نفهم من ذلك إلاّ وصول الإنسان الى لبّ الحقيقة، والوعي المحرك البنّاء للنفس ــ والذي يصوغ لها كل أبعادها ــ لتتحقق القوة، وانّ القوة على كل صعيد لن تتم دون ان تقوم أرضية الوعي اللُبّي المحرك .

ولا يخص الوعي جانباً إنسانياً معيناً؛ إنه يشمل كل الجوانب والأصعدة، فهناك الوعي الفلسفي والعقائدي، والمفاهيمي، والوعي التشريعي، والوعي الهدفي والوعي الإجتماعي والسياسي المنسجم مع الواقع من جهة والمقاييس المتبناة عقائدياً من جهة أخرى.

وقد توضّح مما سبق ان (الوعي) ــ عبر هذا التصور ــ لايعد لُبّياً إلاّ اذا نفذ الى الأعماق، وصاغ الأحاسيس، وبالتالي صاغ الحياة ــ وما الحياة في معظم جوانبها إلاّ استجابات طبيعية لأحاسيس الإنسان وميوله ــ.

وهنا يقول القرآن الكريم:

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ».

(الحديد: ١٦)

اما اذا نفذت العقيدة الى الأعماق الشعورية، فقد تهيَّأت القوة النفسية، وتوفَّرت الأجواء لأعظم عناصر القوة وهي الوحدة العقائدية.

«... هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الْأَرْضِ جَميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزيزٌ حَكيمٌ».

(الأنفال/ ٦٣ــ٦٢)

* * *

ولقد أدرك العدو الكافر شيئاً من هذه الحقيقة... فراح يركِّز عليها في هجومه الشامل، فقد عمل على خطَّين رئيسيين دائماً:

الأول: ايجاد الفراغ الفكري، بل جعل منهج الفراغ هو المسيطر على العقول، مما لايدع لها مجالاً للملء الصحيح.

الثاني: إذابة الروح الحماسية الواعية بمختلف الأساليب اللاأخلاقية، في طليعتها الميل والركون الى الدنيا والمناصب واللذة الشخصية المقيتة.

* * *

اما العملاء المسلطون على أرضنا الإسلامية ــ وخصوصاً عندما واجهوا هذا الشوق الجماهيري العارم لغد الإسلام الحاكم على كل الأرض وذلك بفعل تأثير الثورة الإسلامية الكبرى في ايران ــ هؤلاء العملاء لم يجدوا بُدّاً من العمل على امتصاص هذا الشوق وهذا الإنتصار الطاهر في النفوس، وكانت أساليب الإمتصاص متنوعة:

منها: التظاهر بإقامة الشعائر الإسلامية.

ومنها: إقامة المؤتمرات والإحتفالات الإسلامية الضخمة.

ومنها: ادعاء السير القانوني نحو تطبيق الاسلام. وهذا ماوجدناه في السودان و مصر وتونس والخليج وغيرها.

ومنها أيضاً: العمل الشديد على ربط العلماء والمفكرين بحركة الحكم لتحقيق هدفين خبيثين:

الأول: تقييد حركتهم وأفكارهم من الإنطلاق نحو الحقيقة.

والثاني: إضفاء الشرعية على الحكومات العميلة الكافرة بلاريب، بعد ان لم تحكم بما أنزل الله ــ وذلك رغم ما يطرحه أدعياء التسامح الديني، والعفو عن الهنات الصغيرة في نظرهم ــ وهل من الصغائر ان تباع الأمّة للأجنبي، وتوفر له

كل مقاصده، وتزاح الحقيقة الإسلامية عن واقعها المفروض.

وهكذا تتابع الأساليب التي لا تغري أحداً ولا تخدعه.

وهل يمكن ان يتصور عاقل واع مؤمن أن عميل الصهيونية مبارك يسير نحو تطبيق الإسلام، وأن العميل الآخر صدام يعرف حرفاً من حروف الصلاة بعد ان غذت لحمة وعظامه تعاليم ميشيل عفلق!؟

* * *

ومن هنا كان من اللازم على كل مسلمٍ واع لبيب، متحرق لقضية الوعي الأصيل، وتائق لغد الإسلام الأفضل، أن يساهم في عملية إعادة الوعي الثوري الإسلامي الى النفوس، والحماس الإسلامي المحرك إلى الأعماق... لنعود الى مسيرتنا الصاعدة بكل قوة ووعي نحو الكمال.

ومن هنا، قامت منظمة الإعلام الإسلامي بواجبها الرسالي عبر العمل على عقد المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي في ايران: جاعلة (القرآن الكريم) موضوع البحث فيه ــ وهو أعظم أساس وممون للبناء الفكري والروحي الإسلامي الضخم.

وقد حظي هذا المؤتمر بكلمة افتتاحية لحجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكلمة ختامية لحجة الإسلام والمسلمين الشيخ هاشمي رفسنجاني، كما كان مفعماً بكلمات المفكرين سواء من الجمهورية الإسلامية أو من خارجها... مما حقّق حصيلة علمية ثرية في هذا الموضوع القيّم.

ونحن إذ نقدم للقُرّاء الأعزة هذه الحصيلة الفكرية الثرة، لنسأل العلي القدير أن يوفق الأمة الإسلامية لتحقيق عنصري الوعي والقوة في وجودها، والعمل على إعادة المجد الإسلامي الأثيل. والله الموفق...

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

في منظمة الاعلام الاسلامي

رسالة الامام الخميني الى الامة

بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يلي نقدم نص كلمة الإمام الخميني التاريخية بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية والتي القاها نيابة عنه نجله حجة الاسلام السيد أحمد الخميني

نشكر الله ونحمده على قبوله لنا ونحن مرفوعو الرأس مع بدء السنة السادسة لانتصار الثورة الاسلامية. لقد مرّت خمسة أعوام على قطع اليد الظالمة والمتجبرة للنظام الملكي وجبابرة العالم عن الشعب الايراني المظلوم. وثبت خطأ كافة حسابات المستكبرين الشرقيين والغربيين وعملائهم الذين لا ترى أعينهم سوى الظواهر المادية، ويجهلون القدرة الإلهية، وكانوا يتصورون انه من غير الممكن لشعب يده خاوية ولا يملك أي نوع من المعدات الحربية المتطورة ان يتغلب على نظام ملكي عمره ٢٥٠٠ عام، ومدجج حتى عنقه بأنواع الاسلحة الامريكية والغربية والشرقية، كما وثبت أيضاً خطأ حساباتهم القائلة بأنَّ كل ثورة يجب أن تعتمد إما على الشرق، أو على الغرب، أو ان هذه الثورة الاسلامية الحديثة والمنقطعة النظير، لايمكن أن تدوم سوى أشهر قليلة. فبعد مرور عدة أشهر وسنين عاد الهدوء الى ايران، وصمدت الثورة والحكومة الاسلامية خلال هذه المدة كجبل أشم، وتحدّت المعسكرين الشرقي والغربي بقدرة إلهية، وأصبحت بعونه تعالى قدوة للشعوب الاسلامية والمظلومين في جميع انحاء الكرة الأرضية الذين انتفضوا بفضل هذه الثورة ضد كافة القوى المسلحة تسليحاً ذرياً ونووياً، وضد الباطل،

والدكتاتورية بشكلها الديمقراطي الإستبدادي تحت غطاء حب الإنسانية، والنهب تحت غطاء الاشتراكية... ولايمكن بالسلاح الوقوف بوجه هذه الموجة العارمة. وبفضله تعالى، وفضل ولي الأمر وصاحب العصر أرواحنا فداه، فإنَّ قدرة الإسلام في ايران التي القت بظلها على العالم من شرقه الى غربه، أصبحت اليوم حديث جميع القوى الشيطانية، الى درجة انه لو انتفض المظلومون والمحرومون في أية نقطة من العالم، أووقع انفجار، فإنَّ أقطاب القوى الجهنمية يقولون ايران كان لها يد في ذلك أو ان الشباب الايرانيين هم الذين قاموا به، حتى ان القوى العظمى بدأت تضع حواجز أمنية امام عروشها كما فعلت أميركا حين وضعت حواجز كبيرة أمام البيت الابيض، وبدأت الطائرات المقاتلة تحلّق على السفن والأساطيل الحربية التابعة لتلك القوى. فلقد سلب الباري سبحانه وتعالى الراحة من هؤلاء، ونصر المجاهدين في سبيله، وان الذين يتصورون انهم يستطيعون اضعاف الثورة الاسلامية من خلال بث الإشاعات إنما يساعدون بممارساتهم هذه على تقوية ايران والمجاهدين الايرانيين، وتقوية عزيمة الشعوب المضطهدة في العالم.

يجب على القوى العظمى ان تعلم بأنَّ اليوم لايشبه الأمس، وانها لا تستطيع من خلال كذبة أو إشاعة واحدة ان ترد الشعوب على أعقابها كما تفعل ذلك مع الحكومات.

واليوم فإنَّ اميركا، هذه القدوة الشيطانية وحلفاءها. يغلقون أبواب قصورهم حال وقوع انفجار في جزء من العالم، و يضعون حواجز ضخمة أمامها. وفي الوقت الذي لم يكن للجمهورية الاسلامية يد في هذه الانفجارات، لكنها استطاعت بمواقفها ان تحطم الأصنام الوهمية، وتزيل الرعب والقلق من قلوب المظومين، وتضعهما في قلوب الظالمين. وهذا هو بحد ذاته معجزة من جانب شعب قليل العدد والعُدَّة، تحققت على يد القدرة الالهية.

يجب على أميركا ان تعلم بانَّ المواقف العاجلة والخطوات غير المدروسة من مثل قرارها الأخير بوضع ايران في قائمة الدول الموافقة أو المحتضنة للنشاطات الإرهابية، لا تحل لها مشكلة ولا تبقي لها أي طريق للهروب منها، إذ ان عالم المستضعفين قد تأهّب اليوم سواء بشكل ثورة وانتفاضة أو بأشكال أُخرى، وذلك لقطع أيدي الظالمين. وهذا ما لايخلق لايران أية مشكلة، لأن اميركا بعد ان فشلت في ايران، قامت من خلال دعم حلفائها الغربيين في اوروبا، بفرض حصار

اقتصادي علينا، وقامت بما استطاعت عليه، ونحن استقبلنا ممارساتها بحرارة. ويجب على مسؤولي البيت الابيض ان يفهموا بأنَّ العالم قد تغيَّر، وان القوى الشيطانية قد جُرِّدت من اسلحتها القديمة والحديثة... كما ويجب على مخططي السياسة الأميركية ان يغيِّروا اسلوب تفكيرهم وسياساتهم، ولا يتصوروا بأنَّ ادارة مجموع العالم هي من اختصاصهم، وان جميع الدول تطيعهم طاعة عمياء... عليهم ان يعلموا بان قطع العلاقات والمقاطعة الاقتصادية، والقوائم الكاذبة، لا تستطيع ان تضيق العالم على بلدٍما. بالضبط مثلما لا تستطيع عملية إعادة مصر الى صف ما يسمى بمنظمة المؤتمر الاسلامي بكل ماطبّلوا وزمَّروا لها، وأيضاً التنسيق مع الشاه حسين والشاه حسن وحسني مبارك ، ان تحل لهم العقد التي ظهرت فيهم نتيجة لوعي الشعوب وانتفاضتها. وليس من العجيب ان تلجأ اميركا وعملاؤها الى كل الوسائل لإعادة مصر الى الصف العربي. لكنَّ الشيء الذي يدعو للأسف والعجب يتمثل بوضع الحكام العرب. فبعد تلك المقدمات الطويلة والحملة الدعائية واللقاءات السرية والتطبيل والتزمير والأحاديث التي كانت تدور عن بعض المشاريع في اجتماعات ملوك ورؤساء جمهوريات ومسؤولي الدول العربية وغير العربية، يحتمل ان كان بعض الاشخاص من الذين لايعرفون هؤلاء، يتوقعون من ذلك الاجتماع ان يناقش المشاكل التي أوجدتها القوى العظمى للإسلام والمسلمين وشعوب العالم المظلومة، ويضع برامج، لإصلاح حال الشعوب المؤسرة، ويجد الحلول المناسبة لمشاكلهم العالمية، غير ان هؤلاء قعدوا وقاموا ولخصوا جميع مشاكل الإسلام والمسلمين في عودة مصر المتحالفة مع اسرائيل الى الصف العربي!

بالأمس أخرجوا مصر بسبب عقدها معاهدة مع اسرائيل، لكنهم اليوم أعادوها بسبب اعترافها الرسمي باسرائيل! في ذلك اليوم أبعدوا مصر عنهم لتجاهلها مطالب العرب، لكنهم أعادوها اليوم بسبب تقبيلها يد اميركا! في ذلك اليوم أخرجوا مصر لخيانتها بحق القضية الفلسطينية، ولكنهم أعادوها اليوم نتيجة لمصادقتهم الجماعية على تلك الخيانة! والمؤسف بل المخزي ان مصر لم تقبل أي شرط. وان أحد قادة مصر قال ان على الحكام العرب ان يعترفوا بأخطائهم، وان القضية اللبنانية، والقضية الافغانية، وبقية القضايا العربية الأخرى لم تكن مشكلة ليتلف مايسمى برؤساء الدول الاسلامية وقتهم الثمين من أجلها!!

كيف تتحمل الشعوب العربية وغير العربية وبقية المسلمين هذا العار

وهو ان يكون هؤلاء حكاماً عليهم؟ الم يحن الوقت لتنهض الشعوب الإسلامية من مكانها وتجبر حكامها على الركوع أمام شرف الإسلام، أوالتعامل معها كما فعلت ايران؟ وهل ان الحكومات المسمّاة بالإسلامية تغط في نوم عميق؟ ألا ترى ان وضع الشعوب في الوقت الحاضر لايشبه وضعها في السابق؟ الا يريدون أن يفهموا بأنَّ الأنظار والأسماع عادت مفتوحة؟ وان الدسائس الشرقية والغربية قد فقدت خاصيتها؟ الا ترى أو تعلم بأنَّ الثورة الإسلامية قد تمَّ تصديرها أو هي في عشية التصدير، وان راية الاسلام سترتفع ــ بعونه تعالى وعن قريب ــ خفّاقة في جميع أرجاء العالم على أيدي الشعوب الاسلامية، بل والمظلومين الذين يتعطشون الى العدالة الاسلامية. اذن أليس من الأفضل ان تستيقظ الحكومات من نومها وان تتوب عن الذنب الكبير الذي ارتكبته في المغرب، حين اعتدت على شرف الإسلام والمسلمين وخاصة العرب، ووفّرت لنفسها عاراً تاريخياً؟ أليس من الأفضل لها ان تعود الى الله سبحانه وتعالى، لئلا تقوم ناره بإحراق اليابس والأخضر؟ والآن ونحن في بداية السنة السادسة للإنتصار، أعود فأُشير الى بعض المسائل التى تطرقت اليها مراراً.

١ــ اليوم ولله الحمد، وفي ظل العناية الإلهية وأدعية بقية الله روحي لمقدمه الفداء، فإنَّ الجمهورية الاسلامية بجهود ومساعي مختلف طبقات الشعب تمضي قُدماً بثبات وصمود. انني أطلب من الشعب الايراني العظيم أن يحضر في الساحة بشكل فعّال، ولا يتأخّر عن مساعدة الحكومة والجبهات، سيَّما وان مسألة الدفاع عن الإسلام والبلد الاسلامي وأموال ونواميس المسلمين هي من الواجبات الكفائية، وعلى الجميع ــ بقدر الإمكان ــ تقديم المساعدات اللازمة للجبهة وخلفها. وهنا أشكر الشعب المسلم والعظيم الذي حقق النصر بالتضحية والفداء، و يأخذ بالثورة نحو الأمام بحضوره المستمر في الساحة. وهذا ما يرضي الله تعالى، وانني أدعو الباري تعالى أن يعتبر بعنايته، هذا الشعب من المجاهدين في سبيل الله، ويمنحه من أجره اسوة بمجاهدي صدر الإسلام بقيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ــ إنَّ قلمي لعاجز عن تقدير وشكر هؤلاء المجاهدين المسلمين الذين حققوا بتضحياتهم وجهادهم في سبيل حفظ أهداف الاسلام، أعظم الانتصارات وأسمى شرف على جميع الجبهات، ورفعوا بذلك رأس الجمهورية الاسلامية عالياً،

وأرضوا أولياء الله عليهم الصلاة والسلام. فبأي بيان وقلم أستطيع أن أتقدم بالشكر لشباب يتسابقون للقاء الله و يتقدمون بشغف للدفاع عن الاسلام مضحين بحياتهم التي هي أغلى شيء، في سبيل هدف أنبياء وأولياء الله، كما فعل سيد المظلومين بفدائه صارخاً «هيهات منّا الذلة»، ذلك العملاق على مرّ التاريخ، الذي طبّق القول بالعمل المدوّي في أنحاء العالم؟ و بأي قلم و بيان يمكن الثناء على أعزّاء صنعوا من مواضع القتال، محاريب ليعرجوا منها الى الله؟

ربما تتمكن أقلام الفنانين من تجسيد ورسم شجاعة و بسالة اولئك الأقوياء الجسورين الذين يعيشون تحت وابل من القذائف والنيران، وربما يتمكن أحد النّحاتين ان يعكس الانتصارات المذهلة التي تحققت رغم كل الصواريخ والقصف من قبل العدو الغادر بعد العبور من الاسلاك الشائكة والجبال الوعرة والمواضع الحصينة المجهزة بأحدث الوسائل المتطورة وانتزاعها من العدو. ولكن هل يتمكّن القلم والفن من وصف تلك الأبعاد الالهية والعرفانية وتصوير الجانب المعنوي للنفوس السائرة والمحلّقة نحو الله؟ وهل يتمكنان من تجسيد تلك القلوب الذائبة في التجليات الإلهية؟ حقاً، كيف يتمكن الغربيون والشرقيون وأنصارهم والقوميون من التعبير عن هذه التضحيات بأبعادها المعنوية والعرفانية والحب في الله!.

وهنا فاننا لانتعرض، أو نطرح الشجاعة، أو الجسارة، أو الجانب العملي، وانما الى ذلك الحافز الروحي الذي يهدي نحو الحب الحقيقي لله، حيث يذوب كل شيء في هذا الحب. ففي أي حرب ونهضة وثورة وعلى مرّ الزمان يمكن الإتيان بجنود مضحين كجنود ايران، اللهم إلاّ أولياء الله والذين تربّوا في مدرسة الإسلام التي أفاضت عليهم نورها، وفي أي الصفحات من التاريخ يمكن الإتيان بنماذج من الأمّهات والآباء والزوجات والأخوات والإخوة الذين يقدّمون أبناءهم قرابين الواحد تلو الآخر، سوى أبناء مدرسة القرآن والإسلام الحقيقي، وهؤلاء هم من نفس أبناء هذه المدرسة المباركة. فسلام الله وتحيات رسله على الأمّهات والآباء واُولئك الأبناء الأبرار والمعوقين وعلى كل من سار في سبيل الهدف المقدس.

٣ــ يا أعزاء الإسلام وذخر الأمّة: جاهدوا النفس، وأزيلوا هواها من قلوبكم. ولنعلم ان كل ما في الوجود هو لله، وهو انعكاس لجماله. فالجسد والروح والنفس منه واليه. اسعوا وجاهدوا لإزالة حجاب النفس عنكم، لتطّلعوا على

جمال الله جلّ وعلا، وآنذاك تسهل الأمور عليكم، وتلتذون بالعذاب، و يصبح الموت في سبيله أحلى من العسل، وأسمى من أي شيء يخطر ببالكم. إياكم وغرور الشجاعة وقوة الشباب أن ينفذ الى قلوبكم، فإنه يحطم كل شيء، و يبدد الآمال، اسعوا الى الذوبان في بعضكم البعض من الجيش والحرس والتعبئة والدرك واللجان والشرطة والعشائر، وابتعدوا عن الأنا والأنت، وأوجدوا قوة واحدة، وليكن الهدف، الإسلام والبلد الاسلامي، عند ذاك يكون انتصار فئة منكم، إنتصاراً لجميع الفئات. وليكن الهدف موضع اعتبار، لا الجيش، أو الحرس، أوبقية القوى المسلحة.

انني أُحذر القوات المسلحة من نفثات وأيدي الشياطين وأعداء الثورة فلو غفلواعنها ــ لاسمح الله ــ فليكونوا على يقين من سلب العناية الالهية عنهم والهزيمة في حربهم مع أعداء الاسلام والفضيحة والعار الأبديين أمام الله والشعب المسلم والخذلان في الآخرة لاسمح الله.

أعزائي: الموضوع مهم جداً. فالشرف والعار والشقاء والسعادة أمامنا. علينا أن نحذر و بشدة من هوى النفس الشيطانية، وطّدوا الأُخوة والمساواة الموجودة حالياً بينكم أكثر فأكثر، وضعوا مصالح الإسلام و بلدكم نصب أعينكم، ولا تفكروا بغير ذلك، والله هو عونكم.

٤ ــ من القضايا المهمة التي سنواجهها قريباً، مسألة الانتخابات الثانية لمجلس الشورى الاسلامي. انها حساسة جداً، وعلى الخطباء في جميع المناسبات والإجتماعات في انحاء البلد خاصة في صلاة الجمعة من قبل أئمتها، توضيح جوانب وأهمية ذلك، وتذكير الشعب بأهميتها وخطورتها المرتبطة بالشعب والاسلام. فالمجلس هوالمكان الذي تشترك فيه الأكثرية الساحقة في القضايا المهمة للبلاد والتي ترتبط من قريب أو بعيد بمستقبل الأُمة، فكل مانزل من الظلم في فترة مابعد الثورة الدستورية وفي فترة الظلم الملكي على الشعب كان مصدره المجلس الفاسد بنوابه الذي لم ينتخبوامن قبل الشعب بعدإبعادعلماء الدين عنه عبرمؤامرات رذيلة ودعايات مسمومة مستلهمة من الغرب والتي بثت بواسطة المرتبطين بالغرب والشرق من الخونة وغير الواعين، حيث كانوا يصورون المجلس بنظر علماء الدين والمتدينين بشكل، بحيث كانوا يتصورون بان التدخل في الإنتخابات معصية كبيرة ومساعدة للظلم والكفر. و بذلك خرج علماء الدين من الساحة بشكل تام

واصبحوا معزولين، وانبسطت اثر ذلك أيدي عملاء الشرق والغرب، وآلت البلاد على أيدي هؤلاء الى المصير الذي رأيتموه بأنفسكم.

واليوم فإنَّ تلك الأفكار المنحطَّة مازالت موجودة الدي بعض المعممين الجهلة. في حين لوكان هناك في كل مدينة واقليم بعض الاشخاص من أمثال الشهيد مدرِّس، لكانت الثورة الدستورية تتقدم الى الأمام بشكل صحيح وشرعي، ولَمَّا كان يتم التلاعب بالدستور وملحقاته الذي استشهد الشهيد الشيخ فضل الله النوري من أجله، ولَمَّا كان الإسلام الغالي والمسلمون المظلومون يتحملون تلك المصائب والمتاعب. فبعد خروج علماء الدين من الساحة، أو بتعبير أدق بعد اخراجهم من الساحة، فإنَّ جميع الفئات سواء الثقافية، أوالعماليَّة، أو الإدارية، أوالكسبة، وغيرها من الفئات الأخرى توقفت عن التدخل أو مُنِعَت من التدخل، فحصل ما حصل.

واليوم علينا ان نأخذ العبرة من تلك المؤامرات والمفاسد التي ظهرت نتيجة لعزل المتدينين، والضربات التي لحقت بالإسلام والمسلمين. كما ويجب علينا ان نعي بأنَّ النظام الإسلامي، وتطبيق الأحكام الاسلامية وحفظها من خطر الأعداء... كل ذلك يتوقف على حضور جميع فئات الشعب، وخاصة علماء الدين المحترمين، والمراجع العظام في الساحة، واذا لحق ضرر بالإسلام والبلد الاسلامي ــ لا سمح الله ــ جراء عدم الإعتناء بمصير المجتمع، فإننا سنكون جميعاً مسؤولين أمام الله القهَّار، ويمكن ان لا تصفح عنَّا الأجيال القادمة، خاصة اذا أدى عدم اعتنائنا، الى الحاق آلاف الأضرار بها.

إذن فإنَّ إحدى الوظائف الشرعية والعقلية الملقاة على عاتقنا لحفظ الإسلام ومصالح البلاد، تتمثل بمشاركتنا الفعَّالة في الإنتخابات وادلاء الأصوات لصالح النواب الصالحين والمطلعين على الأوضاع السياسية للعالم، وسائر القضايا الأُخرى التي تهم البلاد، سواء أكان هؤلاء من علماء الدين، أم لم يكونوا. ومثلما يحتاج المجلس الى علماء الدين المطلعين على الأحكام الشرعية والسياسية للإسلام، فانه يحتاج أيضاً الى الخبراء في الحقول المختلفة. فالمجلس اليوم يواجه عالماً مليئاً بالإضطرابات الصناعية والسياسية المعقَّدة، والثقافات الغربية والشرقية، والصراعات العالمية بين الأقوياء والضعفاء. ومثل هذا المجلس يجب ان يكون محتضناً للمطلعين والعلماء والمختصين في أي مجال كان.

ان الإنتخابات إنما هي اختبار الهي يفصل المؤمنين والملتزمين عن أصحاب الادعاءات. وان الأشخاص الذين يرشّحون أنفسهم، أو ترشّحهم فئة من الفئات، ولا تتوفر فيهم صلاحية العمل في مثل هذا المجلس يجب ان يكون محتضناً للمطلعين والعلماء والمختصين في أي مجال كان.

ان الإنتخابات إنما هي اختبار الهي يفصل المؤمنين والملتزمين عن أصحاب الادعاءات. وان الأشخاص الذين يرشّحون أنفسهم، أو ترشّحهم فئة من الفئات، ولا تتوفر فيهم صلاحية العمل في مثل هذا المجلس، ولا يعود وجودهم فيه بأية فائدة على بلادهم، يجب ان يخشوا الله تعالىٰ، ويفضلوا رضاه سبحانه وتعالى على رضاهم، ولا يرتكبوا مثل هذه المخالفة. وارجو من السادة العلماء، وخاصة أئمة الجمعة والجماعات، وسائر السادة الآخرين، أنْ لا يخلوا مدنهم من المخلصين للشعب وعباد الله الصالحين، إذ ان خدمة الشعب، وسد احتياجاته، وتربية عباد الله تربية علمية وأخلاقيةً، والتي هي من وظائف علماء الدين، إنّما هي وظائف تفوق جميع الوظائف الأُخرى من حيث الأهمية، إلا اذا شعروا بان وجودهم في المجلس مفيد. ويجب على الجميع حين يرشحون أنفسهم أن يفكروا بتقديم الخدمات، لا تحقيق المناصب. وانتم تعلمون ان الجمهورية الاسلامية تختلف عن الأنظمة الأُخرى التي يلجأ فيها الأشخاص الى مختلف البدع لتحقيق مناصب لهم. وطبيعي ان المناصب لا تجدي نفعاً إذا لم تكن بهدف خدمة الله وعباد الله. انكم اتباع رجل التاريخ الكبير صلوات الله عليه الذي أطلق ذلك الكلام حول الحكومة. اما بالنسبة للناس فإنّهم أحرار في انتخاب الأشخاص، ولا يحق لأي كان أنْ يفرض على الشعب نفسه أومرشحي الفئات، أو الفئات أنفسها. ولا يحق لأي مسؤول، وحزب، وفئة، وفرد ان يوجّه إهانة للاخرين الذين يختلف معهم في وجهات النظر، أو لا سمح الله أنْ يفضحهم، رغم انه من حق الجميع ان يقوموا بحملة انتخابية صحيحة لصالح انفسهم أو لصالح مرشحيهم، أو لصالح الآخرين، كما ولا يستطيع أي كان أنْ يسلب هذا الحق من الآخرين. ولكن يلزم ان تكون الحملات الانتخابية في اطار مقررات وضوابط الحكومة. ولا يحق شرعاً لأي شخص ان يدلي بصوته الى الآخرين بطاعة عمياء ومن دون ان يعرف عنهم شيئاً. واذا كان هناك توافق في وجهات النظر بين جميع الأفراد والفئات حول صلاحية شخص أوعدة أشخاص، ولم يتفق الناخب مع وجهة نظر هؤلاء، فيجب ان

لايتبعهم، إذ انه سيكون مسؤولاً أمام الله. واذا قامت فئة أو قام أشخاص بتأييد صلاحية فرد أو أفراد آخرين، واطمأن الناخب من ذلك، فانه، أي الناخب، يستطيع ان يدلي بصوته لصالح هؤلاء.

وبالجملة فإنَّ الحكومة، هي حكومة الإسلام والشعب، ان المجلس، هو من الشعب وإليه، وان رأيه هورأي الناس. وجدير بالذكر انه يجب على الأهالي المحتزمين لكل منطقة تجري فيها الانتخابات ان يرشّحوا فرداً أو عدة أفراد و يقوموا بحملة انتخابية صحيحة وشرعية لصالحهم. ولكي تكون الانتخابات، انتخابات جيدة، يجب ان لايتم ترشيح أفراد من منطقة الى منطقة أُخرى ويجب على الناخب أيضاً أن لايبتَّ في صلاحية أوعدم صلاحية المرشحين.

ان التدخل في انتخابات أي منطقة، يجب ان يكون من اختصاص أهالي تلك المنطقة فقط، ومن الأفضل ان يتبادل جميع ممثلي فئات المناطق الانتخابية، وجهات النظر حول ترشيح فرد أوعدة أفراد... وبهذه الميزات يكون جميع الأشخاص احراراً فيما لو توفَّرت فيهم الشروط اللازمة لترشيح الآخرين أو ترشيح أنفسهم.

٥ــ إنَّ الحوزات العلمية الفقهية والجامعات، تحظى بأهمية خاصة، إذْ انها بمثابة المواد الأولية لقدرات شعبٍ و بلدٍ ما. فهي تقوم بنشر حقائق الإسلام والمسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية و بقية المسائل الأُخرى الخاصة بالبلاد. وبها تتحرك عجلة نظام ما و بإصلاحها تصلح البلاد، واذا فسدت ــ لاسمح الله ــ فإنها تؤدي الى إفساد الشعوب. فإذا كانت المدارس والجامعات نشطة وسليمة، لما ابتليت المجالس والحكومات وأجهزة القضاء السابقة بالمصائب، ولما نزلت المصائب على قُطرنا وشعبنا المظلومين. واذا كان شعبنا لايريد ان يكون أسيراً بيد القوى العظمى وعملائها، وأيضاً أسيراً بيد الحكومات مثل الحكومة القاجارية والنظام البهلوي الذي كان أسوأ من تلك الحكومة، عليه ان يجاهد في سبيل اصلاح هذين القطبين. واذا كان طلبة العلوم الدينية والفضلاء والعلماء والمراجع العظام والفئات الجامعية من أساتذة محترمين وطلبة جامعيين وأيضاً كافة العلماء، لايريدون أن ترزح بلادهم تحت نير الإستعمار ومفترسي العالم، عليهم ان يسعوا لتربية الشعب تربية اسلامية ووطنية سليمة. كما ويجب على الطلبة الجامعيين وطلبة العلوم الدينية ان يسعوا لتربية أنفسهم والإستعانة بإرشادات

الأساتذة والمدرسين والمربين في هذا المجال، وان يسعوا بكل مالديهم لتحقيق الوحدة الحقيقيةوالجدية بين الجامعات والحوزات العلمية الاسلامية، لأنَّ أعداء الشعب والوطن طالما استفادوا من التفرقة بين هؤلاء والحقوا أضراراً ببلد الإسلام.

واليوم يجب على الفضلاء ومدرسي العلوم الاسلامية أن يأخذوا بنظر الاعتبار مناهج الأسلاف الصالحين، و يستخدموا أفكارهم لتوسيع الفقه والتفسير وسائر العلوم الاسلامية الأُخرى و يرشدوا طلبتهم الى هذا الهدف الالهي... وعلى أساتذة وعلماء الجامعات ان يصبوا جل اهتمامهم في المسائل العلمية المختلفة التي يحتاج اليها شعب ما، ويخططوا لاستقلال علمي وثقافي ليستغني طلبتنا الأعزاء عن الذهاب الى الخارج، فيالو استطاعوا بعد مدة و بعونه تعالى و من خلال استخدام أفكارهم السامية والثقة بأنفسهم ان يلبّوا الإحتياجات العلمية للطلبة. وهذا أمر ممكن. ولو لم تكن الدعايات الخارجية والداخلية لعملاء الغرب، لكان هذا الأمر متحققاً اليوم. إلا ان المتغربين الذين كانوا فيما مضى عملاء لبريطانيا وفرنسا وعادوا اليوم عملاء لأمريكا، منعونا من ان نعتمد على أنفسنا، كما انهم أدخلوا اليأس في نفوس شبابنا وجعلوا جامعاتنا ألعوبة بأيديهم.

إنَّ الفساد، كان يسود المجلس والحكومة وجميع نقاط البلاد. واليوم حان الوقت لنستيقظ ونحبط الدسائس الإستعمارية، ويجب على شبابنا الأعزاء الذين هم ذخر للبلاد ان يعلموا بان الذهاب الى الشرق والغرب لتحصيل العلوم المختلفة يمنعهم من تحقيق الهدف المطلوب المتمثل بالاستقلال والحرية ويجعلهم أكثر تبعية. ان اعداءنا الذين يطمعون في بلادنا ولن يسمحوالنامطلقاً في تحقيق الإستقلال، والتحرر من التبعية. ويجب علينا ان نقنع أنفسنا بانه لايوجد في الغرب سوى الوسائل التي تجعلنا نتخلّف عن ركب الحضارة. وعلينا جميعاً ان نعي بأنَّ أعداءنا يطمعون في جامعاتنا، وهم على أمل أن يستطيعوا في المستقبل النفوذ الى جامعاتنا وجرّ الشباب الطيّبي القلب نحو الإنحطاط والفساد والرياء، وذلك من أجل تهيئة الأرضية المناسبة لاستثمارهم و نهبهم...

يجب على الأساتذة المحترمين أنْ يراقبوا شباب البلاد عن كثب لئلا يدخل في صفوفهم الانتهازيون من المتغربين، ويحقق هؤلاء الأغراض الدنيئة لمفترسي العالم. فإذا رأيتم (والكلام مع الأساتذة) اقل انحراف في أقوال وأفعال شخص ما، فلا تغضوا النظر عنه وتعتبروه أمراً صغيراً، بل عليكم ان تقضوا على

مثل تلك الأقوال فور ظهورها... واسأل الله ان يوفقكم.

٦ــ إنَّ السلطة القضائية باعتبارها مرجع وملجأ الناس المضطهدين، هي سلطة مستقلة، ولا يجوز لأي شخص التدخل في شؤونها، واذا كان هناك من يتدخلون في الشؤون القضائية جهلاً منهم، فعليهم ان يعلموا بأنهم يتصرفون خلافاً للأحكام الشرعية ونظام الجمهورية الإسلامية. اما اذا كانوا يتدخلون عمداً فإنهم يعاقبون على تدخلهم. ومن الواجب على الحكومة ان تقوم بالحيلولة دون قيام أي شخص بمثل هذه الأعمال. ويجب اعتقال الأشخاص الذي يمتنعون عن المثول أمام المحاكم، وتطبيق التعزير الشرعي عليهم. والاشخاص الذين يتجاهلون أحكام القضاة الشرعيين، أويقاومونها، إنما يتمردون على القانون، والذين يريدون تقديم شكوى ضد قاض، أولهم اعتراض على حكم القاضي، عليهم مراجعة الجهات المختصة، لا أنْ يعملوا كل ما يحلولهم. كماوعليم ان يعلموا بأنَّ الأحكام الصادرة عن القضاة الشرعيين، طالما لم يثبت بطلانها من حيث الشرع في أية محكمة صالحة، فإنها سارية المفعول. ويجب على المجلات والصحف وأجهزة الاعلام الأُخرى أنْ تعلم بأنَّ إضعاف السلطة القضائية، عمل مخالف للموازين الإسلامية، ويجب تجنُّب الأشياء التي تؤدي الى إضعاف أو إهانة جهاز العدل. فهذا القطر، هو قطر اسلامي، ويجب ان تكون جميع الأشياء فيه مطابقة للموازين الإسلامية.

إنَّ تقديم شكوى ضد القضاة والمحاكم، يجب ان يتم وفق القوانين الشرعية، وان الساكي ــ مهما كان ــ لا يحق له ان يطرح شكواه في الصحافة أو في أجهزة الإعلام أو في المجامع العامّة و يثير الإشاعات ضد السلطة القضائية. إذن فعلى الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون ان تأخذ هذه المسائل ونظائرها بنظر الاعتبار. و بالجملة فإنَّ مسألة القضاء واحترام القضاة المحترمين واطاعة الأحكام الصادرة عنهم، لهي أُمور يهتم بها الإسلام كثيراً ونسأل الله ان يوفق الجميع. ومن جهة ثانية فإنَّ جهاز القضاء، هو جهاز حسَّاس. ويجب السعي بجد لعدم ارتكاب أي خطأ فيه. واذا شعر القضاة بأنهم ارتكبوا خطأً، يجب ان لا يشعروا بالخجل من التراجع عن قرارهم، إذ ان الخجل في محضر الباري تعالى، يكون أكبر من الخجل امام الناس، يجب أنْ يسعوا لمواجهة الأشخاص باحترام ودقة وحزم، ليرضى الناس عنهم، لأنَّ رضا الناس يعقبه رضا الله. وليسعَ القضاة بأسرع ما يمكن للنظر

في شؤون الناس، وعدم المماطلة في هذا المجال.

٧ــ واليوم فإنَّ قطرنا يواجه هجوماً من قبل جميع المتعنتين، لأنه يريد تطبيق الأحكام الإسلامية، وان القوى العظمى أخذت تشعر بالقلق، وإن حكومات المنطقة تتخوف منه، نتيجة لتصوراتها الباطلة. وهؤلاء لا يتأخَّرون عن بث أية دعاية ضدَّة. وفي مثل هذه الظروف العالمية يجب على الشعب والحكومة أن يسند أحدهما الآخر بكل ماليديه من طاقات حتى وإنْ كان لأحدهما انتقاد على الآخر، فيجب ان يمد كل منهما يدالصداقة والأُخوة لصاحبه. ان الحكومة تخدم الشعب بجميع طاقاتها. واذا كانت هناك نواقص، فمن غير الممكن سدُّها في هذا النظام المولود حديثاً والذي لم يتخط ــ حتى الآن ــ مرحلة الثورة، ويخوض في الوقت الحاضر حرباً ضد مفترسي العالم الشرقيين والغربيين الذين يتحدوننا في جميع المجالات، وان الحكومة مشكورة على جهودها ونشاطاتها في مثل هذه الأجواء الجهنمية.

يجب على الشعب ان يقف الى جانب الحكومة بجميع طاقاته، و يذكِّر الحكومة بالنواقص الموجودة، و يساعدها على سد تلك النواقص، كما يلزم على الحكومة أنْ تسعى لسدِّ النواقص. و بالجملة اذا لم تتضامن جميع فئات وطبقات الشعب وكافة أعضاء الحكومة والقوات المسلحة والعشائر، ولم تدافع معاً عن وطنها وعن الإسلام، وأُصبنا بهزيمة ــ لاسمح الله ــ فإننا جميعاً سنكون مسؤولين أمام الله ومرتزقة بنظر الأجيال القادمة ومظلومي العالم. وما ذكرناه لايعني ان الإنتقادات البنَّاءة والنصائح الأبوية والأخوية من قبل المجلس والتي تعتبر من أحد حقوقه فيها إشكال، بل انها لازمة، واذا كانت وراءها ــ لا سمح الله ــ أغراض أُخرى، فيجب ان يعترضوا على الحكومة بل ويستجوبوها.

٨ــ ان الشعب والحكومة الاسلامية، بل وجميع المسلمين الملتزمين، والمهتمين بمصالح الاسلام والعالم، والمستضعفين الذين يعون المسائل العالمية ــ هؤلاء المضطهدون الذين عرفهم التاريخ ــ هم غير راضين عن بعض تصرفات حكام المنطقة وسائر الأقطار الاسلامية و يستنكرون محاولات رؤساء هذه البلدان في أُطر المؤتمرات الرامية الى الاعتراف بإسرائيل الغاصبة و بسط نفوذ اميركا في المنطقة والأقطار الاسلامية أكثر فأكثر وتسهيل عملية نهب المصادر العظيمة للمسلمين والوقوف الى جانب الحرب المعلنة على المسلمين اللبنانيين المظلومين

والسعي لتوسيع نطاقها، وأيضا تقديم العون للمعتدين الصداميين في الحرب المفروضة على ايران والذي يساعد بحد ذاته على تقوية أسس الكيان الاسرائيلي الغاصب.

وكذلك يستنكرون و يدينون كل ما جرى في مؤتمر المغرب. انكم قد (مخاطباً زعماء الأقطار الاسلامية) انتخبتم مكاناً لاقامة المؤتمر وانتخبتم شخصاً لرئاسته كان ــ في نفس الوقت الذي كانت تبذل فيه المساعي للإعتراف بمشروعي كامب ديفيد وفهد السيئي الصيت ــ يرتكب المجازر الدموية بحق الشعب المسلم في المغرب الذي انتفض بوجهه في أكثر المدن المغربية. و بذلك قد أدخل الشخص الذي تحلّون عنده ضيوفاً يديه مرة أخرى حتى المرفق في حرمة دماء الشعب المسلم والمظلوم في المغرب.

ومع جميع هذه المصائب والمشاكل التي يعاني منها العرب و باقي مسلمي العالم، ونظراً للمصير المشترك الذي يجمع الشعوب الاسلامية حسب أحكام الإسلام العظيم، فإني أقترح على علماء ومفكري جميع الأقطار الاسلامية التداول فيما بينهم لوضع برنامج عام يستهدف ايجاد طريق لإنقاذ الأقطار الاسلامية من مخالب القوى العظمى الغربية والشرقية، وكذلك يستهدف تجريد زعماء الأقطار الاسلامية من سلطاتهم الاستبدادية، فضلاً عن ايجاد طرق المقاومة والصمود أمام مخططات الإستعمار والامبريالية العالمية، وان يكون ذلك البرنامج سبباً لتكثيف الإتصالات فيما بين العلماء والمفكرين، وعلى ان يكون مستنداً الى وعي الشعوب المحرومة و يقظتها، واذا قبلوا بهذا الإقتراح فانهم حتماً سيجدون طريق الخلاص وسينتصرون لامحالة.

واتمنى ان يرضى الله وعباده عن أولئك العلماء ليفوزوا بالحياتين الدنيا والآخرة، وستبقى اسماؤهم خالدة على ألسن جميع الناس في الوقت الحاضر والأجيال القادمة، وان عليهم ان يطمئنوا ان الوضع السائد في العالم يسير نحو التغيير الأساسي، وان جماهير عالم اليوم لن تسمح للقوتين العظميين ان تقوما بما يحلو لهما وان تنفرد فئة من الأشخاص لتحديد مصير العالم، لذلك فعلى العلماء والمفكرين الملتزمين ان يضعوا أنفسهم في صفوف الشعوب، و يتقربوا منهم قبل حدوث التغيير العالمي الذي أشرنا اليه، وعليهم أن يتكلوا على الشعوب و يدخلوهم في الحساب، وأن يعاملوهم وفقاً لماجاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة حول

كيفية معاملة الرعية.

وأن عليهم كذلك أن يوجّهوا أنظار الشعوب اليهم بهذا الشكل، لكي يرفعوا كلياً الحواجز المصطنعة والمقامة بين العلماء والمفكرين من جهة والمجتمع والجماهير الكادحة والفقيرة في المجتمع من جهة أُخرى، أو يعملوا على تقليلها، حيث أن شعوبنا اليوم لا تفهم كلام العلماء والمفكرين البعيدين عنهم، وانما تفهم كلام العلماء الذي يخاطبون به الشعوب. إن هذه الحالة هي الوحيدة التي تؤدي الى كسب وُدّ ودعم الشعب لكم، و بالتالي تخرجكم من سلطة القوى العظمى وأذنابها التي تجركم الى الذّل والهوان، وتضعكم في المقابل في حصن كلمة لا إله الا الله العظيمة. واذا تحقق ذلك فإنه سيؤدي الى اتحاد الشعوب مع بعضها، وترسيخ اخوتها، والعيش بشرف وكرامة، التي تعتبر أفضل بمئات المرات من هذه الحياة المتذبذبة والمشوشة التي يحيونها، وان الحياة الكريمة التي يعِد الاسلام بها تؤدي الى السمو والرقي في الدنيا والدين، حتى ان ذلك العدد من أفراد الشعب الذين خدعوا بدعايات الشرق والغرب وأصبحوا مبهورين بها، فإنهم لايعرفون شيئاً عن الثقافة الإسلامية أولم يفهموها جيداً، والاّ لكان جميعهم قد عاد الى أحضان الإسلام الأصيل، أملنا ان يعمل علماؤنا وعلماء الأقطار الإسلامية على توضيح أهمية جميع القوى العظمى، وترسيخ تلك المفاهيم في أذهان الشعوب الإسلامية، وعليهم ان يطمئنوا بانه لايوجد أي شخص في العالم يميل ذاتياً للارتباط بالأجانب، أو أن يكون عميلاً لهم. ان علينا ان نسعى حثيثاً من أجل إفهام الشعوب واقناعها بأنها تستطيع أن تقف على أقدامها أمام أعتداءات الشرق والغرب، وكذلك الاعتماد على النفس في الدفاع عن ثقافتنا الاصيلة وشرفنا وكرامتنا الاسلامية والوطنية، وأنه بامكاننا أن نهزم العالم المادي شر هزيمة، و بالتالي نفلح في رفع راية لا اله الاّ الله ومحمد رسول الله خفاقة في جميع انحاء العالم إن شاءالله.

٩ــ من الامُور المهمة التي يجب ملاحظتها كثيراً هي ضمان رفاه وسعادة المعتقلين في السجون الإسلامية، سواء كانوا من الفئات التي رفعت السلاح ضد الجمهورية الاسلامية وكانت السبب في قتل الناس الأبرياء من أبناء المحلات والمناطق الفقيرة، أوأولئك الذين مارسوا مهنة بيع وتوزيع المواد المخدرة والتي جروا بها شباب قطرنا الى الفساد، أو باقي المعتقلين... ان هؤلاء اليوم أسرى في أيديكم، وهم الذين ورّطوا أنفسهم. وعليكم الإخوة ان تعاملوا أسراكم من

المسجونين، وكذلك أسرى الحرب برأفة وحنان وود، وعليكم أن تجعلوا من السجون مدارس للتعليم والتربية الاخلاقية، كماقتم بذلك لحد الآن، وذلك لكي تسمحوا للمنحرفين والمذنبين أن يذوقوا حلاوة العدالة الإسلامية، و بالتالي أن يعودوا الى الإسلام والنظام الاسلامي، والتوبة النصوحة. إن رحمة الله تسع كل شيء، وأن أبواب رحمته مفتوحة أمام الجميع حتى أُولئك الذين يستحقون الحدود الإلهية القاسية كالقتل و باقي العقوبات المنصوص عليها، ويجب ان يشمل هؤلاء عطف المسؤولين ورحمتهم ورفقهم في آخر لحظة من حياتهم.

و يتوجب على مجلس القضاء الأعلى، ولجنة دراسة وضع المعتقلين في أنحاء البلاد، ان يعجّلوا في انجاز المهام الملقاة على عاتقهم، وان يعفوا عن كل شخص يستحق العفو حسب الشريعة الاسلامية واطلاق سراحه فوراً وفسح المجال أمامهم لمزاولة الحياة الحرة في هذه الدنيا وان شاءالله سيعودون الى هذا المجتمع، ليكونوا أبناء مفيدين لوطنهم.

١٠ــ أطلب من جميع المواطنين الموجودين في خارج القطر من الذين بإمكانهم خدمة هذا البلد وتقديم العون لشعبنا المظلوم، سواء كانوا أطباء أو من المتخصصين في العلوم الأُخرى، أطلب من جميع هؤلاء أن يعودوا الى رشدهم و يفكروا قليلاً بحالة شعبهم الذي عانى كثيراً من المصائب والآلام على مرّ التاريخ، ورزح تحت ظلم الجائرين من الحكام، وعليهم أن يفكّروا و يروا هل يسمح لهم ضميرهم الإنساني أن يجلسوا في بلاد الغربة، و ينخدعوا بأقاو يل الإذاعات والصحف الأجنبية الكاذبة والخيالية التي تعتبر جميعها أعداء لهذا الوطن ولهذا الشعب، والتي تبث وتنشر الدعايات والاشاعات المغرضة التي يختلقها المنافقون وأعوان الملكية السابقة الذين لايفكرون إلاّ بمصلحة أمريكا ومصلحتهم الخاصة و يعملون دوماً على وضع موارد القطر العظيمة كما في السابق في بطون أمريكا وأعوانها الحاقدين. وكيف يسمح أُولئك القابعون في خارج القطر، لأنفسهم في أن يخدموا أعداء دينهم ووطنهم، وهم يسمعون دوي أصوات المظلومين من أبناء وطنهم وشعبهم المحروم، ولايبالون بذلك ، ولا يسمحون لأنفسهم أن يكونوا شركاء في أحزان ومصائب هذا الشعب؟ ان ماتسمعونه من وسائل الاعلام الأجنبية في الخارج لايتعدى كونه دعايات لاأساس لها. وعارية عن الصحة، تعالوا الى وطنكم، وانظروا بأعينكم ماذا يجري لهذا الشعب الذي حصل على

آستقلاله وحريته بأيديه الفولاذية، وقطع أيدي الغزاة والناهبين و بترها عن وطنه واستلم مقاليد أموره بيده، وابتعد كلياً عن جميع أنواع الارتباط والعمالة السياسية والعسكرية والثقافية. هذا الشعب يسيرفي المجالات الاقتصادية نحو الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس. تعالوا وانظروا التغييرات الأساسية التي حدثت في جميع قطاعات الشعب، وشاهدوا الخدمات التي قدّمت لمحرومي التاريخ من أبناء شعبكم خلال السنوات القليلة المنصرمة من عمر الثورة المباركة، وعليكم ان تلاحظوا هذه النقطة المهمة وهي أننا استطعنا ان ننقذ هذا البلد ونجنّبه الإنحراف الى اليمين أوالى اليسار بالرغم من جميع المشاكل التي ابتلي بها شعبنا وحكومتنا الموقرة، وكذلك بالرغم من المشاكل الموروثة من عهود ماقبل الثورة، وماسببته الحرب من و يلات وآلام جاءت بعد فرضها علينا من قبل القوى العظمى، و بالرغم من الأعمال الخيانية والمؤامرات الكبيرة التي نفذتها الفئات الداخلية العميلة، و بالرغم من كافة الضغوط الإقتصادية من مثل فرض المقاطعة الاقتصادية علينا والتعتيم والتشو يه الاعلامي المقيت، وما سببه لنا النازحون جراء الحرب العدوانية وتهديدات حزب البعث العراقي، وكذلك المشردون من الشعب الأفغاني المسلم.

ولذلك، تعالوا انتم الى هنا، وآخذموا وطنكم، وأوفوا بدينكم تجاه بلدكم، واذا كنتم فعلاً معتقدين بالإسلام فانظروا مايريده منكم الشرع المقدس وقارنوا بين الوضع الآن والوضع الذي كان سائداً في عهد النظام البهلوي المقبور، واذا كنتم وطنيين حقاً، فاعلموا ان ايران اليوم ينظر اليها باعتبارها البلد الوحيد الذي يقف بوجه امريكا وروسيا في العالم، وآنظروا مايتمتع به هذا القطر من الشهرة والقدرة في العالم، بحيث ان الدول المعادية تعمل من أجل الحيلولة دون شيوع تلك الشهرة والسمعة بين شعوب العالم، تعالوا وآشهدواما حققته ايران اليوم من استقلال حقيقي وقارنوا ذلك مع ما كان عليه ايام الشاه المقبور الذي كان يفتخر بعمالته لامريكا وعمل على ربط عجلة الشعب بالامبريالية الامريكية وسبب له المصائب والآلام الكبيرة التي لازال يعاني من بقاياها... وطبيعي ان حديثي هذا ليس مع اولئك الذين نهبوا وسرقوا وأخرجوا أموال الشعب عند هروبهم ووقعوا في مستنقع الفساد والشهوات الرخيصة، بل ان حديثي موجّه بالأساس للشرفاء والأحرار من أبناء هذا البلد الذين لازالوا محتفظين بضمائر إنسانية حيّة.

١١ــ إنّ حديثي مع علماء الدين المحترمين وأئمة الجمعة والجماعة في أنحاء القطر، هو أنكم أيها السادة كنتم دوماً محوراً لوحدة الشعب، وكما تعلمون فإننا اليوم نحتاج أكثر من أي وقت مضى الى وحدة الكلمة، وان مسؤوليتكم اليوم مضاعفة وانتم وحدكم الذين تستطيعون أن تؤثروا على الشعب، لأنكم على اتصال مباشر معه وتحولون دون انخداع الطيبين منهم بدعايات أعداء الثورة المغرضين الذين يعملون على بث الفرقة بين صفوف الشعب وهم يخشون من وحدة كلمته، حيث بامكانكم أن تنقذوهم عن طريق بث الوعي فيهم امام دسائس المتآمرين والذين لايريدون إلا الشر لهذا الشعب، وعليكم أن تُفهموا الشعب بأنه هوالذي قام بهذه الثورة، وهو صاحبها الحقيقي، وهو نفسه الذي انتفض بوجه الطاغوت البهلوي الجائر، وأن تُفهموا أبناء الشعب بأن عليهم اليوم أن لايصغوا لتلك الأقاو يل، ولا يهتموا بتلك السموم والأعمال المغرضة التي يقوم بها أعداء الاسلام بهدف بث الفرقة بين صفوفهم المتراصة.

فإذا حدث ذلك لاسمح الله فإنَّ مابذلتموه من طاقة ودماء شهدائكم، سوف تذهب هباءً وسيصبح الإسلام و بلدكم الإسلامي والأجيال القادمة مرة أُخرى أسرى بيد الأجانب وأعداء الإسلام لاسمح الله، وستلحق بالاسلام الذي أحييتموه أنتم هزيمة لايمكن تعو يضها خلال مئات السنين أو القرون من الزمن، وسوف تكونون مسؤولين أمام الله والأجيال القادمة، وستحاكمون وتُعاقبون على ذلك، وإنني أقول لشعبنا العزيز ولجماهيرنا المليونية البطلة انه لا توجد أية ثورة في التاريخ قد حدثت بدون تقديم التضحيات والشهداء والقرابين وتحمل الصعاب وارتفاع الأسعار والضغوط المادية المؤقتة، ولكن لوقارنا الثورات الأُخرى مع ثورتنا الاسلامية، فأننا لايمكن أن نشاهد أية ثورة أُخرى في التاريخ قد تحمَّلت تلك الصعاب والآلام والمآسي والضغوط أقل من الثورة الاسلامية، أي أننا تحمَّلنا أقل من كل تلك الثورات، بالرغم من المحتوى الاسلامي الأصيل لثورتنا الذي جرَّ الجماهير الاسلامية الى ساحة العمل، وكذلك جرَّباقي أبناء شعبنا من الأقليات المذهبية الى معترك الحياة فضلاً عن أن ثورتنا كانت سبباً في تحريك جميع الشعوب ووحدتهم وانتصارهم على الطواغيت واشتعال نار انتفاضاتها في انحاء العالم.

واذا كانت ثورتنا لم تحقق سوى طرح الإسلام مرة أُخرى في ساحة الحياة العالمية وعزل ودحر القوى العظمى والظالمة، فإنَّ ذلك يكفي لوحده ان يكون داعياً

لافتخار وعزة شعبنا البطل، والآن والأجل الحفاظ على ذلك الفخر والشرف العظيم، لابُدُّ من الصبر وتحمل المشاق والجهاد في هذا الطريق، والحمدلله فقد أنجزتم ماعليكم ووفيتم بالتكاليف الشرعية والوطنية التي وضعت على عواتقكم، وإن شاءالله سوف تقومون بذلك فيما بعد بشكل أكثر جدّية وفعالية من قبل، وأُخاطب أولئك العلماء والمفكرين الذين سلموا من مرض التغرب واللجوء الى الشرق، ولم يبيعوا شرفهم الاسلامي والوطني على حساب ميولهم أو أهواء القوى العظمى أو من أجل لذاتهم وشهواتهم الفانية إلى الهمّة وتقوية العزائم من أجل تسخير أقلامهم وعقولهم لخدمة الله والإسلام والوطن والشعب المسلم في ايران، وعليهم أن يضموا أصواتهم الى أصوات الجماهير المحرومة، وأن يوحدوا كلمتهم معها من أجل الحفاظ على الحرية التي كسبها الشعب وانقاذه من مخالب الشرق والغرب، وأن لايتأخروا عن أي جهد وسعي في هذا الطريق وان هذه الفرصة لم تسنح لأية أمة غيركم في العالم، وأدعو الله سبحانه وتعالى بالتوفيق لمعرفة واجبنا الإسلامي والعمل بما تقتضيه الشريعة الحقّه.

١٢ــ نرفع أيدينا المليئة بالذنوب الى الله سبحانه وتعالى، وأتضرع اليه وأدعوه أن لايدعنا وحدنا في مواجهة أنفسنا، وأن يديم ظل عنايته ورعايته على رؤوس المسلمين في العالم، وبالأخص شعبنا الايراني البطل، واننا نعلم بأننا لانستطيع الوقوف بوجه الظالمين والناهبين الذين يعملون على إرضاخ العالم تحت سلطتهم الشيطانية بدون رعاية الله ودعمه، وان رعايةالله وحدها هي التي كانت سبباً في المحافظة على قدرة هذا البلد ليواجه جميع الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية التي فرضت عليه من الخارج، أدعوك اللهم أن توفقنا في الاستمرار في طريقنا الشائك الهادف الى خدمة عبادك المظلومين وأن تحفظنا من الإنحراف والتردد.

أدعوك اللهم أن تتقبل منا شهداءنا الذين ساروا اليك بكامل ارادتهم، وأن تجعلهم في صفوف اوليائك الأبرار، وأن تترحم على شهدائنا الأحياء الذين ساروا في طريقك ووصلوا الى حدود الشهادة ولم ينالوها ووظفوا سلامتهم من أجلك ، وأن تعطيهم أجر وثواب شهداء صدر الاسلام. وأدعوك اللهم أن تعيد الى الجرحى سلامتهم الكاملة وصحتهم التامة، وأن تُعيد سريعاً يا ربي جميع المفقودين الأعزاء الى حضن هذا الشعب وعوائلهم الكريمة.

اللهم وأدعوك أن تعيد أسرانا الذين حيَّروا العالم بصمودهم البطولي أمام الأعداء الى وطنهم وشعبهم لكي يستطيعوا أن يكمّلوا ماقاموابه في سبيل خدمتك وخدمة عبادك ، وأن تلهم عوائلهم الصبر والسلوان، وأن تمنحهم الأجر والثواب والمغفرة والرحمة، وأن تنزّل على شعبنا المسلم الشريف والعظيم السعادة والسلامة الدائمة والبركات، وأن تنزّل على أبطالنا في الجبهات النصر المؤزر والعاجل،وأن توفقنا لكي نكون دوماً مخلصين لك في أعمالنا، وأن تحرسنا من شر نفوسنا الأمارة بالسوء، وأدعوك اللّهم أن تصلي وتسلم على الأنبياء العظام و بالأخص أشرفهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تصلي وتسلم على الأولياء العظام ولا سيما ولي العصر وصاحب الزمان أرواحنا لمقدمه الفداء... والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ■

روح الله الموسوي الخميني

تقرير موجز
عن
المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

المنعقد بطهران بتاريخ (١-٣ج ١/١٤٠٤ هـ.ق)
الموافق (١٥-١٧ بهمن/١٣٦٢ هـ.ش).

بسم الله الرحمن الرحيم

وفق توصية من المؤتمر الأول للفكر الإسلامي المنعقد بتاريخ (٢٤/٢٦ ربيع الثاني /١٤٠٣ هـ.ق) الموافق (١٧-١٩ بهمن ١٣٦١ هـ.ش) تم الإعداد للمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي من قبل منظمة الإعلام الإسلامي، واتخذت الإجراءات اللازمة لذلك، و أسّست لجنة عليا مهمتها التخطيط والتنفيذ معاً، وأرسلت رسائل الى العلماء والمفكرين في داخل الجمهورية الإسلامية وخارجها، ليكتبوا حول الموضوع المنتخب هذا العام وهو «القرآن الكريم» كما أرسلت قائمة بأهم الموضوعات القرآنية التي ينبغي بحثها..

وكان عون الله وتوفيقه، المدد لنا في المضي بعملنا، وتهيئة المقالات، وقد تُرجم أغلبها الى لغتين أخريين أو أكثر، كما تمّت الترتيبات الضرورية لطبعها، وهيئت لجان الترجمة الآنية، والأمور الفنية، والخدمات، وكذلك اللجنة الفكرية التي أشرفت على سير المؤتمر من هذا الجانب...

وبهذا انعقد المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي كأفضل مايكون، ووفقاً للبرنامج المحدّد التالي:

السبت ١ ج ١/١٤٠٤ـ١٥ بهمن /١٣٦٢ (صباحاً)

الاسم	الدولة	الموضوع	الزمن
١ـ افتتاح المؤتمر بآيات من القرآن الكريم	ـ	ـ	٩/٢٥
٢ـ نشيد	ـ	ـ	٩/٣٥
٣ـ حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية في ايران	ج.إ.إ	ضرورة العودة الى القرآن	٩/٥٠
آية الله احمد جنتي	ج.إ.إ	نظام الدفاع والجهاد	١٠/١١
٤ـ حجة الإسلام السيد محمد باقر الحكيم	العراق	الهدف من نزول القرآن	١٠/٤٦
٥ـ الأستاذ عبدالكريم بي آزار الشيرازي	ج.إ.إ	تفسير القرآن بالقرآن بالنظر لترابط آياته	١١/٣٨

* * *

السبت ١ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٥ بهمن /١٣٦٢ هـ.ش (عصراً)

١ـ الدكتور مهدي گلشني	ج.إ.إ	منهج معرفة الطبيعة في القرآن الكريم	٣/١٥
٢ـ الدكتور ابراهيم سلقيني	ج.ع.س	المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية	٣/٥٢
٣ـ الدكتور سعيد شيبان	الجزائر	من النظرات العلمية في القرآن القرآن والثورة	٤/٢٤
٤ـ الدكتور البخاري حمانة	الجزائر	القرآن والثورة	٤/٤٢
١ـ فترة الاستراحة			٥/٠٤
٢ـ حجة الإسلام السيد مرتضى السيد حسين صدر الافاضل	الباكستان	مناهج التفسير في شبه القارة الهندية	٥/٢٨
٣ـ فترة المناقشة			

الاحد ٢ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٦ بهمن/١٣٦٢ هـ.ش (صباحاً)

١ـ تلاوة آيات من القرآن الكريم			٩/٠٠
٢ـ آية الله الحرّعلي	ج.إ.إ	السنن الالهية الحاكمة في الانسان والعالم.	٩/١٦
٣ـ البروفسور اسماعيل فاروقي	امريكا	نظرية الانسان في القرآن	٩/٥٤
٤ـ حجة الاسلام السيد محمود الهاشمي	العراق	ملامح الاقتصاد الاسلامي في القرآن الكريم.	١٠/٢١
٥ـ فترة الاستراحة			١١/١٢
٦ـ فضيلة الشيخ التيجاني نياس	السنغال	الثورة الاسلامية امتداد لدعوة سيد الانبياء	١١/٤٠
٧ـ فضيلة الشيخ نيك عبدالعزيز	ماليزيا	حاجة الناس الى القرآن	١١/٥٩
٨ـ فترة للمناقشة			١٢/١٢
٩ـ انتهاء الفترة الصباحية			١٢/١٩

* * *

الأحد ٢ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٦ بهمن/١٣٦٢ هـ.ش (عصراً)

١ـ فضيلة الشيخ عبدالله ناصر	كينيا	القرآن أفضل الكتب	٣/١١
٢ـ الأُستاذ السيد ديكسون منصري	سيراليون	الثورة الاسلامية أهمُّ وأعمق حادثة في التاريخ الاسلامي	٣/٢٤
٣ـ الأُستاذ سليمي عن قسم القرآن في منظمة الإعلام الاسلامي	ج.ا.ا.	قراءة القرآن وتعلمه	٢/٣٧
٤ـ حجة الإسلام محمد باقر الانصاري	ج.إ.إ	أسماء وأوصاف القرآن في القرآن الكريم	٤/٠٠
٥ـ الدكتورة لميعة فاروقي	امريكا	المرأة في القرآن الكريم	٤/٢٥
٦ـ حجة الإسلام محمدتقي رهبر	ج.إ.إ	النظام السياسي في القرآن	٤/٥٣
٧ـ انتهاء الفترة المسائية			٥/٢٨

* * *

الاثنين ٣ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٧ بهمن/ ١٣٦٢ هـ.ش (صباحاً)

١ـ آيات من القرآن الكريم			٩/٩
٢ـ الشيخ قاسم عباس الحائري	العراق	عودة الإمام القائد (شعر)	٩/٢١
٣ـ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسين فضل الله	لبنان	في ظل التربية القرآنية	٩/٣٤
٤ـ الاسرى العراقيون ضيوف الجمهورية الاسلامية في ايران	العراق	كلمة ونشيد	١٠/١٤
٥ـ الدكتور محمد جواد السهلاني	ج.إ.إ	التربية والتعليم في القرآن الكريم	١٠/٤
٦ـ حجة الإسلام محمد علي التسخيري	ج.إ.إ	نظرة في العلاقات الدولية على ضوء القرآن الكريم	١١/١٣
٧ـ حجة الإسلام والمسلمين محمد اليزدي	ج.إ.إ	مع التوحيد	القرآني ١١/٤٣
٨ـ انتهاء الفترة الصباحية			١٢/٢٢

* * *

الاثنين ٣ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٧ بهمن /١٣٦٢ هـ.ش (عصراً)

١ـ حجة الإسلام السيد جعفر مرتضى	لبنان	الحروف المقطعة في القرآن الكريم	١٣/١٤
٢ـ الأخ قلب الدين حكمت يار	افغانستان	مفهوم الصلح في القرآن	٣/٤٥
٣ـ السيد مرزوق العلوي	البحرين	«قصيدة»	٤/١٤
٤ـ آية الله مهدوي الكني.	ج.إ.إ	شمولية القرآن الكريم	٤/٢٢
٥ـ فترة الاستراحة			٥/٠٣
٦ـ الشيخ ابوبكر مصطفى	نيجيريا	حول القرآن الكريم	٥/٣٤
٧ـ الشيخ حسن أحمد بدوي	كينيا	مشاهدات في ايران	٥/٥١

* * *

الاثنين ٣ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق ـ ١٧ بهمن/ ١٣٦٢ هـ.ش (ليلاً)

١ـ نشيد (قسم القرآن في منظمة الإعلام الاسلامي)	ج.إ.إ		٨/١٤
٢ـ البيان الختامي القاه حجة الإسلام عباس الشيرازي			٨/٣٠

٣ــ محاضرة حجة الاسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني العلاقة بين القرآن والثورة ٨/٣٤

٤ــ اسئلة وأجوبة ٩/٠٠

٥ــ اختتام المؤتمر. ٩/١١ ليلا

هذا وقد أرسل كل من الأساتذة:

الدكتور عبداللطيف عبادة ــ المغرب والأستاذ عبدالرشيد محبوب / مدير المعهد الاسلامي ــ موريس، رسائل تحية للمؤتمر بعد ان لم يوفقوا للحضور.

كما حضر الأستاذان: الدكتور عمار الطالبي (الجزائر)، والبروفيسور الگار (أمريكا) احتفالات عشرة الفجر، إلاّ انهما ــ نتيجة لظروف معيّنة ــ اضطرا لمغادرة الجمهورية الاسلامية، وقد وجّه الدكتور الطالبي رسالة الى المؤتمر نشرناها في هذا العدد الخاص.

كما ان الأساتذة التالية أسماؤهم قدّموا طلبهم أو مقالاتهم للحديث في المؤتمر، إلاّ أنه لم يكن في وقت المؤتمر متسع لذلك ، فآثرنا نشر بعضها هنا:

الاسلام	العنوان	الدولة
الدكتور بشير أحمد صديقي	رئيس جامعة لاهور	(باكستان)
الأستاذ السيد سجّاد رضوي	مدير الكتب الدراسية	(بنجاب)
ام اي ايل بي	لاهور	(باكستان)
حسن حجازي		(لبنان)
ضمير الحسن	استاذ جامعة رابطة العلم والدين	(استراليا)
حسين عنبريس	ممثل المجاهدين الروحانيين من حزب الله	(لبنان)
الشيخ مختار	مدير مدرسة دار السلام	(زيمبابوي)
بلال الصادق	مهندس بناء	(لبنان)
الشيخ دار الحسن	امام جمعة الشيعة	(كينيا)
روبرتو علي		(الارجنتين)
خضر الموسوي		(لبنان)
يوسف عبداللطيف		(أفريقيا الجنوبية)

كارتا گا		(اوغندا)
آدم سلام		(زمبابوي)
نازي تماضر		(لبنان)
زينب جمعة		(لبنان)
الدكتور صلاح الدين آش	أحد الأساتذة	(تركيا)
السيد عبدالله محمدي	امام جمعة سقز	(ايران)
الدكتور ابومالك		(امريكا)
الشيخ محمد أكبري		(افغانستان)
الدكتور حامد الگار		(امريكا)
رسالة الدكتور فاروق حمادة		(المغرب)
الأستاذ علي مجاهدي	أحد مدرسي العلوم الدينية	(الفيليبين)

وقد تميَّز المؤتمر بالمميزات التالية:

أولاً ــ موضوعه المهم وهو القرآن الكريم باعتباره المنبع الرئيس لفهم الاسلام وصياغة الحياة الإنسانية والإسلامية.

ثانياً ــ حضور الشخصيات العلمية والكفرية الكثيرة فيه، فقد تمَّ افتتاحه برسالة مهمة من رئيس الجمهورية حجة الاسلام والمسلمين السيد على الخامنئي، واختتامه بمحاضرة لسماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، كما حاضر فيه أساتذة وعلماء كبار، كما هو مدرج في الجدول السابق.

ثالثاً ــ تنوع الحاضرين فيه، فقد حضره المئات من علماء الجمهورية الاسلامية في ايران المتواجدين في انحائها ومحافظاتها المختلفة، كما حضره أكثر من (٣٠٠) من ضيوف الجمهورية الإسلامية لاحتفالات عشرة الفجر، الأمر الذي منحه الأهمية الخاصة.

رابعاً ــ تنظيمه، فقد تم التزامه تقريباً بالمواعيد المحددة، كما تمَّت ادارته بنجاح فائق، كما تمَّ توزيع المقالات مطبوعة في الوقت المناسب، بالإضافة للترجمة الآنيَّة الى أربع لغات أُخرى غير لغة المتحدث.

خامساً ــ تنوّع البحوث فيه، مستوفية مختلف الجوانب من عمق التحقيق، الى ربط الجتماعي جيد، الى احصاء مستوعب، وغير ذلك

هذا، وقد أصدر المؤتمر في ختام أعماله البيان الختامي التالي:

البيان الختامي للمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي ــ المنعقد في طهران بتاريخ (١-٣ ج ١/١٤٠٤ هـ.ق) الموافق (١٥-١٧ بهمن /١٣٦٢ هـ. ش).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم»

بمناسبة الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران، والتي نبعت من معين القرآن الكريم في مظهره الحقيقي الأصيل، و باعتباره الصفة العالمية لهذا الكتاب السماوي المقدس وهو المعجزة الخالدة لرسول الإسلام الى نهاية العالم، وتبعاً لتوصية المؤتمر الأول للفكر الإسلامي المنعقد بطهران في السنة الماضية بالعمل على مواصلة عقد هذا المؤتمر. فقد انعقد المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي في اطار برامج اللجنة الخارجية لاحتفالات عشرة الفجر، مركّزاً في بحوثه على «القرآن الكريم» مستهدفاً من ذلك تهيئة الظروف اللازمة لعودة الأُمّة الإسلامية الى هذا الكتاب الذي قدسته و كرمته خلال أربعة عشر قرناً. إلاّ ان تآمر أعداء الإسلام، وغفلة المسلمين، قد أديا ــ للأسف ــ الى ابعاد أغلب تعاليمه ــ عملياً ــ عن المجال الحياتي الفردي والاجتماعي للمسلمين، لتحل محلها الثقافة الإستعمارية الغربية المنحطة.

وقد تمّ انعقاد هذا المؤتمر، بحضور اكثر من (٣٠٠) شخصية من الضيوف الوافدين من (٧٠) قطراً تقريباً، واشتراك المئات من علماء الدين وأساتذة الجامعات من انحاء الجمهورية الإسلامية في ايران، وقد بدأ أعماله بتلاوة الرسالة القيّمة التي وجهها اليه حجة الاسلام والمسلمين السيد على الخامنئي، الرئيس المحترم للجمهورية الاسلامية في ايران. وقد بحث المؤتمر موضوعات قرآنية علمية واجتماعية وسياسية عديدة خلال عشرات من المحاضرات التي لفتت اليها الأنظار.

وفي ختام أعماله، أكّدَ المؤتمر على التوصيات التالية:

١ــ على كل فرد من المسلمين، وخصوصاً العلماء والقادة الدينيين والمفكرين الملتزمين، ان يسعوا ــ في حركة عظيمة واسعة الأبعاد و بكل مايملكون من قوى ــ الى تعليم القرآن الكريم، وتفسيره، وتفهيمه، وعرض أبعاده العقائدية والعبادية والأخلاقية والثقافية والإجتماعية والسياسية والحقوقية، وذلك في

المساجد والمدارس والجامعات، عاملين على رفع مستوى تعرّف الجيل الحاضر على كتابه المقدس.

٢ــ ولما كان العمل بالقرآن الكريم هو الأصل الرئيس لتحقيق سعادة الإنسانية، فإنَّ على جميع المسلمين ــ و بالخصوص العلماء والمفكرين والمسؤولين ــ ان يسعوا سعياً دائماً لتطبيق القرآن وقوانينه التي تتكفل سد الضرورات الإجتماعية، وأنْ لايتوانوا عن السعي حتى يستقر حكم القرآن في المجالات الفكرية والتربوية والإجتماعية. وان المؤتمر ليرى لزاماً عليه أن يقدّر الجمهورية الإسلامية في ايران و يشكرها على الخطوات الواسعة التي قامت بها في هذا الصدد.

٣ــ على الأُمة الإسلامية أنْ تحكم القرآن الكريم في المجال السياسي للعالم الاسلامي، وتعمل على تحرير المستضعفين المظلومين من براثن النفوذ الإستكباري ــ الشرقي والغربي ــ وعملائه محطّمة قيودهم، عاملة بقوله تعالى:

«و يضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم».

٤ــ ولكي يتم نشر تعاليم القرآن على المستوى العالمي، فإنَّ على الأُمة الاسلامية ان تبذل كل طاقاتها لتحقيق الوعد الإلهي القاطع كما جاء في الآية الكريمة «ليظهره على الدين كله».

٥ــ ورغم بقاء القرآن وفق مفاد الآية الكريمة «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» مصوناً عن التحريف ــ وسيبقى كذلك ــ إلاّ ان من واجب المسلمين الغيارى، مراقبة مؤامرات أعداء الإسلام، والعاملين على تحريفه، أو تغيير نصّه الثابت المتواتر، محافظين بكل حذر على هذا الكتاب المقدّس.

٦ــ يدعو المؤتمر، العلماء، والمفكرين في العالم الاسلامي، الى تشكيل مركز علمي، يُعنىٰ بمهمة الإشراف على سير حركة الترجمة لمعاني القرآن الكريم الى اللغات العالمية الحية، حذراً من التفسيرات الخاطئة أو (المغرضة).

٧ــ يدعو المؤتمر ــ بموجب الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» ــ جميع المسلمين لتشكيل جبهة واحدة تعمل على إعادة الإسلام من جديد، واسترجاع عزتهم، والقضاء على الاستعمار الغربي والشرقي معتمدين ــ خلال ذلك ــ على القرآن الكريم باعتباره أهم محور أساسي للوحدة الإسلامية، ومبتعدين عن أي اختلاف هامشي.

٨ــ ونظراً لما يواجهه الشعب المسلم في فلسطين وأفغانستان ولبنان

وغيرها من الأقطار من هجوم عسكري وسياسي أجنبي، فإنَّ على المسلمين ــ مستلهمين من مئات الآيات القرآنية الواردة في مجال الجهاد ــ ان يقوموا من خلال فضح جرائم أعداء الاسلام، وإدانة المشاريع الإستسلامية، بتعبئة كل امكانياتهم لنصرة المظلومين وقطع أيدي المعتدين.

٩ــ وبملاحظة الهجوم العسكري للنظام العراقي العميل على اراضي ايران الاسلامية، والذي تمَّ بايعاز ودعم من قوى الشرق والغرب ــ وخصوصاً امريكا ــ لضرب الثورة الاسلامية العاملة على تحقيق حكم القرآن في أرجاء العالم، فإنَّ المؤتمر وبحكم الآية القرآنية «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله»، يدعو المسلمين قاطبة لتعبئة كل قواهم لسحق أمثال هذه الفتن والإعتداءات على حرم الإسلام والمسلمين.

١٠ــ ولما كانت الثورة الاسلامية بقيادة سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني، قد قامت على أساس القرآن الكريم، فإنَّ المؤتمر يؤكد قيادة هذا القائد العظيم للأُمة الاسلامية، ويدعو أبناء القرآن للتضامن مع أهدافه السامية القيمة.

وختاماً نسأل الله العظيم ان يمنَّ على المسلمين بتحقيق الأهداف السامية للإسلام والقرآن.

وفي ختام هذا التقرير الموجز

تود اللجنة العلمية ان تشكر سماحة آية الله الشيخ جنتي على رعايته التامة للمؤتمر، ورئاسته الحازمة وتفريغ وقته له، كما تشكر كل الاخوة والأخوات الذين ساهموا في إقامته وتسهيل أُموره.

والله تعالى نسأل ان يوفقنا لما فيه خدمة أهداف الإسلام والقرآن الكريم وعلاء الجمهورية الاسلامية في ايران وهي دولة القرآن الكريم بلاريب.

والله الموفق... ■

اللجنة العلمية

للمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

ضرورة العودة الى القرآن الكريم

حجة الاسلام والمسلمين السيد على الخامنئي
رئيس الجمهورية الاسلامية

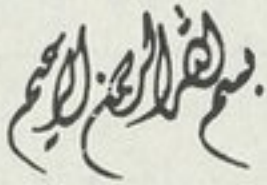

«كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ الى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»

قال رسول الله(ص): (اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لاتحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلّص من نشب).

وقال علي(ع): (واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لايغش، والهادي الذي لايضل، والمحدث الذي لايكذب، وما جالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى).

إنّ من الضرورة بمكان أن تركّز الأُمّة الإسلامية اليوم على هذا التعريف الذي قدّمه رسول الإسلام للقرآن..

ان البيئة المعاشية للمسلمين لم تلوث الى هذا الحد الذي تلوثت به اليوم من سحب سوداء متراكمة كقطع الليل المظلم.

صحيح اننا نجد القرآن ــ ومنذ الخطوات الأُولى التي تلت تحوّل الخلافة

الإسلامية الى السلطنة الطاغوتية ــ قد تحوّل في الواقع الى زائدة كمالية، وخرج بشكل رسمي ــ وإنْ لم يكن ذلك بشكل اسمي ــ عن المجال الحياتي للمسلمين، إلاّ أن ما حدث في جاهلية القرن العشرين من خلال عمل الأجهزة السياسية والاعلامية المعقدة، يعد أخطر من ذلك بمراتب وأكثر بعثاً على القلق بلاريب.

ولكي يعزل الإسلام عن الحياة، فإنَّ أكبر وسيلة وأكثرها أثراً هي اخراج القرآن عن المجال الذهني والقلبي والعملي للأُمة الإسلامية. وهذا بالتأكيد ماعمل له المتسلطون الأجانب والعملاء الداخليون لهم، سالكين هذا السبيل عبرالإستعانة بشتى الأنماط والوسائل.

إنَّ القرآن وهو (حسب تعبيره هو) الكتاب المقدّس، والنور، والهدى، والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والميزان والشفاء، والذكر لا تتم له هذه الخصال ــ بشكل عملي ــ إلاّ اذا تمَّ ــ قبل كل شيء ــ استيعابه فهماً وتطبيقه عملاً.

لقد كان القرآن في عصر الحكم الإسلامي في الصدر الأول، هو القول الفصل والكلمة الأخيرة، وحتى كلام الرسول (ص) فإنه يجب ان يعرض عليه. وكان حَمَلَة القرآن، يتمتعون بالاعتبار الواقعي في المجتمع بعد ان كان الرسول (ص) قد أعطى الأُمة التعليم القائل: (اشراف امتي، أصحاب الليل وَحَمَلَة القرآن).

لقد كان استيعاب القرآن علماً وعملاً، يشكل قيمة واقعية. فللإجابة على كل مشكلة حياتية يجب الرجوع للقرآن. ولقد كان القرآن ملاك قبول أي حديث، أو أُسلوب، أو مدعى، ومعياره. كان عليهم ان يعرفوا الحق والباطل من وجهة نظر القرآن ليشخصوا نماذجها ومصاديقها في ميدان الحياة.

ومنذ فقدت القوى الحاكمة على المجتمعات المسلمة القيم الإسلامية واغتربت عنها ورأت في القرآن ــ وهو الناطق بالحق وفرقان الحق والباطل ــ عقبة في سبيلها، بدأ السعي الحثيث لإبعاد كلام الله عن ميدان الحياة، ووجد عقيب ذلك الفصل بين الدين والحياة الإجتماعية، والتفريق بين الدنيا والآخرة، والتقابل بين المتدينين الواقعيين وأهل الدنيا المقتدرين، وأُبعد الإسلام عن مركز إدارة مجالات الحياة الإجتماعية للمجتمعات المسلمة، ليقتصر على المساجد والمعابد والبيوت وزوايا القلوب، وهكذا وجد الفصل بين الدين والحياة بكل ما

عادبه من خسارة على المدى الطويل.

ومن الطبيعي ان القرآن قبل ان يتم الهجوم الواسع للمتسلطين الغربيين ــ الصليبيين والصهاينة ــ وان لم يكن موجوداً في المجال الحياتي بالمعنى الحقيقي إلاّ انه كان يحتل مكانة في أذهان المسلمين وقلوبهم ــ على تفاوت بينهم في ذلك ــ إلاّ ان الهجوم الصليبي ــ الصهيوني في القرن التاسع عشر، لم يستطع ان يتحمّل حتى هذا القدر أيضاً: انهم لايستطيعون ان يتحمّلوا وجود القرآن الذي يصدر بكل وضوح أمر (وأعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) وينشد نشيد (وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلاً)، القرآن الذي يريد للمؤمنين ان يكونوا إخوة فيما بينهم، أشداء غضاباً على أعدائهم، مثل هذا القرآن لايمكن ان يتحمّله المتسلطون الساعون للسيطرة على أزمّة أُمور المسلمين ونهب كل شيء لديهم.

إنَّ هؤلاء المتسلطين أدركوا بكل وضوح، ان القرآن ــ رغم هذا الحضور الناقص ــ في حياة الأُمّة، لن يسمح لتسلطهم ونفوذهم ان يسلك سبيله المنشود، ولذا فقد وضعوا خطة لحذف القرآن تماماً. وطبيعي ان لا تمتلك ــ ولن تمتلك ــ هذه الخطة شكلاً عملياً، ذلك ان الله تعالى قد وعد الأُمّة الإسلامية بحفظ القرآن دائماً. على اننا لانستطيع ان نغض النظر عن نتائج ذلك السعي الواسع الأبعاد الذي تمَّ من قبلهم بهذا الصدد.

القوا اليوم نظرة على ميدان حياة المسلمين، فأين تجدون القرآن؟ هل تجدونه في أجهزة الحكومات؟ أو في النظم الإقتصادية؟ أو في تنظيم العلاقات والمناسبات بين الناس بعضهم مع البعض الآخر؟ في المدارس والجامعات؟ في السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول؟ في تقسيم الثروات الوطنية بين فئات الشعب؟ في أخلاقية المسؤولين في المجتمعات الإسلامية وكل فئات الشعوب التي تتأثر بهم ــ قليلاً أو كثيراً ــ؟ في السلوك الفردي للحكام المسلمين؟ في العلاقات بين الرجل والمرأة؟ في الأرصده المصرفية؟ في أنماط المعاشرة؟ في أي مكان من الحركة العامة والإجتماعية للناس؟ ولنستثن من كل هذه الميادين الحياتية المساجد والمآذن وأحياناً بعض البرامج ــ التي لا تعد شيئاً ــ من الإذاعات رياءً وخداعاً لعامة الناس. ولكن هل جاء القرآن لهذا فقط؟ لقد كان السيد جمال قبل مئة سنة يَبكي و يُبكي لهذا الأمر، حيث عاد القرآن يقتصر على الإهداء والتزيين

والتلاوة في المقابر والوضع على الرفوف.. ولكن ماذا حدث في المئة سنة هذه؟ ترى ألا يبعث وضع القرآن لدى الأمّة الإسلامية على القلق؟

إنَّ الحديث كلّه يتركز على ان القرآن، كتاب حياة الإنسان؛ إنسان اللانهاية، الإنسان المتكامل، الإنسان ذي الأبعاد، الإنسان الذي لاحدَّ لتكامله، إنَّ هذا الهادي والمعلم للإنسان، قادر على ان يرعاه في كل العصور، وان الانسان انما يتعلم من القرآن فقط نظام الحياة اللائق به وان الأساليب التي يجب ان يتبعها ليرفع عن كاهله أنواع الظلم، والتفرقة والفساد، والجهل، والطغيان، والانحراف، والدناءة، والخيانة التي ابتلي بها خلال تاريخه الطويل فكانت عقبة في سبيل تطوره وارتفاع مستواه إنما تكون عملية في ظل الهداية القرآنية والمخطط الذي طرحه الكتاب السماوي للحياة الإنسانية.

إنَّ العودة الى القرآن، هي عودة الى الحياة التي تليق بالإنسان،وهي المهمة الملقاة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلغون الدينيون.

وإنَّ العودة الى القرآن، شعار لو يطرح بشكل حقيقي وجدّي، لاستطاع ان يقدّم الفارق بين الحق والباطل. كما يجب أنْ لا تتحمل الشعوب الإسلامية وجود تلك القوى التي لا تريد ان تقبل مسألة العودة الى القرآن.

إخواني المسلمين، أخواتي المسلمات؛

اننا بعد ان ابتلينا بالبعد عن القرآن، وأُصبنا أيضاً بآثار التآمر ضد القرآن من قبل الأعداء العالميين، قد ذقنا طعم العودة الى القرآن. وان الثورة الإسلامية العظيمة في ايران وإقامة نظام الجمهورية الاسلامية، ليُعَدَّان من الآثار المباركة الكبرى لهذه العودة.

إنَّ هذا الشعب ليشاهد اليوم في أُفق حياته، وفي علاقاته الإجتماعية، وفي شكل حكومته ومحتواها، وفي مناقب قادته،وفي سياسته الخارجية، وفي نظام التعليم والتربية لديه، يشاهد في كل ذلك لمعات من التعليم القرآني... إنَّ الذي هبَّ علينا لحد الآن إنما هو نسيم من جنة القرآن.. إلاَّ ان الطريق أمام السعي والحركة، مازال مفتوحاً للوصول الى بحبوحة هذه الجنّة الواقعية.

إننا نعيش الفخر كله بعد ان أصغينا لنداء القرآن، وهي مسؤولية كل الشعوب وخاصة علماء الدين، والمفكرين، والخطباء، والكتاب وكل العاملين.

ان مؤتمر الفكر الإسلامي ليؤدي رسالة سامية، إذ يعرض قائمة بالمعارف القرآنية، و يقوم بخطوة على سبيل طرح المعرفة القرآنية من جديد.

إنَّ البحث في الموضوعات التي جاءت في جدول أعمال هذا المؤتمر، يجب ان يمتلك القدرة على منح الأذهان المستعدة الإذعان بأنَّ كل ما تتطلبه إدارة حياة اجتماعية لائقة متوفر في القرآن، وذلك من المعرفة الذهنية الى الأساليب العملية، ومن العقيدة الهادية المحفزة والمعبئة للنفوس الى النظم المتنوعة التي تشكل أقساماً مختلفة للحياة الإجتماعية، ومن تحليل ماضي التاريخ البشري الى التنبؤ بمستقبل الإنسان.

إننا نجد الفلسفات، والآيديولوجيات المادية المتنوعة، قد وصلت الى طُرق مسدود، وذلك على الصعيد الذهني والعملي، فعجزت بالتالي عن اجتذاب القوى الإنسانية وتعبئتها.

والدور الآن للأحكام القرآنية، لتقوم بسد الفراغ الموجود في الأذهان والأعمال الإنسانية، وتبشر بتحقق الوعد القرآني.

(ليظهره على الدين كله)

وعليكم انتم اخوتي واخواتي ان تواصلوا ممارساتكم حول محور القرآن من مجالات المعرفة الى ساحات العمل، ومن القراءة الى التفسير، ومن القبول الذهني الى التحقق الخارجي، احملواشعار العودة الى القرآن الى أقطاركم وانشروه بين شعوبكم وشجعوهم وقربوهم من تحقيق هذا الشعار. واني لآمل ان تعينكم وتهديكم روح القرآن و باطنه في هذا المسعى المبارك ■

د ٢٦ ف ٥ ص٤٢ـ٣٦ مقالات الثاني ك

العلاقة بين القرآن والثورة

حجة الإسلام والمسلمين هاشمي الرفسنجاني
ـ رئيس مجلس الشورى الإسلامي ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إرتأيت أن أتحدث هنا حول، «**القرآن الكريم والثورة والعلاقة بينهما**» حيث ان هذا الموضوع له علاقة مع مواضيع مؤتمر الفكر الاسلامي ومع مايدور الآن في العالم، وانه سيكون قاسماً مشتركاً يربط بين موضوعي المؤتمر والأحداث التي تدور الآن في العالم ومدى أثر القرآن الكريم على الثورة.

ولمّا كان الوقت لايسمح لي باعطاء توضيح مفصل حول أثر القرآن على الثورة في الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك سأكتفي بسرد فهرس الأبعاد الرئيسة لهذا الموضوع الحيوي، وأرجو من الاخوة الحاضرين ان لايتوقعوا منّي بحثاً تحقيقياً كاملاً وواسعاً حول هذه القضية بما يتناسب مع المستوى الرفيع للمؤتمر، خلال هذه الفترة القصيرة التي سوف لا تتعدى النصف ساعة.

لايوجد أي شيء في هذه الدنيا أعاننا ووقف بجانبنا دوماً أكثر من القرآن الكريم في هذه الثورة، وان الدعم الذي حصلت عليه الثورة الإسلامية في ايران من القرآن الكريم لايمكن مقارنته إطلاقاً بجميع العوامل الأُخرى المؤثرة في هذا الطريق، مثل وجود القيادة الحكيمة وآثار دماء الشهداء وحتى المظاهرات العظيمة التي كان يقوم بها الشعب وكذلك الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع تلك الأيام... أقول ان تأثير القرآن الكريم على مسير الثورة كان أكبر بكثير من كل تلك العوامل.

وأول نقطة أود اثارتها هنا، هي تأثير القرآن الكريم في الأعوام التي سبقت

انطلاقة هذه النهضة المباركة، والتي لعب فيها القرآن الكريم دور الرأسمال ومتاع الطريق الذي تحتاجه النهضة في طريقها الطويل.

لقد كانت المعارف القرآنية في أيام التمهيد للثورة خلال الأعوام العشرة المحصورة بين ١٩٥١ــ١٩٦١م، بمثابة العامل الرئيس في بناء شخصيات طلبة الحوزة العلمية في قم من الشباب المؤمن والملتزم الثوري، وان الدروس القرآنية والمسائل الإجتماعية التي كانت تطرح اثناء تلك الدروس فضلاً عن مناقشة الشؤون العالمية وبحوث التفسير التي كان يلقيها العلامة الفقيد السيد الطباطبائي في قم ــ حيث ربّى الكثير من التلاميذ الذين أرى البعض منهم هنا، و يتوزع الكثيرون منهم في شتى انحاء ايران ــ أقول ان كل ذلك كان يركّز القضايا الإجتماعية المهمة في أذهان وأفكار الطلبة الشباب، وكان يطهّر أذهانهم من الكثير من الشوائب، وقد رأينا تجسُّد تلك المعارف القرآنية العظيمة تدريجياً في قيادة إمام الأُمة الحكيمة، وهذا يعني ان الإمام القائد كان قد فُرز منذ تلك الأيام باعتباره أفضل شخصية قرآنية استطاعت ان تستلهم من القرآن الكريم طريقها ونهجها القويم في جميع أنحاء العالم الإسلامي وايران، وهو أيضاً أُستاذ بارع في الفقه والأُصول والفلسفة منذ تلك الأيام. لقد رأينا كيف تركت تلك الدروس آثارها على أذهان شباب هذه الثورة الأصيلين الذين كانوا يدرسون في الحوزة العلمية في قم،وكيف أثمرت تلك الدروس تدريجياً وحرّكت مشاعرهم نحو القيام بنهضة عارمة ضد النظام الجائر.

كان ذلك في أواخر عام ١٩٦١ وأوائل عام ١٩٦٢، حيث انطلقت النهضة منذ ذلك التاريخ و ركّزت دعائمها على القرآن الكريم لتخوض الكفاح ضد الطواغيت فيما بعد.

انّ المطلعين على تاريخ الثورات في العالم والذين لهم القدرة على دراستها وتحليلها منطقياً يعرفون جيداً ان أكبر ركن من أركان أية ثورة، هو ابتعاد قادة تلك الثورات عن الدنيا ومافيها من الماديات والاشياء الدنيوية الخادعة الأُخرى، ولولم تترسخ هذه العقيدة في أذهان زعماء الثورات فلا يمكن لتلك الثورات ان تقف بصلابة على أقدامها وتقوّي دعائمها، واننا نعتقد بعدم وجود أي شيء يخر غير القرآن الكريم يستطيع ان يترك تلك الآثار الأساسية في نفوس وأذهان قادة الثورة الإسلامية في ايران.

وباعتقادي لايوجد في هذه الدنيا أي عامل آخر غير القرآن الكريم يستطيع ان يؤثر على نفس الإنسان ويدفعه للتخلي عن مغريات الدنيا، وترك البيت والمرأة والأولاد، والعمل في سبيل الله فضلاً عن تخلّيه عن اللذات الدنيوية، وأي أمر آخر يشغل الإنسان عن ذكر الله في هذه الدنيا ويسبب في التصاق الإنسان مادياً بهذه الدنيا، وقد يوافقني الآخرون من السائرين على هذا الطريق، بأنَّ بعض الآيات القرآنية تنزل على نفس الإنسان كصاعقة تقلع جذور الأهواء والشهوات الدنيوية من النفس البشرية وتؤثر كثيراً على حياة الإنسان في هذه الدنيا ومن تلك الآيات، الآيتان المباركتان التاليتان: **(قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره...) (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل..).**

وهناك الكثير من هذه الآيات في القرآن.

وعند ما يقرأ الإنسان القرآن، ويواجه مثل هذه الآيات المباركة الحاوية على مثل هذه المضامين العظيمه، فانه يتخلّى عن الماديات البغيضة، ويزداد تعلقاً ورسوخاً بالأهداف والرؤى الأصيلة التي تعتبر من المستلزمات الأُولى للثورة، وهذا الأمر لايمكن لغير القرآن يمنحه للإنسان، وبالطبع فانَّ للأخبار والروايات والأحاديث النبوية الشريفة الأثر الكبير في هذا المجال، ولكن ليس بقدر أثر القرآن على النفوس، ولكن الإنسان الموحّد والمؤمن بالله والمرتبط به والمعتقد كاملاً بمبادئ التوحيد الأصيلة يعي جيداً الفرق بين تأثير القرآن وتأثير الأُمور الأُخرى في مثل هذه الحالات.

لذلك فإنَّ أول مسألة اكتسبت أهمية فائقة بالنسبة لنا، هي الإبتعاد والتخلي عن الأُمور المادية والدنيوية، حيث وهبنا القرآن تلك المشاعر والأحاسيس الأصيلة، ولازال يمثل المعين الذي يزوّدنا بتلك القوى والقدرات في طريقنا الشائك، وكذلك فانَّ المجاهدين والشهداء الذين يتساقطون اليوم في أنحاء البلاد الإسلامية وبالأخص في ايران الإسلام يرتوون من نفس ذلك المنبع الصافي.

والمسألة الأُخرى التي أود التطرق اليها هنا باعتبارها ضرورية في تقدم الثورة وسيرها الى أمام، هي وجود قدرة تحمُّل الصعاب والمشاكل التي تتولد

للإنسان من ظروف ومجريات الثورة.

ان التخلي والابتعاد عن مغريات الدنيا، يعتبر من الأمور التي بإمكان الإنسان ان يحققها، و ينتصر بذلك على نفسه الخدّاعة، ولكنه يلمسها بشكل جيد عند ما يدخل في ساحة الأحداث ومسرح الحياة والثورة وما فيها من صعاب ومشاكل كالتهديد والسجن والتعذيب والحرمان والمشاكل الأُخرى التي يواجهها الثوريون، وقد لمس الكثير من الاخوة المناضلين الموجودين في هذه القاعة كل تلك الأُمور بشكل عملي اثناء سجنهم في عهد الشاه المقبور، وربما يكون الاخوة الضيوف قد لمسوا ذلك أيضاً في حياتهم اليومية، وخاصة عندما يواجه الإنسان نظاماً جائراً مستبداً كأعداء ايران من المستكبرين ونظام صدام الطاغي في العراق وأمثال تلك الأنظمة الظالمة في العالم.

ان هؤلاء الطواغيت الجائرين ينزلون شتى أنواع العذاب على رؤوس قادة وزعماء الثورات العالمية والثوريين في كل مكان، و يعتبر تحمل مثل تلك الصعاب والمشاكل بالنسبة للإنسان أمراً صعباً ومرهقاً جداً، فالكثير من الأشخاص يصمدون في البداية، ولكنهم عندما يتعرضون للتعذيب الروحي المرهق، ويوضعون في الزنزانات الإنفرادية، ويتعرضون لشتى أنواع التعذيب القاسي اثناء التحقيق معهم في السجون، وعندما يقضون فترة طويلة في السجون ويشعرون فيها بالجوع والعطش والحرمان والمشاكل الكبيرة، وكذلك حينما يشاهدون حيرة وعذاب زوجاتهم وأطفالهم، ويتعذبون كذلك من أقوال أقاربهم حين زيارتهم في السجون، وعندما يلتقون مع أهلهم وذويهم من خلف قضبان الزنزانات ويشاهدون وضع أولادهم وأطفالهم المزري...

نقول عندما يواجهون تلك الظروف فانهم ييأسون بسرعة من المستقبل، و يتراجعون عن مواقفهم السابقة، ويخضعون للطاغوت بعدان تنتهي قدرة تحملهم.

ويحتاج الإنسان في مثل تلك الحالات الى شيء أساسي واحد يعينه في الصمود والتقدم الى أمام بخطى ثابتة وراسخة، واني اعتقد باعتباري أحد الذين جرَّبوا كل تلك المواقف العصيبة أقول بانه لايوجد أي شيء في الدنيا كالقرآن الكريم يستطيع ان يؤثر في هذا الطريق.

انني أمتلك بعض الذكريات الشخصية عن الفترة التي قضيتها في السجون، واني متأكد بأنَّ لدى الكثير من الأشخاص الذين

تمرُّوا بنفس تجربتي، الكثير من الذكريات عن السجون أيضاً. ولو جمعنا تلك الذكريات فانها ستشكل بلاشك كتاباً كبيراً. واسرد لكم الآن واحدة أو اثنتين من تلك الذكريات العالقة في ذهني لكي تلاحظوا كيف كان يتم حل تلك المشاكل والأُمور في السجون والمعتقلات.

في المرة الأُولى التي اعتقلت فيها من قبل أجهزة النظام المباد، تمَّ استدعائي بعد يومين من الإعتقال للتحقيق، وأخذوني في إحدى الليالي الباردة لاستجوابي، وقد بدأوا التحقيق والتعذيب معي في الساعة السادسة مساءً بعد ان منعوني من اداء الصلاة، واستمر ذلك بشكل متواصل حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم الثاني، وقد تضمَّن ذلك بعض فترات التوقف لاجراء التحقيق الذي يفقد الإنسان فيه ذاكرته وكل مالديه بسبب شدة التعذيب بأنواعه المختلفة، كالضرب والشتم والصفع وضرب كف الرجل بالأسلاك الغليظة، وكذلك التهديد بالموت وأنواع أُخرى من هذا القبيل. و بعد ان سحبوني من غرفة التعذيب ورموني في زنزانتي (وكان ذلك كما قلت في الساعة الرابعة من فجر اليوم التالي)، أُغفت على نفسي ووجدت لديَّ نسخة من القرآن المجيد، وفتحت القرآن فوقع نظري على الآيات الأخيرة من سورة البقرة فقرأتها. ان تلك اللحظات تمثل بالنسبة لي وقد اقتربت الآن من سن الخمسين، ألذَّواطيب ذكرى بقيت في ذهني لحد الآن، فحين تلوت تلك الآيات المباركة وتفاعلت معها، تغيَّرت جميع الصور في ذهني، ودخلت في عالم روحاني آخر.

واعتقلت مرة أُخرى في عام ١٩٧٤ أو ١٩٧٥، وقد وضعوني في زنزانة فردية لمدة شهر ونصف، وحتى انهم عندما كانوا يأتون بقطعات الزبد كانوا يجلبونها بعد انتزاع غطائها الورقي لكي يمنعونا حتى من قراءة ما كان مكتوباً عليه و يعزلوننا عن العالم الخارجي الى هذا الحد، وقد كنت في تلك الفترة العصيبة أتلو بعض الآيات المباركة التي كنت أحفظها، وقد كان لها تأثير كبير عليَّ في وحدتي تلك وكنت أتلو تلك الآيات باستمرار ليلاً ونهاراً (مع عدم تفريقنا بين الليل والنهار لشدة الظلمة) حتى اني كنت لاأشعر بطرقات باب الزنزانة لشدة انفعالي وولعي بالقرآن. وفي عام ١٩٦٦ كنت امضي فترة مريحة نوعاً ما في السجن بعد انتهاء الاستجواب معي وكانوا يسمحون لي بقراءة المجلات والكتب، وكان في الزنزانة المجاورة لزنزانتي أحد الاخوة والذي كان يقضي فترة عصيبة يتعرض لضغوط كبيرة

بحيث كان يُمنع حتى من القراءة، وأردت في حينها ان اخفف عنه بعض آلامه، عن طريق اعطائه أحد الكتب ليتسلى به، وقد أجابني بانه لديه نسخة من القرآن الكريم تكفيه ولا حاجة له بأي شيء آخر. قال لي بانه مشغول بالقرآن الكريم ومتلذذ به الى حد بحيث لايمكن لأي كتاب أو مجلة أُخرى ان تملأمكانه أو تفي بهذا الغرض، وأتأسف من ملء الوقت الثمين بقراءة شيء آخر غير القرآن.

وهناك الكثير من الذكريات التي لازالت عالقة في أذهان المسلمين الذين خاضوا تجربة السجون، والكل يقول بأنّه قضى أوقاتاً ممتعة مع القرآن في السجن، فكان القرآن يعيننا دوماً على مقاومة التعذيب والصمود أمام الجلاوزة.. وكنا نرى الشيوعيين عكس ذلك، فقد كانوا يتراجعون عن مواقفهم عند أول خطوة من التحقيق، إذ كان صبرهم ينتهي بسرعة، فيدلون باعترافاتهم على زملائهم في الخارج، وكانوا سرعان مايصلون الى حالة إحساس بالفراغ العقائدى والطريق المسدود. ومن دخل السجون يعرف جيداً ماذا تعني هذه الحالة.

وكان الذين لايعرفون أهمية القرآن ولم يقرأوه، يصلون بسرعة الى الطريق المسدود. فعندما كانوا يبعدون عن جميع ماحولهم وتزول علاقتهم مع الأُمور المادية، كانوا لايجدون أي مبرر للصمود بعد ان تزول جميع الآمال والمشاعر.

بينما نادراً ما كنا نجد واحداً من المسلمين الملتزمين والعارفين بفضل القرآن، يتعاون مع السافاك اثناء مراحل النضال والثورة بل ولم يكن لدينا مثل اولئك الاشخاص، وإذا وجدوا فانهم يعدون بالأصابع، ولم يكونوا مؤمنين تماماً، وفي المقابل كنا نجد الشيوعيين يعترفون بسرعة و يتعاونون مع السافاك ، فعندما كان أحد الشيوعيين يدخل الى السجن فانه كان يجرُّوراءه عشرين أو ثلاثين شخصاً من زملائه وهؤلاء بدورهم كانوا يتراجعون بسرعة ويعترفون منذ اللحظة الأولى.

ولكن الإخوة المسلمين كانوا يدخلون الى السجن، و يصمدون أمام الجلاوزة، ولايدلون بأية كلمة تدلُّ على اخوتهم في الخارج، وكان الأمر لايتعدي ذلك، وقد كان رجال الأمن يعجزون عن انتزاع أي اعتراف منهم، وكانوا يقولون بأنهم أزعجونا كثيراً بصمودهم وتحملهم الصعاب في هذا الطريق، كل ذلك امام أولئك الأشداء والجبارين من رجال السّافاك .

ان هذه الخاصية جاءت من الروحية والقوى المعنوية التي منحها القرآن

للانسان المسلم، حيث جاء في القرآن الكريم: **(إن ٱلذينَ قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهمُ الملائكة ألاّ تخافوُا ولا تحزَنوا وابشروا بالجنةِ التي كنتم توعَدونَ)**.

إنّ الانسان عندما يبتعد عن الأُمور المادية، ويؤمن عملياً بالقرآن، فإنَّ الآيات تتجسَّد أمامه بالشكل الذي شرحناه سابقاً، وتتحول الى حركات في حياته اليومية.

والمسألة الأُخرى التي تتعلق بهذا الأمر، هي ان القرآن يمنح حركات وأفعال الإنسان المعنى الصحيح والمناسب لها، واني لا أعرف في هذه الدنيا أية حركة أو أي مبدأ يمتلك مثل هذا الطريق والرسالة والهدف والنموذج السامي المليء بالمعاني الرائعة، ويكون معناه بتلك السعة والشمولية بحيث ان الانسان المؤمن عندما يسير على هذا النهج (نهج القرآن) فانه يرى بأنَّ حركته لايمكن ان تهزم اطلاقاً.

اننا لم نواجه مثل هذه الحالات. وبالطبع فانه قد يوجد الكثير من أمثال هؤلاء الاشخاص في باقي الحركات والثورات، ولكن عندما تجلس معه وتناقشه فانه يظهر تعصباً لمبادئه في البداية لأنه لايمتلك أي مبرر منطقي لعقيدته، ان تعاملنا مع أُولئك الماديين المؤمنين بالأهداف والمبادئ المادية كان بهذا الشكل، فقد كان بالإمكان أحياناً ان نقضي معهم شهراً كاملاً في زنزانة واحدة وكنا نتناقش ونتباحث معهم حول مثل هذه الأُمور، وكانوا يعجزون عن دراسة وتحليل وضعهم. ولكن القرآن كان يحدّد لنا الطريق دوماً وبشكل واضح وأكيد وبلاد أدنى شك، فان الحسنيين اللتين يطرحهما القرآن في هذه الآية تعتبران أمراً رائعاً جداً **(قُلْ هَلْ تربَّصونَ بِنا إلاّ إحدىٰ الحُسنَيينْ)**.

لذلك فاننا لم نكن نعرف معنىً للهزيمة في حياتنا، ويجب ان يكون هذا الشعور موجوداً عند كل مسلم لوكان فعلاً مسلماً حقيقياً لا مسلماً في الظاهر، لأن الإنسان المسلم عند ما يدخل معترك الصراع والكفاح وهو يعتقد بأن الأُمور كلها بيدالله و يؤمن بالسُّنن والأقدار الإلهية ولاينسى الله أبداً فانه لايعرف الهزيمة إطلاقاً.

ان الانسان الذي يعتقد منذ البداية بأن مقارعة الطواغيت والنضال ضد التفرقة العنصرية والتضحية في سبيل المحرومين تعتبر من الواجبات التي فرضها الله علينا وانها أُمور فهمناها من القرآن الكريم وان الأقدار بيد الله، وانه يستطيع ان

ينجز مايريد حتى بعدم وجودنا نحن ولكنه يريدنا ان ننجزذلك بأنفسنا لكي نبني شخصيتنا، ان مثل هذا الإنسان منتصر ومُسدّد لامحالة لأنه يعتقد بأنَّ الله سبحانه وتعالى يريد من الإنسان ان يدخل معترك النضال بهذا التفكير، و بالتالي فانه لايوجد معنى للهزيمة في هذا الطريق الإلهي، وبهذا الاعتقادفإننا ننجز ماعلينا من واجب والنتيجة بيد الله وحده، فقد نفشل في مكان ما أو تواجهنا المشاكل في مكان آخر أو ننكشف في مرحلة ما وتُكشف أمورنا وخططنا أو أنه لايتعاون البعض معنا في إحدى المراحل، ولكننا مع كل ذلك نعتقد بأن أجرنا وثواب عملنا محفوظ عند الله سواء نجحنا أو فشلنا في أمر ما. وهذه المفاهيم الأصيلة موجودة في جميع سور القرآن. ان الإنسان يمتلك النشاط الكامل و يتحرك بفاعلية خارقة في الطريق الذي يؤمن به، ولايمكن لليأس ان يدخل الى قلب الإنسان المؤمن، وان ما نقرأه حول شهداء كربلا بأنهم (لم يكونوا يحسون ألم الحديد) فانه نابع من ذلك التعلق العظيم بالقرآن الكريم و برب العالمين، ولذلك فإنهم كلما كانوا يقتربون من الشهادة، كانت وجوههم تزداد اشراقاً وبهجةً.

لهذا فشبابنا اليوم يستلهمون هذه العبر من أصحاب الحسين(ع)، فنجد ذلك الصبي يصر على الذهاب الى جبهات القتال وتقوم الأمهات بتشجيع ابنائهن ويأخذنهم طوعاً الى مراكز قوات التعبئة، اضافة الى ذلك فانهنّ يقدمنَ مصوغاتهنّ لتمويل مصاريف أولادهن في الجبهة وكذلك يفعل الآباء.

نحن اليوم لا نواجه أي نقص في القوات المقاتلة، فقد تطوع الآلاف من الشباب من جامعاتنا ومدارسنا ومعاملنا ومن الدوائر الحكومية، كل هؤلاء يتوجهون الى جبهات القتال لملء أي فراغ يحصل هناك ، هذه هي استنتاجاتنا من القرآن في الجهاد وفي الفوز بالشهادة.

ترى ما سبب ذلك؟.

نحن في بداية مراحلنا النضالية عند ما دخلنا السجون عانينا حالات صعبة قديمرّ بها الإنسان بحيث يفقد بها الكثير من الاشياء، منها المقاومة نتيجة التعذيب والمعاملة السيئة والقوة، خاصة عند ما يواجه السجين حالات اليأس من الحياة.

ان الشيء الذي يجعل الإنسان مقاوماً وصبوراً وأن يواجه فيه كل هذه الحالات برباطة جأش، هواستلهامه الجهادوالكفاح من القرآن الكريم، لأنَّ

القرآن الكريم هو مثل الماء الذي يعتبر ضرورياً لحياة الإنسان وكمتاع الطريق الذي يحمله الإنسان معه في سفره، وان ثورتنا انطلقت وهي تعتمد على مثل هذه النخبة الصالحة من الناس.

والمسألة الأُخرى التي اكتسبت أهمية قبل و بعد الثورة، هي مسألة بناء الإنسان بصورة دائمة لإضفاء الصبغة الانسانية والكمالية على شخصيته.

لولا وجود هذه الخصلة في الإنسان، لواجه الفشل في حياته. ولهذا يجب على الإنسان ان يحافظ على بناء نفسه وشخصيته، والاّ فإنه يبقى على حاله، وفي حالة ركود، و يتعرض الى التعفن مثل الماء الراكد، فبناء النفس الانسانية باستمرار، أمر ضروري لكل الأفراد.

ان حالة بناء النفس الإنسانية كانت موجودة ابتداءً بأكبر شخصية عرفها التاريخ البشري، والمتمثلة بالرسول الأكرم(ص) وانتهاءً بالجندي العادي الذي يقدم أبسط الخدمات لحماية خطوط جبهات القتال الخلفية.

فاذا أُهملت هذه الضرورة الواجبة في تجديد و بناء النفسية الروحية،فإنها قد تؤدي الى إهمال القدرة النضالية لدى الإنسان، وتؤدي بالتالي الى الانحراف في روح الحركة الثورية واتجاهها الأصيل، بل والتأثير على مستقبل الثورة.

فهل تعتقدون أيها الاخوة والأخوات بأن هناك شيئاً أفضل من القرآن الكريم يستطيع ان يضمن تنفيذ أوامره؟ ولماذا كانت صلاة الليل للنبي الكريم (ص) واجبة؟.

إن سورة المزمل توضح ذلك:

(يا أيّها المزّمّل قُم اللّيلَ إلاّ قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أوزد عليه ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً، إنّا سُنلقي عليكَ قولاً ثقيلاً، إنّ ناشئة اللّيلِ هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً، إنّ لكَ في النهار سبحاً طويلاً).

ان استدلالنا من هذا النوم ان النبي(ص) حُمّل مسؤولية كبيرة، فعليه ان يسهر الليل، و يبتهل، و يدعو ربه، وأن يرتل القرآن لمدة تستغرق نصف الليل، أو ثلثيه، و ينام في الثلث الآخر.

فالرسول الأكرم (ص) الذي كان أكثر البشر كمالاً كان بحاجة الى الدعاء والإبتهال. ونحن نلمس ذلك بوضوح من خلال مطالعة أواخر السورة المذكورة.

(إنَّ ربك يعلمُ أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك).

مفسرو القرآن الكريم يقولون ان هذه السورة نزلت على النبي(ص) في المدينة المنورة في الوقت الذي كان المسلمون يواجهون مشاكل وعقبات، و بعد أن رفعت بعض من مشاكلهم أمر الله سبحانه وتعالى فقال: **(فاقرأوا ما تيسَّر منه).**

مؤكداً لهم على الاكثار من قراءة القرآن كلَّما سنحت لهم الفرصة.

فإذا أردتم أيُّها الاخوة والأخوات ان تزيدوا من بناء وتجديد شخصيتكم الإنسانية، فاقرأوا القرآن كثيراً.

اكدوا دائماً علىٰ قراءة القرآن الكريم ورتلوه وأقرأوه بدقة وامعان حتى يستقر في قلوبكم، فإنَّ أجمل الأشياء للقلوب هو قراءة القرآن الكريم، حتى لايقال انه انتهى، أو يقال انه اصبح شيئاً قديماً.

ان النبي (ص) كان يقرأ القرآن لكي يثبت قلبه، حيث يقول عزَّوجلَّ: **«وقالَ الَّذين كفروا لولانُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدةً كذلك لنثبتَ به فؤادك ورتلناه ترتيلاً»**
(الفرقان/ ٣٢)

لقد نزل القرآن بصورة تدريجية وأن فلسفة نزوله جاءت لتثبيت الا ثر المعنوي في نفوس المسلمين وزيادة ايمانهم.. وعلى هذا فلو انقطع قائد الثورة ومريدوه وأنصاره عن القرآن الكريم، فإنَّ الثورة كانت ستسير نحو الإنحراف، لكنَّ الكل عملوا وفق القرآن والتزموا به.

وثورتنا اهتدت بالقرآن منذ مراحلها الأولى، واذا أردنا نحن المسلمين ان نتحد أمام الأعداء ونقف في مواجهة الشرق والغرب فاننا لن نجد أفضل من القرآن سبيلاً ومنقذاً لنا.

قد تكون هناك بعض الاختلافات بين المسلمين في السنة النبوية، لكن القرآن هو حبل الله المتين الى يوم القيامة. وعلى هذا اذا تمسَّك المسلمون بهذا الحبل، فانهم يستطيعون ان يحكموا العالم، لاسيَّما وان المسلمين يبلغ نفوسهم أكثر من مليار مسلم في العالم بشرط ان يعملوا بالقرآن و يتمسكوا به لأنه حبل الله المتصل بين الأرض والسماء.

«إنَّ هٰذهِ أمتكم أُمة واحدة وأنا ربكُم فاعبُدونِ».

فنسأل هل لدى الشرق والغرب والماديين مثل هذا الكتاب؟. انّ القوميين يناضلون من أجل المساحات الجغرافية و يعتبرونها عنصراً من عناصر الوحدة أو يناضلون من أجل الحدود الموضوعة أو من أجل المياه الساحلية، وحتى قطعة من جبل أو وحدة الدم أو القومية، ولكنهم بهذه العناصر لايمكن ان يوحدوا البشر، بل وفي بعض الأحيان يتصارعون أو يتحاربون فيما بينهم.

ولكن اذا اتخذنا من القرآن سنداً لنا من أجل استمرار الثورة ومسيرتها، وتجاوزنا كل الخلافات غير القرآنية فانه سيحل جميع مشاكلنا.

لا أقول أن تنسوا كل المبادئ غير القرآنية، فقد يوجد فيها بعض الأمور المفيدة التي لا توجد في القرآن الكريم إلاّ ان القرآن تتوفر فيه على الأقل الشروط اللازمة لوحدة المجتمع الاسلامي، ونحن هنا في ايران الثورة بنينا ورسمنا كل برامجنا الثورية على هذا الأساس.

نظام الدفاع والجهاد
في القرآن المجيد

آية الله أحمد جنتي
عضو مجلس فقهاء صيانة الدستور
رئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدالله ناصر المظلومين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، ولي المؤمنين، وصلى الله على رسوله رحمة للعالمين القائم بالسيف والمدمر لأعداء الدين.

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ»

(البقرة/٢١٦)

موضوع بحث هذا المقال هو: **(نظام الدفاع والجهاد في القرآن المجيد)**.

وقبل كل شيء يجب أن نفسّر هاتين الكلمتين، ثم نردف ذلك بالحديث عن المسائل المتعلّقة بهما.

الدفاع: هو صدُّ العدو المعتدي، وردّه على أعقابه، لأجل صيانة أي شيءٍ من الضروري صيانته، سواء كان هذا؛ عقيدة، أونفساً، أومالاً، أوعرضاً، أوحريةً، أوشرفاً، أوغيرذلك.

ومن الزاوية الحقوقية، يشكل الدفاع حقاًيمنح للإنسان، كي يمكنه ان يدفع عن نفسه شر العدو المهاجم الذي بيَّت العدوان بعيداً عن رقابة القوة القانونية، ولكيلا يمكن للأشرار أن يخترقوا القانون عند غياب الحكم و ينتهكوا حرمة أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ونواميسهم.

الدفاع حق فطري:

الدفاع عن الحق المشروع، حق فطري، لايتمتع به الإنسان فحسب، بل هو لأي موجود حي. ذلك لأنَّ الموجود الحي مضطر ــ لكي يواصل حياته ــ أن يتمتع بضروريات الحياة، و يتصرف بالموجودات الأُخرى، و يصارع كل العقبات التي تقف في طريقه وتهدد حياته أو تمتعه بلوازم الحياة.

وبتعبير آخر، تتوقف الحياة واستمرارها على التفاعل والتأثير المتبادل الذي يتم في جهاز الخليقة، ممَّا يجعل الصراع في هذا المجال أمراً طبيعياً، فإذا لم يستطع الموجود الحي أنْ يدافع عن نفسه، كان ذلك يعني الحكم عليه بالموت.

وعلى هذا الأساس، فقد أعطى الله لكل حي وسائل الدفاع عن النفس بشكل يتناسب معه ليقوم بمهمة الدفاع عن حقه المشروع.

وعليه فإنَّ أي حق يجب أن يكون الى جنبه ــ إجمالاً ــ حق للدفاع، وإلاَّ فليس هناك أي ضمان لبقاء الحق و بالتالي سوف يكون دون نتيجة.

ولقد كانت فطرية هذا الحق، باعثة على ان يقبل جميع البشريه، و يعتبر أي فرد أو مجتمع أو مذهب أو قانون، الوقوف بوجه المعتدي أمراً مشروعاً ،وليس هناك أي فرد أو قانون يعتبر حقاً ما مشروعاً في حين يعتبر الدفاع عنه جريمة ومن الأُمور غير المشروعة.

وقد أعطى الإسلام هذا الحق للانسان، واعتبر الإستفادة منه ضمانة لبقاء البشرية ودوام الأديان التوحيدية، وأشار الى فطريته، فقال:

«وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ».

(البقرة/ ٢٥١)

والآية تعتبر دفع الناس لشر الأشرار، سبباً لمنع فساد الأرض ــ أي الناس الموجودين على الأرض ــ وفي آية أُخرى.

«وَلَوْلا دَفعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً»

(الحج/ ٤٠)

فاعتبر الدفاع، أساساً لبقاء المظاهر الدينية، ومراكز العبادة، و بالتالي بقاء التوحيد.

الجهاد:

والجهاد في اللغة، بمعنى بذل الوسع والجهد بقوة وشدة. وقد استعمله القرآن في هذا المعنى مكرراً:

«وَٱلَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا»

(العنكبوت/٦٩)

وفي استعمال ثانوي، بمعنى النزاع المسلح والقتال ضد أعداء الإسلام، و بذل المال والنفس في سبيل الله. يقول القرآن:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ...»

(الانفال/ ٧٢)

ووفقاً لهذا الإصطلاح، قد يجعل الجهاد ــ في الفقه ــ في قبال الدفاع، و يقصد منه الجهاد الإبتدائي ضدّ الكفار، لكي يتركوا كفرهم، و يؤمنوا بالله الواحد، و ينضووا تحت لواء النظام الالهي، وربما استعمل في مطلق الحرب ضد الكفار مما يجعله شاملاً للدفاع، والقرآن عندما يذكره يريد منه هذا المعنى العام وإنْ كانت أهم المصاديق أو كلها هي مصاديق دفاعية.

أقسام الجهاد:

للجهاد أقسام لها في الغالب جانب دفاعي. وقد جاء في القرآن تحت عنوان الجهاد أو القتال.

١ــ الدفاع عن كيان الإسلام ونواميسه في قبال العدو الرامي الى تحطيم أساس الدين وابداله بالكفر بأي شكل كان: ــ الإلحاد، المجوسية، النصرانية، اليهودية، وغيرها ــ وهذا نظير ماحدث في اسبانيا.

٢ــ صد العدو المعتدي على نفوس المسلمين واعراضهم أو على الأراضي الإسلامية وإنْ كان لايرمي الى القضاء على الإسلام بل يستهدف أموال المسلمين وأعراضهم وأراضيهم.

٣ــ الدفاع عن الاُخوة المسلمين الذين يلتحمون في منطقة ما مع الكفار ويخاف من غلبة الكفار عليهم وذلك استجابة لمقتضيات الاُخوة والوحدة الإسلامية.

٤ــ العمل على طرد العدو المحتل أو المتسلط بأي شكل على الأراضي الإسلامية أو عقائد المسلمين. فإنَّ القضاء على نفوذ الأجانب واعادة العزة والإستقلال للمسلمين، من الواجبات.

٥ــ الجهاد ضد الكفار، لكي يتركوا عقائدهم الباطلة، ويميلوا الى الإسلام والقيام بالجهاد الإبتدائي ــ كما يصطلح عليه ــ وله شروط خاصة وفيه بحوث كثيرة.

أهمية الجهاد:

جاء ذكر الجهاد ــ وفق تتبعي السريع ــ في (١٧) سورة قرآنية، وعمدتها مدنية، وذلك على الترتيب التالي:

(١)ــ البقرة (٢)ــ آل عمران (٣)ــ النساء (٤)ــ المائدة (٥)ــ الأنفال (٦)ــ التوبة (٧)ــ النحل (٨)ــ الحج (٩)ــ النمل (١٠)ــ الأحزاب (١١)ــ الشورى (١٢)ــ محمد (١٣)ــ الفتح (١٤)ــ الحديد (١٥)ــ الحشر (١٦)ــ الممتحنة (١٧)ــ الصف.

واختص به ما يقرب من (٤٠٤) آيات شريفة وطبيعي ان التحديد الدقيق لآيات الجهاد ــ مثلها مثل الآيات الواردة في بعض الموضوعات الأُخرى ــ أمر مشكل، نظراً الى ان القرآن ــ عادةً ــ عندما يطرح موضوعاً، ربما يقدم له بعض المقدمات، وربما يطرح موضوعات أُخرى بالمناسبة تذكر خلال الآيات، وفي ختام الآيات أيضاً قد تطرح مواضيع أُخرى بالمناسبة وذلك كما نجد ورود آيات الانفاق وآيات الولاية في آيات الجهاد: قبلها، أو بعدها، أو خلالها. ومع كون الحال كذلك، فمن الواضح ان الإحصاء الدقيق للموضوعات وفصلها عن بعضها وتصنيفها، أمر مشكل.

وكثرة الآيات بهذه التعبيرات القوية جداً والمحركة والصارمة وكل هذا الوعد والوعيد والإنذار، وهذه التأكيدات المتنوعة لتوضح لنا قيمة الجهاد ومقامه السامي الفريد. وكمثال على ذلك لنطالع مايلي:

«وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ...».

(البقرة/ ١٥٤)

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ

ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ ٱللَّهِ...».

(البقرة/٢١٤)

«وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ...».

(آل عمران/١٣٨ــ١٣٩)

«وَلَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَاءِ ٱلْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ...».

(النساء/١٠٤)

«يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...»

(المائدة/٥٤)

تشريع الجهاد وفطريته:

إننا إذا لاحظنا الأقسام الخمسة للجهاد، وجدنا أربعة منها تمتلك جانباً دفاعياً، فهي وفق الحق الفطري الذي لايقبل أي تردد أو إنكار ولايستطيع أي منطق أن يسلب المسلمين هذا الحق، وآيات القرآن الكريم تؤكد على هذا الموضوع.

وأول الآيات التي نزلت في الجهاد، هي آيات سورة الحج التي تبتدئ بهذا التعبير.

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ كَثِيراً...».

(الحج/٣٩ــ٤٠)

حيث أُذِنَ للمظلومين بالحرب ضد العدو المعتدي، واعتبر أساس ذلك صد الإعتداء لحفظ آثار الشرائع ومظاهر التوحيد. وكذلك نجد آية أُخرى هي من الآيات الأوائل في مجال الجهاد. وقال البعض انها أول آية فيه، وهي:

«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...».

(البقرة/١٩٠)

حيث تأمر بالجهاد ومقاتلة المشعلين لنار الحرب والأكثرية الساحقة

«والتي قد تصل الى حد الإستيعاب» لآيات الجهاد تصنف ضمن هذا المجال، ولم تأتِ سوى آية واحدة مطلقة يمكن استفادة الجهاد الابتدائي منها «كما قديمكن الإستشهاد ببعض الآيات الأُخرى» وهي:

«يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...».

(التوبة/١٢٣)

إذ توجب الجهاد ضد الكفار المجاورين.

ومن الطبيعي أن سبيل توسعة الدائرة الإسلامية يتم بهذا الأُسلوب، إذ يبدأ الإلتحام مع المناطق الأقرب ثم تتم التوسعة، وسنقوم في البحث التالي بالحديث عن كون الجهاد الإبتدائي أيضاً أمراً فطرياً.

أهداف الجهاد:

إنَّ الأهداف التي ذكرها القرآن ــ في الموارد المختلفة ــ للجهاد، هي على النحو التالي:

(١)ــ الدفاع: «وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ...».

(البقرة/١٩٠)

(٢)ــ دفع الفتنة: وهو معنىً سام يشمل الدفاع أيضاً:

«وَقاتِلُوهُمْ حَتىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ...».

(البقرة/١٩٣)

(٣)ــ تركيز حكم الله واجبار الجبابرة على التسليم:

«وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ...».

(الأنفال/٣٩)

«أَلذِينَ عاهدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لايَتَّقُونَ».

(الأنفال/٥٦)

«فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاأيمان لهم لعلهم ينتهون».

(التوبة/١٢)

(٤)ــ تقوية النظام الالهي وتثبيته حتى لاتخشى مهاجمة العدو بالقوة:

«قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسولُهُ

وَلا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ».

(التوبة/٢٩)

(٥)ــ المنع من الفساد في الأرض:

«ولولا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ...».

(البقرة/٢٥١)

(٦)ــ المنع من محو المظاهر الدينية ومراكز العبادة:

«وَلَوْلا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ...».

(الحج/٤٠)

(٧)ــ تحكيم الحق وترصينه، ومحو الباطل:

«لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ».

(الأنفال/٨)

(٨)ــ الوقوف بوجه الظلم، والدفاع عن المستضعفين المظلومين:

«إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ...».

(الشورى/٤٢)

«وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ...».

(النساء/ ٧٥)

هذه عناوين ذكرت كأهداف وغايات للجهاد في القرآن. ومن الطبيعي ان بالإمكان ان يندرج بعضها تحت البعض الآخر، بل يمكن القول بأنَّ الهدف العام من الجهاد هو الدفاع عن الحقوق المسلَّمة والفطرية للإنسان، أي الدفاع عن نفوس المسلمين وأموالهم وأعراضهم ونواميسهم وأراضيهم الإسلامية.

ومن هنا نستطيع ــ بكل سهولة ــ ان ندرج الجهاد الإبتدائي تحت عنوان الدفاع، ذلك ــ كما يقول المحقق والمفسر القدير المرحوم العلامة الطباطبائي ــ لأنَّ التوحيد والنُظُم القائمة على أساس التوحيد، مبنية على الفطرة، وهي سبيل إصلاح البشرية:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...».

(الروم/٣٠)

وحينئذ فلامناص من أن تقوية أساس التوحيد وإقامة النظم التوحيدية، يعدُّ من أكبر الحقوق الفطرية التي يجب ان تسعى البشرية لإحيائها:

«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...»

(الشورى/١٣)

كما ان عقلاء الإجتماع يرون أن أكبر الحقوق الفطرية، هو حق الحياة في ظل القوانين الحاكمة على المجتمع المعين، حيث ان القوانين هي التي تضمن منافع الافراد.

وكما قلنا من قبل، فإنَّ الدفاع عن الدين الحق ــ أيضاً ــ حق فطري يضمن حفظ هذا الحق وبقاءه، فإذا لم يتوفر الدفاع سحقه المستكبرون:

«وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ...».

(الحج/٤٠)

بمعنى انه لولم تستطع قوة دفاعية قطع أيدي المعتدين على النظم الالهية فإنَّ الدين ــ أي ذلك الحق الفطري ــ بما يملكه من مظاهر اجتماعية ومراكز لعبادة الناس كالمسجد والكنيسة، سوف يهدم، فلايبقى منه أثر.

إنَّ آيات سورة الأنفال توضح تماماً ان المجرمين يقفون بالمرصاد، ساعين لمحوالدين، عاملين على احلال الباطل محل الحق. والجهاد هو المدافع عن الحق:

«لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ»

(الأنفال/ ٨)

كما ان حياة المسلمين باعتبارهم حَمَلَة التوحيد ــ وهي في الواقع حياة التوحيد ــ رهينة القتال في سبيل الله:

«... اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ...».

(الأنفال/ ٢٤)

سواء كان ذلك بعنوان الدفاع عن المسلمين، أو الدفاع عن الإسلام، أو الجهاد الإبتدائي الذي يعمل على إحياء الفطرة الإلهية في الارض والتي انطفأت

بفعل الطواغيت والجبابرة، ومحو الشرك باعتباره سرَّ موت الفطرة وموت كل المظاهر الرائعة للتوحيد وكل الأخلاق الفطرية الإنسانية.

وهكذا نجد الإسلام ــ عبر هذه المقدمة ــ قد أعطى أتباعه الحق ليطهّروا الأرض من درن الشرك ومظاهره بأي شكل كانت، ويحيوا فطرة التوحيد وهذا ما وعد القرآن الكريم المسلمين به:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصالِحُونَ».

(الأنبياء/١٠٥)

«وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لايُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً...».

(النور/٥٥)

وجملة: (يعبدونني لايشركون بي شيئاً) تعبّر بوضوح عن لزوم محو الشرك بكل مظاهره، وإقامة التوحيد الخالص محله.

كما ان القرآن يقول:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ...».

(المائدة/٥٤)

وهي اشارة الى المجاهدين الذين يعملون بكل اخلاص ودون خشية أية ملامة على حمل مسؤولية تطهير الأرض من الشرك واعلاء كلمة الحق في كل مكان وتحقيق ما وعد الله به.

بهذه المقدمة يمكننا ان نصدق ــ بكل يقين ــ ان الجهاد الإبتدائي لدعوة المشركين الى التوحيد، حق مشروع ــ بمقتضى الحق الطبيعي والفطري ــ وذلك بعد ان لم تنفع كل الأساليب المنطقية والعقلائية الأخرى من الدعوة، وابلاغ الرسالة، والإنذار، والتبشير، واتمام الحجة، والدعوة الحسنة، واراءة الآيات والبينات، وتبيين الحق والباطل، فلم يستجب الطغاة والمستكبرون لهذه الأساليب.

ان هذا الأسلوب لايختص بالدين، وانما هو مسيرة تقبلها كل الأقوام والملل. فإنه في جميع النظم حينما يتقبل الناس نظاماً ما، وتطرح مقررات عاملة على تكامل المجتمع وصلاحه، فإنهم يمنحون أنفسهم الحق في التصدي للمتمردين واجبارهم على التسليم للحق بعد ان لم تنفع أساليب الإرشاد والتوجيه، وبعد اصرارهم على التمرد والعصيان... انه حق يحتفظ به كل نظام لنفسه فلماذا يعمل البعض على ان يسلبوه من النظام الإلهي المبتني على التوحيد الفطري؟!

إننا من خلال استعراض آيات الجهاد ــ وكما أشرنا من قبل ــ نجد الآية:

«... قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...».

(التوبة/ ١٢٣)

لاتختص بالجهاد الدفاعي، كما اننا نجد في قصة سليمان(ع) المذكورة في سورة النمل انه (ع) يهدد «ملكة سبأ» بقوله:

«... فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِها وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَهُمْ صاغِرُونَ».

(النمل/٣٧)

حيث لم يكن هناك أي هجوم سابق من قبل سبأ، وإنما كان هذا التهديد بسبب رفضهم للدعوة الموجهة اليها عبر رسالة تقول:

«أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ».

(النمل/٣١)

ودلالة هذه القصةعلى أصل مشروعية الجهاد الابتدائي، واضحة.

الجهاد في تاريخ الأنبياء:

ان الآيات القرآنية المتعددة، تؤكد ان سيرة الأنبياء(ع) استقرت على ان تبدأ دعوتهم بالإنذار والتبشير، واعطاء الآيات والبينات، والتذكير بماضي الإنسان ومستقبله، وبالتالي ايقاظ العقل والفطرة بلسان لين وقلب عاطفي متألم؛ مما يدفع القلوب الطاهرة والضمائر المتعطشة للبحث عن الله لقبول هذه الدعوة بملء وجودها، في حين يرفضها ذووالقلوب الميتة والأرواح الملوثة والنفوس الطاغية، ويقف في وجهها المقتدرون ويستعدون لإطفاء نورالله. وعندما لاتجد جبهة الحق نفسها قادرة على الإلتحام معهم، فإنها تكتفي بالحفاظ على نفسها وأرواح اتباعها،

وإبقاء شعلة التوحيد متأجّجةً في مجالها المحدد، وانتظار الفرج ونزول أنماط العذاب الإلهي على المشركين، وحينما يبلغ السيل الزبى، وتقف جبهة الحق على مفترق طريقي الحياة والموت، يتحقق وعدالله، وينزل العذاب بشكل صيحة، أو صاعقة، أو زلزلة، أو عواصف شديدة، أو طوفان، أومطر، أوحجارة، وأمثال ذلك ، حيث تكون العاقبة لصالح المؤمنين... وهذا مابين في قصص نوح وهود وشعيب وصالح ولوط و ابراهيم وموسى بالنسبة لفرعون:

«فَدعا رَبَّهُ أَنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ* ففَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ».

(القمر/ ١٠،١١)

«قالَ لَو أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّة أَوآوي إلى رُكْنٍ شَديدٍ... فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها».

(هود/ ٨١ــ ٨٠)

«قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلينَ* قُلْنا يانارُكُوني بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهيمَ* وَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الأَخْسَرينَ».

(الأنبياء/ ٧٠ــ ٦٠)

«قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنّا لَمُدْرَكُون* قالَ كَلاّ إِنَّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِينِ... ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرينَ».

(الشعراء/ ٦٦ــ ٦١)

«فَكُلاً أَخَذْنا بِذَنْبِه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنابِهِ الأَرضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا...».

(العنكبوت/ ٤٠)

اما حينما تجد قوى التوحيد نفسها قادرة على القضاء على العدو، فإنها تحمل السلاح لتحقيق أهداف الرسالة، وتعبيد سبيل السائرين الى الله، ورفع العقبات التي تقف حجر عثرة أمامهم، ولا تسمح لنفسها ان تتحمل وجود الشرك ورؤوسه، وهذا ما بُيِّن بوضوح في قصص طالوت وجالوت وسليمان وملكة سبأ، وموسى والعمالقة.. فلم يلجأ موسى الى السلاح في قبال فرعون وحينما يحاصر يصمم على ترك مصر هو وقومه، ويتجه نحو النيل، ولكنه حين يحس بالقدرة في قبال عمالقة الشام، يجهّز الجيش لحربهم.

ان هذه الحقيقة مسلّمة ــ إجمالاً ــ، فسُنّة الجهاد والقتال، كانت متوفرة لدى انبياء السلف:

«وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا...».

(آل عمران/١٤٦)

الاستمرارية الدائمة للجهاد:

وبملاحظة ان الجهاد ــ بمعناه العام الشامل للدفاع عن الإسلام والمسلمين ــ اُعتبر في القرآن، فريضة وحافظاً لأساس التوحيد وكل النظم الإلهية، وأن حكم العقل الضروري والتجربة التاريخية والواقع الخارجي، يؤيد لزومه بشكل قاطع، بملاحظة كل هذا لاينبغي ان يتصور أحد اختصاص هذه الفريضة بصدر الإسلام وعصر الرسول الأكرم(ص) وفترة قصيرة بعده و انه لاشرط له إلاّ قدرة المسلمين على الرد.

انتصوراختصاص ــ الجهاد ــ بمعناه العام ــ بزمان خاص أوفي شرائط غير الشرائط العامة للتكليف ومنها القدرة، هذا التصور لا نراه يقوم إلاّعلى صفة السعي نحو الراحة، وعدم إدراك حقائق القرآن، والخمود والجمود الفقهي، وعدم الإهتمام بمصالح الإسلام و المسلمين، والخوف وضعف النفس وتأثيرات الإنزواء لعدة قرون، والإبتعاد عن المسائل الحياتية، وغلبة الروح الصوفية والدروشة والإبتعاد عن الواقع الإجتماعي. وإلا فلولم تكن نقاط الضعف هذه متوفرة في الشخص، لم ينته الأمر بدارس الإسلام أو الفقيه المحقق لتجاهل أكثر من (٤٠٠) آية قرآنية بتعبيراتها القوية الحارة، وجعلها مخصوصة بعشرات من السنين من حياة المسلمين، والتراع الدائم لسلاح الإسلام الحاد في دفاع ضد العدو، وبالتالي تمهيد السبيل للعدو لكي يمد سيطرته ونفوذه على نواميس الإسلام وأعراضه ونفوس المسلمين وأموالهم والأراضي الإسلامية وهل يمكننا ان نجعل الآية:

«وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...».

(الأنفال/٦٠)

والتي تضمن عزة المسلمين مختصة بمرحلة أو مراحل تاريخية معينة؟! ألم يعقدوا معنا الكثير من العهود، ثم نكثوا عهودهم؟ فلماذا لم نعاملهم بمضمون الآية:

«وانْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ

إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ...».

(التوبة/١٢)

وهل يستطيع الوعد الإلهي في الآية:

«وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

(آل عمران/١٣٩)

ان يكون مختصاً بالسنين العشر الأُول من حياة الإسلام؟ وهل... وهل...؟

واذا شككنا في الجهاد الإبتدائي، فهل هناك أي تردُّد في ضرورة الدفاع وما ابتلي المسلمون به طول العصور هو الدفاع؟

واليوم، إذ يقف العدو في هذا العصر ـ أكثر من غيره من العصور ـ في قبال الإسلام، ولا يدع مكراً أو مؤامرة إلاّ استفاد منها للكيد للمسلمين، نجد أنفسنا أكثر حاجة من أي عصر مضى الى التعاضد والتناصر والجهاد بالأموال والأنفس. وحتى لو لم نكن ـ والعياذ بالله ـ مسلمين، كان علينا القيام بالوظيفة العقلية والفطرية في الدفاع وعدم تحمل كل هذه الذلة والمسكنة.

يكفي المليار مسلم عاراً هذا الخضوع في قبال (٣) ملايين يهودي ضربت عليهم الذلة والمسكنة بحكم القرآن؟

ان أيدي الطغاة تبسط يوماً فيوماً، وميادين استعراض قدرتهم تتسع باستمرار، ونحن نقف نكتوفي الأيدي أمام ذلك.... ونتذرَّعُ بأن العدو يستند الى أمريكا فلا نستطيع مقاومته، أليس الله يحمينا نحن؟! لماذا لم نصدق بوعود الله لنا بالنصر والدفاع ـ وفقدنا شرط الإيمان (ان كنتم مؤمنين) فعدنا مشمولين بهذه الآية:

«... أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ... إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ...».

(التوبة/٣٨ـ٣٩)

وها هي الجمهورية الإسلامية في ايران مصممة على ان تعلن فريضة الجهاد كأساس ترتبط به كل الفرائض، ومن خلال احيائه، يمكن احياء كل شعائر الدين، وتؤكد ان القوة التي منحت المسلمين طاقة التلاحم مع كل القوى تكمن في الإيمان، وان أية قدرة لا تستطيع مقاومة طاقة الإيمان هذه. انها تعمل على اثبات هذه الحقيقة (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وتوضح اننا لو أحيينا ـ اليوم

أيضاً ــ سُنَّة الإيثار والشهادة، لاستطعنا ان نعيد المجد الغابر... انها تسعى لبناء جيل من قبيل ما يشير اليه قوله تعالى:

«... فَسَوْفَ يَاتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَ يُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...».

(المائدة/٥٤)

وحينئذ فإنَّ على المسلمين جميعاً ان يسندوا هذا النظام ليحقق أهدافه الإلهية، و يعلنوا استجابتهم للواجب الإسلامي في القيام تحت لواء الوحدة الإسلامية المنسجمة في قبال الطغاة أعداء الإسلام والمسلمين، دون ملاحظة للإختلاف القومي، والعنصري والجغرافي، واللساني. و يفضلوا الموت بعزة على الحياة بذلة، وذلك لكي ينالوا ثمرات الجهاد الرائعة، وتشملهم يد الرعاية والعناية الإلهية، وتقطع عنهم أيدي الأعداء:

«... يَدُ ٱللَّهِ فَوقَ أَيْدِيهِمْ...».

(الفتح/١٠)

اننا نعيش على أمل ذلك اليوم، حيث يقوم الحكم الإسلامي العالمي، وتتحق الوعود الإلهية الصادقة:

«لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ» ■

شمولية القرآن الكريم

آية الله مهدوي كني

بسم الله الرحمن الرحيم

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»

باسمي ونيابة عن رابطة علماء الدين المجاهدين في طهران أحب بالضيوف الأعزاء الذين جاءوا الى ايران الإسلام والثورة من مختلف دول العالم.

كنا نأمل أنْ نتحدث إليكم ونلتقي بكم ـ أكثر من هذا ـ خلال وجودكم في بلادنا لنستفيد من تجاربكم، غير ان البرامج المخصصة لكم، كثيرة جداً. ومن هنا فإننا على يقين من أنَّ أملنا هذا لايتحقق بشكل كامل.

مرة أخرى نرحب بكم ونأمل ان نحتفل سوية في يوم ما بتحقيق حكومة إسلامية واحدة، ونطبّق أحكام القرآن في ظل الحكومة الإسلامية والقرآن، ونعيد للإسلام ـ من جديد ـ مجده وعظمته وسيادته.

موضوع البحث الذي أُريد أنْ أتناوله اليوم وسط هذا التجمع الحاشد من الأساتذة والعلماء والمحققين وعلماء الدين الأعلام، هو **«شمولية القرآن الكريم»**.

وطبيعي ان موضوع البحث هذا ليس جديداً من نوعه. وانني سأتطرق اليه بصورة اجمالية وذلك لضيق الوقت، على أمل أن يتاح لنا الوقت في المستقبل ان شاء الله لنبحث في الموضوع بالتفصيل.

كنت أتصور بأنَّ المواضيع التي ستطرح في المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي تدور حول مواضيع معينة يؤكد عليها القرآن الكريم، وليس مواضيع كلية.

و يفهم من الكليات بأنها بحوث واضحة بنظر المسلمين، لايوجد فيها أي إبهام وإجمال. ولذلك فانَّ التطرق الى المسائل الجزئية في مجال تحديد برامج الإسلام

في المجالات المختلفة، يحظى بأهمية أكبر من بيان المسائل الكلية. وان ما يتطلبه عالم اليوم منا إنما يدور حول هذه المسائل التي لها صفة موضوعية، والتي هي ضرورية ولازمة لإدارة البلاد في المراحل المختلفة وإدارة المجتمعات البشرية. لكن ومن المسلَّم به اننا لو أردنا إزالة الإبهام في المسائل الفرعية والجزئية، فاننا نضطر للتطرق الى المسائل الكلية أيضاً.

ويمكن ان يرجع سبب الإبهام الموجود في الكثير من المسائل الفرعية، الى مسألة عدم الإهتمام بالأُصول بشكل جدي. ولذلك فاذا تناولنا بدقة الأُصول الكلية التي يقيم الإسلام أُصوله ومحاوره و برامجه الكلية على أساس منها، واستطعنا ان نوضّحها ونبيّنها بصورة جيدة، فانني أتصور باننا نستطيع ان نجد حلاً للكثير من المسائل الفرعية.

ان اختلاف وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية المختلفة، بل بين أتباع أي مذهب من تلك المذاهب، ينشأ من عدم الإتفاق حول تلك الأُصول الكلية.

ولذلك فانني سأركز في بحثي هذا على موضوعين؛ اولهما؛ ان القرآن المجيد له ارشادات حول الخطوط والأُصول الكلية، بحيث ان تلك الإرشادات تستطيع ان تلعب دوراً في مساعدة المسلمين لانتخاب الطريق اللازم، وثانيهما؛ ان القرآن نفسه يولي إهتماماً بالغاً للأُصول التي يحددها لنا، أي انه في الوقت الذي يرشدنا الى الخطوط والأُصول العامة لنأخذها بنظر الإعتبار، فانه يأخذ بنظر الإعتبار ـ عملياً ـ تلك الخطوط والأُصول حين يتطرق اليها.

ولذلك فانني سأتناول هذين الموضوعين اللذين يؤكد عليهما القرآن كثيراً، وأولهما؛ أصل انتخاب الأصلح. فالقرآن يدعونا الى الأحسن والأصلح في كل مجال، سواء أكان المجال فكرياً، أو علميا، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو اخلاقيا، و... الخ. ففي مايتعلق بضرورة قبول وجهات نظر الآخرين يقول القرآن الكريم: **«فبشر عباد* الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه»** (الزمر/ ١٨) بمعنى اننا لو أردنا ان نقبل أقوال الآخرين، كان علينا ان نقبل القول الأفضل والأحسن.

وتوجد أمامنا في الحياة ثلاثة طرق؛ طريق سيئ ، وطريق جيد، وطريق أفضل. والقرآن يدعونا الى الطريق الأفضل. وطبيعي اننا طالما نستطيع انتخاب الطريق الأفضل ولم ننتخبه، فاننا سنفشل لامحالة في الصراع القائم في الحياة. ولذلك يجب علينا ان نسعى دائماً لانتخاب الطريق الأفضل لكي لانتضرر.

والقرآن الكريم حين يتحدث عنا نحن الذين ندعو الى الحق يقول: «**ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً**» فهو يدعونا و يشدنا لقبول أفضل وأحسن الدعوات والأقوال، أي الدعوة الى الله، لا الدعوة الى الناس.

وعندما يرشدنا فانه يقول: «**واتبعوا احسن ما أنزل اليكم**» وعند ما يطلب منّا ان نتكلم فانه يقول: «**وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن**» أي علينا ان ننتخب الكلام الأفضل، وعندما يتحدث عن الأقوام السالفة، فانه يقول: «**نحن نقصُّ عليك أحسن القصص**» أو «**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**». يهدينا الى المعبود يقول: «**اتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين**» وعندما يدعونا الى المناظرة والتباحث مع أتباع المذاهب الأُخرى يقول: «**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالّتي هي أحسن**»، ويقول أيضاً: «**ادع الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن**».

وعندما يتحدث عن المعاشرة وآداب المعاشرة، يقول: «**واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردُّوها...**» وحين يدعو موسى (ع) ليأخذ الكتاب ويهدي به الناس يقول: «**فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها...**» وحين يتحدث عن انتخاب الطعام، يقول: «**اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**».

وعندما يريد الحديث عن نسخ آيات القرآن يقول: «**ماننسخ من آية أونُنسها نأتِ بخير منها أومثلها**» وعندما يتحدث عنّا كأُمّة تدعو الى المعروف وتنهى عن المنكر يقول: «**كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**» وعندما يدعونا الى الجهاد والإستشهاد في سبيل الله، فانه يبشرنا بحياة أفضل وسرمدية، إذْ يقول: «**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله خير مما يجمعون**» وعندما يدعونا الى التقوى، يقول: «**ولباس التقوى ذلك خير**» وعندما يتحدث عن الآخرة، يقول: «**والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**» وعندما يتحدث عن جزاء الأعمال، يقول: «**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله**» وعندما يدعونا الى القسط والعدل، يقول: «**وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً**» وعندما يدعونا الى الأعمال الصالحة...، الأعمال التي تبقى، يقول: «**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً**» وعند ما يدعو نساءنا الى العفة، يقول: «**وان يستعففن خير لهن**» وعند ما يدعو الى التوبة، يقول: «**وان تبتم فهو خير لكم**».

وهناك آيات كثيرة أخرى في هذا المجال، ففي بعض الأحيان يشير الى الأبقى و يدعونا للسير وراء الشيء الذي يبقى لفترة طويلة: «**وما عندالله خير وأبق**» وعندما يدعونا الى صلاة الليل، يقول: «**ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً**» وعندما يدعونا الى العدل، يقول: «**اعدلوا هو أقرب للتقوى**».

وهناك آيات كثيرة من هذا القبيل، غير ان الوقت لايسمح لي بالإشارة اليها جميعاً.

لقد قلت اننا عندما ما نراجع القرآن لنستقي منه المعلومات بخصوص مجالات حياتنا، نراه يدعونا الى الأحسن والأفضل. و ان انتخاب الأحسن والأصلح هو أمر طبيعي للإنسان، ومع ذلك يوجد إشكال، وهو ان الإنسان يخطئ أحياناً عند انتخابه للأفضل، وفي أحيان أخرى تسيطر الأهواء عليه الى درجة تمنعه من انتخاب الأفضل، في وقت يعي جيداً بانه يسير في طريق آخر. إذن فانَّ الشهوات والأهواء النفسية والمادية هي التي تمنع الإنسان من انتخاب الطريق الأفضل.

هذه هداية كلية يمنحها القرآن الكريم ولو ان مسلمي العالم اخذوا هذه الهداية الأصولية للقرآن بنظر الإعتبار، لما استطاع الأعداء ان يهزموهم، بل وكانوا قد قاموا بضمان السعادة لأنفسهم في الحياة الآخرة. لكن ومع بالغ الأسف ونتيجة للتعاليم الخاطئة، فقد أقنعونا بالأشياء الصغيرة التي لاقيمة لها. ونتيجة لتلك القناعة والتعاليم الخاطئة، فانهم حرمونا من الإثنين، أي من الماديات والمعنويات، فأصبحنا طفيليين، الى درجة صرنا نأخذ تعاليم القرآن من الآخرين، أي أنْ يأتي غير المسلمين و ليفهمونا القرآن.

اما الأصل الثاني الذي يؤكد عليه القرآن الكريم، فهو أصل الإرتباط، سواء في مقام الهداية الكلية، أو في مقام الهداية الجزئية.

وأقصد بمبدأ الإرتباط ان القرآن لايصور ولايرسم الإنسان والمجتمع بصورة مجردة، كما وانه لايفصل حالة أو حالات من الإنسان والمجتمع عن بقية الحالات الأخرى، ليضع لكل حالة هداية خاصة، بل ان الإنسان أو المجتمع مجموعة مترابطة فيما بينها من جميع النواحي سواء المادية منها أو المعنوية. فإذا أردنا أنْ نضع برنامجاً لحياة الإنسان أو المجتمع، كان علينا ان ننظر الى جميع هذه النواحي مرتبطة مع بعضها في جميع الأحوال أي عندما يكون الإنسان في حالة عبادة عليه ان

لاينفصل عن السياسة، وكذلك اذا كان في حالة سياسة عليه ان لاينفصل عن العبادة، وعندما ننشغل في الإقتصاد علينا ان لانبتعد عن العبادة والأمور المعنوية، وأيضاً عندما ننشغل في العبادة يتحتم علينا ان لاننسى الجوانب المادية، وخلاصة القول يجب ان تؤخذ هذه المسائل بنظر الإعتبار ليتكامل الإنسان والمجتمع.

ولذلك فعند ما نرى القرآن الكريم يدعونا كثيراً للتخلي عن الحياة، يقول: **«وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...»** أي انه في الوقت الذي يدعونا للتفكير بالآخرة، ينصحنا بعدم تجاهل نصيبنا في الحياة.

وعند ما يدعونا الى صلاة الجمعة، يقول: **«يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون* فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله...»**.

أي يجب على الإنسان أن لا يتفرغ للعبادة فقط، بل عليه أنْ يبتغي من فضل ربه بعد الصلاة، وان لايبقى عاطلاً بل يقوم ببعض الأعمال.

وعندما يتطرق الى الحج، نرى انه يعطي الكعبة صفة القيام والحركية، حيث يقول: **«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»**.

ان مكة هي مركز لقيام الناس، ويجب على الناس ان ينتفضوا من هذا البيت، لأنه مركز انتفاضة الشعوب. ولكنه من جهة أُخرىٰ يقول: **«ان الصفا والمروة من شعائر الله»** فمن جهة يبيِّن الناحية الشعبية والعاطفية للحج، بقوله: **«ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً»** هذه هي الناحية الشعبية للحج، أي ان مكة هي بيت بناه الله للجميع، ومن جهة أُخرى عندما يبيِّن الناحية العبادية للحج، يقول: **«واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»** **«وليطوفوا بالبيت العتيق»** كما و يوصي القرآن بعدم نسيان الناحية الإقتصادية في الحج، إذْ يقول: **« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام»**.

وعند ما يتطرق القرآن الى الحرب، فانه يدعو الى التعبئة العلمية إضافة الى التعبئة العسكرية. وفي آية: **«انفروا خفافاً وثقالاً»** من سورة التوبة، يدور الحديث عن الحرب، وجاء في آية اخرى من نفس السورة: **«وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون»**.

ونفهم من آية **«انفروا خفافاً وثقالاً»** بأنَّ الله يدعو الى التعبئة

العسكرية... كما ونفهم من الآية الثانية أنَّ الله يدعو الى التعبئة العلمية، أي ان يتفقه الناس الى جانب خوضهم المعارك ، لأنَّ الإنسان لايعرف دين الله بشكل جيد إلاَّ في ساحة العمل والجهاد.

وفي الوقت الذي يدعونا القرآن الى الحرب، فانه يدعونا الى التقوى، حيث يقول: «**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاَّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**» أي يجب ان لايسبب العداء خروج المؤمنين من طريق العدل. و يقول أيضاً: «**يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظةً واعلموا ان الله مع المتقين**».

وأيضاً وفي الوقت الذي يدعو الى الحرب، فانه يطلب من الناس ان يقوموا بتأمين نفقات الحرب بأنفسهم، بعبارة أُخرى ان الناس يجب ان يعتبروا الحرب حربهم، لاحرب الحكومة. فالحرب في الإسلام لاتختص بالحكومة فقط، لأنها تحدد مصير شعب ما، ولذلك يقول: «**ولاينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم...**»

هذه الآيات الواردة في سورة التوبة حين تتحدث عن المحاربين تقول: «**التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين**» أي ان الحرب يجب ان لا تكون مجردة من التقوى والعمل الصالح والتوبة والعبادة والشكر والسياحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحراسة حدود الله. وأخيراً فان الحرب هي تعامل مع الله، حيث يقول القرآن الكريم: «**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة**».

وهـذا الإرتباط الذي أشرت اليه، لم استطع ان أُبيِّن دقته كما يفعل القرآن الكريم. ففي الحقيقة عند ما يراجع الإنسان القرآن، يرى أنَّ هذا الكتاب السماوي يهتم بجميع جوانب حياة الإنسان، وهذه معجزة.

وهناك في سورة الفتح آية اعتقد ان جميع شؤون الحياة موجودة فيها، كما واعتقد بانها أكبر معجزة للقرآن: «**محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعدالله الذين آمنوا وعملوا**

الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً».

في هذه الآية يدور الحديث عن خالق الخلق، وعن الواسطة بين الخالق والمخلوق، وعن القوة الدافعة والجاذبة، وعن قوم معينين وعن العبادة، وعن هدف وعلامة، وعن ارتباط تاريخ الصالحين، الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في الثورات والحركات، و يدور الحديث فيها أيضاً عن التدرج في التربية والثورة... الثورة التي تبدأ على شكل نبتة ثم تنمو شيئاً فشيئاً الى ان تكبر وتصبح شجرة وتتفرع منها الأغصان، بحيث تغيظ الأعداء وتسلبهم القدرة عن عمل أي شيء.

ان الآية تعلّمنا كيف يجب ان نبدأ التربية خطوة خطوة لكي نحتفل في النهاية بالنصر، ثم تعدنا بالأجر والمغفرة في الآخرة باعتبار ان الحياة الدنيا ليست هدفاً وذلك لكونها فانية، ولكنها لا تعد جميع الناس بل الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات.

طبيعي ان الموضوع الذي بحثت فيه كان مختصراً وغير منظم، وذلك لضيق الوقت.

وقبل ان اختتم حديثي، أود الإشارة الى جملتين عن شخصين غير مسلمين. فحين طُرِحَ على نهرو في أواخر عمره السؤال التالي: هل ان منظمة الأُمم المتحدة تستطيع ان تقوم بضمان حقوق الشعوب، وتمنع من الاعتداءات والمجازر؟ أجاب قائلاً: «باعتقادي ان الأنبياء هم وحدهم الذين يستطيعون القيام بذلك. ثم يُسألُ: انك لم تكن في شبابك لتهتم برسالة الأنبياء، وكانت لك تساؤلات عنهم؟ لكنه يجيب قائلاً: «في ذلك الوقت كنت شاباً، لكن تجربتي الثورية، ونشاطاتي السياسية والإجتماعية أوصلتني الى هذه المرحلة التي اعتقد فيها بأنَّ الذين يستطيعون ان ينجوا البشرية هم الذين لهم ارتباط بعالم الغيب، وتقبلهم الجموع بمثابة وسائط للغيب».

والجملة الأُخرى أنقلها عن أحد العلماء، فحين طُرِحَ عليه السؤال التالي: هل ان العلم يستطيع بتطوره المستمر ان ينقذ البشرية؟ أجاب: «انني اعتقد بأنَّ الشيء الذي يتمكن من انقاذ البشرية يتمثل بالعلم الذي يساعد الإنسان في التحكُّم بأهوائه، وان العلم الذي لايمكّن الإنسان من السيطرة على أهوائه والتحكم بها، هو بمثابة السيف الذي يسلَّم لغير صاحبه، أو لسارق ما».

وعلى أي حال يجب على أفراد البشر ان يصلوا الى المرحلة التي يجب ان

ينتخبوا فيها لأنفسهم طريقاً يمكّنهم من السيطرةعلى أهوائهم.

واذا استطاع الإنسان ان يتحكم على نفسه، فانه يستطيع ان يبني لنفسه حياة جيدة.

أيُّها الضيوف الأعِزَّةُ: إذا أردتم ان تعرفوا سرانتصار الثورة الإسلامية في ايران، فإنَّ السر يكمن في مايلي:

اننا انتخبنا الطريق الذي رسمه لنا القرآن الكريم، وانتفضنا بقيادة الإمام الخميني الحكيمة معتمدين على التعاليم السامية للقرآن الكريم. ففي وقت ما كان علماؤنا يهتمون بالجوانب العبادية للاسلام، تاركين الحياة للآخرين، أي انهم كانوا قد سلّموا الحياة الدنيا لقيصر، والآخرة للمسلمين. وبذلك حرمنا الامن الحياة الدنيا فقط بل ومن الآخرة أيضاً. لكن عندما استيقظ علماؤنا، و بدأوا يأخذون بنظر الإعتبار جميع جوانب الإسلام، انتقل شعبنا الى مرحلة الوعي، حيث بدأنا لانفصل بين الجهاد في سبيل الله والعبادة في المحراب، وربطنا بين صلاة الليل والجهاد في سبيل الله، وان شبابنا في الجبهات يقومون الى جانب محاربتهم العدو بأداء صلاة الليل، بل والسهر في الليل لمناجاة الخالق، انهم يضحون بدمائهم في سبيل الله وانقاذ المستضعفين.

ان رابطة علماء الدين المجاهدين في طهران لتفتخر بهذه الميزة وهي انها كانت تقوم بالهداية في يخط الثورة، فتدعو الناس الى الطريق الذي يدعو اليه الله والقرآن.

فاذا أرادت الشعوب الإسلامية ان تنقذ نفسها، عليها ان تسير في الطريق الذي بيَّنه لها القرآن وعترة الرسول الأكرم صلوات الله عليهم أجمعين... عليهم ان يسيروا في ذلك الطريق و يعملوا بالتزام كامل، والايتأخروا عن الجود بالمال والنفس، لأنَّ حياة الدنيا فانية، وان هذه الحياة لا تستحق أن يقوم الإنسان من أجلها بتجاهل جميع الحقائق ليعيش عدة سنوات أُخرى، ويخسر حياة الآخرة.

أسأل الله ان يعيننا نحن المسلمين، وكافة أحرار العالم، وكافة المستضعفين لتحقيق الوعي الكامل، و ينصر قواتنا الإسلامية على جبهة الكفر والظلم والإستكبار، ويوفقنا للتضحية والإيثار وتعلُّم معارف القرآن الحقيقية ■

مع التوحيد القرآني

حجة الاسلام والمسلمين محمد اليزدي
نائب رئيس مجلس الشورى الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى الدين:

الدين هو الشريعة والملّة الإلهية، يعتقد بأُصولها الإنسان، و يسلك سبيلها، فيأتي بفروعها العملية ليحقق الفلاح. قال تعالى:

«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

(٣٣/٩)

والدين هو الإنقياد والإطاعة لتلك الشريعة، وهذا هو الإسلام والتسليم لله تعالى ولأوامره ونواهيه فقط، قال تعالى:

«ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو مُحسنٌ واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً»

(١٢٥/٤)

وأمّا المذاهب والقوانين الإنسانية، فليست بدين، وإنْ كان فيها خير أحياناً قال تعالى:

«أفغيرَ دين الله يبغون وله أسلمَ من في السماوات والأرض طوعاً وكَرهاً واليه يُرجعون»

(٨٢/٣)

وحينئذ فان من ابتغى غير الإسلام ديناً واتبع غير طريق الحق سبيلاً،

سوف لن يطمئن باستقامته وايصاله الى الغرض النهائي من الخلقة والقصد النهائي، فقد خاب وخسر. قال تعالى:

«ومن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»

(٨٥/٣)

ومن المعلوم ان اتباع طريق الحق والخير وسلوك سبيل الله والانقياد له تعالى، أمر طبيعي فطري ينبثق من أعماق وجود الانسان بل كل موجود بمعنى من المعاني، قال تعالى:

«فأقم وجهك للدِّين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّمُ ولكنَّ أكثرَ الناس لايعلمون».

(٣٠/٣٠)

«ولا يغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذين كفروا في البلاد»

(١٩٦/٣)

وتسابق الناس في الكفر، وضلالتهم بظلمهم أنفسهم، وانحرافهم عن الدين والحق، فانَّ ذلك لن يضر الله شيئاً، قال تعالى:

«ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم»

(١٧٧/٣)

فعليك نفسك في اتباع الحق، وملازمة التقوى، ومرافقة أهله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس في طريق ارشاد الناس وهدايتهم باقتحام الصعاب وخوض المعارك ، لإعلاء كلمة التوحيد، واظهار دين الحق بسلاح قاطع وقوة قاهرة مادية ومعنوية. وأساس كل ذلك الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وقد ضمن الله تعالى نصرة من ينصره بقوله:

«إنْ تَنصروا الله يَنصركم و يثبِّت أقدامكم».

(٧/٤٧)

معنى الايمان:

والايمان: الأمن والاطمئنان في القلب مركز الحياة ومدارها، ولا يوجد إلا بالاتكال على الله تعالى مركز الوجود، وملجأ الخلقة، قيوم العالم، الخالق البارئ فقط، لابشيء من زخرف الدنيا وزينتها من الأموال والبنين. قال تعالى:

«الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

(٢٨/١٣)

والقلب المتوكل عليه: الخاشع له تعالى ــ واقعاً ــ هو المطيع له حقاً، ويتبعه بعمل الجوارح، فيعترف بالحق، و يقرّبلسانه، و يعمل بالأركان بمقتضاه.

وذكر الله تعالى هو المبدأ، يقارن ذكر يوم القيامة (المعاد)، ومعرفتهما للناس تتحصل بعد استخدام العقل بالرسالة المتوسطة بين الخلق والخالق باصطفاء منه تعالى للأخيار من عباده والوحي اليهم. والمفلحون هم الذين آمنوا بالله ورسله واليوم الآخر، كما جاء في آيات كثيرة. وتلك هي الأسس الأولية والأصول الأساسية للدين والأديان:

أولها واسّ أساسها؛ التوحيد، وحدانية الخالق والرّب.

والآيات حول طرح التوحيد أنواع:

النوع الاول: قال تعالى:

«انهم كانوا إذا قيلَ لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون»

(٣٥/٣٧)

«فاعلم انه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك..»

(١٩/٤٧)

«ومامن إله إلاّ الله وإنّ الله هو العزيز الحكيم»

(٦٢/٣)

«قل انما أنا منذروما من إله إلاّ الله الواحد القهار»

(٦٥/٣٨)

«لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم آعبدوا آلله مالكم من إله غيره»

(٥٩/٧)

النوع الثاني: قال تعالى:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم»

(١٦٣/٢)

«الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم. لا تأخذه سنة ولا نوم».

(٢٥٥/٢)

«قل هوربي لا إله إلاّ هو عليه توكلت واليه متاب»

(٣٠/١٣)

«الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى»

(٨/٢٠)

«انما إلٰهكم الله الذي لا إله إلاّ هو وسع كل شيء علماً»

(٩٨/٢٠)

«فتعالى الله الملك الحق لا إله إلاّ هُوَ رَبُّ العرش الكريم»

(١١٦/٢٣)

«الله لا إله إلاّ هو رب العرش العظيم»

(٢٦/٢٧)

«وهو الله لا إلٰه إلاّ هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون»

(٧٠/٢٨)

«هل من خالق غيرُ الله يرزقكم من السماء والارض لا إلٰه الا هو فأنّى تؤفكون»

(٣/٣٥)

«ذلكم الله ربكم له الملك لا إلٰه الا هو فأنّى تصرفون»

(٦/٣٩)

«الله لا إلٰه الا هو الحيّ القيوم»

(٢/٣)

«هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا إله الا هو العزيز الحكيم»

(٦/٣)

«شهد الله أنه لا إلٰه الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إلٰه إلاّ هو العزيز الحكيم»

(١٨/٣)

«الله لا إلٰه إلاّ هو ليجمعنّكُمْ الى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً»

(٨٧/٤)

«ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالقُ كلّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كل شيءٍ وكيل»

(١٠٢/٦)

«اتبع ما اوحي اليك من ربك لا إله إلاّ هو وأعرض عن المشركين»

(١٠٦/٦)

«الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحيي ويميت»

(١٥٨/٧)

«فإنْ تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»

(١٢٩/٩)

«فَإِلَّمْ يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وأن لا إله إلاّ هو فهل أنتم مسلمون»

(١٤/١١)

«غافر الذنبِ وقابل التَّوبِ شديد العقابِ ذي الطولِ لا إله إلاّ هو اليه المصير»

(٣/٤٠)

«ذلكم الله ربكم خالق كل شيءٍ لا إله إلاّ هو فأنى تؤفكون»

(٦٢/٤٠)

«هو الحي لا إله إلاّ هو فادعوه مخلصين له الدين»

(٦٥/٤٠)

«لا إله إلاّ هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأوّلين»

(٨/٤٤)

«هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام...»

(٢٣/٥٩)

«هو الله الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم»

(٢٢/٥٩)

«الله لا إله إلاّ هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون»

(١٣/٦٤)

«رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلاً»

(٩/٧٣)

وحيث ان الضمير في جميع الآيات راجع الى: الظاهر، الإله، إلهكم أو الله ــ كما في الأكثر ــ أو الرب أو ربي أو ربك أو ربكم أو رب المشارق والمغارب، إسماً أو وصفاً لله تعالى أيضاً فانّ آيات هذا النوع ترجع الى النوع الأول لا إله إلاّ الله كما هو ظاهر.

النوع الثالث: قال تعالى:

«ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا أنه لا إله إلاّ أنا فاتقون»

(٢/١٦)

«انني انا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري»

(١٤/٢٠)

«وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي اليه أنه لا إله إلاّ انا فاعبدون».

(٢٥/٢١)

وحيث أن الآيات الثلاث أيضاً تعبّر عن أمر واحد وهو ان الله تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده وهم رسله المصطفون الأخيار و يوحي اليهم فيما يوحي ان ينذروا الناس بانه لا إله إلاّ أنا وما من رسول إلاّ وقد أُوحي اليه ذلك كما أُوحي الى موسى حينما آنس ناراً وذهب ليقتبس فنوديَ إني انا ربك وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. والقائل عزّ من قائل هو الله تعالى، والرب، فانه ترجع هذه الآيات أيضاً الى النوع الأول، وتكون بمعنى لا إله إلاّ الله.

النوع الرابع: قال تعالى:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم»

(١٦٣/٢)

«وما من إله الا إله واحد»

(٧٣/٥)

«قل إنّما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون»

(١٩/٦)

«وَلِيَعْلَموا أنما هو إلٰه واحد وليذكر أولوا الألباب»
(٥٢/١٤)

«إلٰهكم إلٰه واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة»
(٢٢/١٦)

«وقال الله لا تتخذوا إلٰهين اثنين انما هو إلٰه واحد»
(٥١/١٦)

«قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما إلٰهكم إلٰه واحد...»
(١١٠/١٨)

«قل إنّما يوحى اليّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد فهل انتم مسلمون»
(١٠٨/٢١)

«فإلٰهكم إلٰه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين»
(٣٤/٢٢)

«إنّ إلٰهكم لواحد رب السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق»
(٥،٤/٣٧)

«قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلٰهكم إلٰه واحد فاستقيموا إليه»
(٦/٤١)

وهذه الآيات لم تتصدّ إلاّ لوصف شطر واحد من شطري الآيات السابقة بألسنتها الراجعة الى أمر واحد؛ النفي والاثبات. نفي كل إله ومعبود عن كونه بمستوى ذلك واستحقاقه، ثم اثبات الألوهية المعبودة بحق. وان الله تعالى أهل لذلك لاغير، انه المعبود الذي يأله اليه الإنسان و يتحير، فتصفه تلك الآيات بالوحدة وان إلٰهكم إله واحد[1] وسيأتي اجمال من الكلام فيه إن شاء الله.

الاستدلال على التوحيد:

النوع الخامس: قال تعالى:

«قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً».
(٤٢/١٧)

١ــ وقد ذكر الموصوف بنفسه أيضاً في قوله تعالى (انما الله إلٰه واحد ١٧١/٤).

«لو كان فيها آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون»

(٢٢/٢١)

«ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون»

(٩١/٢٣)

البرهان على التوحيد:

الآيات كما ترى، تتعهد البرهان على نفي إله آخر غيرالله تعالى، وانه يمتنع ان يكون معه إله بالذات، فإنَّ الإله هوالمعبود المستحق لذلك، والاستحقاق لايكون جزافاً بل بما أنعم على عباده، والإنعام لايمكن إلاَّ بعد الوجدان والقدرة، ولو كان لغيرالله تعالى أيضاً واجدية وقدرة في ذاته[1] و بذاته لذاته لابتغى بقدرته تلك الى القادر المتعال مبدأ الخيرذي العرش سبيلاً، ولتغلّب عليه ليكون هوالله القادر المعطي المستحق للعبادة، وحينئذ يرد عليه الآخر ذو العرش والقدرة بقدرته الذاتية، فيتكافحان و يتصارعان، وحينئذ تفسد الأرض والسماء من خلال ذلك، أو يعلو بعضهم على بعض في النهاية، فتنحصر القدرة الذاتية بالعالي الذي ليس فوقه عال،وكل عال يعلوه عالى والله الكبير المتعال، وآخر الفروض انه لذهب كل إله بما خلق فهذا يذهب بحصته والآخر بحصته أيضاً، فهما محدودان لايقدر كل منهما على النفوذ في منطقة الآخر ومخلوقه، فالكل منهما ضعيف محكوم بدائرته المحدودة، لا يمكنه ان يتجاوزها، ولا يستحق أكثر منها ومع هذه الحالة لايستحقان أنْ يحمدا أو يعبدا، بل يكون من حددهما وتسلط عليهما بجعلهما كذلك، هو القادر عليهما وعلى كل شيء، الخالق المتعال المستحق للحمد والعبادة، وعليه فيمتنع ان يكون معه إله آخر امتناعاً ذاتياً، و يطلق على ذلك في الإصطلاح؛ برهان التمانع. فالحق الواقع انه لا إله إلاَّ هو «ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به» (١١٧/٢٣)

وهذه هي الوحدة الحقة الحقيقية التي هي ليست عددية في المفاهيم ولا هندسية في حدود المعدودات، بل الله واحد، وحقيقته الوحدة، ووحدة حقيقتها الواحد، فإنَّه ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار العزيز المتعال.

١ــ حتى يصح اطلاق الموجود عمله بلاواسطة عروضاً وثبوتاً.

شبهة ابن كمونة:

واما ما اشتهر باسم ابن كمونة من فرض تعددهم من غير تضارب، لتفسد الأرض والسماء، ولا تغالب حتى يعلو بعضهم على بعض، ولا تصالح ليذهب كل رب بما خلق. وفرض الإمتياز بالذات وفي الذات، فقد اجيب في محله بتفصيل اجماله ان التعدد لاينفك عن التميز وما يمتاز به كل من الآخر، اما عين وجه اشتراكهما أوغيره فعلى الأول لا تعدد، بل هناك مراتب وأعلى المراتب التي لا تعلوها مرتبة هوالحق الواحد، وعلى المثال الثاني التعدد في ذات كل منهم، وحينئذ جهة الاشتراك العينية الخارجية الذهنية الفكرية حقيقة واحدة[1] هي الغالبة عليهما معاً، وهي فوقهما، والأ حق منهما وجهة الإمتياز مغلوبة محكومة في الجميع والغالب هوالحق الواحد القهار ولا إله إلاّ الله.

هذا كله بحسب الذات إجمالاً. اما صفاته تعالى، فقد أشار اليها الكتاب الكريم، والذاتية منها راجعة الى الحقيقة الواحدة التي هي ليست إلاّ الذات من الحياة والقدرة والعلم والإرادة والتعدد حسب المتعلق المراد والمعلوم، وهكذا أو الفعلية من الخلقة والربوبية وغيرها ونشير اليها في فصول:

الفصل الأول:

في علمه تعالى وان الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وآيات الفصل على أنواع:

النوع الاول (في علم الله تعالى)

قال تعالى:

«ان الله لايخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء».

(٥/٣)

«وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا

١ــ وبعبارة المصطلح الغني لايمكن انتزاع مفهوم واحد بما هو واحد عن المتعدد بما هو متعدد.

أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين»

(٦١/١٠)

«إنّما إلٰهكم الله الذي لا إله إلاّ هو وسع كل شيء علماً»

(٩٨/٢٠)

«الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير»

(٧٠/٢٢)

«عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون»

(٩٢/٢٣)

«قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والارض»

(٦/٢٥)

«قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات والأرض»

(٥٢/٢٩)

«يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها»

(٢/٣٤)

«عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر[1] من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين»[2]

(٣/٣٤)

«ان الله عالم غيب السماوات والأرض انه عليم بذات الصدور»

(٣٨/٣٥)

«قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم»

(١٦/٤٩)

١ــ وبعين ذلك آخر آية من سورة الحديد (٥٧).

٢ــ الاصغر من ذرة كتلة الالكترونات والبروتونات والنترونات التي تتركب منها الذرة والاكبر منها الجزئيات المركبة منها.

«ان الله يعلم غيب السماوات والارض والله بصير بما تعلمون»

(١٨/٤٩)

«ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم»

(٧/٥٨)

«يعلم ما في السماوات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور»

(٤/٦٤)

«عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم»

(١٨/٦٤)

والوصف بانه تعالى عالم الغيب والشهادة، نراه في كثير من الآيات، لايسع المجال عدّها.

«... وان الله قد أحاط بكل شيء علماً»

(١٢/٦٥)

وفي نهاية كثير من الآيات نجد قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم، مثل آخر آية (٧٥) من سورة الأنفال و (٨) و (١١٥) من سورة التوبة وغيرهما.

وهذا النوع كما ترى، بصدد بيان شمول علمه تعالى لكل شيء في السماوات أو في الارض، من الغيب او الشهادة المستور والمكشوف، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا يخفى عليه شيء ولو كان أصغر منها.

النوع الثاني:

قال تعالى:

«واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم»

(٢٣٥/٢)

«اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»

(٧٧/٢)

«قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله و يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير»

(٢٩/٣)

«... ان الله عليم بذات الصدور»

(١١٩/٣)

«...والله عليم بذات الصدور»

(١٥٤/٣) و (٤/٦٤)

«... انه عليم بذات الصدور»

(٤٣/٨) و (٣٨/٣٥)

«وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون»

(٣/٦)

«ما على الرسول إلاّ البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون»

(٩٩/٥)

«لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لايحب المستكبرين»

(٢٣/١٦)

«وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى»

(٧/٢٠)

«... و يعلم ما تخفون وما تعلنون»

(٢٥/٢٧)

«وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون»

(٧٤/٢٧)

«وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون»

(٦٩/٢٨)

«يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»

(١٩/٤٠)

«ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد».

(١٦/٥٠)

«... وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم»

(١/٦٠)

«يعلم ما في السماوات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور»

(٤/٦٤)

«وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»

(١٤،١٣/٦٧)

وهذا النوع كما ترى بصدد بيان نفوذ علمه تعالى الى مكنون نفوس الناس، وانه لا يخفى عليه ما يسترون، بل واخفى من ذلك مما لا يظهرونه بوجه و يتسترون عليه في نفوسهم، فكيف بما يعلنون و يعملونه جهاراً الا يعلم من خلق مخلوقه ومن أعطى وأفاض عليه عنايته وفيضه؟ وهو اللطيف النافذ بلطفه الى سائر انحاء الوجود والحياة من غير استثناء، الخبير العليم بكل شيء من غير انتزاع نفس وصورة. وعلمه تعالى حضوري يحضر لديه نفس العلوم، لا حصولي ليلزم المحاذير من تغير وتحول فيه بصور ونقوش، وليس هذا مقام الكلام فيه.

النوع الثالث:

قال تعالى:

«... والله بما تعملون خبير»

(٢٣٤/٢)

«... ان الله بما تعملون بصير»

(٢٣٧/٢)

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإنّ الله به عليم»

(٩٢/٣)

«... وما الله بغافل عما تعملون»

(٩٩/٣)

«... والله بما تعملون خبير»

(١٨٠/٣)

«والله خبير بما تعملون»

(١٥٣/٣)

«... وكان الله عليما حكيماً»

(١٠٤/٤)

«... وكان الله بما يعملون محيطاً»

(١٠٨/٤)

«وهو الذي يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار..»

(٦٠/٦)

«ولكلٍّ درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون»

(١٣٢/٦)

«... وأن الله لسميع عليم»

(٤٣/٨)

«وما تكون في شأن وماتتلوامنه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كُنّا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين»[1]

(٦١/١٠)

«... يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور»

(٥/١١)

«وما من دابة في الأرض، إلاّ على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين»

(٦/١١)

«الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيءٍ عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار»

(١٠،٩،٨/١٣)

١ــ وانما ذكرناه في هذا النوع ايضا بعد ما جعلناه من آيات النوع الاول بلحاظ صورها الناظر الى شمول علمه تعالى للجزئيات ايضا كما سيأتي الكلام فيه إن شاءالله.

«يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً»

(١١٠/٢٠)

«.. قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم»

(٤/٢١)

«يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الأُمور»

(٧٦/٢٢)

«الا ان لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه و يوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم»

(٦٤/٢٤)

«... والله يعلم ما تصنعون»

(٤٥/٢٩)

«ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم»

(٤٢/٢٩)

«والله بما تعملون خبير»

(١٠/٥٧)

«قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير»

(١/٥٨)

«... والله على كل شيءٍ شهيد»

(٦/٥٨) و (٩/٨٥)

«ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه...»

(٢٠/٧٣)

واضف الى هذا النوع، آيات شهادة الله تعالى وانه على كل شيءٍ شهيد، وهي كثيرة.

ومدار آيات هذا النوع، بيان شمول علمه تعالى للجزئيات من أقوال الإنسان وأفعاله، مستخفياً بالليل كان، أو سارباً بالنهار، وكذلك تصرفاته فيما يحيطه من صنائعه وما يترتب عليها قهراً من بين أيديهم ومن خلفهم، وحتى ما تحمل كل أُنثى (ولعله يعم الإنسان) زماناً ومكاناً وكيفيته ذكراً وأُنثى، وما تغيضه

وتبلغه فتفسده الأرحام كذلك، وما تقبله وتربيه وتزداد في مراحل تكامل الجنين على القواعد والنواميس الإلهية، وكل شيء عنده بمقدار، وهو تعالى شهيد على كل ذلك، يعلمه و يراه، ولا تدركه الأبصار، فكيف بالكليات الثابتات من تلك القواعد والمقادير؟

ولا ينافي تغيُّر الجزئيات وعدم ثباتها ان تقع مورداً للعلم الإلهي، فإنَّ علمه تعالى بكل معلوم حضوري بنحو أبسط من غير حدود، وكل مرتبة من الوجود محاط ومتقوم بأصل الوجود القائم بنفسه، الواجد لكل كمال، بل نفس كل كمال الحي القيوم، فلا يمكن ان يعزب عن علمه مثقال ذرة، أو يغيب عن محضره شيء أصلاً كما فصل في محله.

النوع الرابع:

قال تعالى:

«... يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض...»

(٢٥٠/٢)

«وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاَّ هو و يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاَّ في كتاب مبين»

(٥٩/٦)

«قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض»

(٢٦/١٨)

«قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون»

(٦٥/٢٧)

«ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير»

(٣٤/٣١)

«اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من أنثى ولا

تضع الا بعلمه»

(٤٧/٤١)

«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلاّ من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً»

(٢٧،٢٦/٧٢)

«و يقولون لولا انزل عليه آية من ربه، فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين..»

(٢٠/١٠)

«ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون»

(١٢٣/١١)

«ولله غيب السماوات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيء قدير»

(٧٧/١٦)

وغيرها...

وتركّز آيات هذا النوع على توضيح اختصاص علم الغيب بالله، وانه تعالى يعلم كل ما هو غائب غير مرئي مستتر غير مكشوف، سواء كان بحسب الزمان مما لم يأت أو مضى:

«ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير»

(٢٨/٣١)

أو كان مغيباً عن أعين الناس مما في السماوات والأرض أو في أنفسهم، فانه تعالى عالم الغيب والشهادة.

«وما من غائبة في السماء والأرض إلاّ في كتاب مبين»

(٧٥/٢٧)

والناس لا يحيطون بشيء من علمه، ولا يمكن لهم نيل المعلوم بحده وكما هو.

ثم ان بعضها يشير الى مصاديق خاصة من أخفى الخفيات ليكون شمول علمه تعالى لها واختصاص الغيب له أبين مثل أمر الساعة والقيامة، وما في

الأرحام وما تكسب نفس غداً. وانها بأي أرض تموت، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وغيرها مما لايتمكن الإنسان من العلم به والإحاطة بكنهه، وان علم بشيء يسير منه، **وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**. كما تشير الى الفرق الجوهري الحقيقي بين علم الله تعالى بكل شيء مع ما أُوتي الإنسان من علم قليل بعد ذاتية الأول وغيريّة الثاني. ان نفس المعلوم حاضر لدى الباري تعالى، غير غائب عنه، لايعزب عن علمه مثقال ذرة، واما الإنسان فهو نقش وصورة، وهو المعلوم له أولاً بالذات دون المعلوم من غير احاطة، وذلك مقتضى تعبير الآية الكريمة «**ولا يحيطون بشيء من علمه**» و قوله تعالى «**وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**». فإنَّ الذي حصلوا عليه هو مجرد صورة من دون احاطة ونيل لنفس الحقيقة، فإنَّ المؤتى صورة كما عرفت من دون احاطة ونيل، وتمام الكلام في محله.

ثم ان الآيات، صرَّحت بأمر آخر هو امكان علم الغيب لغير الله تعالى مع اختصاصه به باعطائه له و عنايته به بما شاء ولمن شاء وارتضى من رسول. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن يحذو حذوه يعلم الغيب بما شاءالله واعطاه لابنفسه وذلك مقتضى الاستثناءَين: إلاّ بما شاء، وإلاّ من ارتضى من رسول.

في قدرته تعالى:

الفصل الثاني في قدرته تعالى، وانه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء، ولا يفعل ما يشاء غيره. ومن المعلوم انه لايصح وصف غيره تعالى بالقدرة على الاطلاق، فإنَّه تعالى هو من السماوات مطويات بيمينه والأرض قبضته[1] وغيره لايقدر على شيء إلاّ بقدرته وهو ممكن محدود. والظاهر انها وصف ثبوتي له تعالى وعين ذاته، من غير رجوع الى نفي العجز ليكون سلبياً كما عن المفردات. ولو كان ذلك من جهة ملازمة التوصيف التعدد، لكان عليه ارجاع العلم أيضاً الى عدم الجهل. والتعدد من ناحية المقدور والمعلوم والمراد، لافي مرتبة الذات كما ذكرناه من قبل.

وكيف كان، فآيات الفصل قسمان؛ الاول ما تعطي اطلاق قدرته تعالى وشمولها.

١ــ مقتبس من قوله تعالى: (.. والارض جميعاً قبضته يوم القيامة).
(والسماوات مطويات بيمينه...) (٦٧/٣٩).

قال تعالى:

«ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير»

(١٠٦/٢)

«... ان الله على كل شيء قدير»

(١٤٨،٢٠/٢)

«... ولكن الله يفعل ما يريد»

(٢٥٣/٢)

«... والله على كل شيء قدير»

(٢٨٤/٢) و (٤١/٨)

«... كذلك الله يفعل ما يشاء»

(٤٠/٣)

«... فهو على كل شيء قدير»

(١٧/٦)

«... وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير»

(١٨/٦)

«... وهو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة...»

(٦١/٦)

«... فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب»

(٥٢/٨)

«... و يفعل الله ما يشاء...»

(٢٧/١٤)

«انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون»

(٤٥/١٨)

«... وكان الله على كل شيء مقتدراً»

(٤٥/١٧)

«كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر»

(٤٢/٥٤)

«ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»

(٥٤/ ٥٤، ٥٥)

«لايسئل عما يفعل وهم يسئلون»

(٢٣/٢١)

«... ان الله يفعل ما يريد»

(١٤/٢٢)

«... ان الله يفعل ما يشاء»

(١٨/٢٢)

القسم الثاني ما تعطي نفوذ قدرته تعالى في اشياء خاصة لعظم أمرها وخطرها سيما الأُمور التي لايقدر عليها الغير حتى بالغير. قال تعالى:

«وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكنَّ أكثرهم لايعلمون»

(٣٧/٦)

«والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم»

(٣٩/٦)

«قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً و يذيق بعضكم بأس بعض»

(٦٥/٦)

«اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم»

(٥٦/١١)

«... واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال. هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال».

(١١/١٣ــ١٣)

«أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلُق مثلهم

وجعل لهم أجلاً لاريب فيه فأبى الظالمون إلاّ كُفوراً».

(٩٩/١٧)

«وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون»

(١٨/٢٣)

«وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون»

(٩٥/٢٣)

«أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلُق مثلَهم بلى وهو الخلاّق العليم»

(٨١/٣٦)

«اولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيءٍ قدير»

(٣٣/٤٦)

«فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين»

(٤٠/٧٠ــ٤١)

«كلا انه تذكرة، فمن شاء ذكره، وما يذكرون الا ان يشاءالله...»

(٥٦/٥٤/٧٤)

«بلىٰ قادرين على ان نسوي بنانه»

(٤/٧٥)

«أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى»

(٤٠/٧٥)

«...انه على رجعه لقادر»

(٨/٨٦)

وواضح من ظواهر الآيات بقسميها ان قدرته تعالى ومشيئة وارادته سارية في كل شيءٍ وكل أمرٍ وكل مقدور و مراد، ولا يمكن ان يعزب عنها مثقال ذرة من شيءٍ، فان كل ممكن فقير وجوده و حياته وارادته و كل شأن منه الى الغني العزيز الحكيم. وهو تعالى بغناه المطلق يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عما يفعل، فكما يقدر على خلق السماوات والأرض وانشاء السحاب الثقال

وارسال الصواعق ليصيب بها من يشاء وانزال الماء من السماء بقدر واسكانه في الارض بقدر واحيائه به بقدر، كذلك يقدر على محو كل منها بطي السماوات والارض ومنع السحاب والماء وغيرها.. وكما يقدر على خلق بني الإنسان واعطائهم النعم والخيرات وهناءة العيشة وكرامتها، كذلك يقدر على ان يبعث عليهم عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم، بأنْ يجعلهم شيعاً، يتفرقون، و يتضاربون، و يتحاربون، فيذيق بعضهم بأس بعض، فتنسلخ عنهم الحياة وكرامتها. وكما يقدر على خلق الإنسان، يقدر على ارجاعه بعد الموت، واحياء الموتى، بل على ان يسوي بنانه بما فيها من خطوط متعرجة تختلف لدى أي فرد وعن الفرد الآخر. وكما يقدر على ارشاد الناس وتذكيرهم وهدايتهم وجعلهم على صراط مستقيم باعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب و... كذلك يقدر على اضلالهم وتركهم صُمّاً بُكْماً في الظلمات، لا يرون شيئاً، فهو على كل شيء قدير.

و ينبغي ان لا يقود هذا الى توهم الجبر حتى في الأعمال الإختيارية للإنسان، فإنَّ قدرته تعالى تتجلّى في خلق الإنسان مختاراً اجالا، ليتمكن من الوصول الى أعلى عليين، وظهوره في مرحلة اللا تناهي، ثم ارشاده وتأييده بإلهام النفس واعلام الفطرة، وتقويته ببرهان العقل، وتحصينه بمسألة النبوة والكتاب الملازم من حيث الوجود لعصيان كثير منهم وضلالتهم باتباعهم الهوى واتخاذهم اياه إلٰهاً وخسرانهم بظلمهم انفسهم. وكلا الطرفين في مجموع النظم والانتفاع من الخلقة ونواميسها لايكون بمعنى اجبارهم في كل واحدة منها وعلى الاجمال، وليس هنا مقام التفصيل: المعلول كما يصح انتسابه الى آخر جزءمن العلة المركبة يصح انتسابه الى المبدأ الأول، وحيث ان الاختيار واقع في الطريق الى جنب مسألة الارشاد والهداية التشريعية، فما وقع تكويناً منه على سبيل الخير والحق الأنسب انتسابه اليه تعالى الخالق البارئ الهادي، وما وقع بسوء الاختيار إنحرافاً عن السبيل وضلالة عنه فالأنسب انتسابه الى نفسه التي اختارت العمى على البصر والضلالة على الهدى. والكل في نظام الكون غير خارج عنه و عن قوانينه، قال تعالى:

«...وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه

من عندك قل كل من عندالله... ما اصابكمن حسنة فمن الله وما اصابكمن سيئة فمن نفسك»

(٧٩/٧٨/٤)

والتفصيل راجع الى محله.

ومن ذلك القدرة بمعنى الذي عرفت مالكيته تعالى ملكاً حقيقياً لكلّ شيء ولكل أمر، فإنَّ المقدور مملوك للقادر وفي يده كما ترى في الفصل الآتي.

فى ملكية الله تعالى:

الفصل الثالث ان له تعالى ما في السماوات والأرض وجوداً بقاء ملكية.

ليس المملوك إلاَّ نفس الملكية والتعلق والربط ملكاً عينياً لااعتبارياً جعلياً، فهو تعالى مالك الملك، يعطي الملك من يشاء و آيات الفصل أيضاً قسمان؛ الاول ما تعطي ملكيته المطلقة مطلقاً، قال تعالى:

«مالك يوم الدين»

(٤/١)

«ألم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض ومالكم من دون الله من ولي ولانصير».

(١٠٧/٢)

«لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاءُ والله على كل شيء قدير».

(٢٨٤/٢)

«ولله ما في السماوات وما في الارض والى الله ترجع الأمور».

(١٠٩/٣)

«ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء».

(١٢٩/٣)

«...قل إن الأمر كله لله»

(١٥٤/٣)

«ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيءٍ قدير»

(١٨٩/٣)

«ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطاً».

(١٢٦/٤)

«... فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً»

(١٣١/٤)

«... فإنَّ لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً»

(١٧٠/٤)

«... ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير»

(١٨/٥)

«لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير»

(١٢٠/٥)

«...ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»

(٥٤/٧)

«ان الله له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير»

(١١٦/٩)

«ألا ان لله مـا في السماوات والأرض...»

(٥٥/١٠)

«ألا ان لله مـن في السماوات ومن في الأرض...»

(٦٦/١٠)

«الله الذي له ما في السموات وما في الأرض..»

(٢/١٤)

«ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة..»

(٤٩/١٦)

«وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا..»

(٥٢/١٦)

«له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»

(٦/٢٠)

«وله من في السماوات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته»

(١٩/٢١)

«له ما في السماوات وما في الأرض وان الله لهو الغني الحميد»

(٦٤/٢٢)

«ولله ملك السماوات والأرض والى الله المصير»

(٤٢/٢٤)

«ألا ان لله ما في السماوات والأرض..»

(٦٤/٢٤)

«الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك..»

(٢/٢٥)

«وله من في السماوات والأرض كل له قانتون..»

(٢٦/٣٠)

«لله ما في السماوات والارض ان الله هو الغني الحميد، ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله..»

(٢٦/٣١ــ٢٧)

«قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أرادبكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً»

(١٧/٣٣)

«الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة..»

(١/٣٤)

«قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والارض ثم اليه ترجعون»

(٤٤/٣٩)

«له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون.»

(٦٣/٣٩)

«وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات

مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون».

(٦٧/٣٩)

«له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم»

(٤/٤٢)

«صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض الا الى الله تصير الأمور»

(٥٣/٤٢)

«وتبارك الذي له ملك السماوات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون»

(٨٥/٤٣)

«ولله ملك السماوات والارض و يوم تقوم الساعة يومئذ يَخْسَرُ المبطلون».

(٢٧/٤٥)

«وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم»

(٣٧/٤٥)

«... ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً»

(٤/٤٨)

«و لله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً»

(٧/٤٨)

«فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى».

(٢٦ــ٢٥/٥٣)

«وله الجوارِ المنشآتُ في البحر كالأعلام»

(٢٤/٥٥)

«... ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون»

(٧/٦٣)

«الذي له ملك السماوات والارض والله على كل شيءٍ شهيد»

(٩/٨٥)

ومحصل تلك الآيات بلسانها المطلق ان الله تعالى مالك السماوات وما فيها

ومن فيها[1]، مالك الأرض وما فيها ومن فيها و ماتحت الثرى، فله خزائنها وثرواتها، ولا يوجد شيء منها أوفيها إلاّ من عنده تعالى و بإرادته وقدرته و بيده مقاليدها التي تحيط بها أو مفاتيحها التي تفتح بها مساربها وتجري بها المجاري، فله جنود السماوات والأرض. من كل عامل يعملها أو يعمل فيها بأي نحو، وله الكبرياء والعظمة وليس من دونه ولي أو نصير أو شفيع، وكل شيء له في الآخرة والأولى والأرض قبضته والسماوات مطويات بيمينه.

ومن المعلوم ان الملكية المطلقة الشاملة لكل شيء بحيث لايوجد شيء يخرج عن حيزها، لايعقل ان تكون اعتبارية أو انتزاعية تدور مدار اعتبار المعتبر أو الملاك المنتزع عنه، بل الملكية الحقيقية العينية التي تكون بيد المالك ارادته أصل تحصل المملوك ووجوده وتمام شؤونه ببسطته وقبضته والى الله المصير. وأين هذا من ذاك كما هو ظاهر لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.

القسم الثاني، ما يفيد ان ذلك المالك القادر القاهر بمقتضى اطلاق ملكه وسعة ارادته وشمول قدرته يعطي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء، قال تعالى:

«والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم»

(٢٤٧/٢)

«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب»

(٢٦/٣ــ٢٧)

«وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير»

(١٧/٦ــ١٨)

«قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به...»

(٤٦/٦)

١ــ وتلك الآيات تشير الى ان في السماوات أيضاً من ذوي العقول والعلم غير الملائكة التي صرحت بوجودهم آية سورة النحل (١٦ــ٤٩) و يؤيد المحتمل قوله تعالى ومن عنده في سورة الانبياء (٢١ــ٣٠)

«لله ملك السماوات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير»

(٤٢/٤٩ــ٥٠)

«ولله ملك السماوات والارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً»

(٤٨/١٤)

«ولله ما في السماوات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»

(٥٣/٣١)

«ان بطش ربك لشديد، انه هو يبدئ و يعيد»

(٥٨/١٢ــ١٣)

والملكية التي يعطيها الله تعالى من يشاء من عباده، لابُدَّ وان تكون من سنخ ما كان له من الملكية الحقيقية دون الإعتبارية المجعولة، إلاَّ بما لها من التكوين أي القدرة الخلاَّقة الفعّالة التي يقدر بها العبد على شيء بالغير وتملكه بتمليك مالك الملوك اياه، فيقول:

«اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكونُ طيراً بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص واحيي الموتى بإذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم».

(٣/٤٩)

فإن التصرف في عمق الخلقة بإعطاء الحياة وأخذها بالإشارة والإرادة أو الإخبار عن الغيب المستور عن غير المجاري الطبيعية، لايمكن لإنسان مخلوق مراد إلاَّ بالغير و بإذن الله تعالى. وعلى هذا الغرار مراتبها الخفيفة من القدرات النفسية التي يعطيها الله تعالى عباده الصالحين المصطفين الأخيار الى مسألة المال والولد أُناثاً وذكوراً في الدنيا والعذاب أو الغفران في الآخرة.

وظاهر كلمة «مَنْ» في الآيات ان الذي يعطيه الله تعالى ملكه هو الإنسان ذوالعقل والأكثر ما يصدق عليه الكلمة من العقول العالية القوى والأنوار القاهرة والنفوس المتعالية، لامطلق العوامل والجنود التي تكون في السماوات والأرض، وإنْ كان الأمر كذلك بمعنىً فان الله تعالى هو الذي خلق كل شيء فهدى

باعطائه الموجود وجعله سائراً في سبيل خيره وكماله ليعمل و يتكامل في مجال مخطط له. وهذه القدرة والعمل تسلط وملك قد آتانا منهما الله تعالى بملكه وقدرته، لكنها غير مرادة من تلك الآيات ظاهراً وأشيرَ اليها في آيات القسم الأول كما عرفت.

وحاصل القسمين ان الإنسان بعد ان يرى العالم بكل انحائه من السماوات والأرض وما بينهما ومن فيهما في قبضة ارادة الله تعالى وملكوت قدرته يؤمن و يعترف بأنَّ ما يجده في نفسه من قدرة وارادة واختيار وامكان التصرف فيما يحيطه من الطبيعة واستخدامها في جهة مطلوبة ومشيئته أيضاً من الله تعالى أعطاه اياه الى علم وهداية ومال وولد وهو تعالى يعطي من يشاء من عباده و ينزع ممن يشاء..

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان يمسسنا ضر فلا كاشف له إلا هووان يمسسنا خير فقد اعطاه الذي هو على كل شيء قدير.

اللهم اهدنا لما تحب واغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار... ■

السنن الإلهية الحاكمة
في الانسان والعالم

آية الله الخزعلي

بسم الله الرحمن الرحيم

القوانين هي ضوابط كلية وعامة، تحكم موضوعاتها في كل مكان ومع أي تغيير بشرط بقاء قيود الموضوع وخصوصياته. وان الإنضباط القانوني للعالم وان كل ظاهرة صغيرة أو كبيرة، خلقت وفق ضوابط وبمقاديرخاصة، وهديت الى مسيرة معينة، إنَّ ذلك كله يعد من المسلمات القرآنية والتي تستفاد بكل وضوح بعد ان دلَّت عليها آيات متعددة.

هذه القوانين منها ما يحكم كل العالم وضمنه الإنسان (طبعاً بغض أبعاد الانسان) وأُخرى تحكم الإنسان في الأُمور الاجتماعية، و بينها تفاوت رغم انهمامعاً يتمتعان بخصوصية القانون وهي العمومية والإستيعاب.

ان القوانين الحاكمة على العالم، تستمد عناصرها من الماضي وتلحظ سر ضعفها وقوتها من الماضي، اما القواعد الحاكمة على الإنسان فهي تثرى على ضوء المستقبل وترتبط قوتها وضعفها بالمستقبل.

ان تصور المستقبل له دوره المهم في روح الإنسان ــ وهو بحسب الفطرة ينزع الى هدف سام ــ انه يمنحه الحرارة، ويهيجه، و يدعوه للتفكير والعزم والسعي، وهذه هي التي تدفعه للعمل، وسوف يبدو هذا في مطاوي البحث.

(١) ان القرآن يعبِّر ــ غالباً ــ عن القوانين الحاكمة على العالم بكلمات (التقدير، القدر، المقدار) كما يعبِّر ــ على الأكثر ــ عن الضوابط الحاكمة على الإنسان: بالسُّنَّة والسُّنن، فلنقرأ معاً:

«إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر»

(القمر/٤٩)

«وكل شيءٍ عنده بمقدار»

(الرعد/٨)

«وإن من شيءٍ الا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم».

(الحجر/٢١)

«فقدرنا فنعم القادرون».

(المراسلات/٢٣)

«الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان»

(الرحمن/٥ــ٦)

«والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم»

(يس /٣٨)

(٢)ــ وقد نظمت هذه المقادير والقوانين باتقان خاص و بانسجام دقيق وجيد بحيث قيل لخالقها (أحسن الخالقين) وكانت له الكبرياء والعظمة.

وقد دعي الناس في هذا الصدد ليركّزوا و يدقّقوا فهل يستطيعون ان يجدوا هناك من خلل أو فطور، إلا انه يجب ان يعلموا قبل قيامهم بذلك انهم لن يحصلوا من سفرهم إلا التعب والخسران.

«صنع الله الذي اتقن كل شيء»

(النمل/٨٨)

«الذي احسن كل شيء خلقه»

(السجدة/٧)

«ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير».

(الملك /٣ــ٤)

(٣)ــ ان هذه القوانين تقود الموجودات نحو الكمال، مما يؤدي لأن تتوضح وتتجلى ــ من خلال المسيرة ــ ما في أعماقهم من طاقات كامنة.

«والسماء بنيناها بأيدٍ وانّا لموسعون»

(الذاريات/٤٧)

«فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين»

(الجاثية/٣٦)

يقول فقيه الله احمد بن فارس بن زكريا المعاصر الجوهري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) في كتابه التحقيقي القيّم (مقاييس اللغة) وهو يعطي بحق مقاييس اللغة، يقول ما معناه: **المصلح للشيء يقال رب فلان صنيعته اذا قام على اصلاحها والله جل شأنه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه.**

والواقع انه ليس من الصدفة ان يأتي بعد لفظ الجلالة (الله) ؛ التعبير بهذه الكلمة عنه تعالى أكثر من غيرها، فقد ذكرت ٩٦٢ مرة:

«ربنا الذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثم هدى»

(طه/٥٠)

والهداية لماذا؟ انها لتنمية الطاقات والدفع للسير في سبيل الكمال في المدة المقررة.

اننا من خلال هذه الثقافة نستلهم كوننا وكل الموجودات سائرين باتجاه الكمال تحت بإشراف مصلح سام:

«قائم على كل نفس بما كسبت»

(الرعد/٣٣)

«انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه»

(الانشقاق/٦)

ان الانسان يكدح باتجاهه تعالى وهو متعهد له بالهدى «ان علينا للهدى»

خلاصة البحث في القوانين الحاكمة على العالم:

(١)ــ ان القوانين تستوعب كل شيءٍ، وكل فرد، ولا يخرج عن دائرتها شيء.

(٢)ــ ان القوانين هي أقصى مراتب الإتقان والإنسجام، فلا يمكن ان يوجّه اليها اعتراض.

(٣)ــ ان كل الموجودات ــ من خلال هذه القوانين ــ تسير نحو التفتح، وكلها تطلب كمالها المنشود.

ان القوانين المذكورة تحكم كل شيء في قبالها إلا التسليم الكامل.

السُّنن الحاكمة على الإنسان:

ولكنَّ الأمر ليس كذلك في مجال السُّنن الحاكمة على الإنسان، فلا تطرح هنا مسألة التسليم المطلق للقوانين المعدة من قبل، وإنَّما الحديث بشكل آخر.

ان الحديث هنا عن الإنسان المتعمق في ذاته الباحث في ارجائها، الإنسان الواعي، الواعي لذاته، العالم بحاله، العالم بعمله.

اين هذا من الموجودات الأُخرى حتى ولو كانت آثارها تتحقق بدقة متناهية محيرة، وثمرات وجودها تعرض في ميدان الوجود بشكل أروع وأكثر دِقَّةً. ولكن اين الوعي بالذات؟ والوقوف على أحوال القلب؟ واين معرفة أفعاله؟ انه الإنسان الذي خلق بهذه الخصوصيات... خُلِقَ بخاصية التعالي نحو الهدف السامي والإبداع والإبتكار. ان هذا هو الذي يفصله عن الماضي، و يشده الى المستقبل، و ينقذه من الحالة الطفيلية التبعية، و يوصله الى الإستقلال، ويخلصه من ان يكون كَلاً وعبئاً على كاهل الماضي، و يرغبه في التخطيط والبناء لذاته. ومن الممكن ان تكون صفاته، وملكاته، وافعاله، ونتائج اعماله، من حسن وقبيح، رهينة بهذا الطموح وهذه النظرة المستقبلية له. انه يرمي بطرفه الى المستقبل، و يفكر، وترسي في أعماقه الحرارة، و يتفاعل ويهيج، ثم يخطط و يسعى لتحقيق طموحاته، ومن ثم تحقق ذلك. ومن هنا فقد اطلق عليه اسم الموجود الطامح للمستقبل، وصاحب الهدفية في العمل. اننا نقرأ في القرآن:

«وان ليس للانسان إلا ما سعى»

(النجم/٣٩)

وقد أقام القرآن هذا العمل والسعي على أساس الحالة الداخلية **«قل كل يعمل على شاكلته»**

(الاسراء/٨٤)

«والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكِداً».

(الاعراف/٥٨)

وهنا يأتي الكلام القاطع النهائي:

«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

(الرعد/١١)

وهكذا ترتبط التقديرات الإلهية (أي تلك القوانين الحاكمة) بالتغيرات النابعة من أعماق الروح.

وعلى الإنسان ان يزين نفسه ويهيئها لتعادل العطاء، ومن راقب نفسه وخطط لها يكون ذلك الانسان الواقف على ذاته والمتجه لها ــ وهذا هو أصل السُّنن وأمُّها جميعا ــ وهذا هو الأمر الرئيس اللائق بالإهتمام والتوجه الوافر.

يخطئ هؤلاء المدعون بأنَّ نوعية الإنتاج والتوزيع هي محور العمل، وهي التي تصنع المستقبل... انها بدورها مالم تنفذ الى الأعماق الإنسانية وتحرك محيط وجوده، لن تستطيع ان تؤدي الى شيء... انها الأعماق التي ينظر اليها الله، حيث ان الله لاينظر الى أعمالكم وإنما ينظر الى قلوبكم. وهنا يقول القرآن.

«إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم.»

(الأنفال/٧٠)

وتعد هذه من قواعد السُّنن، وانها قاعدة عظيمة حقاً.

(٢)ــ لايكفي في السُّنن الإجتماعية ان يطهِّر الإنسان نفسه من الأعماق، و يقودها نحو الحسنات، بل يجب ان يوسع من اطار ذلك ليتحول الى صيغة اجتماعية، فيتلقاه الجميع، ويجعلونه منطلقاً لأعمالهم. فإن تحقق ذلك فبها، وإلا فالفتنة والفوضى، ولن يكون الصالحون في مأمن منها:

«واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة»

(الانفال/٢٥)

ان المجتمع له حساب خاص، و برنامج خاص، وله علو وهبوط، وحياة و موت، وأجل وكتاب، غير ما للأفراد من خصائص. وبحثنا يدور حول السنن الحاكمة على المجتمع، ولكي تتحقق المعنوية القويمة والملائمة والحسنة فإنه من اللازم أن يعمل الجميع أو الفئة الكافية على اصلاح المجتمع، فلاهَمَّ لها ولا مهمة إلا ذلك مهما بلغ الأمر. ومن هنا فانَّ القرآن جعل هذا الأساس واجباً قطعياً، ورغَّب فيه، ومدح الأمة التي تنهض به بأروع بيان، وجعلها نموذجاً وشاهداً، فقال:

«ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر

وأولئك هم المفلحون»

(آل عمران/١٠٤)

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»

(آل عمران/ ١١٠)

«وكذلك جعلناكم امة وسطاً»

(البقرة/١٤٣)

(٣)ــ ان هناك في مسيرة بث الحقائق وتطبيقها بين الخلائق صعوبات، ومشاقّ وأنماطاً من الحرمان يجب تحملها.

وقد دعا القرآن الى الصبر بادئ ذي بدء، فقال:

«وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»

(العصر/٣)

فالناجون لوحدهم من الخسران هم اولئك الذين قاموا بالإضافة لتطهيرهم أنفسهم وتزيينها بالايمان والعمل الصالح ــ بدعوة مجتمعهم للتعهد بالحق، وأوصوه بالصبر في هذا السبيل المليء بالمشقات والمرارة. هذا ونجد القرآن في هذا الأساس يعطي التحذير اللازم، ويحذر من أنماط التراخي والضعف الذي يحصل في أوقات الغفلة والجهل:

«أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله».

(البقرة/٢١٤)

ان هذه الصعوبات ليست أمراً باطلاً دون الهدف، إنها للتصفية، ونفي الميول الباطلة وربما الملوثة بالشرك:

«وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين»

(آل عمران/١٤١)

خلاصة البحث:

ان هناك أُسساً للسُّنن الإلهية الحاكمة على الإنسان:

(١)ــ ايجاد التغيير من أعماق الذات عبر توفر التفكير الواضح، والعزم القوي، والسعي الدائم. وهذا الأساس هو عمدة الأُسس.

(٢)ــ تعميم هذه الخصال وتوسيعها، ومنح هذه الروحية للمجتمع.

(٣)ــ تحمل مؤونة هذه السُّنن، ودفع مهر هذا المعشوق (الصبر وتحمل الشدائد).

هذه هي الأُسس أو هي بعض الأُسس.

ولنتصفح القرآن الكريم ونطالع نماذج من السنن التي يطرحها..

وقبل ذلك يجب ان نذكر بأنَّ القرآن ذكر (السُّنَّة) في (١٦) مورداً، (١٤) منها بشكل المفرد، وموردان بشكل الجمع ــ وذلك بمعنى الطريق حيث يبين سبيل الله في سمو المجتمعات وانحطاطها، وصعودها وسقوطها.

والواقع ان السُّنن المذكورة في القرآن، لم تأت كلها بكلمة (سُنَّة أو سُنن) فكل ضابطة عامة لسلوك المجتمع، تعد سنة، وإن لم تذكر بهذا اللفظ.

من السنن الإلهية «سواء ذكرت بلفظ السُّنة أم لا»:

(١)ــ **«ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً، سُنَّة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً»**

(الفتح/ ٢٢ــ٢٣)

وقد وضح هذا المعنى في سورة ما قبل الفتح، سورة محمد(ص) و في سورة آل عمران:

«فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم»

(محمد(ص)/٣٥)

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين»

(آل عمران/١٣٩)

حيث التأكيد على هذا الرصيد العظيم، وهو الإيمان بالله، و بالنظرة الأُخرى للعالم، أي النظر اليه على انه مجرد وسيلة و آية وعلامة. والإيمان بأنَّ الوجود الحق والوجود الثابت إنَّما هو وجود الله ــ والله تعالى مع المؤمنين ــ في الصعاب. وهذا بنفسه رصيد عظيم جداً، ومفتاح لكل المشكلات والصعاب.

(٢)ــ **«ولا يحيق المكر السيء إلاَّ بأهله فهل ينظرون إلاَّ سُنَّة الأولين فلن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً»**

(فاطر/٤٣)

ومورد السُّنَّة هو صدر الآية الذي أُعطي بشكل جملة خبرية، و بعنوان عام، وقاعدة كلية، حيث يحيق الخداع والمكر السيء بالذين خططوا له وإنْ كانت السُّنَّة التي ذكرت بعد ذلك تنظر الى العذاب، إلاَّ انها بنفسها قانون جاروسار بشكل عام.

(٣)ـ «ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون»

(الانبياء/١٠٥)

حيث ان سير العالم نحو الكمال سوف يؤدي حتماً الى حذف الزوائد ومحق الباطل ومحوه ليصل الناس بالتالي الى الوعي واليقظة الكاملين في المجال الإجتماعي و بتحقق آمال المستضعفين في العالم منذ فجر التاريخ بواسطة قائم بالعدل ومناد بالقسط.

نعم يتحقق مضمون:

«بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه»

(الانبياء/١٨)

ويستمر الحق في مسيرته الصامدة، وتضرب يده القوية أرباب الباطل الذين يعيشون الخواء واللاهدفية، فتمحوهم من الوجود.

وهذا بدوره يوضح اتجاه السير نحو الكمال، الأمر الذي لاحظناه في بحث التقديرات الحاكمة على العالم، كما يوضح انتصار الحق على أيدي المخلصين من العباد. وهو ما تحدثنا عنه بالتفصيل في القسم الثاني من بث السُّنن الحاكمة على الإنسان، انها سُنَّة ثابتة ان ينتصر أهل الحق حتى ولو كانوا قليلين.

(٤)ـ والمهم هذه السُّنَّة التي لم تأتِ بلفظ السُّنَّة، وذلك في سورة الحج، وهي مضمون قوله تعالى:

«وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد، وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم».

(الحج/٥٢ـ٥٤)

ان هذه الظاهرة ذكرت كسنّة، وقانون عام مستوعب، لايستثنى منه أي رسول، أونبي، والواقع ان هذا يعبّر عن مصداق لسنّة الإمتحان.

وقد ذكرت هذا بالخصوص ليتم توجيه الاهتمام الأكثر لهذه السُنّة، ولنعلم انه متى ما قام الحق في مكان، راح الشيطان يُعبّئُ خيله ورجله، ويبدأ الصراع والإلتحام، ولكن العاقبة ستكون للمتقين، وتنمحي أساليب الشياطين وموانعهم ووساوسهم، وهذا ما يجب ان يلحظه أهل الحق في العالم بكل قوة، فإنّ الحق الخالص لن يقع بأيديهم دون مشقة ودون ألم، وليعلموا ان شياطين الإنس والجن لن تسكت عنهم، وإنّما تُعبّئُ عملاءها، وتعكر الأجواء وتلوث الآفاق، وفي هذا الخضم يجب ان يصمد أهل الحق وطلابه أمام هذه الأجواء المصطنعة والشائعات المنتشرة هنا وهناك . انني لأطلقها صرخة مدوية:

«أيُّها المسلمون، أيُّها المصلّون الى القبلة، أيُّها المعتقدون بالقرآن، أيُّها المؤمنون بالإسلام في شرق الأرض وغرب الأرض يا أيُّها المليار من المسلمين المحبين للرسول الأكرم(ص) لماذا أراكم ساكتين وانتم تشهدون قيام هذا الحق الخالص في ايران الطيبة، وتشهدون هذه الدماء الجارية من نحور أهل الحق المضحين وهي تسفك على الأرض من رجال و نساء أبطال لايهابون الموت و بقيادة قائد عظيم صامد قوي في الحوادث؟

لماذا تسمحون لوساوس الشيطان؛ الكبار والصغار والقاءاتها الخبيثة كي تؤثر أثرها ولو لفترة قصيرة؟!

لماذا لاتمزقون هذه الأجواء المسمومة والمصطنعة، ولماذا ــ يا أبناء الإسلام الغيارى ــ لا تضعون نصرة الدين والكتاب والسُنّة نصب أعينكم وفي طليعة قضاياكم؟! لماذا عدنا كغثاء السيل، لماذا يطمع فينا الطامعون طمع الجائعين بصحن الطعام؟ لماذا ينهبون منابع ثروتكم الغنية وتجوعون بل وتسلمون أرواحكم الى بارئكم فقراء معوزين؟ الا تملك الأمر بالدفاع حتى عن المال الجزئي حيث ان من قتل دون ماله شهيد؟ الم يصلنا انه من لم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم؟ اليس هناك كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؟.

اللهم اليك نشكو.. نشكو من نهب منابعنا الغنية ومن هذا الكابوس الثقيل المخيم على نفوس المسلمين، كل مصادر القوة تملكها ونعيش هذا الخواء والضعف القاتل الساحق.

الم تروا بأم أعينكم كيف انطلق شعب أعزل من السلاح، معتمداً على قوة ايمانه، فدك قصور الظلم، وهزّها، واحتجز شبابه اليافع. حواسيس أمريكا لمدة (٤٤٤) يوماً؟ وهكذا استطاع هذا الشعب ان يجتث السلسلة الشاهنشاهية الظالمة من جذورها... حملوا الشعار القرآني (وأنتم الأعلون) وأعلنوه لكل القرآنيين في العالم، واحيوا من جديد مفهوم «**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**».

(البقرة/٢٤٩)

وفي (طبس) هذا الشعب، عادت سورة الفيل من جديد، واستطاعت مجموعة من العمال القليلي المعرفة من الزاوية الفنية ان تغلق آبار نوروز النفطية، الأمر الذي أجبر امريكا نفسها على ان تبدي اعجابها بهذه العملية، غير ان شعبنا واجهها بصرخة «**الموت لأمريكا**».

ترى الا يعني هذا تطبيقاً لسُنّة «**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين؟**» ان لم يكن هذا تطبيقاً فيكف يمكن تفسيرها إذن؟ ثم ألا يلقي هذا ضوءاً على مضمون «**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار؟**» وإلا فكيف نفسر كل ما جرى؟.

ألا يشير هذا الى السُّنّة القائلة: «**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**» وإلاّفما هو تفسيره؟

يقول الشاعر الفارسي ما ترجمته:

أعين مفتحة، وآذان مفتحة، وعمىً سائد انني لفي حيرة من هذه الحالة يا رب

فيا أيها المسلمون؛ أزيحوا هذه الطفيليات التي تتصدر قضاياكم، واخرجوا هذا الشجى الذي يعترض حناجركم وهذا القذى في عيونكم، واطلقوا القوى الإسلامية حرة، وعودوا أحراراً، واعلموا أنكم:

«**ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم**»

في ظل التربية القرآنية

حجة الإسلام والمسلمين
السيد محمد حسين فضل الله/ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا أردنا أن نتحدث عن التربية بالقرآن فهناك مجالان للحديث:

١ــ المجال الفردى الذي ينطلق فيه الفرد من حالة ذاتية ليعيش مع القرآن الأجواء التربوية التي تعمّق له رؤيته الحقيقية للأشياء من خلال الإسلام وتركز له خطواته على الصراط المستقيم وتفتح شخصيته على الآفاق الواسعة للحياة في إطار التطور الإسلامي لحركة الشخصية ونموّها الفاعل فندرس العناصر الأساسية التي تساهم في تأكيد الخط التربوي للإنسان بواسطة القرآن.

٢ــ المجال الاجتماعي الذي يتحرك فيه المجتمع من حالة عامة ليستلهم الأفكار القرآنية في شعاراته و خطواته العملية وحركته المتقدمة نحو أهدافه القريبة والبعيدة وتكوين الإطار الاجتماعي على أساس الصيغة القرآنية في الشكل والمضمون.. ولا بدلنا فيما بين هذا وهذا من اكتشاف الخطوط العامة للأسلوب العملي للفكرة في هذا الاتجاه لنستطيع أن نحدد خطوات التربية في برنامج محدّد واضح.

وفي ضوء ذلك لابُدَّ لنا من أن نثير الحديث في نقاط ثلاث:

١ــ الملامح العامة للطريقة الصحيحة في الفهم القرآني للأشياء.

٢ــ الأسلوب القرآني في المجال الفردي للتربية.

٣ــ الأسلوب القرآني في الجانب الاجتماعي للتربية.

أما النقطة الأولى فيمكن لنا أن نُثيرها في عدة جوانب:..

أ ــ إن القرآن كتاب رسالة يتجه إلى بناء الشخصية الإنسانية على أساس مفاهيمها الأساسية، وليس كتاباً تقليدياً يتحرك في اتجاه تحليل فكرة معينة بطريقة موضوعية تحاول أن ترصد الموضوع من جميع جوانبه، كما لو كان شيئاً مستقلاً بنفسه بعيداً عن أيّ تأثير قريب أو بعيد بالواقع الداخلي للإنسان. وفي ضوء ذلك، نجد القرآن يثير في السورة الواحدة عدّة مواضيع متنوعة تختلف في طبيعتها وفي مواقعها وعلاقاتها بالأشياء، فلا تشعر بوجود وحدة موضوعية تجمع هذه المواضيع في نطاق موضوعي واحد. لأنّ ذلك ليس هو المشكلة في القضية، بل القضية هي أنّ هناك جانباً إنسانياً يراد معالجته في عملية صنع الشخصية، الأمر الذي يفرض علينا التحرك في عدّة اتجاهات ومواجهة عدة قضايا.. فبينما تجد السورة متجهة إلى الحديث عن جهة، تجدها تنتقل لتتحدث عن جهة أخرى لتتكامل منها قصة الإنسان.. وهذا ما نلاحظه مثلاً في سورة المنافقون، فقد تحدثت في البداية حديثاً مفصّلاً عن ملامح المنافقين في سلوكهم الداخلي والخارجي، ثم انتقلت للحديث عن توجيه المؤمنين إلى أن لا يتلهوا بأموالهم وأولادهم عن ذكر الله.. وتلتفت بعد ذلك إلى الأمر بالإنفاق باعتباره الفرصة التي قد لا تحصل لأن الموت قد يأتي للإنسان من دون أن يحصل على مكاسب هذه الفرصة، وإذا جاء الموت فلا مجال للعودة إلى الحياة من جديد.. فما الذي يربط بين هذه الموضوعات، رُبَّما يبدو أن السورة تفتقر إلى الوحدة الموضوعية ولكن التدقيق في القضية يوحي إلينا بأن قصة النفاق ترتبط بالخلفيات الإنسانية المتعلقة بالأموال والأولاد بالمستوى الذي ينسى الإنسان معها ربه، مما يؤدي إلى أن ينحرف عن الخط من أجل تلبية مطالبها الأساسية.. ولذلك كان لابد من لمسة روحية في هذا الاتجاه، ولمسة اخرى في اتجاه تحريره من الاختناق بحب المال بالانطلاق في مجال الانفاق على أساس المصير الحاسم في قصة الحياة والموت.. وهكذا نجد القرآن يواجه قضايا الإنسان على أساس أن الإنسان هو الموضوع الذي يحتاج إلى التحليل الدقيق المتنوع الذي يرصد كل الجوانب وكل الاتجاهات ولعل ذلك من أفضل الأساليب التربوية التي ينبغي للقائمين على شؤون التربية الإنسانية أن يواجهوها من موقع الطريقة القرآنية التي تهتم بتكامل الفكرة في داخل الإنسان في عملية توزيع لعناصرها بشكل واقعي حكيم.

ب ــ لابد لنا من اكتشاف المنهج في آيات القرآن من خلال المواقع

المتفرقة، وعدم الاكتفاء بالتقاط الآيات المتنوّعة لنأخذ كل واحدة بمفردها.. فقد تواجهنا مثلاً الآيات التي تتحدث عن السيرفي الأرض من أجل التعرّف على ما أصاب الظالمين والكافرين والمفسدين من نتائج سيئة... وقد نجد إلى جانبها الآيات التي تتحدث عن الاعتبار بالعبر التي يذكرها القرآن فيما يذكره من قصص الأمم السالفة والآيات التي تتحدث عن الكفر من حيث هو ناشئ من تعطيل الحواس والطاقات المودعة في الإنسان من أجل المعرفة لا من حيث هو خاضع لشبهة فكرية وما إلى ذلك..

إن مثل هذه الآيات تربطنا بالمنهج القرآني في اعتبار التجربة أساساً للمعرفة، إلى جانب الأساس العقلي سواء في ذلك التجربة التي يخوضها الآخرون أو التجربة التي يخوضها الإنسان بنفسه من خلال عناصر الإحساس والفكر التي تحتاجها التجربة.. لتقيس حالة بحالة مشابهة،ولتفسر موقفاً بموقف مماثل.. فإن كل هذه الآيات تدعو إلى احترام التجربة واعتبارها وجهاً من وجوه المعرفة الصادقة وتدفع إلى استنطاقها في أكثر من مجال.

وكمثال آخر على ذلك، إن القرآن يتحدث عن الأنبياء كيف قابلوا التحديات المضادّة التي واجهتهم بها العناصر الكافرة التي كانت تعتقد ان الأنبياء يملكون قوىً خارقة ذاتية تمكنهم من الاستجابة لكل الاقتراحات المطلوبة منهم من قِبَل الآخرين. وعلى هذا كانت تنكر عليهم بشريّتهم وتدعوهم إلى القيام بأعمال خارقة للعادة أو مستحيلة ذاتاً، وكان الأنبياء يواجهون ذلك كله بالتأكيد على أن البشرية لا تتنافى مع النبوة، لأنها مهمّة محدّدة في نطاق حياة الإنسان الباحثة عن الفكرة والقدوة معاً مما يجعل للبشرية وجهاً إيجابياً بدلاً من أن يعتبر لها وجهاً سلبياً، ثم يركزون على خطأ الفكرة التي تربط شخصية النبي بالخوارق كحالة ذاتية، فيلاحظون عليها أنهم لايعلمون الغيب إلا بمقدار ما يوحيه إليهم الله من علمه ولا يملكون القدرة على الاستجابة للتحديات إلا بالمدى الذي يأذن الله به فيمنحهم القدرة عليه لأن قصة النبوة ليست أن يغير النبي العالم في قوانينه الطبيعية، بل هي أن يغيّر العالم في مسيرته الحضارية، مما يجعل من قضية الخوارق حالة طارئة تخضع للحاجة إلى مواجهة التحديات الحاسمة التي تجعل القضية قضية الوجود واللاوجود.. ثم تتحرك الرسالة من موقع القناعة والاقناع. اننا نواجه في ذلك المنهج القرآني الذي يدعونا إلى أن نكتشف النبي من خلال رسالته

لا من خلال تكثير المعاجز الخارقة للعادة في حياته.. لأن تكرار المعجزة في غير حاجة لا يحقق تقدماً في وعي الإنسان للنبوة زائداً عما حققه في المعجزة الأولى، و يدفعنا إلى أن نبتعد عن الفوضى في أعماق ذاته من خلال الأسرار الغامضة البعيدة عن الفهم والإحساس، لنقترب من ملامحه الشخصية في سيرته المتحركه مع حركة الرسالة لنكتشف في ذلك شخصية القائد القدوة الذي يوحي لنا بالاقتداء من خلال فهمنا العميق لشخصيته وسيرته..

و بذلك نبتعد عن الاتجاه الذي يريد أن يوحي للإنسان بأن النبي شيء آخر غير ما هم الناس في الملكات والأسرار والمعاني وأن عمله ليس خاضعاً للمعطيات الطبيعية التي تخضع لها أعمال الآخرين، وفي هذا الجو تصبح القدوة شيئاً لا معنى له أو قريباً من اللامعنى.

ج ــ التأكيد على المقارنة بين الآيات القرآنية التي تتحدث عن المفهوم الأخلاقي وذلك كما في الآيات التي تتحدث عن ذم الدنيا كما في قوله تعالى: «**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..**» و الآيات التي تتحدث عن الدعوة إلى طيباتها كقوله تعالى: «**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.**» فنفهم من خلال ذلك أن الدعوة إلى رفض الدنيا تنطلق في الاتجاه النفسي للإنسان فلا يرتبط بمناهج الدنيا ارتباط عبودية، بل يتحرك معها من موقع الحاجة الطبيعية.. وفي الوقت نفسه لا يكون الامتناع عن الممارسة للطيبات وللمباهج الدنيوية قيمة روحية في حدّ ذاتها بعيداً عن المداليل السلبية الكامنة خلفها، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة التي اعتبرت الزهد موقفاً نفسياً لا موقفاً عملياً مجرّداً «**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم..**» حيث يقف الإنسان أمام الحياة في حالة الخسارة والربح موقفاً طبيعياً ينطلق من وعيه لعوامل الربح والخسارة.

وكمثال ثان على ذلك، الآية التي تقول «**يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديم**» والآيات التي تأمر بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**» والآيات التي تلعن الذين يقفون موقفاً سلبياً أمام حالات الانحراف كقوله تعالى «**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن مكر فعلوه**

لبئس ما كانوا يفعلون..» فقد نفهم أن الآية الأولى تعالج الحالة النفسية التي يعيشها الإنسان أمام ضلال الآخرين فيخيّل إليه أنه يتضرر به في مستقبله الأخروي من دون أن يكون له أي دخل في ذلك، فيتعقّد من خلال ذلك، فكانت هذه الآية لتوحي له بأن قضية الهدى والضلال مسؤولية فردية لايتحملها غير صاحبها.. أما الآيات الأخرى فانها تتحدث عن مسؤوليته في هداية الآخرين ما أمكنه ذلك من خلال الوسائل الحاصلة عنده.. و بذلك لايكون هناك أي تناف وتنافر بين الأمرين.

إن هذا الاتجاه يصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي يحملها البعض حول كثير من القضايا التي قد يكون لها وجه في آية، إلى جانب الوجه الآخر في آية أخرى.. فيقتصرون في معرفتهم على النظر إلى جانبٍ من الصورة من دون أن يكلفوا أنفسهم عناء النظر إلى الوجه الآخر منها..

دـ محاولة اكتشاف الآفاق العامة للآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الحالات الخاصة وذلك باعتبار تلك الحالات نماذج للفكرة العامة، فإننا نعرف أن لكثير من الآيات أسباباً خاصة للنزول فيما تعارف لدى المفسرين الاصطلاح عليه بأسباب النزول. ولكن الآية لا تتجمد أمامها بل تعتبر منطلقاً للفكرة لا إطاراً لها. وفي هذا جاء الحديث عن الإمام محمد الباقر(ع): «**إن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر ومجرى الليل والنهار..**» وفي ضوء ذلك قد نستطيع الاستيحاء من كل قصة، وكل حادثة، وكل شخصية، كثيراً من الأفكار والمواقف والأحداث والأشخاص.. فإذا التقينا بقصة هابيل و قابيل فإننا لانقف من خلالها أمام الأخوين اللذين عاشا في بداية الخليقة، بل نتعدى منها إلى كل أخوين عاشا الظروف المماثلة في قسوتها وفظاعتها وتعقيدها.. وإذا وقفنا أمام قصة قارون فسنلتقي معها بآلاف القوارين ممن يملك المال دون ان يملك حسّ المسؤولية فيما له وفيما عليه.

هـ ـ اعتبار القرآن العنصر الأساس في المفهوم الصحيح للعقيدة بحيث يمكننا اعتباره مقياساً لصحة كل المفاهيم الأخرى التي تحفل بها الأخبار في كل قضايا العقيدة في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد.. و بذلك نقطع الطريق على كل الأكاذيب التي صاغها المرتزقة من وعاظ السلاطين فيما أراده منهم الطغاة من وضع الأحاديث المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه وهذا ما تواتر الحديث في أن

ما خالف كتاب الله فهو زخرف...

و ــ استيحاء الملامح العامة للشخصية الإسلامية من خلال الآيات المتنوعة التي تتحدث عن بعض الانفعالات السلبية في حياة الفرد والمجتمع، كما في الآيات الواردة في انفعال الخوف فيما تعيشه بعض النماذج التاريخية الإنسانية في حالة السلم والحرب أمام التحديات الصعبة الضاغطة والآيات الواردة في الحديث عن حالات الضعف الإنساني سواء في ذلك ما يتمثل في تكوينه الداخلي أو في ممارسته العملية.. إننا نستطيع أن نتمثل في ذلك كله كيف يتعامل الإسلام مع الإنسان في مفرداته الحياتية من خلال حركة الشخصية في داخله لتكون له الشخصية القوية العزيزة المجاهدة الثابتة أمام التحديات، لا من خلال الأفعال الطارئة التي تنطلق من السطح بعيداً عن العمق الضارب في الذات الإنسانية.. وبذلك نستوحي كيف نصنع للإنسان القاعدة النفسية في كيانه التي تتفرع عنها أقواله وأفعاله لينطلق في حياته من قاعدة ثابتة تحكم كل تحركه في الداخل والخارج.

ز ــ التوفر على تعميق المفاهيم الأساسية عن الكون والحياة في علاقة المادة بالروح، وفي ارتباط الشخصية الفردية بالشخصية الاجتماعية، وفي طبيعة علاقة الإنسان بالله.. وفي طريقة تعامله مع الحياة، ونظرته إلى دوره في الكون، ومركزه فيه كخليفة لله في الأرض، وفي مساحة هذه الخلافة وعمقها وامتدادها في شخصيته الفكرية والعملية، وفي تأثيره فيما حوله من موجودات وأوضاع.. وذلك في عملية ملاحقة للآيات التي تتحدث عن ملامح ذلك كله بالكلمة أو باللمحة أو بالأسلوب أو بالأجواء التي توحي بها في ذلك كله.

ح ــ التعامل مع القرآن الكريم في نطاق الأجواء الرسالية التي عاشتها آياته مما يدفعنا إلى أن نواكب جوّ الرسالة من خلال آياته فلا نتعامل مع النصوص القرآنية كنصوص لغوية جامدة نستوحي معانيها من كلمات القاموس بذهنية لغوية بل نتعامل معها كعناصر حية تتحرك في خطوات الرسالة الفكرية والتشريعية والجهادية لتؤكد موقفاً هنا ولتقرر فكرة هناك، ولتثبت خطوة في هذا الاتجاه وحركة في ذلك الاتجاه، ولتعطي الإنسان قوة دفع في مجرى التيار المندفع إلى المصبّ في حركة الأهداف في الحياة.. ولننتقل من ذلك كله إلى خطوات الرسالة في الواقع المعاصر لنعرف كيف يستطيع القرآن أن يواكب مواكبنا كما واكب

مواكب المجاهدين في الماضي، وكيف يثبت خطواتنا في الطريق المستقيم كما استطاع أن يثبتها في بدايات الدعوة.. وكيف يمكننا أن نستوحي منه العزيمة والقوة والامتداد في مواقفنا الرسالية، كما استوحى ذلك كله منه المسلمون الأولون.. وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نقرر الفكرة التالية: وهي أن القرآن لا يفهمه إلا الرساليون الذين يعيشون حركة الرسالة في الحياة على الطبيعة. فإنهم يجدونه في طريقهم عندما يندفعون إلى الأهداف من خلال الوسائل الواقعية للعمل.. أما غير الرساليين فإنهم يفقدون في داخلهم روحية القرآن وحيوية فكره.. لأنهم يفقدون جوالرسالة في حياتهم، ولا نعرف كيف يفهم مواقف الجهاد أولئك الذين لا يتحركون في مواقع الجهاد، وكيف يمكن أن نفهم أولئك، معنى التحديات والصعوبات والعقبات التي كانت تواجه الإسلام في بداية دعوته، وطبيعة الفعل وردّ الفعل فيما أثاره الإسلام في حركته في الحياة.. ما داموا لم يعيشوا ذلك كله في حياتهم الرخيّة الهادئة التي تعيش في حالة استرخاء كسول هادئ ناعم .. وفي هذا الاتجاه لابدلنا أن نبقى في عملية صنع للرساليين من خلال القرآن ليتم التفاعل بين الإنسان المسلم و بين كتاب الله في جوّ من الواقعية والإيمان والحركة والانفتاح والامتداد المتطلع أبداً نحو الأهداف.

تلك هي بعض ملامح الطريقة المثلى في الفهم القرآني للأشياء، وفي الفهم الإنساني الرسالي للقرآن فيما يوحيه من مواقف في الحياة.

أما النقطة الثانية وهي المجال الفردي للتربية بالقرآن فقد نستطيع أن نتمثلها في عدة لقطات.

أ ـ القراءة الواعية التي تتوفّر على استيحاء المعاني القرآنية في داخل الذات في عملية رصد شعورية يمتزج فيها الفكر بالإحساس والشعور وتندمج فيها الذات بالموقف وهذا ما نلمحه في الكلمات المأثورة التي تشير إلى ضرورة التوقف عند الآيات التي تتحدث عن النار ليستثير الإنسان معها في داخله كل الأجواء النفسية السلبية ضدالنار كمصير فيعيش الخوف منها كما لو كانت أمامه وهي تنطلق بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر أو وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون.. و يتحوّل ذلك الخوف على مدى الزمن من حالة شعورية ضاغطة إلى موقف إنساني ثابت إزاء كل الأعمال والمواقف التي تؤدي إلى النار في نتائجها الوخيمة.. وفي الموقف المقابل

على الجانب الآخر لا بد للإنسان من التوقف عند الآيات التي تتحدث عن الجنّة فيستثير أمامها كل الانفعالات الداخلية الايجابية من الشوق والرغبة والتطلع إلى نعيم الجنة التي أكلها دائم وظلها تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حيث تتلقاهم الملائكة بالسلام والكرامة والرضوان من الله. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.. وتنطلق الحالة الشعورية وتتنامى في الداخل لتتحول بعد ذلك إلى موقف يرصد الأعمال والمواقف من أجل الاتجاه بها إلى الطريق المؤدي إلى الجنة في نهاية المطاف..

و بذلك تعتبر القراءة حركةً واعيةً متقدمة في اتجاه التوعية الداخلية على طبيعة المصير الأخرويّ من خلال الموقف الدنيوي في جوّ شعوري متحرّك باللمحة والكلمة والفكرة والجوّ والأسلوب.

٢ــ القراءة التي تتدبر معاني القرآن فيما توحيه كلماته من مواقف عملية في الحياة وذلك بالتوفر على ممارسة النقد الذاتي على أساس المفاهيم القرآنية في الأخلاق وفي الممارسة العملية.. فلا تكون الفكرة القرآنية في وعي القارئ المسلم مجرد فكرة أخلاقية أو اجتماعية يحتفظ بها لنفسه في نطاق الفكر المجرّد الخالص فيما يحتفظ به فكره من معلومات بل تكون مرآة فكرية و روحية ينظر فيها إلى نفسه ليتعرف من خلال ذلك على مدى ما يملك من انضباط والتزام أمام الحقيقة فيما يملكه من حقائق الإسلام في داخل ذاته فيرصد مشاعره السلبية والايجابية فيما يقرأه من الآيات التي تتحدث عن العواطف المنحرفة أو المستقيمة، و يتوقف أمام خطواته العملية في الحياة في علاقته با لله و بالكون وبالإنسان عند قراءته للآيات التي تتحدث عن ذلك كله فيما تريد للإنسان أن يلتزم به أو يبتعد عنه.. و يدرس المواقف العملية الحاسمة في حركة الحياة من حوله سواء في ذلك الحركة في جانبها الاجتماعي، أو في موقعها السياسي، أو في مواقفها الاقتصادية، ليعرف جيّداً أين تتحرك مواقفه وأين تقف ويحدّد من ذلك موقعه في الساحة ومدى انسجام ذلك كله مع صفته ودوره كإنسان مسلم يريد أن يجسد إسلامه في الحياة من موقع الممارسة المنضبطة على الخط السليم و ينطلق في هذا الجو مع الفكر العقيدي الذي تتمثل فيه القواعد الفكرية للعقيدة من خلال القرآن ليحدّد موقفه من القواعد الفكرية الأخرى على أساس ذلك فيتمثل في حركة فكره و وجوه اللقاء والخلاف بينه و بين الآخرين و يتحرك في اتجاه تركيز الفواصل من أجل وضع

النقاط على الحروف فيما يختلف فيهالناس وفيه الناس وفيما يتنازعون الحوار الذي يدعو إليه القرآن منطلقاً من قاعدة الوضوح في الرؤية، والثبات في الفكرة لأن ذلك هو السبيل الصحيح للوصول بالقناعات الفكرية الى أهدافها الثابتة من التأثير على قناعات الآخرين. لأن الإنسان إذا لم يكن واضحاً عند نفسه فيما يفكر فيه فكيف يمكن أن يحقق للآخرين مثل هذا الوضوح فيما يريد أن يدعوهم إليه. وخلاصة الموقف في ذلك أن يكون القرآن هو المرآة الصافية التي نرى فيها أنفسنا لنعرف كيف يتحرك الإسلام فكراً وعقيدة وعاطفة وحياة، و بذلك نحفظ لأنفسنا سلامتها من الوقوع في قبضة الانحراف الفكري والعملي عندما تختلط علينا المواقف وتشتبه علينا بدايات الطريق ونهاياته.

٣ــ الانفتاح بالآيات القرآنية على امتدادات الواقع فلا يقتصر فيها على الجوانب الفردية إذا كانت تتسع للجوانب الاجتماعية، ولا تتجمد أمام حركة الواقع السياسي في الحياة إذا كانت الفكرة تتسع له فيما تتسع له من أفكار.. ولعل ذلك هو سر التخلف فيما واجهناه من مواقف على أساس الفهم الخاطئ للآية القرآنية التي يخيل لنا أنها تعالج حالة فردية بينما هي في الواقع تمثل المعالجة الحيّة لكل جوانب الواقع المتنوعة في الحياة.. ومثال ذلك ما نلاحظ في بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الجوانب الأخلاقية في السلوك العملي كما في قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**» فقد يحسبها بعض الناس توجيهاً أخلاقياً يتحرك في علاقات الناس الفردية فيما ينقله الناس في ندواتهم واجتماعاتهم من أنباء تتعلق بالجوانب الشخصية للأفراد أوالجماعات.. ولكننا عند التدقيق في مجالاتها نجدها تتمثل في كل موقع من مواقع العلاقات العامة والخاصة في الأجواء السياسية والاجتماعية. ففي الوقت الذي تؤكد فيه الآية على التحفظ في قبول خبر الفاسق في قضايا الناس و شؤونهم الفردية والاجتماعية، فإن ذلك يمتد إلى القضايا السياسية فيما تتمثل فيه من شؤون الحكم والحاكمين وعلاقتهم بالمحكومين وفي شؤون الحرب والسلم والتصالح والتخاصم وغير ذلك من قضايا الحرية والعبودية والاستقلال والاستعمار... بل ربما تكون الجوانب السلبية التي يؤدي إليها خبر الفاسق في هذه الأمور اكثر خطورة مما يؤدي اليها في شؤون أخرى، ولذلك فلابُدَّ من أن يربّي الإنسان نفسه بالقرآن على أن يتوقف أمام الخبر السياسي الذي يخبر به الفاسق

ليكتشف صدقه من كذبه بنفس المستوى الذي يتوقف فيه أمام الخبر الذي يتحدث عن العلاقات الشخصية أو الاجتماعية بل ربما كانت ضرورة التوقف عنده بشكل أكبر وأخطر.

ومن جهة أخرى لابُدَّ من مواجهة الوسائل التي تنقل النبأ لتوجيه المواقف إليها في عملية تحليل دقيق فلا نفتقر في التحفظ على الخبر الشخصي الذي ينقله أشخاص معينون بطريقة مباشرة بل نتعدى ذلك إلى خبر الصحيفة ووكالات الأنباء وأجهزة الاعلام من المذياع والتلفزيون وغيرهما لأن الأشخاص الذين يشرفون عليها هم الذين ينقلون ما فيها من أخبار فينطبق عليها ما ينطبق على بقية الأخبار التي ينقلها الناس بشكل مباشر.. إن الكثير قد لايلتفتون إلى هذا الشمول في حركة الآية في الحياة وإن كان الالتفات إليها يحتاج إلى جهد كبير، ولذلك قد نتحمل المسؤولية في توجيه الفكر إلى ذلك كله.

٤ــ الانفتاح الروحي على الله فيما يتحدث فيه القرآن من عظمة الله فيما تمثله ظواهر الكون من مظاهر العظمة وابداع الخلق وحكمة التدبير، ومن دعوته للإنسان إلى أن يتفكر في ذلك ويبحث عنه ويستوحيه من أجل أن تتحقق له الأسس الفكرية والروحية التي تربي عظمة الله في نفسه.. وقد لا يكفي ذلك في الوصول إلى هذا الهدف بل ربما كان من الضروري الانفتاح على الآيات التي تتحدث عن نعم الله على الإنسان فيما سخره له من طاقات الكون وفيما أنعمه عليه من طاقاته الذاتية المتمثلة في حواسه التي خلقها له وفي فكره الذي أطلقه في داخله وفي أجهزته الجسدية التي تبني له حياته وفيما هَيَّأَه له من النعم والأجواء التي تجعل من حياته شيئاً يبعث في نفسه الطمأنينة والاستقرار، فإن ذلك كله يدفع الإنسان إلى الشعور بالعلاقة الحميمة التي تربطه بالله، فلا تنحصر علاقته بالجانب الذي يوحي بالعظمة التي تهيمن على الفكر وتدعو إلى مزيد من الإجلال والاحترام بل تتمثل بالجانب الإنساني الذي يوحي بالامتنان والشعور بالجميل والاحساس اليومي بالممارسات الطبيعية الذاتية المتصلة بالله.. وهذا ما لاحظه القرآن في الإيحاء للإنسان بأن يواجه الموقف بأسلوب الحمد لله والشكر له وتسبيحه وتهليله وتكبيره في كل حالة من حالاته لخلق الجو النفسي الدائم الذي يوحي للإنسان بالصلة الوثيقة التي تشده إلى الله في مختلف جوانب الحياة المحيطة به.

وقد أراد القرآن للإنسان أن يظل على صلة دائمة بكل هذه الأمور فدعاه

إلى أن يقرأ القرآن في أغلب الأوقات وأن يتدبر فيه ليختزن في داخله كل المعاني والأفكار والمشاعر والأحاسيس التي تخرجه من كل مواقف الظلام إلى مواقف النور.

أما النقطة الثالثة... فهي الجانب الاجتماعي في التربية وذلك بأن نتوفر على الأسلوب العملي الذي نربي فيه المجتمع على أساس الأخلاق القرآنية فقد نواجهه في أمور:

الأول: الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن باعتباره كتاب الله الذي لأياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك بالتوجيه إلى حفظه وتجويده ودراسته والمداومة على قراءته في آناء الليل وأطراف النهار بحيث يتحول ذلك إلى ظاهرة اجتماعية في البيوت والمجتمعات.

الثاني: إدخال الآيات القرآنية في وسائل التربية. ففي درس الواجبات لابُدَّ لنا من اعطاء الشواهد على الفكرة المطروحة من خلال آيات القرآن، وفي دروس الطبيعة قد يكون من المناسب أن نضع أمام كل بحث عن الأرض والشمس والقمر والكواكب والجبال والبحار والنبات والحيوان وغير ذلك؛ الآيات التي تناسب ذلك ولو من خلال الإشارة إن لم يكن هناك ما يوحي بالتفاصيل.. وهكذا عندما نتحدث عن قواعد اللغة العربية فإن بإمكاننا أن نثير الشواهد على هذه القاعدة أو تلك من خلال الآيات التي تنطبق عليها فيما تحتاجه من شواهد ليظل القرآن مع الفكرة التي تربي الإنسان في أخلاقه وأفكاره ومع القاعدة التي تربيه في طريقته في الكلام والمحاورة مما يعمق الإحساس بالقرآن وفي دوره الواسع في حياة الإنسان.

الثالث: إثارة الآيات القرآنية في نطاق الشعارات التي يحتاجها المجتمع في حركته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل أن تظل الحركة مشدودة إلى القرآن في شعاراتها.. فتوحي بالشعور العميق بأنّ القرآن يواكب نموّ الإنسان وتقدمه ومواجهته لقضاياه المصيرية ولا يتخلف عنه، مما يؤدي إلى الشعور بالاكتفاء فيما يوحي به القرآن من حلول للمشاكل لعدم وجود فراغ في أية مساحة من مساحات الواقع فلا يتحرك الإنسان في مجال إلا ويجد الآية القرآنية أمامه تحدد له ملامح الطريق وتشير له إلى نهاياته، ولا يلتقي بموقف إلا ويجد القرآن عنده وهكذا تتعمق النظرة الإنسانية في القرآن من خلال اللقاء بالقرآن في كل مجال.

الرابع: إثارة المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أمام المجتمع من خلال ما طرحه القرآن من هذه المشاكل فيما عالجه منها بطريقة مستقلة وفيما حدثنا عنه من تاريخ الأمم السالفة فيما عاشته من أحداث ومشاكل.. ثم محاولة معالجتها من خلال ما يطرحه القرآن من حلول وما يثيره من مفاهيم الأمر الذي يوحي للمجتمع بأن خلاصه بالقرآن.. و يدفعه إلى أن يستنطق القرآن هذه الحلول فيما لم يبحثه معه الآخرون.. ولعل من الضروري لنا ــ في هذا المجال ــ أن نشير إلى ضرورة توفر الثقافة الإسلامية على معالجة القضايا الإسلامية من خلال القرآن بحيث تربط الفكرة ــ أية فكرة كانت ــ بالجو القرآني وبالفكر الذي نزل به القرآن و بالشريعة التي دعا إليها القرآن فإن ذلك من أفضل السبل للعودة بالإنسان إلى القرآن في عملية صنع الشخصية الإنسانية الإسلامية على أساس القرآن فكرة وأسلوباً وعملاً وهدفاً وحياة... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الخامس: العمل على استثارة الجانب السياسي من الآيات المتعلقة بالحديث عن الطغاة والمستكبرين والمستضعفين، وعن الأساليب الروحية التي يريد القرآن من خلالها أن يفرّغ داخل الإنسان المستضعف من الشعور بالانسحاق أمام القوى الطاغية المتكبرة في الكون، ويحوّله إلى قوّة تعيش الإحساس بالقوة في الداخل، كما تمارسه في الواقع، ويحمّله مسؤولية صنع القوّة وتحريكها من أجل الوصول إلى مواقع المسؤولية في الحياة على أساس كلمة الله وشريعته... ولابُدَّ لنا في هذا المجال من السير مع هذه الآيات في المجال التطبيقي للأفكار القرآنية وعدم الاكتفاء بالمجال النظري، لأن الوقوف في بدايات الطريق أمام الجانب الفكري بعيداً عن حركة الفكر في الواقع يجعل الإنسان مشلولاً أمام الأساليب المتنوعة التي يمكن أن يتحرك الفكر فيها بينما تعتبر إثارة الحركة التطبيقية على صعيد الواقع العملي خطوة متقدمة تعطي الإنسان الشعور بحيوية الفكرة وجدّية التحرك وسلامة الطريق في عملية تدريبية لتغيير الواقع.. و بذلك ينبغي لنا أن نشير إلى مواكب المستضعفين، أن ترصد مواقع النفوذ والقوّة في خطوات المستكبرين ليعرف المستضعفون كيف يتعاملون معهم بمسؤولية وانفتاح وثبات.. لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهدف من نُزول القرآن

حجة الإسلام
السيد محمد باقر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أهمية الموضوع

يحسن بنا قبل الدخول في بحث أصل الموضوع (الهدف من نزول القرآن) أن نتناول أهمية البحث فيه. ويمكن أن نشير بهذا الصدد و بشكل مختصر الى النقاط التالية:

الأولى: ان فهم القرآن الكريم يتأثر بمجموعة من القضايا، مثل ان تكون الرؤية في تفسيره إسلامية ومن منطلق انه وحي إلهي وليس نتاجاً بشرياً، وان نعرف الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم، وأسباب النزول التي تمثل القدر المتيقن من المصداق في المفهوم القرآني. ومن أهم هذه القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم هي معرفة الهدف في نزول القرآن، لأنَّ الهدف بطبيعة الحال يلقي بظلاله على المعنى القرآني، حيث يكون إحدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص.

فعند ما يتحدث القرآن الكريم عن تنزيل الكتاب، وانه تبيان لكل شيء **«.. ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين»** (النحل/٨٩) يمكن أن نفهم (كل شيء) هنا على ضوء الهدف القرآني وهكذا في الموارد الأخرى.

الثانية: ان معرفة الهدف القرآني، سوف يساهم في تفسير مجموعة من الظواهر القرآنية ــ كما سنتناوله بشيء من التفصيل ــ مثل ظاهرة القصة في القرآن وتكرارها، وظاهرة النسخ والاهتمام بالأحداث التي تمثل أسباب النزول، أو ببعض التفصيلات في الأحكام الشرعية دون البعض الآخر، حيث قد يختلف تفسير الظاهرة باختلاف تفسير الهدف من القرآن كما في تكرار القصة الذي يتجه البعض الى تفسيرها على أساس بلاغي، بينما قد يُفسَّر على أساس تربوي.

الثالثة: ان القرآن الكريم يتميز بمنهج خاص فريد في العرض والمضمون والنزول. والنتاج الإنساني مهماسما فلا يمكن ان يبلغ مستوى هذا المنهج. ولكنه مع ذلك يمكن ان يعتبر المنهج القرآني الأسوة التي يتأسى بها السائرون على طريق الأنبياء والمرسلين، وتشخيص الهدف منه له أهمية خاصة في موضوع هذا التأسي، حيث يمكن بعد تشخيص الهدف أن يسعى الرساليون الى تحقيق الأهداف المشابهة باتباع منهج القرآن باعتباره المنهج الأمثل في تحقيق هدفه.

فالقصة في القرآن اذا كان هدفها العرض التاريخي الأدنى ــ مثلاً ــ يكون هذا اللون من العرض القرآني هو الأمثل في تحقيق هذا الهدف، اما اذا كان هدفها هو التربية والتغيير فلا يمكن ان يكون هذا المنهج هو الأمثل إلاّ في تحقيق هذا الهدف، اما في هدف آخر فقد يكون الأفضل اتباع أسلوب آخر في العرض.

الفصل الأول

تشخيص الهدف القرآني

إذا أردنا ان نشخص الهدف من نزول القرآن، قد يكون من الأفضل الرجوع الى القرآن الكريم نفسه لتشخيص هذا الهدف. ومن خلال استعراض الآيات القرآنية التي فسَّرت نزول القرآن، وكذلك من خلال الصفات والمزايا التي أضفاها القرآن الكريم على نفسه أو أضفاها على الرسول الأمين، نلاحظ مجموعة من الأهداف التي سعى القرآن الكريم الى تحقيقها. واذا أضفنا الى ذلك ملاحظة ما تضمَّنه القرآن الكريم من مفاهيم وتصورات ومواقف وتشريعات وتوجيهات ومواعظ... يمكن أن نجد أمامنا عدداً أكبر من الأهداف.

أولاً ــ احتمالات الهدف من منظور قرآني:

١ــ ورد في القرآن الكريم بصدد تشخيص الهدف، قوله تعالى: «... **وأُوحي إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ...**» (الأنعام/١٩) و قوله تعالى: «**كتابٌ أُنزل اليك فلايكن في صدرك حرجٌ منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين**» (الأعراف/ ٢) وقوله تعالى: «**طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى* إلاّ تذكرة لمن يخشى**» (طه/١-٣) بحيث يفهم ان الهدف من القرآن هو (الإنذار والتذكرة). وهناك آيات أُخرى كثيرة تؤكد ذلك «**إنْ هو إلاّ ذكرٌ وقرآن مبينٌ**» (يس/ ٦٩) «**لعلهم يتذكرون**» (الزمر: ٢٧) «**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر**»(القمر/ ١٧) «... **إنّما أنت نذيرٌ والله على كل شيءٍ وكيلٌ**»(هود/ ١٢).

٢ــ وفي آيات أُخرى جاء القرآن لضرب الأمثال والعبر والدروس «**ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كلّ مَثَل...**» (الإسراء: ٨٩).

٣ــ وفي مكان آخر يبدو و كأنَّ الهدف من القرآن هو الحجة والبرهان والمعجزة:

«...**آئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارةٍ من علم...**»

(الأحقاف/ ٤)

«**وان كنتم في ريبٍ مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله...**»

(البقرة/ ٢٣)

«**قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً**»

(الإسراء/ ٨٨)

«**وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون* أنْ تقولوا إنّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا...**»

(الأنعام/ ١٥٥ــ١٥٦)

«**يا أيها الناس قد جاءكم بُرهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مُبيناً**»

(النساء/ ١٧٤)

٤ــ وفي مواضع أُخرى يبدو القرآن وكأنه كتاب دستور وشريعة وتفصيل للأحكام «... **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...**» (الحديد/ ٢٥)

«إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله...» (النساء/ ١٠٥) «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة» (النحل ــ ٨٩).

٥ــ وفي مواضع أُخر من القرآن الكريم جاء من أجل الحكم وفصل الخلاف والتفريق بين الحق والباطل: «وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...» (البقرة/ ٢١٣) «وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه...» (النحل/ ٦٤) «إنّ هذا القرآن يقصُّ على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل/ ٧٦).

٦ــ كما نجد في مواضع أُخرى ان الهدف من القرآن هو تصديق الرسالات السابقة وامضاؤها وتصميمها والهيمنة عليها فكان له دور وهدف تصميمي وتكميلي:

«وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث...»

(الإسراء/١٠٦)

«وأنزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...»

المائدة/ ٤٨)

«ولما جاء هم كتابٌ من عندالله مصدقٌ لما معهم...»

(البقرة/ ٨٩)

«نزّل عليك الكتاب بالحقّ مُصدّقاً لما بين يديه و أنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للنّاس وأنزل الفرقان».

(آل عمران/٣)

٧ــ وعند ما ندرس مضمون القرآن نجد القرآن الكريم يشتمل على فصول من تاريخ الانسان وحركته والتطورات التي عاشها والقوانين التي تتحكم فيه، كماورد في قصص القرآن والحديث عن الأُمم السابقة وما تعرضت له من هداية وضلال ونعمة واستقرار أوشقاء ودمار. الأمر الذي يدعونا الى ان نفرض ان الهدف من القرآن الكريم هو استعراض هذا التاريخ وهذه السيرة الإنسانية وكذلك تاريخ الرسالة الإسلامية وأحداثها.

٨ــ وأيضاً نلاحظ ان القرآن اشتمل على تصور كامل عن الكون والحياة وعلتها ومبدأ وجودها وسيرتها ونهايتها.

٩ــ وأخيراً نجد في آيات أُخرى ان القرآن هو كتاب هداية ونور و رحمة.

«شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان...»

(البقرة/١٨)

«ذلك الكتاب لاريب فيه هُدىً للمتقين»

(البقرة/ ٢)

«وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين...»

(الإسراء/ ٨٢)

«قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم».

(المائدة/١٥ــ١٦)

«كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربّهم الى صراط العزيز الحميد»

(ابراهيم: ١)

وبالرغم من ان هذه الأهداف التي أشرنا اليها، قد تكون متداخلة يؤثر بعضها بالآخر و يرتبط به في وجه من الوجوه، إلاّ انها مختلفة عندما نريد ان نفسر الظاهرة القرآنية ونسعى الى تشخيص الهدف الأساس لها.

ثانياً ــ التغيير الثوري والقاعدة الثورية، هما الهدف الأساس:

ومن أجل ان نكون أكثر وضوحاً في تحديد محور البحث، لابدّ ان نطرح السؤال كالتالي: ما هو الهدف الأساس الذي سعت الظاهرة القرآنية الكريمة الى تحقيقه من خلال وجودها بحيث يفسر لنا هذا الهدف كل آية في القرآن الكريم مهما كان مضمونها ومحتواها وصيغتها؟

ومن خلال استعراض الأهداف السابقة والمقارنة بينها، يمكن ان نخرج بنتيجة واضحة للجواب عن السؤال السابق، حيث نلاحظ ان القرآن الكريم استهدف من نزوله تحقيق هدف واحد رئيسي، له أبعاد ثلاثة، وساهمت بقية الأهداف الأُخرى بشكل أو بآخر في تحقيق هذا الهدف الرئيسي. بل أشار القرآن الكريم أحياناً الى هذه المساهمة والترابط بين هذا الهدف الرئيسي و بقية

الأهداف، كما سنلاحظ ذلك فيما بعد.

وهذا الهدف الرئيسي هو ايجاد التغيير الاجتماعي الجذري للإنسانية من خلال رسم الطريق والمنهج لهذا التغيير وخلق القاعدة الثورية التي تميَّزت بهذا المنهج والتزمت وتغيَّرت على أساسه.

أ ـ بُعد التغيير الجذري:

فالبعد الأول هو (بعد التغيير الجذري) «يخرجهم من الظلمات الى النور» على أساس قاعدة «... إنَّ الله لايُغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم...»

(الرعد: ١١)

«ذلك بأنَّ الله لم يك مُغيِّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم...»

(الأنفال/ ٥٣)

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا البعد في آيات عديدة تضمنت الهدف الأصلي من القرآن، كما تضمنت أيضاً الهدف الأصلي من مهمة النبي(ص) «... قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم» (المائدة/ ١٥ـ١٦)

«كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربِّهم الى صراط العزيز الحميد»

(ابراهيم/١)

«هو الذي يُنزِّل على عبده آيات بيِّنات ليخرجكم من الظلمات الى النور وانَّ الله بكم لرؤُفٌ رحيم»

(الحديد/٩)

«... قد أنزل الله اليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور...»

(الطلاق/ ١٠ـ١١)

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذِكراً كثيراً... هوالذي يُصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور، وكان بالمؤمنين رحيماً»

(الأحزاب/ ٤١ـ٤٣)

ففي هذه الآيات يشير القرآن الكريم الى ان عملية التغيير الجذري التي يعبر

عنها بعملية الخروج من أحد القطبين المتناقضين الى القطب الآخر ليست هي فقط من الأهداف التي يحققها و يتصف بها كما في الآية الأُولى، بل هي الهدف من أصل نزول القرآن كما في الآية الثانية والثالثة كما انها هي الهدف أيضاً من عملية الترابط بين النزول ومهمة النبي نفسه صلّى الله عليه وآله، حيث جاء هذا التعبير الرائع عن الذكر بالرسول كما في الآية الرابعة، ثم نجد ان هذا الهدف نفسه هو هدف ارتباط الانسان بربه من خلال سلوكه وذكره لله ومن خلال الرحمة والصلاة التي يتفضل بها الله على عباده كما في الآية الخامسة.

أولو العزم ومهمة التغيير الاجتماعي:

ومما يلقي الضوء على ان عملية التغيير الجذري (الإخراج من الظلمات الى النور) هي الهدف الرئيسي، ما أُشير اليه في القرآن الكريم من ربط هذه العملية بشكل متضاد ومتعاكس بتوجهات علاقات الإنسان المؤمن والكافر بالقطبين المتضادين (الله) و (الطاغوت) **(الله وليُّ الّذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات الى النُّور، والذين كفروا أولياؤُهمُ الطاغوتُ يُخرجونهم من النور إلى الظلمات، أُولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون»**

(البقرة/ ٢٥٧)

ولعل هذا البعد هو الذي يميّز مهمة أولي العزم عن غيرهم من انبياء الرسالات. وقد تكون الآية التي وردت في سورة ابراهيم بشأن موسى عليه السلام تشير الى هذه الحقيقة **«ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور»** (ابراهيم/٥) خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار أنها وردت في سياق قوله تعالى:

«كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم»

(ابراهيم/ ١)

حيث قد يكون المقصود هو المقارنة بين المهمة الأصلية للنبي محمد صلّى الله عليه وآله من خلال القرآن ومهمة موسى عليه السلام.

شمول عملية التغيير:

وقد أشار القرآن الكريم الى الأبعاد الشمولية لعملية التغيير هذه، بحيث

يكوّن لنا صورة عن أعماق الجذور التي تتناولها هذه العملية التغييرية (يخرجهم من الظلمات الى النور) وذلك عندما تحدث عن مهمة النبي محمد صلى الله عليه وآله تجاه أهل الكتاب «الذين يتبعون الرسول النبي الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهُمْ والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون»

(الأعراف: ١٥٧)

«لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»

(آل عمران/ ١٦٤)

ب ــ المنهج الصحيح للتغيير:

وهذا التغيير الجذري بطبيعة الحال يحتاج الى منهج صحيح وطريق مستقيم يمثل البعد الثاني للهدف، ويتمثل هذا المنهج بالكتاب والحكمة... (الكتاب) الذي يمثل الشريعة والدين، والحكمة التي تمثل القوانين والسنن التي تتحكم في تاريخ الإنسان وحركته وتطوره وتؤثر على سعادته وشقائه، من هنا جاء القرآن الكريم ليرسم هذا الطريق، فهو المنهج الشامل لكل مناحي حياة الإنسان، ويتناول تفاصيلها، كما أنه يحدد المواقف تجاه كل القضايا ولا يختص بجماعة من الناس دون أخرى، بل يتكفل مسيرة الانسانية حاضرها ومستقبلها.

«... القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان»

(البقرة/١٨٥)

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين»

(البقرة/٢)

«إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً»

(الاسراء/ ٩)

«وننزّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يزيد الظّلمين الاخسارا»

(الإسراء/ ٨٢)

«...ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيءٍ وهدىً ورحمةً للعالمين»

(يوسف/ ١٥٧)

«...وأُوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ...»

(الأنعام/١٩)

«ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم»

(المائدا/ ١٦)

«... ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين»

(النحل/ ٨٩)

«ان هذا القرآن يقصُّ على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون* وانه لهدى ورحمة للمؤمنين»

(النمل/ ٧٦ــ٧٧)

«يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»

(يونس/ ٥٧)

وهذا المنهج الصحيح هوالذي يعبّر عنه القرآن الكريم في مواضع عديدة بالصراط المستقيم، والذي يمثل الكمال الإنساني، وتمام النعمة للبشرية، ومنتهى طموحاتها و آمالها «إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالّين» (الفاتحة/ ٦،٧). «قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» (الأنعام/ ١٦١) «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم» (النحل/ ١٢٠ــ١٢١) «إنّا فَتَحْنا لَك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً»(الفتح/١،٢)

ج ــ خلق القاعدة الثورية:

كما ان عملية التغيير الاجتماعي الجذري تحتاج أيضاً ــ بطبيعة الحال ــ الى خلق القاعدة الثورية التي تمثل البعد الثالث للهدف. ولذلك سعى القرآن الكريم الى خلق هذه القاعدة الثورية، وأعطى ذلك أهمية خاصة، واهتم بمعالجة

القضايا الآنية والمستجدة التي يعيشها الرسول بشكل خاص، وتابع الأحداث التي كانت تواجه الرسالة، واتخذ المواقف تجاهها ليحقق هذا الهدف العظيم. ومن الواضح ان خلق هذه القاعدة وتكوينها في الوقت الذي يمثل مهمة صعبة وبالغة التعقيد، كذلك يمثل مهمة ذات أهمية في مستقبل الرسالة وقدرتها على البقاء والإستمرار، بالإضافة الى قدرتها على الشمول والانتشار.

فبالإضافة الى البعد الكيفي في عملية التغيير التي استهدفها القرآن، كان هناك بعد كمّي في الهدف يتوخى بشكل خاص ان يقوم النبي ببناء القاعدة للرسالة بحيث يمكن لهذه الرسالة بعد ذلك ــ أي بعد وفاة الرسول وانقطاع الوحي ــ ان تستمر وتنتشر من خلال هذه القاعدة التي أولاها أهمية خاصة، وأعطاها قسطاً كبيراً وحظاً وافراً من القرآن الكريم، كما نلاحظ ذلك في مجمل الآيات التي تناولت الأحداث في عصر الرسالة وتفصيلاتها وكذلك بعض التقاليد والعادات والقوانين بالإضافة الى عنصر اللغة في القرآن.

فهناك توجه خاص في القرآن الكريم الى سكان الجزيرة العربية (أُم القرى ومن حولها) من أجل أنْ يخلق منهم القاعدة الثورية للإنطلاق بالرسالة.

وهذا التوجه الخاص ليس على أساس وجود الامتياز لأبناء الجزيرة على غيرهم من البشر، وانّما هو على أساس تحقيق الهدف الكمي (المرحلي) للرسالة الإسلامية، باعتبارهم مجال عمل النبي والجماعة التي بدأت الرسالة فيها.

«وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أُم القرى ومن حولها، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يُحافظون»

(الأنعام/ ٩٢)

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أُم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير»

(الشورى/٧)

«هو الذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»

(الجمعة/٢)

«لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم...»

(آل عمران/ ١٦٤)

«وهذا كتابٌ أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون * أنْ تقولوا إنَّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كُنّا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أُنزل علينا الكتاب لَكُنّا أهدى منهم فقد جاء كم بيِّنةٌ من ربِّكم وهدىً ورحمةٌ فمن أظلم ممَّن كذَّب بآيات الله...»

(الأنعام/ ١٥٥ــ١٥٧)

ومن المحتمل قوياً ان أحد خلفيات التأكيد على مجموعة من القضايا والمفردات في القرآن الكريم، هو قضية هذا التوجه الخاص لأبناء الجزيرة، ويمكن ان نلاحظ ذلك في قضية التأكيد على ابراهيم عليه السلام، وكذلك التأكيد على ابراهيم عليه السلام، وكذلك التأكيد على الوحي ومعالجته بشكل خاص، والتأكيد على رفض الأصنام، واعطاء الأسلوب أهمية خاصة في القرآن كما نشاهده في السور القصار، الى غير ذلك من المفردات والقضايا.

وسوف يأتي مزيد من التوضيح لهذا البعد عند ما نتناول الظواهر القرآنية على ضوء الهدف.

ثالثاً: الأهداف الأُخرى تساهم في الهدف الرئيسي.

وفي ضوء هذا التفسير للهدف القرآني الرئيس، يمكن ان نفهم دور الأهداف الأُخرى التي استعرضناها في تحقيق هذا الهدف بالإضافة الى موقعها الأصلي من الهدف القرآني وانها مجرد أهداف فرعية ولا يمكن ان تكون بمجموعها هي الهدف الرئيس فضلاً عن ان يكون كل واحد منها هو الهدف الرئيس.

١ــ فالإنذار والتذكير الذي ورد في القرآن ذكره كهدف نزوله كما في بعض الآيات التي استعرضناها، كما انه ورد ذكره كمهمة يتولاها الأنبياء في عملهم. «أولَمْ يتفكَّروا ما بصاحبهم من جنة إنْ هو إلاّ نذيرٌ مبينٌ» (الأعراف/١٨٤) «إنْ أنا إلاّ نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون» (الأعراف/٨٨) «... إنما أنت نذيرٌ والله على كل شيء وكيلٌ» (هود/١٢) «قال يا قوم إني لكم نذيرٌ مبينٌ» (نوح/٢). هذا الإنذار يمثل جزءاً من مهمة الأنبياء وجانباً من الهدف القرآني والأُسلوب الرئيس لتحقيق عملية التغيير الإجتماعي.

ويتضح ذلك عند ما نلاحظ الإنذار مذكوراً الى جانب قضايا أخرى يتكفلها القرآن والنبي.

«قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمة

للمؤمنين» (يونس/٥٧) فالموعظة الى جانب الشفاء والهدى والرحمة. «الذين يتّبعون الرسول النبيَّ الأُمّيَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...» (الأعراف/ ١٥٧) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جانب تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ورفع الاصر والاغلال. كما ان الإنذار يقترن في كثير من الآيات بالبشارة. «كان الناس أُمّةً واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه، والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مستقيم» (البقرة/٢١٣)

ولعل هذه الآية الكريمة تلقي الضوء بشكل واضح على دور الإنذار في القرآن وعمل النبيين، وان الإنذار مهمة يقوم بها النبي الى جانب الكتاب الذي يهدي الى المنهج والصراط المستقيم.

واذا عرفنا ان المعادلة الأصلية للدين تتوقف على قضية الإنذار، عرفنا السبب في تأكيد القرآن على الإنذار كهدف لنزوله وكمهمة للأنبياء، ذلك ان صورة الحياة ومقاييسها التي يعتمدها الدين في القسط والميزان ترتبط بشكل رئيسي بقضية الحياة الآخرة والبشارة والانذار بالعذاب فيها.

كما ان التأكيد على ان مهمة النبي هو الانذار، يمكن اين يكون لمعالجة نفسية للنبي الذي يتصور ان قضية التغيير من مسؤوليته، بحيث عندما لا يتحقق التغيير يكون أمام موقف محرج عندالله «لعلّك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين * إنْ نشأ ننزل عليهم من السماء آيةً فظلّت أعناقهم لها خاضعين» (الشعراء/٣ــ٤)، «ومن ضَلَّ فقل إنّما أنا من المنذرين» (النمل/ ٩٢). «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلاّ تذكرة لمن يخشى» (طه/١-٣). «فلعلّك تاركٌ بعض مايُوحى اليك وضائقٌ به صدرك أنْ يقولوا لولا أُنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملكٌ إنّما أنت نذيرٌ والله على كلّ شيءٍ وكيلٌ» (هود/ ١٢). وحينئذ يحدد القرآن المسؤولية بالانذار وهناك فرق بين المسؤولية و بين المهمة والهدف الذي يتولاه النبي. فالنبي عليه ان يبذل كل طاقته، وهو مسؤول عن الانذار والبذل، واما التغيير فهو وان كان هدفاً له ومن المهمات التي يسعى اليها ولكنه ليس مسؤولاً عن النتائج.

كما ان التأكيد على قضية الانذار أحياناً، لتوضيح ان النبي ليس له طمع

٥ــ وهكذا هدف الفصل وجسم الخلاف والتفريق بين الحق والباطل، حيث ان هذا جزء من المنهج العام والهدى والنور، كماورد في الآية (البقرة/٢١٣) الآنفة الذكر.

٦ــ وتصديق الرسالات وتكميلها، لايعني ان التغيير ليس جذرياً في المجتمع، لانَّ الانحراف الاجتماعي قد يصل الى مستوى بحيث يكون المجتمع بعيداً عن منظور الرسالات السابقة فضلاً عن الرسالة الجديدة، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم في مناسبات عديدة خصوصاً عند مناقشته لأهل الكتاب وتعصبهم وانحرافهم وشرائهم بآيات الله ثمناً قليلاً. فالقرآن في الوقت الذي هو يكمل الرسالات السابقة ويصدقها ويهيمن عليها في عملية الاصلاح والكمال، يقوم أيضاً بعمل جذري بتجاه المجتمع الذي ابتعد عن منظور تلك الرسالات ومفاهيمها بعد ان تعرَّضت للتحريف على مستوى الأفكار والمفاهيم وعلى مستوى الواقع العملي في السلطان والجاه والأجر المادي، وانما يريد القيام بواجبه وبمسؤوليته وهي الانذار. «**واتل عليهم نبأ نوح إذْ قال لقومه يا قوم إنْ كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غُمَّةً ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون* فإن توليتم فما سألتكم من أجرٍ إنْ أجريَ إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**» (يونس/٧١ــ٧٢).

٢ــ وضرب الأمثال في القرآن إنَّما جاء من أجل الانذار والتذكير، كما اشارت الى ذلك بعض الآيات «**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كُلِّ مَثَلٍ لعلَّهم يتذكرون**» (الزمر: ٢٧).

٣ــ وعندما يكون القرآن حجة وبرهاناً ومعجزة، فهو يساهم في عملية الانذار والهداية، ولذلك نجد ان البرهان يقترن بالهداية والنور والصراط المستقيم في القرآن نفسه «**يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مُبيناً* فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً**» (النساء/ ١٧٤، ١٧٥)

٤ــ وتفصيل الأحكام يمثل المنهج الذي تعتمد عليه عملية التغيير بصورة أساسية، كما أشرنا الى ذلك. ولذا يقترن تبيان كل شيء بالهداية والرحمة في القرآن، وهذه الهداية التي تمثل المنهج والصراط المستقيم «**ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين**» (النحل/ ٨٩)

أي على مستوى النظرية والتطبيق معاً.

وتصبح عملية التصديق بالهيمنة جزءاً من الهدى والصراط المستقيم الذي يمثل عمل كل الأنبياء والرسل. كما أشرنا الى ذلك في الهدف الأساس للقرآن الكريم. «**قُل إنّني هداني ربي الى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**» (الأنعام/١٦١) وبشكل أوضح نجد ذلك في الآية (الأعراف: ١٥٧) «**الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة...**»

٧ــ وتاريخ الإنسان وقصص الأُمم والأنبياء والقوانين التي تتحكم في هذا التاريخ كله يمثل المادة الأساسية للانذار والحكمة التي يتضمنها هذا المنهج العام و يدلل على أبعاد هذا المنهج وجذوره ومدى علاقته بالماضي والقوانين التي تتحكم في مستقبله.

٨ــ ونفس الشيء يمكن ان نقوله في التصور الكامل عن الحياة الذي يقدمه لنا القرآن الكريم والذي يمثل القاعدة الأساس لهذا المنهج، وبين الموازين التي تتحكم فيه والمعادلة الصحيحة في حياة الإنسان التي يقدّمها الدين والقرآن، وموقع هذا الإنسان من الوجود ومسؤولياته فيه.

وبهذا نجد ان كل الأهداف الأُخرى على أهميتها ــ إنّما هي أهداف فرعية بالنسبة الى الهدف الأساس، وهي تساهم في تحقيقه الى حدٍ بعيدٍ، وهذا ما حصل بالفعل في تاريخ القرآن.

الفصل الثاني

القرآن الكريم يحقق الهدف الأساس من خلال سيرته

وعندما نراجع سيرة القرآن الكريم في عصر النبوة، نجد ان القرآن الكريم استطاع ان يحقق هذا الهدف التغييري بكل أبعاده، حيث استطاع ان يرسم المنهج الشامل والطريق المستقيم للبشرية جمعاء من خلال عطائه في كل المجالات، ولازالت هذه البشرية تستلهم القرآن ومضامينه. وقد اثبتت هذه الحقيقة، الثورة الإسلامية في ايران بقيادة إمام الأمة السيد الخميني دام ظله الشريف، من خلال الواقع التطبيقي، وكذلك مؤلفات علماء المسلمين الذين اهتموا باكتشاف النظرية الاسلامية الشاملة لكل مناحي الحياة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

الشارحة له. ومن النماذج الرائعة لهذه المؤلفات في هذا العصر مادبجته يراعة أُستاذنا آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر وما اكتشفه من نظريات اغنت الفكر الاسلامي ونقلته الى مستوى جديد في هذا التصور الشامل.

ومن خلال النقاط التالية التي سوف نتناولها بايجاز ــ لأن كل واحدة منها تستحق بحثاً كاملاً ــ يتبين لنا عمق التغيير الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم في القاعدة الثورية التي بناها وأوجدها، كما ان حجم هذه المحصلة التغييرية يدلل على انها كانت هدفاً أساسياً للقرآن.

أ ــ الإله الواحد الكامل:

كان العرب في الجزيرة العربية يعيشون حالة من التردي والميوعة والضعة في تصور الإله الذي يدير شؤونهم و يتولى خلقهم والتصرف في مقدراتهم. وهم بالرغم من اعتقادهم بالله الخالق، كانت فكرة وساطة الأصنام والأحجار والملائكة والجن والكواكب وغيرهم سائدة في أذهانهم ومسيطرة على عقولهم بحيث لايكادون يميزون بين هؤلاء الوسطاء والله الخالق. واصبح الشرك والوثنية ظاهرة اجتماعية تتدخل في كل شؤونهم الحياتية وتصرفاتهم واعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والشخصية، بالإضافة الى جانب العقيدة والعبادات.

والعرب وان كان بعضهم من اليهود والنصارى، إلاّ ان اليهودية والنصرانية لم تكن قادرة على معالجة هذه الحالة المتردية بعد ان منيت نفسها بالإنحراف والشرك .

«إتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون»

(التوبة/٣١)

«إنْ يدعون من دونه إلاّ إناثاً وان يدعون إلاّ شيطاناً مريداً* لعنه الله وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً* ولأُضلنّهم ولأُمنينّهم ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليُغيّرُنّ خلق الله، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خساناً مُبيناً»

(النساء/١١٧ــ١١٩)

«وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانه، بل عبادٌ مكرمون»

(الأنبياء/ ٢٦)

«و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنَّ أكثرهم بهم مؤمنون»

(سبأ/ ٤٠، ٤١)

«ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا الى الله زلفى، إنَّ الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون، إنَّ الله لايهدي من هو كاذبٌ كفارٌ»

(الزمر/ ٣)

«إنَّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوالكم إنْ كنتم صادقين»

(الأعراف/ ١٩٤)

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً حول هذا الموضوع، وعالجه بمختلف الأساليب والوسائل والأدلة، بحيث أصبحت قضية الشرك والأصنام من القضايا المركزية التي عالجها، وتمكن من خلال ذلك ان يقدم التصور الكامل عن الكمال الإلهي والإله الواحد المطلق المتصف بصفات الكمال والحسن، ويجعل هذا الإنسان المشرك يرفض كل ألوان الشرك ، و يتوقف عن كل شبهة بحيث نجد المسلمين يتوقفون في قضية السعي بين الصفا والمروة خوفاً من شائبة الشرك « إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حَجَّ البت أواعتمر فلاجناح عليه أنْ يطوَّف بهما، ومن تطوَّع خيراً فإنَّ الله شاكرٌ عليمٌ»

(البقرة/ ١٥٨)

بل لاحق القرآن الكريم قضية الشرك في النفس الإنسانية وفي كل تصرفات الإنسان، بحيث أعطى للوحدانية أبعاداً لم تكن تعرفها الإنسانية في حياتها ووجودها، كما أعطى للكمال الالهي أبعاداً جديدة و بشكل مبسط يتمكن هذا الإنسان الساذج ان يتصوره و يدركه و يتحرك على أساسه.

وبالمقارنة بين التردي في مستنقع الشرك والضلالة والتعددية التي كان عليها أبناء الجزيرة والتغيير الذي حصل في التصور للإله والوحدانية لديهم من

خلال تأثير القرآن، يمكن ان نعرف عمق التغيير الذي أحدثه القرآن في هذا المجال.

ب ــ الكرامة الإنسانية، والعلاقات الإنسانية:

لقد كان العرب يعيشون العلاقات القبلية و يتعاملون على أساس من العلاقات الإنسانية التي تتميز بالقوة والعنف والأُطر الضيقة المحدودة بحيث ينظر الإنسان للأشياء من خلال ذاته ولا يشعر بالكرامة الإنسانية وميزاتها إلاّ من خلال الأوهام والقوى المادية. وكانت كل حياتهم تنطبع بهذه التصورات عن العلاقات.

فلم يكن يجمعهم شيءٌ في تصورهم للإنسان إلاّ من خلال الأوهام والقوى المادية. وكانت كل حياتهم تنطبع بهذه التصورات عن العلاقات.

فلم يكن يجمعهم شيء في تصورهم للإنسان إلاّ العلاقة النسبية التي كانت تتضاءل في بعض الأحيان بحيث تكاد تمزقهم الى أُسر صغيرة. فالقبيلة تنقسم الى العشيرة، والعشيرة تنقسم الى الأُسرة، وهكذا، كما انهم كانوا ينظرون الى المرأة والعبيد والموالي والضعفاء من الناس كالأيتام والقاصرين كما ينظرون الى الأموال.

وقد جاء القرآن من أجل أنْ يعيد لهؤلاء كرامتهم الإنسانية، ويجعل هذه الكرامة هي الأساس في العلاقات، ويخلق في أذهانهم الصورة الكاملة والكبيرة التي تسع البشرية جمعاء، ويحملهم مسؤوليتها، و يقيم أُسس الكفاءة الإنسانية بين كل هذه الفئات الإجتماعية، و يعيد للمرأة كرامتها، وللعبد انسانيته، فضلاً عن الموالي والضعفاء من الناس، و يضع المقاييس والموازين الموضوعية كالتقوى والعلم والجهاد والعمل الصالح لتقوم عليها العلاقات الانسانية.

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروانثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبيرٌ»

(الحجرات: ١٣)

«وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول

عليكم شهيداً...»

(البقرة/ ١٤٣)

«وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو آجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملةَ أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرّسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»

(الحج/ ٧٨)

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واذكروا نعمة الله عليكمْ إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يُبيِّنُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون»

(آل عمران/ ١٠٣، ١٠٤)

وتابع القرآن الكريم كل القضايا التي ترتبط بهذه العلاقات والكرامة الإنسانية، بحيث نقل هؤلاء العرب المتفرقين الى أمة تحمل الخير للبشرية وتفكر في إطار (الدولة العالمية) وتسعى لها وتضحي من أجلها. ثم يقيم العلاقات الإجتماعية بدرجة تصبح للمرأة كرامتها الإنسانية الكاملة التي لم تعرفها الإنسانية حتى في هذا العصر الحديث وكذلك يصبح للعبيد وجودهم وكرامتهم بحيث يتسلمون أعلى المناصب والدرجات في الهيكل الإجتماعي، وهكذا شأن الموالي والأقليات الدينية...

«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً»

(الإسراء: ٧٠)

ج ــ الفهم الجديد للحياة

لقد كان الإنسان في الجزيرة العربية يتعامل مع الحياة الدنيا على أساس انها هي مجمل حياته، وكانت الشهوة والقوة هما الأساسين اللذين ينطلق منهما الإنسان في تفاعله مع الحياة بعيداً عن القيم والمثل. وهذه النظرة الضيقة للحياة كانت تؤثر الى حد كبير على سلوك الإنسان، ولازالت حتى الآن تؤثر على سلوكه

بمقدار عمق هذه النظرة في وجوده وغفلته عن الحقيقة القرآنية للحياة.

وكان الذي يساعد على تعميق هذه النظرة في وجدان الإنسان وضميره وتقييمه للوجود، هو الجانب المادي للإنسان من ناحية الغرائز والشهوات التي أودعها الله سبحانه في نفس الإنسان، بحيث أصبح يتجه الى التجسيد والصور الحسية.

وكان الإنسان الجاهلي يمثل النموذج المتردي للإنسان في هذا التصور، ولهذا انساق الى الإنغماس في الحياة الدنيا، وتعاطى الرذيلة والشهوات بمختلف أشكالها و بعيداً عن القيم والمثل.

«زُيِّنَ للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»

(آل عمران/ ١٤)

«إعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً...»

(الحديد/ ٢٠)

«زُيِّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة»

(البقرة/ ٢١٢)

ولذلك نجد القرآن الكريم في موارد متعددة ينسب كل ألوان الإختلاف والإنحراف والتردي الى هذا التصور للحياة والتعامل مع الأحداث من خلال هذا التصور. أُنظر كشاهد الآيات ٨٥ــ٨٦/ البقرة والآيات ٣٣/ النور و ٧٩/ القصص و ٣٨/ التوبة.

ولكن القرآن تمكن ان يحقق هدفاً تغييرياً واسعاً في هذه النظرة من خلال معالجات كثيرة، واعطاء تصور حقيقي للحياة الدنيا وهدفها ومآلها وقيمة الأشياء فيها، بحيث أخذ هذا الإنسان المنغمس في الشهوات والدنيا يبادر الى البذل والعطاء والشهادة لتحقيق الثواب.

«يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار»

(غافر/ ٣٩)

«بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خيرٌ وأبقى»

(الأعلى/ ١٦، ١٧)

«وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعبٌ، وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون»

(العنكبوت/٦٤)

«إنّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنَتْ وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون»

(يونس/ ٢٤)

«يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره»

(الزلزال/٦ــ٨)

«... وما تُقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عندالله، إنَّ الله بما تعملون بصيرٌ»

(البقرة/ ١١٠)

«وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تُقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً، واستغفروا الله، إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ»

(المزمل/ ٢٠)

وقد كان لهذا التصور أثره البالغ في كل مجالات الحياة الإنسانية في الحكم والنظام والجهاد والإقتصاد والعلاقات العامة والخاصة. وهناك صور رائعة في التاريخ الإسلامي تعبّر عن عمق هذا التصور في ضمير الإنسان المسلم.

د ــ تحرير إرادة الإنسان

كما ان القرآن تمكّن من ان يحرر الإنسان من عبودية الأصنام والطغاة تمكن من تحرير إرادة الإنسان من عبودية الشهوة والذات والخوف وكل العوامل الأُخرى المؤثرة على ارادته وذلك من خلال معالجة موضوعية لقضية الحرية والإرادة والإختيار وجعلها هي المحور الأساس في حركة الإنسان وسلوكه ونموه وتطوره، وان الله سبحانه انما خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا وجعله عرضة لمختلف العوامل

الطبيعية والإجتماعية والذاتية من أجل هذا الإختيار والإمتحان ومن أجل ان يتطور و ينمو في اختياره.

«أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله، ألا إنَّ نصرالله قريبٌ»

(البقرة/ ٢١٤)

«أحسب الناس أنْ يُتركوا أنْ يقولوا آمنّا وهم لايُفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين»

(العنكبوت/ ٢،٣)

«أمْ حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين»

(آل عمران/ ١٤٢)

«... لا إكراه في الدين قدتبين الرُّشدُ من الغَيِّ»

(البقرة/ ٢٥٦)

«إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً»

(الانسان/ ٣)

وبعد هذا التأكيد على الإرادة وأهميتها في حياة الإنسان، عمل القرآن الكريم على تنمية هذه الإرادة وتحريرها من كل المؤثرات وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي يريدها القرآن الكريم لها: من خلال تنمية عامل التقوى في نفسه، وتجسيد المُثُل والقيم والأهداف الكبيرة، واعطاء التصور الحقيقي للإنسان عن الحياة، والتأكيد على التعويض في الدار الآخرة التي هي خير وابقى.

«ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون * فَرِحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يَلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون»

(آل عمران/ ١٦٩، ١٧٠)

ولعل من أفضل صور نمو الإرادة وتحريرها عند الإنسان المسلم في عصر الرسالة والقرآن، هي قصة النهي عن شرب الخمر الذي جاء به القرآن الكريم والذي كان تجارة رئيسية في ذلك المجتمع ويمارس شربه بشكل طبيعي. فكان

لمجرد نهي القرآن، الأثر العميق في كف المسلمين بشكل عام عن تناوله.

مع ان الولايات المتحدة الأمريكية عملت لمدة ثلاث عشرة سنة ١٩١٨ــ١٩٣٢ بكل قدراتها وطاقاتها على منع تناول الخمرة، واتخذ الكونغرس الأمريكي قراراً بذلك، لكنها لم تتمكن من أن تصنع شيئاً مهماً مما اضطرها الى التراجع عن هذا القرار.

وهذا الشعب الذي كان يخاف ان يتخطفه الناس من حوله، اذا به يملك ارادة، ويحمل مسؤولية المستضعفين في العالم، و يسعى للإطاحة بنظام كسرى وقيصر، وتخليص الإنسانية من طغيانهما.

هـ ــ التوجه الى طلب العلم والمعرفة والبناء الذاتي

لقد تمكّن القرآن الكريم ان يحدث تغييراً هائلاً وكبيراً في مجالين مهمين من حياة الإنسان، ذلك هو طلب المعرفة والحقيقة في الكون والطبيعة، انطلاقاً من معرفة الله سبحانه وتعالى، والتأمل في كل هذا الوجود، وكذلك تنمية الوجدان والضمير والرجوع الى الفطرة الإنسانية السليمة في مقام التعامل مع الأحداث والقضايا، أي مسألتي (العقل النظري والعقل العملي) ومسألة (المعرفة والوجدان) ومسألة (الحقيقة والعدالة).

لأن أهم قضيتين تواجهها الإنسانية في الحياة الدنيا، هي قضية المعرفة والحقيقة، وقضية العدل والظلم. ولا زال الإنسان منذ بداية وجوده يسعى في هذين الخطين الرئيسين، و ينشدهما في حياته. وقد اهتم القرآن بذلك، ولفت انظار المسلمين والناس الى هذين الأمرين.

والآيات القرآنية ــ التي تناولت هذا الموضوع، كثيرة.

«... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»

(المجادلة/ ١١)

«ألَمْ ترَ أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سودٌ * ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك، إنَّما يخشى الله من عباده العلماء، إنَّ الله عزيزٌ غفورٌ»

(فاطر/ ٢٧، ٢٨)

«ومالكم لا تُقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان

الذين يقولون ربنا أخرِجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً»

(النساء/٧٥)

«أُذِنَ لِلَّذينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وانَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهم لَقَدِيرٌ»

(الحج/ ٣٩)

وقد تمكّن القرآن الكريم ان يحرر الإنسان من الأساطير والخرافات والأوهام التي كانت تتحكم في حياته والشكوك والشبهات في كل مجالات حياته، كما انه احيى عنصر الوجدان في ضمير الإنسان من خلال معالجة حقيقية جادة لقضية القلب والوجدان والأمراض التي يواجهها، فأحدث تغييراً واسعاً في هذين المجالين انعكس على حياة المسلمين وتطورهم، فأصبحت الأُمّة الاسلامية في فترة قصيرة من الزمن أرقى أُمة تعرفها البشرية في علومها وأوعى أُمة في ضميرها وفهمها لقضية العدل والظلم.

و ـ تنظيم الحياة الاجتماعية

لقد كانت الأوضاع الإجتماعية التي جاء القرآن لمعالجتها، تعيش حالة من الفوضى والتفكك، وتحكمها مجموعة من التقاليد والعادات الهشة التي سرعان ما تنهار أمام كل هبة ريح وتتفشى فيها مختلف ألوان الإستغلال والإستثمار والإنحراف.

وقد تمكّن القرآن الكريم في خلال فترة قصيرة من الزمن اعجازية ـ خصوصاً اذا أخذنا بنظر الإعتبار الأوضاع الإجتماعية نفسها ـ من ان يحقق اصلاحاً واسعاً في هذه الأوضاع على مستوى النظام.

فوضع الأُسس لنظام الحكم والإقتصاد والعلاقات الإجتماعية العامة والعلاقات الدولية والحرب ونظام التجارة والعقود والأُسرة والعبادات... الى غير ذلك من المجالات، بحيث أصبح هذا المجتمع مكتمل الشخصية، قادراً على مواجهة مختلف الظروف.

وقد تعرض هذا المجتمع بالفعل الى هزات قوية داخلية وخارجية، ولكنه تمكن من الصمود في وجهها، من قبيل الإتجاهات السياسية المختلفة في نفس القاعدة الثورية، أو حروب الردة، أو الحروب التي دخلها مع الأنظمة الطاغوتية

المجاورة.

ولم يتمكن هذا المجتمع من مواجهة هذه الظروف القاسية فحسب، بل تمكّن من التغلب عليها وتحقيق الإنجازات العظيمة للشعوب المجاورة، بحيث تمكّن من تحريرها وتغييرها أيضاً في فترة زمنية اعجازية.

والقرآن الكريم مليء بالشواهد على هذا التغيير العظيم الذي أحدثه في نظام المجتمع وفي مختلف الجوانب، كما ان التاريخ الإسلامي مليء بالشواهد على خصائص هذا التغيير المتميز وقدرته على الحركة والفعل والمبادرة وقوته في التنمية الإقتصادية والإجتماعية والعلمية وفي كل المجالات.

ومن خلال هذه النقاط التي استعرضناها وغيرها مما لايسع المجال الى تفصيله، نعرف ان هذا الهدف التغييرى لم يكن هدفاً نظرياً فقط، وانما كان له واقع تطبيقي رائع ينسجم مع النظرية نفسها.

كما انه لايفوتنا ان ننبّه ان القرآن حي ما بقيت الحياة، وليس مرهوناً بفترة زمنية معينة، وانما كان من أهدافه خلق القاعدة الثورية في فترة زمنية معينة لتكون منطلقاً للتغيير الأشمل على ان تبقى مساهمته في هذا التغيير مستمرة ودائمة.

ملامح الاقتصاد الاسلامي
في القرآن الكريم

حجة الإسلام
السيد محمود الهاشمي/ العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

ان البحث حول مسائل الإقتصاد الإسلامي، له أبعاد ومجالات مختلفة ومتسعة، ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ــ مع هذا المجال المحدود ــ أنْ نستوعب كل ذلك. ولهذا فما يشكل حديثنا هذا، ليس إلاَّ عرض لمحة من الإقتصاد الإسلامي على أساس ما جاء في القرآن الكريم بهذا الصدد.

وطبيعي ان نلتفت في مطلع الحديث الى بعض النقاط:

١ــ ان القرآن الكريم هذا الكتاب السماوي العظيم، لم ينزل لغرض شرح النظريات والقوانين العلمية وتبيينها، بل ان الهدف الرئيس منه هو؛ الهداية والتربية، وسوق الإنسانية نحو الأهداف العالية التي خُلقت لأجلها، وان هذا الموضوع ليرتبط أكثر من غيره بفلسفة الإنسان ومعرفته عن نفسه وعن العالم والمبدأ والمصير، ولهذا نجد القرآن الكريم ــ عموماً ــ يتحدث في اطار المسائل، و يطرح العلاقات العلمية والقانونية بالقدر الذي يقرِّب الإنسان الى هذا الهدف.

٢ــ ان ما جاء في القرآن الكريم بلحاظ المسائل الإقتصادية، إنَّما يتعلق في الواقع بالمذهب الإقتصادي، لا علم الاقتصاد، بمعنى ان القرآن لم يتحدث مطلقاً عن العلاقات الإقتصادية أو علاقات العرض والطلب والقيمة، أو علل التضخم والركود الإقتصادي، ذلك لأنَّ مثل هذ المسائل وهي علمية محضة ورهينة بكشف الواقع الخارجي سواء كانت في مجال الطبيعة والفيزياء أو في مجال المجتمع والتاريخ، يتم الحصول عليها بواسطة قوة العقل والتجربة الإنسانية.

اما ما يكتسب أهمية أكبر لدى الإنسان، ولا يمكن الحصول عليه من خلال العلم والتجربة، فهو المذهب الإقتصادي الذي يشمل المسائل التقييمية والفلسفية والتربوية والحقوقية في مجال المجتمع والعلاقات الإقتصادية المسيطرة عليه. ولذلك نجد القرآن باستمرار يتحدث عن هذه المسائل، وحتى لو تحدث عن العلاقات الإقتصادية، فإنه هنا أيضاً يمنحها نظرة مذهبية عقائدية، وهذا ما نلاحظه في مستقبل البحث.

٣ــ ان الآيات التي نتعامل معها ــ من الزاوية الإقتصادية ــ في القرآن الكريم، تتجه في أكثر الموارد الى الكليات الحقوقية، والإتجاهات والأهداف والأسس والمعالم الأساسية للنظام الإقتصادي الاسلامي، اما التفصيلات الحقوقية وفروع المباحث الإقتصادية الإسلامية فلا يمكن الحصول عليها كلها من الآيات الشريفة، وانما علينا بهذا الصدد ان نلجأ الى المصدر الآخر للحقوق الإسلامية، أي السُّنَّة والأحاديث الشريفة للرسول الأكرم(ص) والأئمة الطاهرين، ولما كان بحثنا يقتصر على النظام الإقتصادي الإسلامي بالقدر الذي يعكسه القرآن الكريم، فإننا سوف لن ندخل في تلك البحوث المفصلة، ونرجئها الى بحث أكثر اتساعاً وعمومية حول الإقتصاد والإسلام.

٤ــ والنقطة الأخرى التي يجب التوجه اليها بكل تأكيد، هي مسألة الدور الذي تقوم به النظرة الكونية، وأسلوب التفكير الذي يمنحه القرآن للمسلم في مجال النظام الإقتصادي الذي نرمي اليه.

ذلك اننا لانستطيع ان نفصل الجوانب الإجتماعية للإنسان عن المحتوى العقائدي ونوع معرفته مطلقاً. والحقيقة ان عقيدة الإنسان هي التي تصوغه من الداخل وتصنع بالتالي ظروف ايجاد المجتمع وروابطه وأهدافه الإجتماعية المطلوبة. والعقيدة هي لوحدها القادرة على ان تفسّر وتوجّه كل القوانين والمقررات الإجتماعية المتعلقة بالسلوك والحركة الإنسانية. وعلى أساس من النظرة الكونية يمكن للقوانين والنظم الإجتماعية ان تقع موقع القبول لدى أفراد المجتمع وتحصل بالتالي على ضمانات التنفيذ، وبالتالي فإنَّ النظرة الكونية هي التي تمتلك الدور الرئيس الحاسم الذي يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في ايجاد الإنسجام العام والإيصال الى الأهداف المنشودة لدى مذهبٍ اقتصادي معين.

بل ان كل النظم الإجتماعية للإسلام، تعتمد أكثر من أي شيء آخر

على هذا البعد، وهو بعد أساسي مضموني بلاريب، فهو عبر هذا الأسلوب من التفكير، والقناعات القائمة على أساس مثل هذ المسائل العقائدية والتربوية، يسعى دائماً لتأمين أفضل سند للتنفيذ الدقيق للمسائل الإقتصادية في ظل نظام إقتصادي عام.

هذا مع ملاحظة ان الأفراد مع الإحتفاظ بحريتهم واختيارهم، يلتزمون بالعمل بوظائفهم القانونية في المسائل الإقتصادية ــ باعتبار ذلك عبادة قائمة على اساس العقيدة ــ دون أية حاجة الى الضغط والإجبار من الحكومة، وانما نجدهم يتبرعون لتحقيق الأهداف الإقتصادية، بل نجدهم يقدّمون حاجات الناس والمجتمع على مسألة تأمين رفاههم الشخصي. الأمر الذي نشاهد له في طول التاريخ الماضي شواهد كثيرة في المجتمعات الإسلامية، رغم عدم توفر المجال الإسلامي المطلوب تماماً وحكومة الطواغيت غالباً ــ ولا يمكننا فعلاً استعراض بعض منها ــ.

ومع وضوح النقاط السابقة، نعمد الى بيان ملامح النظام الإقتصادي الاسلامي وفقاً لما ورد في القرآن الكريم. ويمكن تقسيم البحث الى الفصول التالية:

الفصل الأول ــ المعايير والأهداف.

الفصل الثاني ــ نوع الملكية في النظام الإقتصادي.

الفصل الثالث ــ الحرية الإقتصادية.

الفصل الرابع ــ التحديد من الحرية الإقتصادية.

الفصل الخامس ــ الضرائب الإسلامية، ودورها في التوزيع المجدد.

الفصل السادس ــ دور الدولة في الإقتصاد الإسلامي.

الفصل الأول

المعايير والأهداف

١ــ التوحيد والإيمان بالغيب

يعتبر التوحيد والإيمان بالغيب، أول معيار ومبنى، وأهمها في النظرة الكونية الإسلامية.

«... الذين يؤمنون بالغيب...»

(البقرة/٣)

وعلى أساس من هذا المعيار، يرى الإنسان نفسه وكل شيء في عالم الوجود، معلقاً تعلقاً تامّاً بالله تعالى.

ووفقاً لهذه النظرة، ينقسم الوجود الى قسمين: عالم الغيب وعالم الشهادة

«... عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك ...»

(الزمر/ ٤٦)

حيث تسير أمور عالم الشهادة والمادة وفق هدي من عالم الغيب والله تعالى

«ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله...»

(هود/ ١٢٣)

«وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو...»

(الانعام/ ٥٩)

وان ادراك كنه هذه العلاقة وسائر مسائل عالم الغيب، خارج عن نطاق قدرة الذهن البشري، ذلك لأنّه نفسه في هذا العالم داخل في اطار عالم الشهادة. والتعبير الوحيد الذي يمكن طرحه في البين عن هذه العلاقة، هو ان يقال انها علاقة الأصل والفرع. وعلاقة (الكنه) و (الجلوة) و (المظهر) و (الحقيقة) و (الظل) ذلك لأن عالم الغيب هو الأصل والحقيقة، وعالم الشهادة هو عالم الجلوة والظل. فهو متعلق دائماً وتحت سيطرة مشيئة عالم الغيب ومفتقر اليها. وكل الأشياء وما يجري في عالم الشهادة إنما هي تحت رقابة من عالم الغيب وهداية منه، فلا استقلال لها أبداً، وهذا هو أهم الأصول التي أكّد عليها الأنبياء العظام خلال التاريخ، واعتمدوا عليه، وان الانبياء جاءوا أساساً ليركّزوا هذا الإيمان وهذه القناعة في ذهن الإنسان وقلبه، وهو واقع تحت تأثير ما يجري في عالم الشهود والمادة، و يرتفعوا بمعرفة الإنسان وادراكه من المحسوس الى المعقول ومن المشهور والواضح والمحدود الى الغيب والخفاء واللامحدود. وعلى هذه الرؤية نفسها تفسر حياة الإنسان بشكل آخر، حيث تحتل مرحلة الشهود قدراً ضئيلاً جداً من حياته وعمره الواقعي، وتنقسم الحياة الى قسمين: هذه الدنيا المحدودة العابرة، والآخرة اللامحدودة الخالدة، حيث تنفتح أمام الإنسان آفاق جديدة، وتولد مفاهيم جديدة عن الربح والخسارة هي أسمى من مستوى المفهوم العادي للمنافع في هذا العالم، ولا تعود

الحياة تعني منافع أيام من هذه الدنيا، بل المهم والأكثر بقاء هي الحياة المستقبلية، وحينئذ يكون لكل عمل وسلوك يصدر من الإنسان في هذا العالم، تركيبتان: تركيبة شهودية وحدوثية في هذا العالم، وتركيبة غيبية و بقائية في ذلك العالم الذي سيصل اليه الإنسان، حيث تعود عليه النتيجة حسنة كانت أو سيئة «**يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**»

(الزلزلة/٦ــ٨)

ان هذه النظرة ليست ذات قيمة فلسفية وعقائدية سامية فحسب، بل هي كذلك من الوجهة الإجتماعية، حيث انها السبيل الوحيد لحل التضاد بين المصالح الفردية والإجتماعية، ذلك انه على أساس من هذه المعرفة والنظرة الكونية نجد ــ أولاً ــ ان الأفراد يتحررون من سلطة الآلهة الوهمية ــ والأصنام هنا المادية والطبقية والصنفية والخرافية ــ وتنتفي كل الآلهة المصطنعة، وتنهار سلطة أي مالك سوى الله المتعال، و ينجو المجتمع من بلية الغربة عن الذات على الصعيد الإقتصادي والاجتماعي ــ وثانياً ــ علينا من خلال ذلك ان نحصل على النقطة المشتركة بين المنافع الفردية والعامة للمجتمع، حيث يجد الأفراد في اطارها ان منافعهم الشخصية تكمن في المنافع العامة، و يقدمون على تقديم المنافع العامة على منافعهم الخاصة لكي يضمنوا لأنفسهم منافع شخصية على المدى الطويل و بشكل أفضل ومضاعف. ولذا نجد القرآن الكريم يعبّر عن هذه الأنماط من التيار والإنفاق ــ وهي في الواقع بمعنى تقديم المنافع الإجتماعية للآخرين على بعض المنافع الشخصية للإنسان وفيها بالخصوص يكمن حل التناقض ــ يعبّر عنه بالتجارة والربح.

«**يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم * تؤمنونَ بالله ورسولهِ وتُجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**»

(الصف/ ١٠،١١)

«**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضاً حسناً**»

(المزمل/ ٢٠)

«**ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم**»

(التغابن/ ١٧)

٢ــ الإنسان هو محور الارتباط بعالم الغيب، وهو صانع التاريخ

يعد الإنسان في التصور الكوني القرآني: موجوداً مختاراً ليكون محور الإرتباط بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وهو لوحده الحامل لثقل هذه الأمانة والمسؤولية، والبالغ لمقام الخلافة الإلهية الرفيع في هذا العالم.

«انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان...»

(الأحزاب/ ٧٢)

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة...»

(البقرة/٣٠)

و يستفاد من هذه الآيات ان الله تعالى أطلق على النوع الإنساني، صفة خلافته، ذلك لأن الآيات تتحدث عن بدء خلق الإنسان، ولا تركز على خلقة شخص معين، والشاهد الآخر هو نوع فهم الملائكة، حيث وجهوا سؤالاً استنكارياً، وركّزوا على طينة هذا الإنسان وخصلته المادية، ورأوا ان عناصر هذا المخلوق الجديد تؤدي الى الفساد في الأرض، ولمّا لم يكونوا مطلعين على الوجه الآخر للعملة، وهو البعد المعنوي والطينة الإلهية الكامنة فيه والتي تقبل التربية والتكامل بهداية من رب العالمين، فقد اعترضوا بذلك الإعتراض، وعندما قدّم آدم(ع) امتحانه الاول في قبال الملائكة، اعترفوا بجهلهم في رحاب الله، وأسفوا على سؤالهم غير الطبيعي، هذا السؤال و هذا التصور الإنكاري بنفسه، شاهد على ان النظر كان متوجهاً للنوع الإنساني، ذلك لانه لم يصدر سفك دم أو فساد من آدم ابي البشر نفسه وسوف لن يصدر منه ذلك. على ان صفة سفك الدماء والفساد، انما تنسبان للجمع، ولا تناسب لهما مع الفرد، وعلى هذا يستفاد ان النوع الإنساني هو مورد العناية والكرامة الإلهية ــ في هذه الآيات ــ وعلة هذه الكرامة هي أيضاً تلك الفطرة والنفحة الإلهية التي أُوجدت فيه، فمنحته الإلتزام والعقل والإختيار:

«فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»

(الحجر/٢٩)

«ولقد كرمنا بني آدم...»

(الاسراء/ ٧٠)

ثم انشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين»

(المؤمنون/١٤)

وعلى أساس هذا المعيار، تترتب في معرفة الإنسان، مواضيع لها أهميتها، نشير الى بعضها هنا:

(١)ــ وفقاً لهذا المعيار، يدرك الإنسان أصالته وفضله وشرفه على كل المخلوقات في عالم الطبيعة والوسائل المادية والإنتاجية، و يتسامى الى مقام الخلافة الإلهية المقدس الرفيع، و يعود موجوداً مجهزاً بالفطرة الواعية الساعية نحو الحقيقة حائزاً على مقام الخلافة الالهية من خلال إرادته و اختياره الذي أهّله لذلك وهي أسمى وأرقى فكرة انسانية لانجد لها مثيلاً في أية مدرسة وخصوصاً في المذاهب المادية التي يهبط في معاييرها الإنسان عن مستوى الحيوانات وتصوغه وسائل الإنتاج أو العلاقات الإنتاجية.

(٢)ــ وعلى أساس هذا المعيار، تقوم كل العلاقات الإجتماعية الإنسانية على أساس عبوديته لله وكونه خليفة له، كما ان دور الخليفة لله هو دور عام لجميع الناس، فلا يوجد فيه أي تفضيل لأي شخص أو قوم أو شعب أو طبقه أوفئة في مجالها، فجميعهم متساوون في هذا المقام ومتآخون، ولا يبقى في هذا الإطار إلاّ معيار واحد هو ملاك التقييم والتفصيل وهو معيار التقوى والقرب الى الله والقيام بحق الخلافة له تعالى.

(٣)ــ كما انه على أساس من هذا المعيار، يعود الإنسان موجوداً متعهداً مسؤولاً، ذلك أنَّ الخلافة والأمانة بنفسها تستلزم ان يقوم بمهمة اعمار الأرض من الوجهة الطبيعية والإجتماعية، وان يستفيد من كل القوى الطبيعية التي وضعها الله تحت تصرفه وسخرها له في المسير الصحيح العادل، و يقيم المجتمع الصالح الذي يصل فيه الأفراد جميعاً الى مقام الخلافة الإلهية.

«هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها...»

(هود/٦١)

و وفقاً لهذا المعيار، فإنَّ العمران في الأرض والخراب والإفساد والظلم فيها، كليهما ينشآن من الإنسان، لا من وسائل الإنتاج، فالإنسان هو الذي يصنع المجتمع ويحرك التاريخ.

«ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس»

(الروم/ ٤١)

(٤)ــ ان للإنسان جانبين أصيلين، جانباً أرضياً هو سر ميله للشهوات والماديات ووجه اشتراكه مع سائر الحيوانات، وجانباً إلهياً ومعنوياً يتضمن الميول المتعالية نحو الكمالات الأخلاقية والقيم السامية، وبه يتميز عن سائر الحيوانات.

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها»

(الشمس/ ٧، ٨)

وعلى أساس من المعيار المذكور، فإنَّ كل تناقض واختلاف اجتماعي انساني في المجتمع والتاريخ، يرجع الى التناقض الداخلي بين هذين الجانبين، فكل النزاعات والصراعات التاريخية والإجتماعية، تكمن في هذه النقطة، لا في وسائل الإنتاج. ان وسائل الإنتاج ما هي إلاّ آلات يصنعها الإنسان على أثر طاقاته الذاتية ليحصل من خلالها على قدرة وامكان أكبر، فوسائل الانتاج يمكنها ان توفّر القدرة وتهيء الفرصة، اما الذي يصنعها والذي يستخدمها سلباً أوايجاباً يكون تجاهها أميناً أو خائناً، يصمد أو يتخاذل في قبالها إنما هو الإنسان نفسه.

ولهذا؛ فانَّ سبيل حل هذه النزاعات أيضاً، يجب ان يبدأ من أعماق الأفراد، ومالم يحل النزاع بين قوتي الشهوة والعقل الكامنتين في أعماق الذات، فإنَّ أي حل ظاهري وخارجي سوف يبقى عقيماً وبلاقيمة، لذا نجد القرآن يقيم علاقة قوية بين اعماق الإنسان وظاهره، ويجعل حركة الأفراد في المجتمع والتاريخ تابعة للحركة والتكامل الداخلي لهم:

«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

(الرعد/١١)

(٥)ــ في بعض الآيات، وعلى أساس من هذا المعيار، توجد اشارة لطيفة جداً الى العلاقة بين المذهب وإقامة الأحكام الإلهية العادلة، وبين عمران الطبيعة ونمو الإنتاج:

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوافأخذناهم بما كانوا يكسبون»

(الأعراف/ ٩٦)

«ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن

تحت أرجلهم...»

(المائدة/٦٦)

هذه الآيات وآيات كثيرة غيرها، تبيِّن بكل صراحة انه على مستوى عدالة العلاقة بين أفراد الإنسان وتطابقها مع المعايير الإلهية والأوامر السماوية، تكون انعكاساتها على الطبيعة والانتفاع بها، حيث يكون استخدامها أكثر انسجاماً، وعلى العكس من ذلك فإنه كلما كانت العلاقة الإجتماعية علاقات ظالمة بعيدة عن الفطرة والأهداف الإلهية السامية، كان المجتمع بالتالي في بؤس وانحطاط. وهذا الأمر تشهد له التجربة الإنسانية، ذلك اننا نرى انه متى ما كانت الأساليب الفرعونية والطاغوتية هي المتسلطة على المجتمعات، فإنَّها لم تترك أثراً سوى التفريط بقوى المجتمع وتمزيقها والتفرقة بين المجاميع والفئات، واهدار الإمكانات والثروات.

٣ــ الثروة والرفاه وسيلة للتكامل لا هدفاً

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»

(القصص/٧٧)

«ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما يعملون خبير»

(آل عمران/ ١٨٠)

«فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون»

(التوبة/٧٦)

«...وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين»

(البقرة/١٧٧)

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا..»

(الكهف/ ٤٦)

وبمقتضى الآيات الآنفة وكثير من الآيات الشريفة الأُخرى، تعد الثروة والرفاه في ثقافة القرآن مجرد وسيلة باتجاه التكامل الإنساني ووصوله الى الأهداف العليا والمقدسة التي خُلق لأجلها، ولم ينظر اليها كهدف مطلقاً، ولا تستحق ذلك، فالقرآن يرى ان ما يشكل هدفاً لخلق هذا العالم هو العبادة والتقرب الى الله والذي

يتم من خلال تربية الروح الإنسانية وتنمية الإستعدادات والقدرات الفطرية المعنوية والأخلاقية في الإنسان:

«وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون»

(الذاريات/ ٥٦)

والعبادة التي طرحت كهدف للخلقة، ليست خصوص الصلاة والصوم، وإنما هي تمتلك مراحل ومصاديق مختلفة يمكنها بالمعنى الجامع ان تستوعب كل النشاطات الإنسانية في هذا العالم.

إلاّ انه وفي نفس الوقت الذي تعد فيه الدنيا من وجهة نظر القرآن، مقدمة للآخرة لذا فإنَّ التعلق بها والوقوع في أسر الثروة والمال يعد نقطة انهيار وانحطاط انساني، ولمّا كان الإنسان خلق في هذا العالم وعبر سعيه في هذا العالم، يجب ان ينمو و يتجه نحو أهدافه النهائية السامية، فإنَّ الاقتصاد والرفاه من الضروريات له، ذلك ان الإنسان الذي يحاول ان يجعل هذه الدنيا ميدان نشاطه يحتاج الى الغذاء والمسكن واللباس، فله غرائز وميول مختلفة، ميول مادية واجتماعية، وحاجات مختلفة يجب ان يتسجيب لها بحد معتدل.

ومن هنا نجد الإسلام في نفس الوقت الذي يذم الدنيا والمال والثروة و يعتبرها خاوية ولهواً ولعباً وخيالاً وغفلةً، لايدعو الى الرهبانية والكهنوت، بل و يعتبرها حراماً يخالف الفطرة ومن البدعة:

«... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها...»

(الحديد/ ٢٧)

وفي القرآن آيات كثيرة تشير الى النعم الدنيوية، وتعتبرها من فضل الله ورحمته بعباده:

«... ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم...»

(النور/٣٢)

«هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً...»

(البقرة/ ٢٩)

«ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه

ظاهرة وباطنة»

(لقمان/ ٢٠)

«والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون»

(النحل/ ٥)

«والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم»

(النحل/ ٨٠)

«والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم..»

(النحل/ ٨١)

«وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس»

(النحل/ ٧)

«الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون، ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون».

(غافر/٧٩ــ٨٠)

«ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»

(النحل/٦)

كما نجد القرآن الكريم يدفع الإنسان للعمل في المصادر الأولية في الطبيعة واستثمارها، وهو أمر يستفاد من الآيات الماضية و آيات أخرى.

«الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله..»

(الجاثية/١٢)

«هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»

(الملك/١٥)

وعلى أساس من هذا التصور، فإنَّ الأفراد سوف ينشأون ساعين نحو المال، ولكن لا لأجلهم هم، بل لأجل الوصول الى الأهداف الخالدة في ذلك العالم والتي يتم الحصول عليها من خلال الإنفاق والإعانة للآخرين والتعاون وايثار المنافع العامة على المنافع الشخصية. وبهذا يتم توازن طبيعي وذاتي بين تأمين المنافع الشخصية وتأمين المنافع الاجتماعية واقامة العدالة والتوازن في المجتمع.

وهذا هو التعادل الطبيعي الصحيح، لا ذلك الذي ذكره «آدم سميث» الاقتصادي المعروف في مجال توجيه للإقتصاد الحر، وانه على أساس من الحرية الإقتصادية يسعى الأفراد لتأمين منافعهم و أرباحهم الشخصية، و بالتالي فإنَّ ذلك يؤمّن المنافع الإجتماعية بذاته.

ذلك ان هذه الحرية الإقتصادية مع وجود مبدأ طلب المنفعة، وبملاحظة التصور المادي والدنيوي عن المال والثروة، هو بنفسه يشكل مالاً لحصول التضاد بين المنافع الفردية والإجتماعية، ويحرّك الأفراد نحو الضمان الأكثر لمنافعهم وأرباحهم، حتى ولو كان ذلك على حساب منافع الآخرين و بأُسلوب الإستثمار والضغط. والتاريخ القديم والمعاصر للرأسمالية، خير شاهد ودليل على هذا الأمر.

وطبيعي انه يجب الإلتفات الى ان القرآن والإسلام لايكتفي ــ في مجال ايجاد التوازن الاساسي والذي يعد انعدامه أصل المشكلة الإنسانية ــ لا يكتفي بهذا المعيار والمعايير الأخلاقية والعقائدية الأُخرى، وإنَّما عمل على تأمينه في الأحكام الحقوقية والإقتصادية التي وضعها.

فإنَّ مفاد هذه الآية أن كل ما تحتاجه البشرية بطبعها وخلقها، قد وفره الله تعالى في الطبيعة، بل ان ظاهر هذه الآيات هو ان ما تحتاجه في المستقبل قد وفر في عالم الخلقة، ذلك ان العالم من وجهة النظر القرآنية ذو نظام موزون متعادل، وقد توفّرت كل الظروف الملائمة لحياة الإنسان وحركته ــ وهو المحور الأصلي لعالم الخلقة ــ واعدت له من قبل.

ولهذا يمكن القول بأنَّ القرآن يقول بأصل (التوفر المادي)، بدلاً من مبدأ العجز الطبيعي، وانَّ هناك توازناً طبيعياً بين ما يحتاجه الإنسان والمصادر والنعم الطبيعية المودعة.

اما اذا لاحظنا في بعض المجتمعات أو المقاطع التاريخية، أفراداً يواجهون عجزاً ومشكلات ومصاعب اقتصادية، فهذا في الحقيقة لم ينشأ من قلة المصادر الطبيعية، وإنما ينشأ من ظلم الناس و كفران النعمة الإلهية والتمرد على الأوامر الربانية، وهذا ما يشير اليه المقطع الأخير من الآية:

«ان الانسان لظلوم كفار».

وكون الإنسان (ظلوماً) في هذه الآية كناية عن ظلم الإنسان في التوزيع العادل، وكونه (كفاراً) كناية عن التبذير بالنعم، والإستفادة الخاطئة منها خلافاً

للأوامر الإلهية.

٤ــ الملكية الحقيقية لله

ومن معايير المذهب الإقتصادي الاسلامي، مبدأ الملكية الحقيقية لله، والذي عبَّر عنه البعض بـ (ملكية الله)، ومن الطبيعي ان نلاحظ ان المراد من هذه الملكية، ليس معناها الحقوقي، أي الملكية الإعتبارية والقانونية، بل المقصود هو الملكية الحقيقية والفلسفية التي هي عبارة عن الخالقية والإحاطة والسلطنة الحقيقية للمالك على المملوك وهذا المعنى من الملكية إنَّما يصدق في المجال الإلهي بالنسبة لعالم الوجود وهي المرتبة الأعلى والأكمل للملكية، والقرآن يؤكد كثيراً على هذا المعنى من الملكية الإلهية، فيقول:

«ولله ما في السماوات وما في الأرض»

(النجم/ ٣١)

«وآتوهم من مال الله الذي آتاكم...»

(النور/ ٣٣)

ان المسلم في ظل هذا المعيار مهما حصل على امكانات وثروات على اثر سعيه وكده، ولنفرض ان ذلك كان بالأساليب المشروعة العادلة، فإنَّ ماله يبقى (مال الله) ومتعلقاً ــ بالأصل ــ بالله، وقد وضع تحت تصرفه. وهو ــ في الأصل ــ يملك جانب الوكالة والنيابة، لاجانب الأصالة والملكية المطلقة .

٥ــ مبدأ التوفر المادي

«الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخَّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخَّر لكم الأنهار وسخَّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخَّر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار»

(ابراهيم/ ٣٢ــ ٣٤)

يوجد في الإقتصاد، أصل يسمى بأصل التوفر المادي، و يقتضي ان المواد وما يحتاجه الإنسان من الطبيعة محدود، في حين ان متطلباته واحتياجاته غير محدودة.

وقد جرَّ هذا الأصل بالتدريج بعض الإقتصاديين الى التشاؤم والقلق على مستقبل إنسانية، وجعلهم يؤمنون بأنَّ البشر في المستقبل القريب سوف يواجه بقلة المواد المطلوبة وخصوصاً في مجال الغذاء، حيث انه على اثر كثرة المجموعات البشرية المتراكمة وقلَّة المواد الغذائية سيصاب الناس بالقحط والمجاعة، الأمر الذي يدعونا الى التفكر به، ومحاولة الوصول الى سبيل للخلاص، ومنع هذا النمو السريع في معدلات الولادة والتكاثر.

و يقف «مالتوس» على رأس هذه المجموعة حيث عرف اتباعه باسم «الاقتصاديين المتشائمين».

اما في التصور الاسلامي فلا مجال للإذعان بهذا العجز الطبيعي بالمعنى المذكور، بل يستفاد من الآية السالفة وآيات أُخرى ان الله تعالى وفَّر المصادر الطبيعية التي يحتاجها الإنسان أكثر مما يحتاجه:

«وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها»

(ابراهيم/٣٤)

وهي تدل بصراحة على ان الله تعالى وفَّر نعماً لا تقبل الحصر والاحصاء للإنسان، وان كل ما يحتاجه الإنسان من نعم وفَّر له في الطبيعة.

والتعبير بالسؤال في هذه الآيةيراد به الحاجة والطلب الطبيعي، لا الطلب والدعاء، لأنَّ هذا التعبير جاء في سياق ذكر النعم الإلهية التي خلقت جميعاً في الطبيعة لصالح الإنسان. وجملة:

«وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها»

أيضاً والتي تتلوا التعبير السابق، شاهدة على هذا المعنى... وعلى هذا.

«... وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..»

(الحديد/ ٧)

«هو الذي جعلكم خلائف في الأرض..»

(فاطر/ ٣٩)

«ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم..»

(الأنعام/ ١٦٥)

ان هذا المعيار بالإضافة لتضمنه قيمة فلسفية صحيحة سامية، له دور عظيم في المنع من الطغيان النفسي لمالكي الثروات، وتعلقهم الشديد بالمال والذخيرة

وطلب الربح والإستغلال، وسوف لن تشكل الثروة والإمكانات المادية لديهم معياراً لشخصية الإنسان، وإنما تقيّم شخصيته باعتبار قربه من الله وتكامله المعنوى، اما الإدخار والإمكانات الحياتية فلن تصوغ له شخصية:

«وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفىٰ إلاّ من آمن وعمل صالحاً...»

(سبأ/٣٧)

وهكذا نجد عموما انه على أساس هذا المعيار، تعود الثروة والمال والإمكانات والحياة الدنيا كلها ميداناً للبلاء والإمتحان الإنساني، والإنسان المسلم هو من يؤدي امتحانه جيداً لئلا يحصل على النتيجة السلبية.

ومن وجهة النظر الحقوقية، فإنَّ هذا المعيار له آثار دقيقة، ذلك ان المستفاد من هذه الآيات هو ان الله ــ وهو المالك الحقيقي لثروات العالم ــ قد جعلها جميعاً لجميع الناس، ليستفيدوا منها بالسبل الصحيحة، دون ان يخصها بأفراد معينين، لا يحصل أي تغيير أو تبديل في ملكيتهم هذه. واذا كان هناك نوع من التخصيص لبعض الأموال بأشخاص معينين، فإنَّ ذلك أيضاً بإذنٍ منه تعالى وفي إطار الحدود والمقررات.

والأصل الذي يجب ان يلحظ في البين، وتستفاد منه القوانين الفرعية والجزئية، هو ما أشرنا اليه من ان مجموع الثروات الإجتماعية هي في الأصل تتعلق بكل المجتمع، وان المصالح الخاصة للأفراد إنَّما تراعى وتحترم في اطار المصالح الفردية والإجتماعية، فإنَّ الأخيرة بلاريب هي المقدمة، ومن الممكن ان يكون الشاهد على هذه المسألة الحقوقية هو الآية الشريفة:

«ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً...»

(النساء/٥)

ذلك ان هذه الآية تضيف أموال القاصرين الى المجتمع، وهذه كناية عن أنَّ الأموال في الأصل تتعلق بكل الناس، ولا يمكن ان يكون اختصاصها بأشخاص مؤدياً ــ اثر قصورهم ــ الى فناء حق المجتمع، بحيث لايمكن لأُولئك ولا للآخرين الإستفادة منها.

٦ــ ضرورة التنسيق مع الفطرة

«فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون»

(الروم/٣٠)

«نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون»

(الزخرف/٣٢)

و يستفاد من هذه الآيات:

أولاً: أي نظام اجتماعي يجب ان ينسجم مع الفطرة، وإلاّ فستواجهه المشكلات و يعتوره التغيير والنزاع والصراعات، و بالتالي سوف يدخل البشرية في عالم الضياع والأزمات.

ثانياً: ان المذهب الإسلامي، يشتمل على نظم منسجمة مع الفطرة الإنسانية، ذلك لأنَّ هذه النظم شرَّعها خالق الإنسان المطلع على خلقته وفطرته، فهي بلاريب منسجمة معها و وفقاً لحاجتها واستعدادها وأهداف خلقتها.

ثالثاً: يستفاد من الآية الثانية: ان أصل التفاوت بين الأفراد في الإمكانات والدخل واحتياج بعضهم لبعض، أمر فطري وضروري، بدونه لا يستطيع أن يقوم أي مجتمع انساني على سوقه.

وفي آية اخرى يقول:

«والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون».

(النحل/٧١)

«ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى».

(النور/٢٢)

إلاّ ان هذا التفاوت وهو ضرورة طبيعية، يجب ان لا يعتبر ــ مطلقاً ــ معياراً للتفاضل في الشخصية والحقوق والإختيارات والإمتيازات لدى الأفراد بالنسبة لبعضهم البعض، انه لن يكون ــ في ظل المعايير السابقة ــ منشأ لحدوث الطبقات المختلفة والصراع بينها، أو تمركز الثروة والمشكلات الإقتصادية

الأُخرى.

٧ــ العدالة الإجتماعية والتوازن

«... كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم...»

(الحشر/٧)

هذه الآية الشريفة الواردة في ذيل آية الفيء، تجعل علة توزيع بعض الغنائم على الفقراء والمساكين هي عدم تمركز الثروة بفئة من الأغنياء في المجتمع، وهي في الحقيقة توضح هدفاً أصيلاً اقتصادياً سامياً.

ذلك ان الإسلام في نفس الوقت الذي يقبل فيه الإختلاف بين الأفراد من حيث الرزق والدخل، و يعتبره أمراً طبيعياً، بل ضرورياً، و يعتبر منبعه اختلاف الأفراد في الطاقات والإستعدادات الذاتية والظروف الخارجية، فهو يقف بوجه تمركز الثروة وتداولها بأيدي مجموعة معدودة من الأغنياء، ذلك لان هذا يؤدي الى اختلال التوازن وايجاد الفواصل الكبيرة بين فئة الأغنياء والفئات الاجتماعية الأُخرى، مما يخل بالعدالة الإجتماعية، و يتسلل من خلاله الفقر والحرمان بالتدريج الى المجتمع، و يقوده بالتالي الى الضياع.

والحقيقة هي ان ما يستفاد من هذه الآية الشريفة و بعض الآيات الأُخرى، ليس تساوي الأفراد في الملكية والدخل، ذلك لأنَّ آيات أُخرى قد دلَّت بصراحة على قبول أصل الإختلاف والتفاوت بين الأفراد في المجتمع الى الحد الذي اعتبر ضرورة اجتماعية. وانما المقصود من هذه الآية هو نفي تمركز الثروة وتداولها بين الأغنياء فقط، وهو في الحقيقة معيار لتشخيص مدى عدم سلامة المجتمع الذي يمتلك مثل هذا الوضوح الإقتصادي.

ولمَّا كانت هذه الآية الشريفة قد جاءت في مقام التعليل، فهي تدل على ان هذا المعيار، هدف اصيل يلزم اتباعه، حيث تكلِّف الدولة الإسلامية في الموارد التي تشخص فيها ان استفادة الأفراد من الإمكانات والفرص المتاحة في القطاع الخاص سوف يؤدي الى التفريط بهذا الهدف ــ أي التوازن الإجتماعي ــ ان تقوم بالمنع من ذلك كما تلحظ هذا المبدأ دائماً في سياساتها الإقتصادية وتخطيطها للمستقبل.

وطبيعي ان الآية الشريفة، لم تضع تعريفاً واحداً للتوازن، إلاَّ انه من المنع

من تداول الثروة بين الأغنياء فقط يستفاد ان ما يرمي اليه القرآن الكريم هو المنع من تمركز الثروات والأموال في قطاع خاص وطبقة معينة، بل يجب توزيعها بين العموم مع مقدار من الإختلاف والتفاوت، وهذا ما يمكنه ان يكون أفضل تعريف للتوازن في الإقتصاد الإسلامي.

٨ــ الاستقلال وعدم التبعية

ومن الأهداف الأساسية الأُخرى للإقتصاد الإسلامي، هو الاستقلال وعدم التبعية للكفّار والأعداء. وقد ورد مبدأ الإستقلال وعدم التبعية، بل وأفضلية المجتمع الإسلامي على المجتمعات الأُخرى غير الإسلامية، في آيات كثيرة من القرآن الكريم، من جملتها:

«فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يتركم أعمالكم»

(محمد/٣٥)

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل، كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً».

(الفتح/ ٢٩)

«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»

(النساء/١٤١)

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»

(الممتحنة/١)

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم»

(الانفال/٦٠)

«الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنّ العزة لله جميعاً»

(النساء/١٣٩)

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»

(المنافقون/٨)

ومع ان هذه الآيات جاءت في موارد ومناسبات متعددة، لكنها و بشكل عام تشير الى موضوع مشترك الا وهو ان المجتمع الإسلامي هو مجتمع إلهي يتمتع في داخله بالقوة والقدرة والإنسجام والروابط الإجتماعية العادلة والمتواضعة، غير انه قياساً الى الخارج يتمتع بالإستقلال والأفضلية، والعزة، والتعامل بشدة مع الأعداء، وعدم الإستسلام لهم مطلقاً، بل وعدم التعاطف معهم أو الإرتباط بهم.

وهذه الصفة في هذه الآيات والآيات الكثيرة الأُخرى وإنْ لم تخص المسائل الإقتصادية، لكنها تشمل في الوقت نفسه، الجانب الإقتصادي للمجتمع الإسلامي والذي يعتبر من أهم الجوانب، بل وأساساً للمجتمع. ويمكن القول ان انعدام الاستقلال والارتباط بالكفار، يجعلان المجتمع الإسلامي يفقد استقلاله من كافة الجوانب، ويخضع لسلطة الكفار السياسية والثقافية. ولذلك فإنَّ تحقيق هذا الهدف العظيم والخطير الذي يؤكد عليه القرآن بشدة يتوقف على الاستقلال وعدم التبعية الاقتصادية. وان أي تسامح وتقاعس في هذا الأمر، يشكل ــ لا محالة ــ خطراً جدّياً على استقلال المجتمع الإسلامي في مختلف الأبعاد.

الفصل الثاني

نوع الملكية في النظام الاقتصادي

رغم ان القرآن الكريم لايبيّن في الوهلة الأُولى أصل الملكية، وأنواعها الحقوقية في المذهب الإقتصادي الإسلامي، إلاّ اننا نستطيع ان نفهم من مجموع الآيات الكثيرة، أصل تعدد الملكية، أي الملكية الخاصّة، والملكية العامة. ومن جملة تلك الآيات.

١ــ «وهو الذي أنشأ جنّات معروشات و غير معروشات والنخل والزرع مختلفاً اكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده»

(الأنعام/١٤١)

فبعد ان يشير سبحانه وتعالى في هذه الآية الى النعم التي أنعمها على عباده في المجال الزراعي، فإنه يدعو للانفاق و إعطاء حق الله الذي هو الحق العام، ومايبقى يكون من اختصاص المالك نفسه. وهذا يدل على الملكية الخاصة لتلك الأشجار والأراضي الزراعية بعد اعطاء الحقوق الشرعية. و يتمثل مورد من موارد الملكية الخاصة بالعوامل الإنتاجية.

٢ــ «واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا* كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهرا* وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً* ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنُّ أن تبيد هذه أبداً* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً* قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً* لكنّا هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً* ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة الا بالله ان تَرَنِ أنا اقل منك مالاً وولداً* فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك و يرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً»

(الكهف/٣٢، ٤٠)

يضرب الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات مثلاً للناس، إذ يقول ان الناس حين يَصِلُون الى النعم، وتوضع تحت اختيارهم الأشجار والثمار، فإنهم يغفلون عن الله، متصورين أنهم هم الذين خلقوا تلك الأشياء! و بذلك يكفرون بالله و يتكبرون على الآخرين و ينسون الحقائق. و يشير القرآن في هذه الآيات الى حوار بين شخص أنعم الله عليه بالشجر والثمر، ولكنه لم يعديعي واقعه نتيجة لهذه النعمة الإلهية، ونسي خالقه، و بين شخص آخر مؤمن بالله... وكيف يتصور ذلك المالك ان أمواله خالدة، وكيف انه يتكبر على ذلك الرجل الفقير، وكيف ان الرجل الفقير يجيب على ادعاءات المالك بأدب وايمان، ويحدد نقاط ضعفه.

وهذه القصة وان جاءت كمثل، لكنها تدلُّ على أصل الملكية الخاصة للأشجار، حيث أن هذه الأمثال جاءت درساً للمسلمين، وظاهر الآية ان امتلاك الأشجار هو في حد نفسه يخلو من الإشكال، لكن الذي يُستشكل عليه هو كفران النعمة والابتعاد عن الله وتعاليمه.

٣ــ «يا أبت استأجره انّ خير من استأجرت القوي الأمين»

(القصص/ ٢٦)

هذه الآيــة وردت بخصوص تأجير الإنسان مقابل الأجور، أو بخصوص العلاقة بين العامل ورئيسه.

ورغم ان الآية تتحدث عن أمر وقع بين موسى و شعيب (عليهما السلام)، إلاّ ان اشارة القرآن الى هذه المسائل التي تتضمن معايير حقوقية، إنّما تدل على قبول تلك المعايير، شريطة عدم وجود قرينة على اختصاص تلك المعايير بالأُمم والأديان السابقة. ولذلك يستنبط من هذه الآية انها تتحدث في الجملة عن أصل قبول العلاقة الحقوقية بين المالك والأجير.

والملاحظة الأُخرى المذكورة في الآيات الآنفة وكثير من الآيات الأخرى التي تدل كل واحدة منها على الملكية الخاصة، هي ان هذه الآيات تتحدث عن الملكية الخاصة وعوامل الإنتاج التي تشكل أهم نقاط الإختلاف في وجهات النظر الأساسية بين المذاهب الإقتصادية، وهي بالتالي من أهم الأُسس نظام اقتصادي ما.

ولا ننسى هنا بأنَّ هذه الآيات، تبيِّن في الجملة أصل الملكية الخاصة فقط، وليس الملكية المطلقة، إذ أنها ــ وكما قلنا مسبقاً ــ ليست بصدد بيان أبعاد الملكية الخاصة، لنستنتج منها قاعدة كلية. ولكي نتعرف على أبعاد الملكية الخاصة وأسبابها وحدودها، علينا ان نراجع المصادر الفقهية الأُخرى، أو بالأحرى الأحاديث والروايات المعتبرة.

وتوجد الى جانب الآيات المذكورة، آيات أُخرى تدل في موارد متعددة على نوع الملكية الثانية، و بعبارة أُخرى الملكية العامة، من جملتها:

١ــ «يسألونك عن الانفال، قل الأنفال لله والرّسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين»

(الأنفال/١)

«**الأنفال**» جمع «نفل» وتعني «الزيادة» بالمفهوم العام للكلمة. لكنها جاءت هنا بمعنى الأموال والثروات الفائضة عن حاجة الناس.

وهذه الآية نزلت على الرسول الأكرم(ص) بعد معركة بدر. و يستفاد من ظاهر الآية انه بعد انتصار المسلمين على الكفار في معركة بدر، والاستيلاء على غنائم الكفار، ظهرت اختلافات في وجهات نظر المسلمين ازاء تلك الغنائم، حيث كانوا يتساءلون عن الجهة التي يحق لها التصرف بتلك الغنائم. ويحتمل ان وقع

صراع بينهم حول تلك الغنائم. هذا ما نفهمه من ذيل الآية «**وأصلحوا ذات بينكم**». ومن هنا حدَّد سبحانه وتعالى في هذه الآية نوع ملكية الأنفال، حيث يؤكد ان الأنفال لله والرسول، وعلى المسلمين ان يطيعوا أمر الله ورسوله.

وتكمن في الآية الشريفة من الناحيتين الحقوقية والفقهية، ملاحظات قيِّمة ومهمة:

١ــ مثلما قلنا، فإنَّ المراد من «**النفل**» هو (الزيادة)، ولكن المراد من هذه الكلمة في الآية هو الغنائم التي استولى عليها المسلمون في معركة بدر، حيث انها كانت تعود للكفار، ولكن المسلمين استولوا عليها خلال الحرب بعد ان دحروا الكفار. إذن فإنَّ تلك الغنائم كانت زائدة، وتمَّ التعبير عنها **بالأنفال**.

وهذا لايعني بأنَّ المراد من الأنفال في الآية الشريفة هو الغنائم الحربية فقط، اذ ان الغنائم هي بحد ذاتها مورد من موارد الأنفال، وان الأنفال تشمل بشكل تام؛ الأموال، والمصادر الأولية، التي لم توضع لحد الآن تحت اختيار أي شخص، بالضبط مثلما جاء في الروايات المعتبرة الواردة في خصوص تفسير هذه الآية.

٢ــ قيل ان الأنفال لوكانت تشمل الغنائم، وتعود لله والرسول بحكم هذه الآية، فلا معنى حينئذ لخمس الغنائم في آية «**واعلموا انما غنمتم من شيء فإنَّ للهِ خمسه وللرسول**»، ذلك ان ظاهر الآية هو ان أربعة أخماس الغنائم هي أموال شخصية، وان خمساً منها يعود لله وللرسول، في حين ان آية الأنفال تنص على ان جميع الغنائم يجب ان تكون من اختصاص الله ورسوله. وبذلك يظهر تناقض بين هاتين الآيتين الشريفتين.

ونرد على هذا الإشكال بالقول انه لايوجد أي تناقض بين هاتين الآيتين، ذلك ان سورة الأنفال تنص على ان الغنائم الزائدة والمكتسبة عن طريق الحرب مع الكفار، هي من اختصاص الله ورسوله، وان تقسيمها يتم بموافقة رسول الله(ص). فاذا سمح فإنَّ المسلمين يستطيعون ان يأخذوا لهم شيئاً من تلك الغنائم، على ان يدفعوا خمس ماحصلوا عليه من الغنائم الى رسول الله(ص). وهذا الأمر ورد أيضاً في بعض رواياتنا عن أهل البيت(ع). كما جاء حول آية الانفال بأنَّ الخلافات بين المسلمين ظهرت حين شجَّع الرسول الأكرم(ص) المسلمين وخاصة الشباب منهم خلال معركة بدر مؤكداً لهم بأنَّ من يقتل عدداً معيناً من الكفَّار والمشركين،

فإنَّ جزءاً من الغنائم يوضع تحت اختياره للتصرف به. وهذا الأمر دفع بالرسول(ص) لكي يقسّم الغنائم بين المهاجين، ولذلك لم يبق شيئاً من الغنائم للأشخاص الذين كانوا موجودين في الخطوط الخلفية من الجبهة ولم يؤمروا بخوض المعارك، بل كانوا يحرسون النبي(ص). و بذلك قالوا للرسول(ص) انهم كانوا مستعدين للقتال ومن حقهم الإستفادة من الغنائم. ومن هنا جرت مناقشات بين البعض، ثم نزلت سورة الأنفال وهي تدعو لإطاعة الرسول، ووضحت لهؤلاء بأن تلك الغنائم هي ــ في الأصل ــ «أنفال» فائضة عن هدف الحرب، وان مثل هذه الأموال تعود لله ولرسوله.

ولذا فإنَّ ملكية رسول الله لمجموع الأنفال بما فيه الغنائم لا تتناقض مع الملكية الخاصة للغنائم في حالة موافقة الرسول(ص) وتعيينه سهم كل شخص.

٣ــ والمراد من «اللام» في «**لله والرسول**» هو الملكية الاعتبارية (الحقوقية) وليس الحقيقة (الفلسفية) بقرينة عطف «رسول الله» على «الله». و ان السؤال كان يدور حول الملكية الاعتبارية والحقوقية للغنائم.

واستناداً الى ان المراد من اللام في الآية هو الملكية الاعتبارية والحقوقية، فإننا نفهم من ظاهر الآية بأنَّ الأنفال تكون ضمن ملكية الحكومة الإسلامية، بعبارة أُخرى ملكية ولي الأمر والقائد، ذلك ان الملكية الإعتبارية لله لن تكون ذات معنى فيما لو لم نأخذ بنظر الإعتبار ملكيته الحقوقية. واما ما يكون معقولاً ومناسباً في هذا السياق فيتمثل بالملكية الإعتبارية لمقام القيادة و ولاية الأمر التي هي في الأصل لله، ومن ثم لأي شخص يُعيَّنُ أو يُنْصبُ من قبله تعالى:

«قال اني جاعلك للناس إماماً»

(البقرة/ ١٢٤)

و بذلك فإنَّ هذه الآية الشريفة تمثل أكبر سند فقهي على النوع الثاني من الملكية، أي ملكية الدولة الإسلامية لجميع المصادر الطبيعية قبل ان ترضع بشكل مشروع تحت اختيار أي كان. وهذا هو أصل أساسي ومهم يستطيع ولي الأمر استناداً اليه ان يتصرف وفق سياسة سليمة بجميع المصادر الطبيعية خدمة لأهداف الإقتصاد الإسلامي، و يقوم بالحيلولة دون تمركز الثروة أو اختلاسها من قبل الأفراد. وهذه المسألة تعتبر أكبر صلاحية تفوَّضُ الى ولي الأمر والدولة الإسلامية من الناحية الحقوقية.

٣ــ «وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير* ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم...»

(الحشر/٦،٧)

وهاتان الآيتان تتحدثان بدورهما عن الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من الكفار دون وقوع حرب أو اراقة دماء، ويعبّر عنها القرآن بـ(الفيء) أي الأموال المُعادة. وهذه الكلمة هي كناية للأموال الموجودة بيد الكفار، والتي هي في الأصل تعود لله والرسول والمؤمنين، أي انها لم تُخصص للكفار والطواغيت.

والآية الأولى تتحدث في الظاهر مثل الآية التي تتطرق الى الأنفال عن ملكية مقام قائد المجتمع الإسلامي، أي ان مقام الإمامة له ملكية جميع الأموال والثروات التي تقع بيد المسلمين من دون حروب أو اراقة دماء. ورغم انها نزلت على الرسول الأكرم (ص) بخصوص الغنائم التي تم الحصول عليها من اليهود الذين كانوا يسكنون في ضواحي المدينة، لكنها في نفس الوقت لاتختص بهذا المورد فقط، بل تشمل جميع أموال وثروات المجتمعات غير الإسلامية التي من الممكن ان تقع بيد المسلمين، ذلك أن مورد الآية ليس مخصصاً لإطلاقه، بل ان ذيل «فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب» له ظهور في التعليل ويمكن استنباط قاعدة كلية منه بحيث نقول ان الأموال والثروات التي لايتم الحصول عليها عن طريق السعي والعمل، تعود في الأصل الى الله ورسوله، أي انها خاصة بمقام الإمامة والقيادة. وبذلك يتطابق هذا المعنى مع ماورد في الآية التي تتحدث عن الأنفال والتي تنص على ان جميع الثروات الطبيعة التي لم يتم الحصول عليها بواسطة العمل والسعي الفردي، هي من اختصاص الدولة الإسلامية، تتصرف بها وفق المصلحة الإسلامية.

اما الآية الثانية وضمن تعيينها ملكية الفيء، تقوم بتحديد الموارد التي تصرف فيها مثل هذه الأموال، وطبيعي ان الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بها.

و يستفاد من هذه الآيات الشريفة أنَّ مكافحة الفقر، وتلبية حاجات أفراد المجتمع، وأيضاً الحيلولة دون تمركز الثروة، وايجاد التعادل... كل تلك الأشياء تشكل أحد الأهداف المهمة للإقتصاد الإسلامي مما يتطلب على الدولة الإسلامية السعي لتحقيقه، اذ انها مكلفة للسير في هذا الإتجاه من خلال

الإمكانات الموضوعة تحت اختيارها. وهذا ما أشرنا اليه مسبقاً.

ونفهم من مجموع ما دار في هذا الجزء من البحث بأنَّ النظام الإقتصادي الإسلامي إستناداً الى وجهة نظر القرآن الكريم يقبل ـ في الجملة ـ الملكية الخاصة وحتى في عوالم الإنتاج، وان الجزء الأعظم من ثروات المجتمع يعد من ضمن الملكية العامة و يقع تحت اختيار الدولة الإسلامية، بل ان جميع المصادر الطبيعية والأموال التي لايتم الحصول عليها بالسعي والعمل أو الأموال التي ليس لها مالك تكون من اختصاص الدولة الإسلامية التي يجب عليها ان تستخدم تلك الأموال لتحقيق الأهداف التي يرمي اليها الإسلام لا تشبه لا الملكية الخاصة ولا الملكية العامة، بل انها كانت منذ البداية ملكية مزدوجة وعلى مرحلتين. وهذا ما يبيِّن لنا أصالة النظام الإقتصادي الإسلامي قياساً الى النظامين الرأسمالي والإشتراكي.

و يتَّضح لنا من خلال هذا البحث انه يجب عدم تشبيه النظام الإقتصادي الإسلامي بأي من النظامين المذكورين، لأنَّ وجود بعض التشابهات ليس دليلاً على تشابه النظام الإقتصادي الإسلامي مع النظامين المذكورين.

الفصل الثالث

الحرية الإقتصادية

ان الحرية الإقتصادية لها مكانها في مجموع النظام الإقتصادي الإسلامي، اذ ان الإسلام يعير أهمية خاصة للحرية، ثم ان أحد الإمتيازات الأساسية للإنسان على سائر الموجودات الأُخرى هو انه موجود حر الإرادة، يستطيع ان ينتخب طريقه الصحيح بنفسه. وهذه الحرية تشمل حتى الحرية الإقتصادية والحرية الحقوقية. ولذا فإنَّ العقيدة الإسلامية تنظر الى أصل الحرية الحقوقية على انه حق أساسي. يقول الإمام علي (ع) بهذا الصدد:

«لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حراً»

واستناداً الى هذه النظرة الإسلامية، فإنَّ الأفراد يتمتعون بنوع من الحرية الإقتصادية في مجال الإقتصاد والعلاقات الإقتصادية ليتمكنوا على ضوء هذا المبدأ

القيِّم من التحرك بكل حرية واختيار نحو الأهداف السامية، ذلك ان تحقيق الإنسان لأهدافه النهائية والمتمثلة بالكمال وقربه من الله لايتم مالم يكن الإنسان حر الإرادة، حيث ان سلب الحرية منه وتحديد جميع علاقاته وروابطه كما يفعل الإقتصاد القائم على الأُسس الماركسية، يجعلان من الإنسان آلة.

طبيعي ان هذا الحق الأصيل، أو بعبارة أُخرى الحرية الإقتصادية في الإسلام، لا تعني الفوضى واللامبالاة، فإلى جانب الحرية الإقتصادية التي تُمنح للأفراد توجد قوانين وحقوق لحفظ وحراسة المصالح العامة.

وهنا نورد بعض الآيات القرآنية التي تشير الى الحرية الإقتصادية.

١ــ «فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله»

(الجمعة/ ١٠)

وتشير هذه الآية وكثير من الآيات الأُخرى الى حرية أفراد المجتمع في تحصيل الثروة، وأيضاً حرية الأفراد في انتخاب المهنة، بل وتشجيعهم وحثهم على الإنتاج والإستفادة القصوى من المصادر والنعم التي وضعها الله تحت اختيارهم.

وان اكثر الآيات القرآنية تعبِّر عن تحصيل الثروات والإستفادة من المصادر والثروات الطبيعية بـ «فضل الله» أو «نِعَمِهِ» مما يساعد هذا الأمر على تشجيع النشاط الإقتصادي ونموّ الانتاج، بل واعارتها أهمية خاصة، وربطها بالله ليأخذا طابعاً إلهياً وعبادياً.

٢ــ «إلاّ أن تكون تجارة عن تراض»

(النساء/٢٩)

تشير هذه الآية بدورها إلى حرية التبادل التجاري وتشجيعها، مما تبيِّن بعداً آخر من الحرية الإقتصادية. وطبيعي ان التبادل في الإقتصاد الإسلامي يشكل جزءاً من الإنتاج وذلك حسب بعض أحكام التبادل من مثل؛ تحريم الربا، والعائدات التي تكتسب بواسطة القمار والسحر والشعوذة والتي أشرنا اليها في الآيات المسبقة.

٣ــ «قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...»

(الأعراف/ ٣٢)

«فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه...»

(الملك/١٥)

«يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم...»

(المائدة/٨٧)

يستفاد من هذه المجموعة من الآيات ان حرية الإستهلاك لها حدودها المعيّنة، وهي تشكل بعداً آخر من الحرية الإقتصادية في النظام الإقتصادي الإسلامي.

الفصل الرابع

تحديد الحرية الاقتصادية

مثلما قلنا في القسم الماضي من البحث، فإنّ النظام الإسلامي وضع حدوداً للحريات الإقتصادية، نشير الى جملة منها:

١ــ حدود تحصيل الثروة

ان تحصيل الثروة سواء أكان عن طريق الإنتاج أوعن طريق التبادل والذي يشكل جزءاً من الإنتاج ــ حسب وجهة نظر الاسلام ــ له حدوده الخاصة به. على سبيل المثال لنتأمل في الآية التالية:

أ ــ «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...»

(البقرة/١٨٨)

يستفاد من هذه الآية الشريفة بأنّ النشاطات الإقتصادية الرامية لتحصيل الثروة، يجب ان لا تكون متأتية عن طريق الظلم والغصب والإعتداء على حقوق الآخرين أو عن طرق أخرى غير مشروعة.

ان فقهاء الإسلام يؤكدون باستمرار على هذه الآية، و يعلنون بطلان المعاملات والإتفاقيات التي تفتقر الى الأُسس السليمة والتي تمثل من وجهة نظر الشرع أكل المال بالباطل. ولذا فإن الثروة يجب ان تكون متأتية عن طرق مشروعة.

ب ــ «ولا تعتدوا انّ الله لايحب المعتدين»

(البقرة/١٩٠)

تؤكد الآية الشريفة انه لايجوز الحصول على الثروة عن طرق الغصب والنهب والاعتداء على حقوق الأفراد والمجتمع. حيث ان أي نشاط انتاجي أو

تجاري يؤدي الى ظلم المجتمع وتضييق الخناق عليه، لايمكن السماح به مطلقاً، كما وتترتب عليه عقوبات معينه، وعلى الحكومة الإسلامية ان تقف بوجه مثل هذه النشاطات اللامشروعة.

كما ويمكن الإستفادة في هذا المجال من آية: «**ما جعل عليكم في الدين من حرج**»

ج— «**... وأحلَّ الله البيع وحرم الربا...**»

(البقرة/ ٢٧٥)

«**الذين يأكلون الربا لايقومون إلاّ كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس...**»

(البقرة/ ٢٧٥)

يؤكد القرآن الكريم في هاتين الآيتين وآيات أُخرى على عدم جواز تحصيل الثروة من خلال منح القروض للآخرين والذي يعبِّر عنه بـ «الربا»، أي الثروة الزائدة التي لم يبذل الإنسان أي جهد في الحصول عليها.

وطبيعي ان هناك بحوثاً كثيرة حول حرمة «الربا» والأسباب الاقتصادية لهذه الحرمة، غير ان المجال هنا لا يتسع للتطرق الى هذه المسألة بالتفصيل، ومع ذلك يمكن القول بشكل اجمالي انّ تحريم الربا يلعب دوراً كبيراً في تحطيم أكبر دعائم النظام الرأسمالي الإستغلالي، وتفويض الدور الأساسي في الإقتصاد وتحصيل الثروة الى النشاط الإقتصادي، والحد من تمركز الثروة بأيدي الرأسماليين.

د— «**... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**»

(التوبة/ ٣٤)

هذه الآية تطرح مسألة جديدة وهي حرمة كنز المال، من أجل ان تبقى العجلة الإقتصادية في المجتمع في حالة حركة مستمرة.

وطبيعي ان المقصود من هذه الآيات هوحرمة كنز الذهب والفضة، أي الأموال الحقيقية، وعدم دفع ما يترتب عليها من الزكاة. وتزول الحرمة فيمالو أعطى الزكاة. إلاّ ان الزكاة المترتبة على الذهب والفضة، هي ضرائب مستمرة تؤخذ كل عام لكي لايزيد مقدار الذهب والفضة عن الحد المقرر وهو عشرون مثقالاً من

الذهب و ١٠٥ مثاقيل من الفضة.

وكما قلنا قبل قليل فإنَّ الهدف من هذه التحديدات هو الحيلولة دون حصول ركود اقتصادي ينشأ عن تجميد الأموال وابعادها عن مجموع الحركة الإقتصادية. وعلى الدولة الإسلامية ان تأخذ هذا المعيار الإقتصادي بنظر الاعتبار لتقوم بالحيلولة دون كنز الأموال وابعادها عن الحركة الاقتصادية للمجتمع من جانب أصحابها.

ويجب ألا ننسى بأنَّ هذه التحديدات تقتصر على الأموال الحقيقية، أي الذهب والفضة، ولكنها لا تصدق على الأموال الإعتبارية الرائجة في هذا الزمان، اذ ان هذا النوع من الأموال يستلزم قوانين أُخرى، لايتسع المجال لنا هنا في التطرق اليها.

هـ ـ **«... إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..»**

(المائدة/ ٩٠)

«ويل للمطففين * الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون * واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»

(المطففين/١ـ ٣)

هاتان الآيتان تشيران بدورهما الى حرمة أي نشاط اقتصادي في المجالات المحرمة والذي يعبِّر عنه الفقه الإسلامي بالمكاسب المحرّمة مثل تحصيل الثروة عن طريق القمار أو انتاج وبيع الخمر، وسائر الثروات التي يتم الحصول عليها بطرق غير شرعية... وبذلك يسعى الإسلام ان يجعل من الإنسان موجوداً يحظى بالقيم السامية، وأيضاً بالطهارة والشرف.

و ـ **«... كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم...»**

(الحشر/ ٧)

هذه الآية تؤكد بدورها على وجوب عدم تمركز الثروة بأيدي فئة قليلة من الأغنياء. وعلى الدولة الإسلامية ان تسعى لتحقيق هذا الأمر. ونفهم من الآية انه اذا أدّى النشاط الإقتصادي في القطاع الخاص الى تمركز الثروة بأيدي الأثرياء أو مؤسسة خاصة، فعلى الدولة الإسلامية ان تقوم بالحيلولة دون حصول هذا الشيء. وهذا الأمر يشكل هدفاً أساسياً في النظام الإقتصادي الإسلامي.

٢ــ تحديد الاستهلاك

هناك حدود في النظام الإقتصادي الإسلامي حول كيفية استهلاك الثروات، ومن جملتها:

أ ــ «... وكلوا واشربوا ولا تسرفوا...»

(الأعراف/ ٣١)

فهذه الآية تحدّد حرمة الإسراف في الإستهلاك.

ب ــ «... ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...»

(الأعراف/١٥٧)

«... والطيبات من الرزق...».

(الأعراف/ ٣٢)

وهاتان الآيتان تحددان من جانبها حدود استهلاك الطيبات والتي تعني المواد الطاهرة والمحللة.

ج ــ «... كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي...»

(طه/٨١)

تشير هذه الآية الى النوع الثالث من حدود حرية الإستهلاك، فهي تدعو الى عدم الطغيان أو اعتداء الإنسان على نفسه والآخرين والحاق الضرر بهم.

٣ــ الحدود الزمنية للملكية

و يتمثل النوع الآخر ــ من الحدود الإقتصادية في النظام الإقتصادي الإسلامي، بـ «أصل الملكية الشخصية» فالإسلام يرى ان مثل هذه الملكية لايمكن لها ان تدوم، حيث انها تنتهي مع موت الإنسان، ولا يمكن لأي كان ان يتخذ قراراً حول مستقبل جميع الأموال التي سيتركها بعد موته، بل يستطيع ان يتخذ قراراً حول ثلث أمواله فقط، لأنَّ الثلثين الآخرين يوزعان ــ وفقاً لنظام الوراثة الوارد في الآيات القرآنية ــ على أفراد عائلة الشخص أو أقربائه. وهذا ما يؤكد لنا وجود نوع من حدود الملكية الشخصية والاشراف عليها، وهو يؤثر في عملية التوزيع المجدد للثروة.

الفصل الخامس

الضرائب الإسلامية ودورها في التوزيع المجدد

يوجد في النظام الإقتصادي الإسلامي نوعان من الضرائب:

أ ــ الضرائب الواجبة، الخمس، والزكاة، والكفارات.

«واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ لله خمسه وللرسول...»

(الأنفال / ٤١)

«وفي أموالهم حق للسائل والمحروم»

(الذاريات/١٩)

«... وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية...»

(الرعد/٢٢)

«... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله...»

(التوبة/٣٤)

«... فكفارته اطعام عشرة مساكين...»

(المائدة/٨٩)

ب ــ الضرائب المستحبَّة، مثل: الإنفاق، والصدقة، والخيرات، والمبرات، والموقوفات والتي تشكل قسماً عظيماً من الميزانية العامة لبيت المال والأموال العامة. وعلى هذا الأمر تؤكد آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وهذه الضرائب المستحبَّة والواجبة تلعب دوراًمهماً في تأمين الميزانيات الحكومية، والمصروفات العامة، والتوزيع المجدد للثروة في المجتمع. وخير دليل على ذلك هو ما حصل ويحصل للمجتمعات الإسلامية.. فرغم ان الأسواق التجارية في هذه المجتمعات كانت ولا تزال تحظى بنوع من الحرية، إلَّا ان تلك المجتمعات لم تواجه قط المشاكل والأزمات التي يعاني منها الإقتصاد الغربي، كما ان افراد المجتمع الإسلامي لم يواجهوا التناقضات والمشاكل المستعصية التي يعاني منها العالم الغربي منذ قرون... كل ذلك بفضل الإنفاق (الواجب والمستحب) أو الموقوفات والخيرات.

الفصل السادس

دور الدولة في الإقتصاد الإسلامي

«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»

(النساء/٥٩)

«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»

(التوبة/١٠٣)

تشير هاتان الآيتان الى مجالين يختصان بالدولة الإسلامية، وهما:

١ ــ الصلاحيات والإمكانات.

٢ ــ المسؤوليات والوظائف.

فاما صلاحيات الدولة الإسلامية فهي عبارة عن:

أ ــ توضع الامكانات المادية المذكورة في الآيات السابقة والتي تتكون من: الأنفال، الفيء، الغنائم، الزكاة، الخمس، وغير ذلك، تحت تصرف الدولة الإسلامية، وتشكل بمجموعها ثروة عظيمة للمجتمع.

ان وضع هذه الإمكانات، بل كل الثروات الطبيعية تحت تصرف الدولة الإسلامية، أمر يساهم في تقويتها، بحيث يجعلها تتدخل و بصورة مباشرة في الشؤون الإقتصادية. واستناداً الى المعايير المذكورة، فانَّ الدولة الإسلامية تستخدم هذه الامكانات من أجل ترسيخ أهدافها الإقتصادية في مجالات: الانتاج، وتبادل السلع، والتوزيع، والإستهلاك.

ب ــ الاختيارات القانونية: تعتبر الدولة الإسلامية طبقاً للآيات المذكورة في بداية هذا القسم ــ واجبة الإطاعة من الناحية القانونية، ويحق لها ان تمنع أو تضع سياسة اقتصادية واجتماعية معينة من أجل الحفاظ على نظام المجتمع الإسلامي وتنفيذ الأهداف المرسومة وكذلك من أجل ضمان الإحتياجات العامة وتنفيذ الواجبات الملقاة على عاتقها. ولا يحق للمسلمين مخالفة قوانين ومقررات الدولة الإسلامية، اذ ان الوقوف بوجه تلك القوانين والمقررات يعتبر تمرداً على أحكام الله.

ويمكن ان نلخص واجبات الدولة الإسلامية من الناحية الإقتصادية

بنقطتين.

١ ــ ضمان احتياجات المجتمع، ومكافحة الفقر والحرمان بأساليب أساسية، وليس فقط عن طريق الإعانات والإمدادات المقطعية والمؤقتة، كتأمين الأرضية اللازمة وتوفير الدخل لكل القادرين في المجتمع.

٢ ــ تشبيت الأهداف الاقتصادية المذكورة في القسم الأول، أي ايجاد التعادل واقامة العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات والدخل، والاستقلال وعدم التبعية من الناحية الإقتصادية.

وفي هذا القسم تحتاج الدولة الإسلامية الى تخطيط سليم واتخاذ سياسات اقتصادية موسعة، وقد تتدخل ــ أحياناً ــ في الشؤون الإقتصادية، وفي تشكيل الأجهزة والأقسام الإنتاجية وأقسام التوزيع وخاصة فيما يتعلق بالمنتوجات الرئيسة والتبادل الخارجي.

النظام السياسي في القرآن

حجة الاسلام
الشيخ محمد تقي رهبر

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب النظر الى السياسة، وادارة شؤون المجتمع البشري كمسألة ضرورية، استجاب لها العقل والشرع والعرف في جميع المراحل التاريخية من حياة الإنسان، وأقيم على أساس منها النظام الاجتماعي للبشر.

ولما كان الإنسان ــ استناداً الى إرادته الحرّة ــ بحاجة الى قوانين معينة، وان وجود نظام حاكم يمنع من الفوضى يعتبر أصلاً غير قابل للإنكار، فإنّ الأنبياء الإلهيين والمصلحين والمفكرين الملتزمين أخذوا هذا الأصل بنظر الاعتبار، وأعطوا ارشادات حوله، وقادوا الناس على أساس منه.

والموقع السياسي والإداري في الإسلام له مكانة أكثر وضوحاً، قياساً الى الأديان الأُخرى. فبنظرة إجمالية الى التعاليم والقوانين في الإسلام، يمكن القول إنه من غير المكن الفصل بين المسائل السياسية والمجموعة المنسجمة والمترابطة لهذه الشريعة الخالدة.

ومسائل الحكومة، والولاية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والدفاع، والقضاء، والشهادات، والحدود، والقصاص، والتجارة، والمعاملات، وولاية الصغار والأيتام والمجانين، والحقوق العائلية والإجتماعية، والأمور التربوية والثقافية، والمسائل الاقتصادية، والزكاة، والخمس، والغنائم، وأحكام الذمة وأهل الكتاب، وعلاقات المسلمين ببقية الشعوب الأخرى، والحرب والسلام، والمعاهدات وأمثال هذه المسائل، تعتبر بنظر الفقه والمعارف

الاسلامية، أُموراً لايمكن فصلها عن السياسة الكلية للمجتمع. وحتى المسائل العبادية من مثل: الحج، وصلاة الجمعة والجماعة، وغيرهما، فإنها مرتبطة بالسياسة بشكل ملموس، بل و بشكل لايقبل الإنفصال عنها.

وسيرة وسياسة الرسول الأكرم (ص) هما أمر يجسّده لنا التاريخ بوضوح، و يقبله كافّة المسلمين.

وليس هناك من يستطيع الإدّعاء بأن الرسول الأكرم (ص) كان يهتم بالمسائل العبادية والعقائدية والتربوية فقط، دون ان يولي المسائل السياسية في داخل البلاد الاسلامية وخارجها أي اهتمام، فرسائل الرسول (ص) الى رؤساء الدول، ووقوفه (ص) بوجه طواغيت العصر، ومكافحته للشياطين، وتعبئة المؤمنين للقتال، والقضاء بين الناس، والتواجد في صلب المسائل الإجتماعية، هي أمور لايمكن فصلها عن تاريخ حياة الرسول (ص). ولهذا السبب فانَّ أهمية المسائل السياسية، واختلاطها بالشرع، والتدخل المباشر لمؤسس الإسلام في هذه المسائل، وقيادة المجتمع الاسلامي، تعتبر من بديهيات العقل والشرع، وليس هناك أي ابهام في هذا المجال.

وموضوع بحثنا هو النظام السياسي في الاسلام، ولكي يكتمل بحثنا فإننا سنشير الى جملة من المسائل:

ـ مفهوم السياسة، وموقعها في حياة الإنسان.
ـ أبعاد السياسة في الإسلام.
ـ النظام السياسي للإسلام، وأُصوله في القرآن الكريم.
ـ أهداف السياسة من وجهة نظر القرآن.

١ ـ مفهوم السياسة:

يمكن القول فيما لوأخذنا بنظر الإعتبار المعنى المتعارف عليه بخصوص مصطلح «السياسة»[1]، وممارسات السياسيين المتحايلين في جميع أنحاء العالم؛ ان

---

١ ـ يُعبَّر عن السياسة بالإصطلاح الأجنبي ب Politic، غير ان هذه الكلمة ـ حسب ما جاء في المعاجم الفارسية ـ تطلق على العمل الذي يرافقه تحايل وتزييف للواقع. وطبيعي ان هذا الاستنتاج العرفي لايتباين مع ما يشاهد من أُسلوب عمل سياسيي العالم، وان (الميكافيلية) التي تمثل نظاماً خاصاً من السياسة، وتسير السياسة الراهنة للعالم نحو هذه الجهة، تعني العبور من جسور الجرائم لتحقيق الأغراض

هذا المصطلح قد حرّف وشوّه، الى درجة ان مفهومه الواقعي والرئيسي أصبح يتناقض مع ما يجري الآن في داخل المجتمعات البشرية.

وهذا الأمر يدعونا لنأتي في بداية حديثنا بتعريف وتوضيح عن المفهوم الإبتدائي لكلمة **السياسة**، ومن ثم توضيح أبعاد سياسة النظام الإسلامي وأهدافها في القرآن الكريم.

ومن خلال نظرة الى كتب اللغة، والمصادر، والمراجع الاسلامية، والمعارف الخاصة بهذه الكلمة، نستنتج بأنَّ السياسة عبارة عن؛ إدارة شؤون المجتمع، وتحسين أوضاع البلاد، وادارة المجتمع، بحيث يتم ضمان التكامل والمصلحة الواقعية لذلك المجتمع.

والآن لنُلقِ نظرة الى جملة من التفاسير التي وردت في المعاجم وكتب اللغة. فلقد ورد في «مجمع البحرين»:

«ساس، يسوس: الرعية: أمرها ونهاها».

وفي الحديث:

«ثم فوض الى النبي (ص) أمرالدين والأُمة ليسوس عباده».

كما جاء في معجم البستاني:

«ساس القوم: دبرهم، وتولى أمرهم. الأمر: قام به فهو سائس».

«السياسة: استصلاح الخلق بارشادهم الى الطريق المنجي في العاجل أوالآجل».

«السياسة المدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة»

وجاء في معجم لاروس:

«ساس الوالي الرعية: تولّى أمرها، وأحسن النظراليها. الأمور: دبرها» وجاء في المنجد أيضاً في تعريف السياسة: **«ادارة البلاد، اصلاح شؤون الناس، ادارة شؤون البلاد».**

واضافة الى التعاريف الآنفة، أورد معجم اللغة الفارسية (فرهنگ معين) في تعريف السياسة، الكلمات التالية:

«الحكم، العدالة، العقوبة، الجزاء، التوبيخ، حراسة حدود البلاد، ادارة

السياسية. وبديهي ان مثل هذه السياسة تتباين كلياً مع ما نفهمه من السياسة الإسلامية.

الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد».

كما جاء في كتاب «اخوان الصفا» **بأنَّ السياسة أنواع: سياسة اقتصادية، وسياسة مدنية، وسياسة جسمانية** (تقوم على حفظ الجسم وتقويته والابقاء على تعادله).

ونقل عن كتاب «اخلاق ناصري»: **السياسة الفاضلة تتمثل بالإمامة، وتهدف الى تحقيق الكمال للخلق واسعادهم.**

ولقد قسَّم الحكماء والفلاسفة في بحوثهم العلمية والعقلية الحكمة الى قسمين:

الأول: الحكمة النظرية، وتعني معرفة الأوضاع الحقيقية للموجودات بقدر استطاعة البشر.

الثاني: الحكمة العملية: وقد قسَّموها الى ثلاثة اقسام (بناء الذات وعلم الأخلاق، تدبير وادارة شؤون العائلة، ادارة شؤون البلاد والمجتمع).

والمفاهيم المذكورة تتناقض بلاشك مع مايجري وفق منطق السياسيين المحترفين في العالم، لأنَّ هؤلاء لايعيرون أي اهتمام لمصلحة الشعب وتكامل المجتمع، وسعادة افراد البشر، والمحافظة على وحدة أراضي البلاد، حيث تقوم سياساتهم على أساس التزييف، والخيانة، والطمع بالسلطة، والتوسع، وارتكاب المجازر بحق الناس، وأسر المحرومين واضطهادهم، ومثل هذه السياسة لامكان لها في الدين والضمير الحي.

إلاَّ ان المفاهيم الآنفة التي أوردناها في معنى السياسة، والتي كان يعمل على ضوئها المفكرون والمصلحون، تعتبر من مستلزمات حياة الإنسان. ومما لاشك فيه ان الإسلام والأديان السماوية الأخرى أعارتها أهمية كبيرة، ولم تتجاهلها مطلقاً.

وان نظرة الى سيرة الأنبياء ــ استناداً الى ما جاء في القرآن فقط تبين بوضوح مدى اهتمام رُسُل الله (أي القادة الحقيقيين للبشر) بمصير البشر في جميع الأبعاد وخاصة في البعد السياسي والبعد القيادي، ومحاولاتهم الجادَّة في سبيل صلاح واصلاح هؤلاء.

صنفان من الحكام:

نرى من الضرورة أن نشير في الوهلة الأُولى الى الملاحظة التالية، وهي ان القرآن الكريم يتحدث عن صنفين من الحكّام والقادة. صنف ينتهج سياسة إلهية، وآخر سياسة شيطانية. والى جانب ذلك يوضح القرآن الكريم آثار وجود هؤلاء وحصيلة أُسلوب حكمهم. على سبيل المثال:

١ ــ جاء في قصة سليمان و بلقيس:

«قالت انّ الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون».

(النمل ــ ٣٤)

ومع ان هذه الآية تتحدث عن لسان بلقيس، لكننا ومع الأخذ بنظر الإعتبار المسألة التالية وهي ان القرآن عند ما ينقل حديثاً ولا يرفضه، فإنه انما يؤيد صحته، نستنتج بأنّ الملوك هم هكذا في نوعهم: مفسدون في الأرض، يضلُّون البشر، و يغتصبون حقوق المستضعفين، بالضبط مثلما جاء في آية أُخرى من قصة موسى والخضر وايجاد ثقب في السفينة التي كان يستفيدالمحرومون منها في البحر:

«أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحرفأردتُ أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا».

(الكهف ــ ٧٩)

ان بعض التعابير من مثل: المسرفين، المستكبرين، المفسدين، المترفين، قد تكررت مراراً حول الحكام من ذوي الصفات الطاغوتية، ولابدَّ من الإشارة اليها في جانب آخر من هذا البحث.

خصائص الحُكّام العادلين:

وتشير بعض آيات القرآن الكريم الى الحُكّام الذين ساروا في طريق الصلاح، وأقدموا على خطوات لصالح الخلق. على سبيل المثال جاء في قصص بني اسرائيل حين طلبوا من نبيِّهم ان يعين قائداً لهم ليقفوا الى جانبه ويحاربوا الأعداء:

«وقال لهم نبيّهم انّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال انّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم».

(البقرة ــ ٢٤٧)

هذه الآية تؤكد بطلان المعايير والملاكات التي يحددها الضالون في خصوص الحكم، وتحدد من جانبها معياراً آخر يتمثل بـ: العلم والمعرفة، والقابلية الجسمانية، و بذلك تجعل من «العلم والقدرة» معياراً لكفاءة الفرد في الحكم.

و بعد هذه الآية، يشير القرآن الى ملاحظة قيّمة، ألا وهي ان الحكم القائم على أساس القابلية و الصلاحية، يعتبر موهبة إلهية يمنحها الباري تعالى لمن يستحقها من عباده. وفي الحقيقة في ملكية مالك الملك هي التي تتبلور في ملوكية الحاكم اللائق والصالح. وليس من الصحيح، بل ليس من حق الإنسان ان يعتبر العلم والقدرة والحكم من اختصاصه، إذْ ان العلم والقدرة هما من اختصاصه جلّ وعلا، ومن ثم من اختصاص عباده.

«قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء. بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير».

(آل عمران ــ ٢٦)

وجاء أيضاً في قصص بني اسرائيل، ضمن الإشارة الى المعارك التي كانت تقع بين طالوت وجالوت:

«فهزموهم باذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء».

(البقرة ــ ٢٥١)

تشير هذه الآية بدورها من خلال الاتكاء على العلم والحكمة، إضافةً الى القدرة ومكانة الحكومة، الى وظيفة أُخرى من وظائف الحُكّام والسياسيين الإلهيين، تتمثل بالجهاد ضد أعداء الله والخلق، والتي يلزم التطرق اليها في أبعاد المسائل السياسية و وظائف الحكومة.

و يتحدث القرآن الكريم عن أنبياء كانوا يديرون سياسة المجتمع وهم في مقام النبوة والشخصية الإلهية وقيادة نفوس وقلوب الناس، ومن جملة هؤلاء، داوود وسليمان و يوسف الصديق(ع) وذوالقرنين.

١ ــ «يا داوود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله...».

(ص ــ ٢٦)

«وورث سليمان داوود وقال يا أيّها النّاس علّمنا منطق الطّير وأوتينا من كلّ شيء انّ هذا لهو الفضل المبين».

«وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون»

(النمل: ١٦ ــ ١٧)

وجاء في تفسير الصافي عن مجمع البيان نقلاً عن الإمام الصادق (ع): ان سليمان كان يحكم العالم من شرقه الى غربه، وقد حكم سكان الأرض من الجن والإنس والشياطين والطيور والحيوانات المفترسة ماينا هز سبعين سنة.[٢]

«وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلّمه قال انّك اليوم لدينا مكين أمين».

«قال اجعلني على خزائن الأرض انّي حفيظ عليم».

«وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين».

(يوسف: ٥٤ ــ ٥٦)

وحين كان يوسف الصديق (ع) يشهد من وراء قضبان سجن مصر، الحالة المزرية للناس الفقراء، والفساد الذي كان يسود البلاد، فإنه لم يكن ليغفل لحظة واحدة عن ضرورة انقاذ السياسة الحاكمة على شعب مصر. وعندما اثبت براءته في قضية تفسير رؤيا الملك، واستدعاه الملك ورأى في وجهه العلم والحكمة والبصيرة، واقترح عليه ان يطلب شيئاً من عزيز مصر، فانه لم يطلب شيئاً سوى تفويضه السياسة الإقتصادية لبلاد التي تعتبر الوريد الحياتي للمُلك والملّة. ويجب ألاّ ننسى بأنّ السياسة الإقتصادية تلعب دوراً كبيراً في جميع شؤون البلاد، ومصير الحكومة والشعب. والملاحظة الاُخرى تتمثل بشرطين أساسيين لإدارة سياسة البلاد واللذين وردا في كلامه (ع) ألا وهما: **الأول:** «الحفيظ» بمعنى الحارس والأمين وموضع الثقة، **والثاني:** «العليم» بمعنى العالم والعارف بمصالح البلاد

---

٢ ــ النقل بالمعنى.

ومصادر الثروة وسياسة ادارة البلاد.

وماذا كان المحور في خلافة آدم عدا العلم والأمانة؟

«وعلّم آدم الأسماء كلّها»

(البقرة ــ ٣١)

«انّا عرضنا الأمانة.... وحملها الانسان»

(الاحزاب ــ ٧٢)

ومن افتقر الى هاتين الميزتين، كان «ظلوماً وجهولاً». والجرائم التي واجهتها الإنسانية إنّما نفّذت على أيدي هؤلاء الظالمين والجهلة الذين اغتصبوا أمانة الخلافة، وجرّوا النظام الحياتي للبشر نحو الإنحطاط والسقوط والفساد.

٤ ــ «ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا* انّا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كلّ شيء سببا».

(الكهف ــ ٨٣ ــ ٨٤)

يتحدث القرآن الكريم عن حركة اسكندر ذي القرنين صوب المشرق والمغرب لانقاذ المحرومين، وخلال الإشارة الى أحد أسفاره يعتبر «ياجوج وماجوج» من المفسدين في الأرض، يسعى اسكندر لدفع ظلمهم وفسادهم عن الجموع المحرومة والمستضعفة، وايجاد سد دفاعي بين هاتين الطبقتين. ولمزيد من التفصيل يراجع القرآن الكريم وكتب التفسير الأُخرى.

والملاحظة الأساسية الأُخرى هي ان هذا الحاكم العادل والمبعوث من جانب الله تعالى قد أقام سداً (يُعرف بسد الاسكندر) يمنع من هجوم المعتدين على المحرومين، و بذلك نفّذ الوظيفة التي يجب ان يُنفّذها أي سياسي وحاكم إلهي.

(تراجع الآيات ٨٣ الى ٩٨ من سورة الكهف)

والنماذج الآنفة تدل بوضوح انه كان يوجد طوال التاريخ، أنبياء ورجال إلهيون، نفّذوا دورهم القيادي والسياسي بأفضل وجه، وذلك من خلال تسلُّم زمام أُمور البلاد والناس، و بيّنوا الطريق الذي يجب ان يخطو فيه السياسيون والأهداف التي يجب ان يرموا اليها لكي تنتهج البشرية جمعاء مثل هذه السياسة.

° ° °

* المباحث الأصولية لهذا الباب:

١ ــ منشأ الحكومة والحاكم الشرعي في القرآن.

٢ ــ أهداف ونتائج النظام السياسي من وجهة نظر القرآن.

٣ ــ أركان النظام السياسي في القرآن.

٤ ــ نظام الحكومة من وجهة نظر القرآن.

الخاتمة: مسؤولية القادة الدينيين والناس ازاء المسائل السياسية.

* منشأ الحكومة

الحكم:

تنّص آيات القرآن الكريم على ان الحكم ــ في الإطلاق والعموم ــ هومن اختصاص الله رب العالمين، هذا الأمر هو نتيجة طبيعية للنظرة الكونية والعقائدية التي تشكل الأساس في مجموع النظام. ولما كان هناك وجود مطلق واحد يحكم جميع الكون، وانه حكيم وعادل وقادر وسرمدي، فإنَّ الله هوالذي يتحكم قبل أي شيء آخر بمصير الإنسان الذي هوجزء من هذا النظام، ومن ثم يتحكم بالانسان كل خليفة أو مبعوث ومجر للتعاليم الإلهية. والآيات التالية هي نموذج لما يملكه القرآن في هذا المجال.

«ان الحكم الاّ لله، أمر ألاّ تعبدوا الاّ اياه».

(يوسف ــ ٤٠)

«فالحكم لله العليّ الكبير»

(غافر ــ ١٢)

«ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»

(المائدة ــ ٥٠)

«ان الحكم الاّ لله، يقصُّ الحقّ وهو خير الفاصلين»

(الأنعام ــ ٥٧)

ومن خلال التأمل في هذه الآيات وعشرات الآيات الأُخرى، نستنتج بأنَّ حكومة الله ليست من نوع الحكومات البشرية التي تتحقق على أساس من القدرة والسطو، بل يجب ان نبحث عن سر هذه الحكومة في جبروت الإستغناء،

والقدرة، والعلم، والحكمة، والربوبية، والعدل، والقضاء وبقية صفات الجلال والجمال لله تعالى. ومن هنا فإذا كان الله يمنح هذه الحكومة الى عباده، فإنَّ هؤلاء المبعوثين من جانب الله يحققون هذه الحكومة على أساس من هذه الفلسفة. ولذا نرى انه ورد في مجال تثبيت حكومة وحكمية النبي (ص) مايلي:

«فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في انفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما».

(المائدة ــ ٤٢)

وهناك الكثير من الآيات في هذا المجال.

ان الحكم بالحق والعدل، لايعتبر أمراً صادراً من جانب الباري تعالى الى انبيائه وأوليائه فقط، بل وصادراً الى جميع المؤمنين ليحكموا بالعدل فيما لوتسلّموا مقاليد الأمور.

«انّ الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين النّاس ان تحكموا بالعدل، انّ الله نِعِمّا يعظكم به، انّ الله كان سميعا بصيراً».

(النساء ــ ٥٨)

فلو اعتبرنا ان جملة **«أن تحكموا بالعدل»** معطوفة على ردِّ الأمانة لأهلها الذي يستطيع ان يكون قرينة لتفسير الأمانة بالإمامة والحكومة والقضاء، واعتبرناها شاملة لجميع أنواع الأمانات، فإنَّ الأمانة، والحكومة ستكونان بلاشك من أبرز أنواع الأمانات التي يجب ان ترد الى أهلها، ذلك انه اذا كان إعادة شيء مادي لاقيمة له مصداقاً للأمانة، فلم لا تكون الحكومة، والقضاء، والسياسة، وتدبير شؤون المجتمع مصداقاً أفضل للأمانة؟

ومن هنا نجد في كتب التفسير ان كلمة **«الأمانة»** قد فسّرت بـ**«الإمامة»** و **«الزعامة»** وان آية **«انا عرضنا الأمانة»** هي أبرز آية يمكن تفسيرها بالإمامة وادارة شؤون المجتمع، بالضبط كما تنص روايات القادة الدينيين.

وعلى أي حال فإنَّ الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بردِّ الأمانات التي تعتبر الإمامة والسياسة من أبرز تلك الأمانات الى أهلها.... أولئك الذين لهم صلاحية الخلافة الإلهية والنيابة عن الأنبياء وصلاحية قيادة الأمّة الإسلامية وحراسة الرسالة والدين، ثم يؤكد على ضرورة العدل في قضية **«الحكم بين الناس»**. وهذه هي أفضل موعظة إلهية.

* الولاية:

ومثلما لاحظنا في كلمة «الحكم» فإنَّ كلمة الولاية التي تعني الإشراف والقيمومة، هي في البداية من اختصاص الله، ثم من اختصاص الأنبياء، ومن ثم من اختصاص أُولي الأمر.

«انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون».

(المائدة ــ ٥٥)

«النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»

(الأحزاب ــ ٦)

«يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمرمنكم».

(النساء ــ ٥٩)

ومن هم «أُولي الأمر»؟ ومن الذي له صلاحية إدارة شؤون المسلمين؟ وهل يجوز اطاعة كل من تسلَّم زمام الأُمور؟

«ولا تطيعوا أمر المسرفين * الّذين يفسدون في الأرض ولايصلحون».

(الشعراء ــ ١٥١ ــ ١٥٢)

والقرآن الكريم يذم الذين عصوا الرُّسُل، واتبعوا الشياطين، إذْ يقول:

«وعصوا رسله واتّبعوا أمركلّ جبّار عنيد».

(هود ــ ٥٩)

وعن فرعون يقول:

«وما أمر فرعون برشيد».

(هود ٩٧)

والآيات الآنفة الذكر والتي هي نموذج من آيات «الولاية» و«الأمر» لا تترك أي مجال للشك من ان الحُكّام الجبابرة وعديمي الصلاحية الذين هم جبابرة، ومعاندون، ومسرفون، ومعتدون و بعيدون عن الهداية، والرشاد، والعلم، والعقل، والعلم والإيمان، ليسوا مصداقا لـ «أولي الأمر».

فـ«أولي الأمر»، هم قادة صالحون وعالمون وعادلون. واذا كان يقصد منهم في الوهلة الأُولى، فئة خاصة من القادة الذين تَّم تحديدهم من جانب الرسول

الأكرم (ص)، فإنَّ المقصود من هؤلاء في المرحلة الأُخرى هم الاشخاص من أهل الصلاح والسداد والعدل الذين يكونون في حد الأشخاص الكاملين والمنتخبين من قبل الناس. وهذه حقيقة يفهمها الإنسان ببساطة.

ورغم ذلك فانه من العجب العجاب حقاً ان يقوم شخص بإطلاق كلمة «أُولي الأمر» المقدسة على أي غاصب عنيد، و يضعه في صف الله والأنبياء.

ولذا فإنَّ إدارة سياسة المجتمع الإسلامي هي من صلاحية الشخص الذي يسير في الصراط المستقيم، والذي يكون عالماً وعادلاً ومنزَّهاً عن الظلم و يسير على خُطى الأنبياء والأئمة.

*** الإمامة:**

ان كلمة «الإمام» وردت في عدة موارد من القرآن الكريم، فيصفها أحياناً بانها أفضل مقام يحققه الانسان، بل وأفضل من النبوة، والرسالة أيضاً. على سبيل المثال تقول الآية التالية:

«واذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ قال انّي جاعلك للنّاس اماما قال ومن ذرّيتي قال لاينال عهدي الظّالمين»

(البقرة ــ ١٢٤)

ورغم ان هذه الآية هي بصدد بيان المكانة المعنوية والقيادية للنوفس والقلوب التي لها علاقة بعالم الملكوت والولاية التكوينية، وهي غير قابلة للتعميم من هذه الناحية، الا اننا نفهم ــ من الناحية العامة للكلمة وملاكاتها العامة وما جاء في ذيل الآية ــ بأنَّ الظالمين غير صالحين للقيادة والإمامة، وان العدالة التي تمثل نقطة مقابلة للظلم تشكل شرطاً أساسياً وابتدائياً للإمامة والقيادة.

ولكن من خلال نظرة الى الموارد التي استعملت فيها كلمة الإمام (مع الأخذ بنظر الإعتبار المفهوم اللفظي لكلمة الإمام والذي يعني القائد والزعيم). فإنه يوجد بطبيعة الحال صنفان من الحُكّام الذين يديرون زمام أُمور الناس، و يأخذون بأيديهم نحوجهتين متعاكستين.

والقرآن الكريم يصف هذين الصنفين كلاً بخصاله وصفاته الخاصة به. على سبيل المثال ورد في وصف أئمة الحق من ذوي الصلاحية:

«وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء

الزّكاة وكانوا لنا عابدين».

(الأنبياء ــ ٧٣)

ورغم ان هذه الآية تتحدث عن الأنبياء وعبء الرسالات التي كانوا يحملونها على عواتقهم، الا انه يلزم عدم حصر قيادة الإنسان في الأنبياء وتواجدهم الدائم، إذ ان عمر الأنبياء ينتهي في يوم ما. و إذا كان من المقرر ان تقوم روح الشرائع الإلهية بقيادة البشر الى يوم القيامة وهذا هوالواقع بعينه فيجب ان تكون الروح القيادية وخصالها العامة دائمة ومستمرة مثل بقية أبعاد الشريعة. ولذا فإنَّ قيادة الإنسان فكرياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً هي من صلاحية القادة الذين يتحلّون بالصفات المشار اليها في الآية والتي تتمثل بالعبودية الخالصة لله، واقامة الصلاة، وتحسين أوضاع المحرومين والفقراء و بقية أبناء الأُمّة. واذا ما أضفنا الى تلك الشروط، شروطاً أُخرى واردة في بقية الآيات، لَتَحَدَّدَ أمامنا بوضوح التركيب العام للشروط التي تتكون من: العلم، والعدل والتقوى، والعبودية، والاهتمام بالإنسان و... الخ.

هذه هي خلاصة حديثنا عن الأئمة الهادين والحُكّام اللائقين بالإنسانية.

اما أئمة الضلالة والساسة غير الصالحين، فإنَّ القرآن يعبّر عنهم كمايلي:

«وجعلناهم أئمة يدعون الى النّار و يوم القيامة لاينصرون».

(القصص ــ ٤١)

فهذه الآية، تجسّد صورة الفراعنة الذين كانوا يسيطرون على زمام الأُمور في مصر وكانوا بأساليبهم المضَلِّلةِ يأخذون بيد الناس نحو النار التي لامفرَّمنها.

ومما لاشك فيه ان دور القادة السيئين، لن يكون سوى هذه. فهم يرشدون الناس الى الضلالة، وهم جسور تأخذ بالبشر نحونارالحياة الدنيا والآخرة بالضبط كماحصل للبشرية علي أيدي الحكام الجبابرة خلال آلاف السنين، فهم الذين يؤججون نار الحروب، وهم الذين يوسعون دائرة الظلم والا ضطهاد، وبالتالي يوفرون نار الآخرة لأنفسهم ولأعوانهم.

لكن ما الذي يجب ان يفعله الناس عند مواجهتهم لهذا النوع من السياسة والقيادة؟

هذا السؤال سنجيب عليه في موضع آخر، ولكننا نورد هنا آية واحدة من

القرآن الكريم بهذا الصدد:

«فقاتلوا أئمة الكفر انّهم لاأيمان لهم».

(التوبة ــ ١٢)

والتصدي للكفر والإستكبار ومقاتلتهم الى ان يتم القضاء على الفتنة **«فقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله»** واقامة الحكومة الإلهية، كل ذلك يمثل جزءاً من السياسة الإسلامية التي يمكن التعبير عنها بالسياسة الدفاعية ــ العسكرية والتي تحتاج الى مزيد من التفصيل الذي لايسع بحثنا الراهن له.

*** أهداف ونتائج النظام السياسي من وجهة نظر القرآن:**

لايمكن الفصل بين الهدف من تشكيل الحكومة وتحقيق الشرعية لنظام سياسي معين و بين الهدف من الخلق ومجموع النظام. ومما لاشك فيه ان نوع النظرة الكونية والعقائدية السائدة على روح ونفس الإنسان يستطيع ان يبين الهدف من الحياة وكافة المسائل الحياتية للانسان والتي تعتبر الحكومة جزءاً منها.

ففي الحكومات التي تقوم على أساس النظرة الكونية المادية، يكون الهدف من الحكومة متمثلاً بالتسلط، والإستكبار، وارضاء غريزة حب السلطة، وتحقيق لذة أكبر، وزيادة الفساد. والقرآن الكريم يوضح حكومة فرعون والأُصول العامة لسياسته كمايلي:

«انّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم و يستحيي نساءهم انّه كان من المفسدين».

(القصص ــ ٤)

وأصول هذه السياسة هي:

١ ــ العلو والتمرد، وهما حصيلة التمحور، و يكون هدفهما، اشباع غريزة حب السلطة.

٢ ــ القضاء على وحدة الأُمّة التي كان من المفروض ان تبقى أُمّة واحدة، غير ان سياسة فرعون كانت قد تبدّلت الى عامل للاختلاف والتشتت.

٣ ــ استضعاف وأسر المحرومين والمستضعفين الذين كان فرعون يمتص دماءهم ليواصل المستكبرون حياتهم في نعيم.

٤ ــ قتل الأطفال الذكور خوفاً من ان يثوروا في يوم ما ضد فرعون، ويسقطوا عرشه.

٥ ــ استغلال النساء والفتيات المشردات اللاتي كُنَّ يعشن في أسر الفراعنة، والعمل على إفسادهنَّ.

٦ ــ زرع جميع أنواع الفساد في الأرض، مثل: الفساد الفكري، والعقائدي، والسياسي، والإقتصادي، والأخلاقي.

الذين كانوا منذ الأيام الأُولى من تاريخ البشر ولليوم يحكمون الناس. وان ابعاد الجرائم الحاصلة عن هذا النهج السياسي وأهدافه وأغراضه قد اتسعت تبعاً لازدياد أفراد البشر ووسائل الإنتاج وحصول التطور وتوسع البلدان، بل وحتى ازدياد الأفكار المادية وشبه المادية الجافَّة، الى درجة ان السياسة الراهنة في العالم أصبحت أكثر ظلماً مما كانت عليها في عصر الفراعنة. وهذه الآية تكفي وحدها لفهرسة أهداف ونتائج مثل هذا النهج السياسي.

*** الخلافة الإلهيّة، وراثة الأرض، وامامة المستضعفين:**

لقد جاء القرآن الكريم بنماذج كثيرة لتبيين أهداف ونتائج الحكومة التي تقوم على أساس الفلسفة الإلهية. ومن تلك النماذج:

١ ــ «ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلم أئمة ونجعلهم الوارثين».

(القصص ــ ٥)

ونحن نلاحظ ان هذه الآية تلي الآية التي تتحدث عن فرعون وسياسته وممارساته، وهي تبيّن الهدف من بعث موسى (ع). فلقد جاء موسى (ع) للقضاء على حكومة الفراعنة، وانقاذ المستضعفين من ظلم وجور وأسر هؤلاء، وتسليم الأرض لأهلها الأصليين، وكان من المفروض ان تُعيَّن القيادة من بين الصالحين، بالضبط كما ظهر موسى (ع) من بين بني اسرائيل الذين كانوا الملّة المضطهدة في ذلك الوقت، وبُعِثَ مع رسالة معنوية لإرشاد ونجاة أفراد البشر الذين كانوا يعيشون في تلك المرحلة.

ويجب ألاَّ ننسى بأنه لايمكن اعتبار الآية مقتصرة على موسى (ع) وبني اسرائيل، إذْ ان فعل «نريد ان نمن» هو فعل مضارع يتحدث عن الحال

والمستقبل. وبذلك تكون النتيجة بأنَّ الله (وفقاً لمنهج خاص وشروط أُخرى من جملتها: التحرك، وإصلاح البشر لأنفسهم) يريد انتزاع وراثة الأرض و إمامة الإنسان من يد الجبابرة والطواغيت و يفوّضها لأصحابها الأصليين. وهذه السياسة الإلهية ستدوم الى يوم القيامة، وانها ستتحقق حين لايبقى على وجه الأرض أي أثر للحكومات المستبدة والمستكبرة. حيث تفوّض إمامة الأرض الى الصالحين من أفراد الأمة الاسلامية والقادة الإلهيين الأكفاء، كما بشر بذلك القرآن الكريم، وأوضحه الرسول الأكرم (ص). والأمة الاسلامية تنتظر زمن تحققه، ولكن يجب عليها ان تجاهد لتحقيق هذا الأمر.

*** القسط وضمان تنفيذه:**

٢ ــ «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قويّ عزيز»

(الحديد ــ ٢٥)

هذه الآية تبيِّن بصراحة كاملة الهدف من بعث الأنبياء، كما تبيِّن جملة من الأمُور الأُخرى:

أ ــ الأنبياء مكلفون بإجراء العدالة و إقامة القسط. وهذا الأمر لايتحقق من دون تسلُّم زمام أمُور المجتمع. ولذا فإن تسلُّم زمام الأمُور والسياسة وتدبير شؤون المُلْكِ والشعب يعتبر من عداد أُولى وظائف الأنبياء.

ب ــ وتحقيق هذا الهدف يقوم على أساس الشريعة السماوية... الشريعة المنزَّهة عن التفرقة والظلم والإفراط والتفريط والأساليب المضللة التي ينتهجها السياسيون المحترفون.

ج ــ واذا لم تعط الحكمة والنصيحة ثمرة، وواصل المعتدون طغيانهم، فيجب ان يتم القضاء عليهم بالسلاح الذي يصنع من الحديد، وذلك للقضاء على الفتنة نهائياً.

د ــ وفي الوقت الذي تتحدث فيه الآية عن الذي بيده زمام الأمُور، وعن الشريعة و تطبيقها، باعتبارها ثلاثة اصول اساسية للسياسة، فإنها تتحدث عن العلاقة بين هذه الأُصول ومبدأ الغيب وخالق العالم، بحيث يجب ان تكون العلاقة

بين الناس ومثل هذه الحكومة قائمة على أساس الإعتقاد والإيمان. وهذا هو بحد ذاته تجربة للإنسان. كما ان ذيل الآية الذي يتحدث عن قوة الله سبحانه وتعالى يمكن ان يكون اشارة رائعة الى هذه الملاحظة وهي انه لما كانت القوة والعزة والملكية لله تعالى، فيجب على العبادِ أنْ لايبحثوا عن العزة والقوة في شخص آخر ينتهي به الأمر الى الطغيان والإعتداء والإستكبار، كما فعل الجبابرة من قبل. نعم ان طريق الأنبياء والسياسات الإلهية هو غير هذا الطريق.

وعلاوة على ما جاء في خصوص إقامة القسط واجراء العدالة في البرامج العامة للأنبياء، فإنَّ البرنامج الخاص للرسول الأكرم (ص) يتضمن جملة من الوظائف الرسالية الأُخرى. فلقد جاء في سورة الشورى خلال الإشارة الى هذه الوظائف:

«وامرت لأعدل بينكم»

(الشورى ــ ١٥)

وفي مورد آخر يقول القرآن الكريم:

«فاحكم بينهم بالقسط»

(المائدة ــ ٤٢)

وفي مورد آخرى يخاطب القرآن المؤمنين قائلاً:

«كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط»

(المائدة ــ ٨)

فإقامة القسط باعتبارها أحد الأهداف السامية للحكومة الإلهية، لهي أمر يجب على الجميع ان يسعوا لتحقيقة، ابتداءً من الرسول والأئمة وانتهاءً بكل فرد من أفراد الأُمة الإسلامية. ولذا يجب السعي و بذل المحاولات لانهاء الظلم، وارسال الظالمين الى المكان الذي يستحقونه والذي يحدده القرآن الكريم في الآية التالية:

«وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً»

(الجن ــ ١٥)

* وحدة الأُمة في ظل الرسالة والقيادة:

ومن المسؤوليات الأُخرى المترتبة على الحكومة الإسلامية، هي مسؤولية تقوية الوحدة بين الأُمة الإسلامية والمحافظة عليها.

٣ ــ «كان النّاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه...».

(البقرة ــ ٢١٣)

فالعامل الوحيد الذي يتمكن من المحافظة على وحدة الإنسانية أمام الأخطار الجدية للإختلاف والفرقة، ليس إلاّ الرسالة والقيادة، كما تشير اليهما الآية.

والرسالة تتخذ من الكتاب الحق والوحي الإلهي، وان القيادة هي قيادة الأنبياء والصالحين. فالقادة غير الصالحين كانوا اكبر عاص للتفرقة بين الأُمة الإسلامية. واليوم فانَّ هذه الكارثة التي وصلت الى أوجها تشكل خطراً كبيراً على الأُمة الاسلامية. وتستطيع هذه الأُمة بنفوسها البالغة اكثر من مليار شخص ان تتحول الى قدرة كبيرة أمام اعدائها اللدودين وتلعب دوراً مؤثراً وكبيراً في العالم من خلال قوتها البشرية الهائلة، وذخائرها الطبيعية من النفظ والذهب والمعادن الأُخرى، والمناطق الاستراتيجية الجغرافية ــ السياسية، ومن خلال الاتكاء على أكبر شريعة أصيلة جامعة ألاوهي الإسلام. ولكن توجد هناك مشكلة، وهي مشكلة الحكومات التي تعتبر أُمَّ الفساد في المجتمعات البشرية. ويجب ــ كما يدعو القرآن ــ القضاء على مثل هذه الحكومات وقطع دابرها، وان تتحكم الأُمة الإسلامية بمصير نفسها بنفسها في ظلل قيادة شاملة وصالحة.

وهذه هي ارشادات القرآن الكريم التي آحتوتها الآيات السابقة وهي:

«فقاتلوا أئمة الكفر»

(التوبة ــ ١٢)

«وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة»

(الأنفال ــ ٣٩)

*** تكامل الإنسانية:**

يعتبر التكامل الإنساني هدفاً أساسياً للحياة. ومن هنا شُرِّعت الشرائع، وبُعِثَ الأنبياء لتحقيق هذا الغرض. كما ان دور الحكومة لتحقيق الغرض المذكور غير قابل للإنكار.

ان انحطاط البلدان، وانحراف الناس، يتمان بطبيعة الحال في ظل

الحكومات الجائرة والظالمة، التي يتحدث عنها القرآن في أكثر من مورد:

٤ ــ «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وملائه فاتّبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود».

(هود ــ ٩٦ الى ٩٨)

فالحُكّام الطواغيت يشكلون سداً بوجه الكمال الإنساني، مما يتطلب تحطيم هذا السد.

«فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

(البقرة ــ ٢٥٦)

والايمان بالله، والكفر بالطاغوت، هما من البنود الأُولى للرسالات التوحيدية:

«ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت».

(النحل ــ ٣٦)

والحاصل ان الرشد والكمال لايتحققان إلّا في ظل التوحيد، وحكومة الموحدين، والقانون، والدين، وسياسة الصالحين والمتقين.

وان الكفر والضلالة، هما من جملة الآثار التي يتركها الطواغيت، ويجب على المصلحين ان يحطموا بجهودهم الدؤوبة السد الذي يقف بوجه الإنسان، لتتمكن البشرية من مواصلة سيرها نحو الخير والصلاح من دون ان تواجه أية موانع، بالضبط كما عمل أنبياء الله مثل ابراهيم وموسى (ع) والرسول الأكرم (ص) وبقية الأئمة والمصلحين. فالرسول الأكرم (ص) حذّر في بداية دعوته العلنية رؤساء وملوك الدول من مواصلة اضطهادهم لعباد الله، ودعاهم للاستسلام أمام دين الحق، كما حذّر رؤساء القبائل، والأغنياء، وآكلي الربا في مكة من مغبة استثمار الجموع المحرومة. وهكذا تقدم الى الأمام الى ان اقتلع جذور الفساد التي كانت قدمت في اراضي الحكومات والرؤساء، وحقق نجاحاً كبيراً في هذا الطريق، وأقام حكومة اسلامية.... حكومة كانت تقوم على أساس الإعتقاد والإيمان بالله، واحترام الكرامة الإنسانية.

«كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلمكم

الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون».

(البقرة ــ ١٥١)

وفي آية أُخرى يبين القرآن بصراحة تامة و بصورة عامة مسؤولية القادة والحكام في تربية وتزكية الأُمّة.

«الذين ان مكّناهم في الأرض أقاموا الصّلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور».

(الحج ــ ٤١)

ولذلك فان الشخصيات السياسية ليست مسؤولة عن السياسة والإقتصاد وحفظ الأمن فحسب، بل تقع على عاتقها مسؤوليات أكبر في مجالات؛ الأخلاق، والإيمان، والعمل، والتقوى، والإحسان، ومكافحة المنكر والفساد. وهذا مايميز النظام السياسي للإسلام عن بقية الأنظمة السياسية الأُخرى.

الحقوق في النظام الإسلامي:

تشكل الحقوق في النظام الاسلامي، جزءاً من السياسة الإسلامية. وان القوانين الحقوقية تتحدد من جانب الله سبحانه وتعالى، كما ان المحاكم القضائية والقضاة لن تكون لهم شرعية ما لم يتواجدوا في ظل الحكومة الإسلامية الحقة.

والقرآن الكريم يصف المحاكم اللاشرعية بالطواغيت، مؤكداً ان اللجوء اليها يوازي الإمتثال لأحكام الطواغيت، في حين ان الحكم والقضاء هما من اختصاص الله، ورسله ومن يسير على خطاهم.

«يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرّسول وأولي الأمرمنكم فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرّسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا * الم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطّاغوت وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلّهم ضلالا بعيدا».

(النساء: ٥٩ ــ ٦٠)

والآيتان الآنفتان تذمّان بشدة الاشخاص الذين يمتثلون لأحكام الحكام اللاشرعيين. اما في النظام الإجتماعي والحقوقي والسياسي للإسلام، فإنّ الحكام الشرعيين يعيّنون من جانب الله والرسول وممثلية بالحق، بحيث ان أي حكم يصدر

من جانب هؤلاء يكون واجب الاتّباع:

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا».

(الأحزاب ــ ٣٦)

والحاصل ان ضمان حقوق الأفراد والمجتمع الإسلامي، يتم في اطار الشرع المطهر والقوانين وضوابطها و بواسطة حكام الشرع الذين يعيّنون من جانب الأولياء الصالحين في النظام الإسلامي.

وعلى أي حال؛ يمكن تلخيص أهداف و وظائف الحكومة في النظام السياسي للإسلام على النحو التالي:

١ ــ حراسة الرسالة الحقة التي تعتبر أساساً لجميع الفضائل.

٢ ــ محاربة الطاغوت باعتباره أساساً للفساد والو يلات والمصائب.

٣ ــ حماية المستضعفين وتحرير المضطهدين.

٤ ــ التصدي للمعتدين على حقوق المحرومين.

٥ ــ الحكم بالحق والعدل والقسط، وضمان الحقوق الفردية والاجتماعية.

٦ ــ تحسين الاوضاع الاقتصادية للبلاد وازالة التفرقة والاستثمار.

٧ ــ حفظ الوحدة وحل الإختلافات.

٨ ــ تربية النفوس على أساس الرسالة والقيادة الحكيمة من أجل اسعاد الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

نظام الحكومة في الاسلام:

والمسألة الأُخرى، هي البحث في النظام السياسي للإسلام.

ان النظام ونوع الحكومة يختلف تبعاً للرؤى والفلسفات والأعراف والسنن والمجتمعات. فقبل الميلاد بأربعة قرون، ألّف أرسطو كتاب «السياسة» شرح وحلل فيه ثلا ثة أنواع من الحكومات.

١ ــ الحكومات الإستبدادية.

٢ ــ الحكومات الارستقراطية.

٣ ــ الحكومات الد يمقراطية.

وقد عرفت الحكومة الديمقراطية كأفضل أنواع الحكومات على مرّ تاريخ العلوم السياسية رغم اختلاف الآراء الموجودة، وأيضاً رغم الإختلاف الموجود حول مفهوم ومصداق هذه الكلمة أوصحتها أوخطئها. ونحن هنا نريد ان نعرف أي نوع من تلك الحكومات يتناسب مع السياسة والحكومة الاسلامية؟

ان التحقيق والتعمق في الآيات القرآنية يوصلنا الى هذه النتيجة وهي ان السياسة في المجتمع الإسلامي رغم تناسبها مع الديمقراطية بمفهومها الصحيح وغير الملفّق، إلّا انها تختلف معها اختلافاً أصولياً وأساسياً، بحيث تشخّص حقيقة الروح والهوية السياسية في النظام الإسلامي المتمثلة في الحكم الإلهي.

ولتوضيح هذه المسألة نورد الأُصول التي يمكن ان تعطي الحكومة صفة الشرعية من وجهة نظر القرآن، ثم نحقق أكثر في الخصوصية المذكورة أعلاه.

كيفية تسلُّم السلطة:

١ ــ **بالنص:** النص عبارة عن التعيين من قبل الله والرسول. وهذا يختص بالرسول والإمام، وتبعاً لذلك الولي الفقيه الذي عُيِّنت له المقاييس من قبل الرسول والأوصياء. والآية المذكورة أدناه تبيّن هذا الأصل:

«أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم».

(النساء ــ ٥٩)

٢ ــ **بالشورى:** ينص هذا الأصل على ان يقوم الخبراء بالأُمور، الذين تنتخبهم الأُمة وتوافق عليهم، بالتشاور معاً لانتخاب الحاكم الذي يكون مؤهلاً للحكم **«وأمرهم شورى بينهم».**

٣ ــ **بالإستفتاء:** اذا لم يكن هناك نص صريح، فإنَّ جميع أفراد الأُمة يكون لهم الحق في انتخاب الحاكم وفق الشروط والملاكات المبيّنة في الإسلام، وتفويض سياسة المجتمع الاسلامي له.

الا ان هناك مبدأ كليا وهو اشراف ولي الأمر على الأحداث السياسة في المجتمع الإسلامي. وهذا المبدأ هو السمة التي تميّز النظام الإسلامي عن بقية الأنظمة، ويجب ان يحفظ هذا المبدأ في كل الأحوال، ولابُدَّ من التنويه الى ان ولاية الأمر التي تختص بالنبي والإمام ــ حسب وجهة نظرنا ــ تفوّض الى الفقيه الجامع للشرائط والعارف بأُمور زمانه فيما اذا لم يوجد النبي والإمام كما هو الحال في

عصرنا الحاضر. و يستطيع الفقيه ان يدرس التصميمات والقرارات المتخذه، و يصادق عليها، أو يرفضها، وهذا حق محفوظ له.

تقول الآية:

«وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله».

(آل عمران ــ ١٥٩)

والآية المذكورة يمكن أن تكون اشارة الى هذا الأصل.

وكما نلاحظ فإنَّ الآية توصي بأهل الشورى، لكنها في الوقت نفسه تؤكد على ان القرار النهائي يجب ان يُتخذ من جانب الرسول (ص) بعد توكله على الله.

ولذلك فانَّ مزيّة الإستفتاء والشورى في النظام السياسي في الإسلام هي ان الحكومة بين الله والشعب تدار باشراف من الرسول، خلافاً للأنظمة السياسية الاُخرى التي تعطي الأصالة الكاملة للشورى وآراء الشعب، ولا تأبه بما يدعو اليه الله أوالرسول الأكرم(ص).

ان مبدأ الحكم هو من اختصاص الله، ويطبّق بواسطة ولي الأمر، و يتمتع الناس من جانبهم بحق ابداء الرأي، شريطة تطابق رأيهم مع الأحكام الإلهية ونظر ولي الأمر.

قال تعالى:

«لتحكم بين الناس بما أراك الله».

(النساء ــ ١٠٥)

منشأ القوانين في النظام السياسي للإسلام:

مثلما استنبطنا من بحوثنا السابقة، فإنَّ القوانين والأحكام في النظام السياسي للإسلام، متخذة من الوحي الذي نزل على الرسول (ص) من جانب مبدأ الغيب، وكانت تفصَّل وتوضَّح بأقوال وأعمال الرسول (ص). وتعتقد الاُمّة الإسلامية بأنَّ القرآن يجمع كل المبادئ والقوانين والأحكام الضرورية للبشر في كل العصور، ولذلك يمكن تطبيق كل الاُمور والمسائل المستحدثة على مرالزمن واستنباط أحكامها منه ــ القرآن ــ.

وتحظى مسألة الإجتهاد بمكانة خاصة في الفقه، وتعتبر مثالاً واضحاً على

امكانية تطبيق الأحكام الإسلامية في كل الظروف. كما يعتبر الإجتهاد مبدأ يُتَّخذُ أصله من النصوص الإسلامية (القرآن والأحاديث) وان الإستناد اليه يجعل النظام السياسي للإسلام غنياً من الناحية القانونية، ويحول دون وصوله الى طريق مسدود، كما يمكّنه من ايجاد مقاييس للوقائع والمسائل اليومية المستحدثة في عالم السياسة وعلاقات الدول والشعوب.

قال تعالى:

«لتحكم بين الناس بما اراك الله»

(النساء ــ ١٠٥)

ضمان اجراء القوانين:

رغم ان الدولة والموظفين في النظام الإسلامي مسؤولون عن تنفيذ القوانين الإلهية بحكم المسؤولية التي تقع على عاتقهم، إلّا ان جميع ابناء الشعب مسؤولون بدورهم عن تنفيذ. القوانين في ظل هذا النظام، ذلك ان القوانين في النظام الإسلامي لا تعتبر مقررات اجبارية لاروح فيها بحيث يمكن للشعب طرحها جانباً، بل انها تعتبر تكاليف يجب تنفيذها من قبل أي فرد مسلم، وذلك بحكم ايمانه بالله والآخرة، وطلباً لرضا الله واسعاد نفسه وغيره، لذلك فإنَّ مسألة تنفيذ القوانين في النظام الإسلامي لا توصل الدولة الإسلامية الى طريق مسدود ولكن اذا انتهكت القوانين ــ وهذا أمر موجود في كل مجتمع ــ فان الدولة الاسلامية مضطرة لاستعمال القوة، وقوانين العقوبات الشرعية في النظام القضائي الإسلامي ماهي إلاّ قوانين شرعت من أجل التصدي للمخالفين. والآيات المذكورة أدناه نبيّن الروحية الإيمانية للمسلمين الذين يطبقون المقررات والأحكام الإلهية:

«انّما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون».

(النور ــ ٥١)

«فلا وربك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم....».

(النساء ــ ٦٥)

واذا خرجت طائفة من المسلمين على الأوامر الإلهية، وطغت، وأثارت الفتنة، ولم تأبه بمصالح المسلمين، فعلى المسلمين أن يقاتلوا الفرقة الباغية حتى

تمحى آثار الفتنة، و يسود الحق في المجتمع الإسلامي.

«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوابينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين».

(الحجرات ــ ٩)

وليس الصلح بالقسط ان يُلقى السلاح على الأرض، ولايتم تحديد الظالم والمظلوم، بل يجب ان يؤاخذ الظالم اذا ما سلب أموال المسلمين أو انتهك أعراضهم، كما يجب اعطاء كل ذي حق حقه. ومفهوم العدل والقسط انما يعني اعادة الحق المسلوب ولذلك فإنَّ الصلح والعدل يجب ان يكونا متوازيين، وذلك من أجل انزال العقوبة بالمعتدين ومفتعلي الفتن لا تشجيعهم على مايقومون به.[٣]

وعلى أية حال، فإنَّ الحديث يدور حول احكام القوانين في النظام الإسلامي والتي يجب ان تطبَّق في كل المجالات سواءً في المسائل الداخلية أوالخارجية، لكي يبقى النظام الإسلامي في مأمنٍ من الفوضى، وتتم صيانة جميع الحقوق الفردية والإجتماعية.

ولقد اتضح من خلال البحوث الماضية جذور ونشأة وشرعية السلطات الثلاث: «التشريعية والقضائية والتنفيذية» التي تشكل أركان كل نظام ــ وخاصة في النظام السياسي الاسلامي ــ كما اتضحت اهدافها والعلاقات فيما بينها واتضحت واجباب الناس ازاءها.

ويمكن في هذا البحث التحدث عن الأطروحات والبرامج وكيفية العمل بها في المسائل السياسية الجارية، غير ان الفرصة لا تمكننا من البحث في الجزئيات.

---

٣ ــ الم ينتبه الى الآية المذكورة اولئك الذين يطلبون من ايران أن تستجيب لاقتراح النظام العراقي المعتدي؟ ان اعتداءات وجرائم النظام العراقي ليست بخافية على احد، كما ان موقف العراق الذي يخدم الاستكبار العالمي والامبريالية هو أمر واضح. ولذلك وبحكم الآية الكريمة ــ لابُدَّ للمسلمين ان يقفوا الى جانب ايران ويحاربوا البعثيين المعتدين الى أن تتم مجازاتهم ويتحقق الصلح العادل والمشرف. وبعكس ذلك تكون ادعاءات الصلح خدمة للاستكبار العالمي.

العلاقة بين الحكومة والشعب:

ان العلاقة بين الحكومة والشعب ــ في النظام السياسي للإسلام ــ ليست كعلاقة الظالم والمظلوم، والقوي والضعيف ــ كما هو الحال في النظم السياسية غير الإلهية ــ بل ان هذه العلاقة تقوم على أساس؛ الأحكام الإلهية، والإرادة الحرة للشعب، والتعاطف والتعاون والإيمان والصدق. وهو نفس الأُسلوب الذي اتبعه الرسول (ص) واتباعه الحقيقيون.

وعند ما يبين القرآن الكريم الهدف من بعث الرسول (ص) فإنه يصرح بأنه (ص) جاء ليحطم القيود والأغلال التي كانت تكبل أرواح وأجسام الناس آنذاك .

«ويضع عنهم اصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم».

(الأعراف ــ ١٥٧)

وبهذه الولاية يحكم الرسول و «أُولي الأمر» على الناس

«النّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

(الأحزاب ــ ٦)

وهذه الولاية تحظى بتأييد الناس:

«فلا وربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليماً.

(النساء ــ ٦٥)

وفي مثل هذا النظام الذي يقوم على أساس الولاء والتلاحم ووحدة الأهداف تكون الحكومة غير منفصلة عن الشعب كما ان الشعب لايعتبر نفسه غريباً عنها. لذلك فهو يشاركها في الحفاظ على النظام باعتباره أصلاً ومرتكزاً لوحدة الأُمّة والإمام والدولة والشعب.[٤]

مسؤولية العلماء والناس في الشؤون السياسية:

ان علماء الإسلام باعتبارهم العقول المفكرة والمسؤولة عن زعامة المجتمع

---

٤ ــ وهذا ماتشاهده اليوم في الجمهورية الاسلامية.

الإسلامي، لهم مسؤولية ودور خطير في الشؤون السياسية. والقرآن الكريم يذم علماء الدين من أهل الكتاب الذين سكتوا عن الظلم. ومن جهة اخرى يحث الناس وخاصة علماء وقادة الدين على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوقوف بوجه الظلم والجور.

والآيات المدرجة أدناه هي نموذج عمّا يقوله القرآن الكريم في هذا المجال:

«لولا ينهاهم الرّبّانيّون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون».

(المائدة ــ ٦٣)

«لعن الّذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

«كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

(المائدة ــ ٧٨ ــ ٧٩)

والآيات المذكورة تضع المساومين مع الظلم وعلماء الدين الساكتين، في زمرة الكفار، وتعتبرهم ممن يستحقون لعنة الله وأنبيائه.

إنَّ أعظم مسؤولية تقع على عاتق العلماء والقادة الدينيين، هي مراقبة أعمال الجبابرة المتربعين على أريكة السلطة والمتلاعبين بمقدسات الدين وكرامة الشعب. كما ان السكوت ازاء هؤلاء يعتبر جريمة لا تغتفر، ويترتب عليها العذاب الأليم.

مسؤولية الناس:

اما مسؤولية الناس ازاء هذا الأمر الخطير، فهي مسألة يجب أن لايستهان بها. ان احدى العقوبات الإلهية بحق الناس هي تحكم الحكومات غير الصالحة والمجرمة في رقابهم.

قال تعالى:

«واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا»

(الاسراء ــ ١٦)

ومن البديهي ان هلاك الناس على أيدي الحكام الجبابرة ليس عقوبة

يستحقها الناس جزاء أعمالهم غير اللائقة وسكوتهم ومساومتهم واستسلامهم أمام الظلم والفساد، كما تصرح بذلك آيات اخرى:

«ذلك أن لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون».

(الأنعام ــ ١٣١)

ان سنّة الله تنص أولاً على التنبيه وتشخيص وظائف الناس في المسائل العبادية والسياسية والإجتماعية والأخلاقية والثقافية والعسكرية والدفاعية وغير ذلك، ثم تعيين قادة صالحين عليهم. واذا لم يخضع ويستسلم هؤلاء للحق، فإنَّ الباري عزّوجلّ يسلب منهم القادة الصالحين ويترك القادة غير الصالحين ليفسدوا ويقتلوا الناس، وبهذه الطريقة تنزل العقوبة الإلهية على الناس بواسطة الحُكّام الظَّلَمَة.

ولذلك يجب على الناس ان يسلّموا زمام امورهم الى زعماء صالحين، وأنْ ينهضوا بوجه السياسات الإستكبارية كي تتحقق الحكومة الإلهية التي هي نفس حكومة الصالحين، ذلك:

«انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين»

(الأعراف ــ ١٢٨)

أسماء وأوصاف القرآن
في القرآن الكريم

حجة الاسلام
الشيخ محمد باقر الانصاري /ج!.!

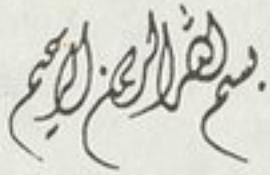

الموضوع الذي اخترته للمؤتمر الثاني للفكر الإسلامي هو: «**معرفة القرآن من وجهة نظر القرآن**» وكما يبدو من هذا العنوان، فإنَّ التركيز والإستناد إنَّما يكون على القرآن وحده، ليُعرَف التصور الذي يعطيه عن نفسه بالخصوص.

وللبحث في هذا الموضوع، لجأنا الى أفضل أُسلوب لمعرفة القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن. ولتوضيح هذا الأُسلوب نقول؛ انه لكي نتوفر على دراسة أي موضوع من وجهة نظر القرآن، يجب ان يُطالع القرآن كله، ثم يُركَّزُ على الآيات المتعلقة به. ولن تكفي مراجعة للمعاجم المفهرسة لتحقيق هذا الهدف، ذلك انه قد يكون هناك الكثير من الآيات التي ترتبط بموضوع البحث رغم أنها لاتحوي الكلمات المعينة باعتبار انها قد طرحت الموضوع بشكل آخر. لذا فما لم نقم بمراجعة القرآن من أوله الى آخره لا نستطيع ادعاء صحة استنتاجنا تماماً من مجموع الآيات الشريفة.

فمثلاً لو لاحظنا الموضوع الذي اخترناه ولو راجعنا الآيات القرآنية التي تتضمن كلمات: «القرآن» «الكتاب» «الفرقان» وأمثالها من خلال المعاجم المفهرسة، ورحنا نعمل على الوصول للنتيجة، فإنَّ رأينا سوف لن يكون رأياً سديداً مستقصياً كل الأبعاد.

ذلك لأنَّ هناك كلمات من قبيل؛ «الذكر» و«غير ذي عوج» و«حديث» وعشرات أمثالها من الكلمات التي ترتبط بالموضوع بشكل مباشر، ربَّما

لانلتفت اليها، ومن ثم نعمد للإستنتاج دون ملاحظتها، مما يجعل استنتاجنا ــ بشكل طبيعي ــ استنتاجاً غير علمي ولا قطعي، و بالتالي لايمكن اعتباره وجهة نظر قرآنية.

ولكي يكتمل موضوع البحث، فقد قمت بمطالعة القرآن الكريم، واستخرجت منه الآيات التي رأيتها تخدم غرضي، وصنفتها الى مجموعات.

ان تصنيف الآيات يمكن طرحه مع المواضيع المدرجة أدناه. لكن ومع ذلك يمكن ان تكون هناك سبل أخرى، بل أفضل لتصنيف الآيات المستخرجة. اما المواضيع فهي:

الأول ــ خصائص القرآن.

الثاني ــ نزول القرآن.

الثالث ــ أحقّية القرآن.

الرابع ــ الهدف الغائي للقرآن.

الخامس ــ عالمية القرآن.

اما الفصول الفرعية لكل من هذه العناوين ــ وفق الآيات المذكورة ــ فيمكن ترتيبها على النحو التالي: ــ

العنوان الأول: خصائص القرآن:

(١) ــ أسماء القرآن وأوصافه.

(٢) ــ معنى الآية والسورة.

(٣) ــ كونه عربياً لا أعجمياً.

(٤) ــ سهولته.

(٥) ــ شموله لكل شيء.

(٦) ــ عدم كونه شعراً.

(٧) ــ عدم تحريف القرآن.

(٨) ــ الناسخ والمنسوخ في القرآن.

(٩) ــ المحكم والمتشابه في القرآن.

(١٠) ــ تلاوة القرآن وقراءته.

(١١) ــ عدم الإختلاف والتناقض فيه.

العنوان الثاني: نزول القرآن:

(١) ــ كيفية النزول.

(٢) ــ وحي القرآن.

(٣) ــ اعلان نزول القرآن.

(٤) ــ تلقي القرآن.

(٥) ــ أُمية الرسول (ص).

(٦) ــ تعليم القرآن.

(٧) ــ قول النبي أم قول الله؟

العنوان الثالث: أحقية القرآن:

(١) ــ آيات التحدي.

(٢) ــ نزول القرآن بحق.

(٣) ــ عدم الشك والريب في القرآن.

(٤) ــ القرآن في الكتب والصحف الأُخرى.

(٥) ــ القَسَم في القرآن.

العنوان الرابع: الهدف الغائي للقرآن.

(١) ــ التدبر في القرآن.

(٢) ــ الإيمان بالقرآن. «الإيمان ببعضٍ والكفر ببعضٍ».

(٣) ــ الخشوع في قباله.

(٤) ــ التمسك به.

(٥) ــ الوارثون للكتاب.

(٦) ــ الكفر بالقرآن، والحجج الواهية وأنماط الاستهزاء.

(٧) ــ معاقبة الكافرين بالقرآن.

(٨) ــ القرآن منبع للهدى والضلال.

(٩) ــ الأهداف الأخرى.

العنوان الخامس: عالمية القرآن:

ولما كان البحث في كل هذه الأبواب والفصول يؤدي الى تدوين كتاب مستقل، فإننا نركّز على أول عنوان و بالخصوص على موضوع (أسماء القرآن وأوصافه) في هذا البحث، تاركين إكمال البحث الى الأُخوة المشاركين في هذا

المؤتمر والمحققين اذا رغبوا في ذلك .

أسماء القرآن وأوصافه

يطلق القرآن على نفسه أسماءً وأوصافاً كثيرة بحيث لايمكن تفكيكها عن بعضها في بعض الموارد. فمن الواضح ان بعض الكلمات هي أسماء للقرآن مثل «**القرآن**» «**الكتاب**»، وأخرى أوصاف له مثل «**الكريم**» و «**المبارك**» في حين تجد ان بعضها يستعمل كإسم تارةً، وكصفة أُخرى مثل: (**الهدى**) و (**الرحمة**). وها نحن نحاول هنا دراسة الأسماء والأوصاف العامة بترتيب حروف الهجاء، وفي القسم الأخير نبحث عما هو صفة محضة بشكل مستقل.

(١) ــ أحسن ما أُنزل

وقد جاء هذا التعبير في مورد واحد في القرآن الكريم وهو آية «**واتبعوا احسن ما أُنزل اليكم من ربكم**» (سورة الزمر /٥٥) وفي مقام مقارنته بسائر الكتب السماوية الأخرى، وأنه أكمل الكتب السماوية واتقنها، حيث أوحي به الى آخر نبي:

(٢) ــ بشرى

وهو أحد الأسماء التي أُطلقت عليه، والقرآن بشرى لانه يبشر بالجنة والنعم الأُخروية، وكذلك لأنه يوجب سعادة الإنسان في الدنيا أيضاً. والآيات التي ورد فيها هذا التعبير هي:

«**وهدىً وبشرى للمؤمنين**» (سورة البقرة /٩٧) و (سورة النمل /٢).

«**وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين**» (سورة النحل / ٨٩).

«**وهدىً وبشرى للمسلمين**» (سورة النحل /١٠٢).

«**وبشرىٰ للمحسنين**» (سورة الاحقاف /١٢).

(٣) ــ بصائر

جمع بصيرة: وفعله بصر، يبصر (بضم الصاد) ــ بصراً وبصارة بمعنى حصول الوعي، والعلم بشيء ما.

والبصيرة بمعنى العقل والدراية، وكذلك جاءت بمعنى العبرة، وبمعنى البينة والهادي الذي تمكن بواسطته رؤية الشيء كما هو عليه، وهو بهذا المعنى في القرآن، ذلك ان القرآن ضياء يمكن بواسطته رؤية الحقائق وادراكها وكونها بحالة الجمع في مورد القرآن انما هو لأجل ان كل سورة وآية منه بينة وهاد. فللقرآن دلائل واضحة وبراهين ساطعة تشخص سبل الحق وتميزها عن سبل الباطل. وقد جاء في موردين قرآنيين:

«**هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة**» (سورة الأعراف /٢٠٣).

(٤) ــ بلاغ

جاء اطلاق البلاغ على القرآن في آية واحدة:

«**هذا بلاغ للناس ولينذروابه**» (سورة ابراهيم /٥٢).

والبلاغ بمعنى البلوغ والوصول الى المقصد.

جاء في المنجد: البلاغ ج البلاغات: الاسم من الابلاغ والتبليغ أي الإيصال. والبلاغ في مورد القرآن يأتي بهذا المعنى، فالقرآن سبب وصول الإنسان الى المقصد وهو التكامل النهائي.

(٥) ــ البيِّنة

وهي من بان ــ يبين بياناً وتبياناً، بمعنى صيرورته واضحاً، والبيِّنة مؤنث بيِّن، وجمعها «بينات» وتعني الدليل والحجة الواضحة.

ولأن القرآن معجزة حقانية رسالة رسول الإسلام (ص) ولذا فقد استفاد من اطلاق هذه الكلمة ومشتقاتها على نفسه كثيراً. تارة بنحو الإسم، وأُخرى بنحو الصفة.

وكلمة «مبين» التي هي من مشتقات هذا اللفظ، أُطلقت على القرآن في آيات كثيرة كما سنوضحه بعد هذا..

اما كلمة البيِّنة، فقد أُطلقت في الموارد التالية:

«**قل اني على بينة من ربي**» (سورة الانعام/١٥٧).

طبعاً هذا طبق رأي بعض المفسرين.

«**فقد جاء كم بينة من ربكم**» (سورة الانعام /١٥٧).

واستعملت بصيغة الجمع في آيات أخرى:

«ولقد انزلنا اليك آيات بينات» (سورة البقرة /٩٩).

وفق رأي بعض المفسرين:

«أنزل فيه القرآن هدىً للناس و بينات» (سورة البقرة /١٨٥).

«واذا تتلى عليهم آياتنا بينات» (سورة يونس /١٥) و (١٩ /٧٣) و (٢٢ /٧٢) و (٣٤ /٤٣) و (٤٥ /٢٥) و (٤٦ /٧).

«وكذلك أنزلناه آيات بينات» (سورة الحج /١٦).

«وأنزلنا فيها آيات بينات» (سورة النور /١).

«بل هوآيات بينات» (سورة العنكبوت /٤٩)

«هو الذي ينزل على عبده آيات بينات» (سورة الحديد /٩).

«وقد أنزلنا آيات بينات» (سورة المجادلة /٥).

وجاء بصيغة مبينات في بعض الآيات.

«ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات» (سورة النور /٣٤).

«لقد أنزلنا آيات مبينات» (سورة النور /٤٦).

«يتلواعليكم آيات الله مبينات» (سورة الطلاق /١١).

ومن اللازم ذكره هنا ان كلمة «الآية» و «الآيات» لأنها استعملت ــ من جهة ــ في مورد القرآن وكذلك في معجزات رسول الإسلام و باقي الأنبياء، ومن جهة أُخرى نجدها لا تعبر عن اسم أو صفة مستقلة للقرآن، فإننا لم نذكرها عندما جمعنا الآيات. وللاستفادة منها يراجع المعجم المفهرس.

وقد ذكرت صفة (مبين) للقرآن في بعض الآيات وهي عبارة عن:

«وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً» (سورة النساء /١٧٤).

«نور وكتاب مبين» (سورة المائدة/١٥).

«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة يوسف /١) (٢/٢٦) و(٢/٢٨).

«تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» (سورة الحجر /١).

«تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (سورة النمل /١).

«ان هوالا ذكر وقرآن مبين» (سورة يس /٦٩).

«والكتاب المبين» (سورة الزخرف /٢) و (٢/٤٤).

وهناك كلمات أُخرى من مشتقات هذه الكلمة استعملت في مورد

القرآن وهي:

بيان: «**هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين**» (سورة آل عمران /١٣٨).

تبيان: «**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**» (سورة النحل /٨٩).

(٦) ــ تفصيل

وهي احدى الكلمات التي استعملت في القرآن. والفصل بمعنى التفريق، والمزيد منه من باب التفصيل جاء بمعان منها: التبيين والتوضيح، الإتيان بالتفصيل والتطويل جعل الكتاب فصلاً فصلاً وكذلك تقطيعه. اما في مورد القرآن فقد جاء بمعنى التبيين الذي يرادف التبيان.

والآيات المتعلقة بالمورد هي:

«**ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه**» (سورة يونس /٣٧).

«**ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء**» (سورة يوسف /١١١).

وجاء في آية واحدة بشكل مفعول:

«**وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلاً**» (سورة الانعام /١١٤).

وفي آيات اخرى بشكل فعل وهي:

«**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**» (سورة الأعراف /٥٢).

«**كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير**»(سورة هود /١).

«**كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً**» (سورة فصلت /٣).

«**ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته**» (٤٤/٤١).

ومعنى الأعجمي في الآية الأخيرة هو المبهم وغير الواضح وغير البليغ، وعليه فكلمة (فصّلت) ستكون بالمعنى المذكور، أي انه لو لم يكن القرآن مبيناً وواضحاً، لقال الكفار؛ لماذا ام يوضح القرآن؟

وفي آية اخرى أستعملت كلمة (فصل) في القرآن وهي:

«**انه لقول فصل**» (سورة الطارق /١٣).

واستعمال المصدرهنا هو بمعنى الفاعل وللمبالغة كما يقال زيد عدل، فالقرآن حقاً فاصل بين الحق والباطل، وعليه فهذا التعبير من نوع التعبير بـ (الفرقان).

(٧) ــ التنزيل

وهي احدى الكلمات التي أُطلقت على القرآن، وهي مصدر نزل. وفي مجال نزول القرآن جاء اللفظ تارة من باب الافعال مثل:

«انا أنزلناه في ليلة القدر» (سورة القدر /١).

وأُخرى من باب التفعيل. و يقول الراغب في الفرق بينهما: «والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ان التنزيل يختص بالموضع الذي يشير اليه انزله مفرّقاً ومرة بعد أُخرى، والإنزال عام».

والمقصود هو ان التنزيل يعني النزول التدريجي للقرآن، خلافاً للإنزال الذي لايدل على نوع النزول أهو دفعي أم تدريجي . وقد جعل المنجد التنزل من باب التفعل، بمعنى النزول التدريجي ، وقد جاء التنزيل بمعنى الترتيب والتنظيم.

والآيات التي جاءت فيها كلمة التنزيل في مجال القرآن هي:

«تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (سورة المؤمن /٢).

«وانه لتنزيل رب العالمين». (سورة الشعراء /١٩٢).

«تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين». (سورة السجدة /٢).

«تنزيل العزيز الرحيم» (سورة يس/٥).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (سورة الزمر /١) و (٢/٤٥) و(٢/٤٦).

«تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى» (سورة طه /٤).

«تنزيل من الرحمن الرحيم» (سورة فصلت /٢).

«تنزيل من حكيم حميد» (سورة فصلت /٤٢).

«تنزيل من رب العالمين» (سورة الحاقة /٤٣).

كما جاء في بعض الآيات بشكل المفعول المطلق:

«انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً» (سورة الدهر /٢٣).

وجاء في بعض الآيات بشكل فعل ومحل بحثه في قسم نزول القرآن.

(٨) ــ حديث

وأحسن الحديث: بمعنى الخبر. وكما يقول الراغب فهو عبارة عن كل كلام يصل الى الإنسان بالسمع أو بطريق الوحي ــ في النوم أو اليقظة. ولأن القرآن

وصل بالوحي الى رسول الإسلام، فقد أُطلق عليه لفظ «حديث أو أحسن الحديث» والآيات التي تتضمن ذلك هي:

«**ما كان حديثاً يفترى**» (سورة يوسف /١١١).

«**ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً**» (سورة الكهف /٦).

«**الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابهاً**» (سورة الزمر /٢٣).

«**افمن هذا الحديث تعجبون**» (سورة النجم /٥٩).

«**افبهذا الحديث انتم مدهنون**» (سورة الواقعة/٨١).

«**فذرني ومن يكذب بهذا الحديث**» (سورة القلم /٤٤).

وفي بعض الآيات جاء التحدي للمنكرين ان يقدروا على الإتيان بمثل هذا الحديث أو الخوض في حديث غيره، وهي:

«**حتى يخوضوا في حديث غيره**» (سورة النساء /١٤٠)

«**فبأي حديث بعده يؤمنون**» (سورة الاعراف /١٨٥) و(٥٠/٧٧).

«**فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون**» (سورة الجاثية /٦).

«**فليأتوا بحديث مثله**» (٣٤/٥٢).

(٩) ــ حق ــ حق اليقين

أصل الحق بمعنى المطابقة والموافقة، وقد استعمل في القرآن الكريم في أربعة معان كما يقول الراغب:

١) ــ في الموجد للشيء بمقتضى الحكمة، فالله من هذه الجهة حق، كما في آية:

«**فذلكم الله ربكم الحق**» (سورة يونس /٣٢).

٢) ــ الشيء الذي وجد بمقتضى الحكمة: مثل: «**ما خلق الله ذلك الا بالحق**» (سورة يونس /٥).

٣) ــ في الإعتقاد بشيء يطابق الواقع، وذلك في مثل:

«**فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق**» (سورة البقرة /٢١٣).

٤) ــ في الفعل والقول الذي يتحقق بالمقدار اللازم، وفي الوقت اللازم، وبمقتضى الضرورة واللزوم:

«**كذلك حقت كلمة ربك**» (سورة يونس /٣٣).

وأفضل معنى للحق في مجال القرآن، هو المعنى الرابع، و إن كان المعنى الثاني مناسباً. ولنذكر الآن الآيات التي استعملت لفظة (الحق) في القرآن، وهي:

«وهو الحق مصدقاً لما معهم». (سورة البقرة /٩١).

«نزّل الكتاب بالحق» (سورة البقرة /١٧٦).

«نتلوها عليك بالحق» (سورة البقرة /٢٥٢).

«نزّل عليك الكتاب بالحق». (سورة آل عمران /٣).

«انزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة النساء /١٠٥) و (٤٨/٥).

«ممّا عرفوا من الحق» (سورة المائدة /٨٣).

«وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق» (سورة المائدة /٨٤).

«يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق» (سورة الأنعام /١١٤).

«لقد جاءك الحق من ربك» (سورة يونس /٩٤).

«قد جاءكم الحق من ربكم» (سورة يونس /١٠٨).

«انه الحق من ربك» (سورة هود /١٧).

«والذي انزل اليك من ربك الحق» (سورة الرعد/١).

«انما أُنزل اليك من ربك الحق» (سورة الرعد /١٩).

«وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» (سورة الاسراء /١٠٥).

«وقل الحق من ربكم» (سورة الكهف /٢٩).

«انه الحق من ربك» (سورة الحج /٥٤).

«فلما جاءهم الحق من عندنا» (سورة القصص /٤٨).

«انه الحق من ربنا» (سورة القصص /٥٣).

«أو كذب بالحق لما جاءه» (سورة العنكبوت /٦٨).

«بل هو الحق من ربك» (سورة السجدة /٣).

«الذي انزل اليك من ربك هو الحق» (سورة سبأ /٦).

«كفروا للحق لما جاءهم» (سورة سبأ /٤٣) و (٧/٤٦).

«والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق» (سورة فاطر /٣١).

«إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة الزمر /٢).

«إنا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق» (سورة الزمر /٤١).

«أنزل الكتاب بالحق» (سورة الشورى /١٧).

«ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر» (سورة الزخرف /٣٠).

«تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق» (سورة الجاثية /٦).

«وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم» (سورة محمد (ص) /٢).

«وما نزل من الحق» (سورة الحديد /١٦).

«وقد كفروا بما جاءكم من الحق» (سورة الممتحنة /١).

«وانه لحق اليقين» (سورة الحاقة /٥١).

(١٠) ـ الحكم

وقد جاء هذا اللفظ بمعان عدة، منها: فصل النزاع، الحكم وتدبير الأمور السياسية، الرجوع، صيرورة الشخص حكيماً.

وقد جاء في مورد القرآن في موضع واحد وهو:

«وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» (سورة الرعد /٣٧).

ومن الأهداف الأخرى للقرآن والكتب السماوية الأخرى، الحكم بين الناس، وهو ما بُيّن بصراحة في آيات كثيرة مثل:

«إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله». (سورة النساء /١٠٥).

«وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه». (سورة البقرة /٢١٣).

وفي بعض الآيات، ذكرت كلمة (حكيم) كصفة للقرآن وهي:

«ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» (سورة آل عمران /٥٨).

«الر، تلك آيات الكتاب الحكيم» (سورة يونس /١) و (٢/٣١).

«والقرآن الحكيم» (سورة يس/٢).

ويمكن ان يكون المقصود من «الحكيم» هنا ان القرآن يتضمن الحكمة، وهي عبارة عن العلم الذي يحفظ الإنسان من الأعمال القبيحة، وقد الطلقت كلمة «الحكمة» في مورد واحد على القرآن، وهو:

«حكمة بالغة فما تغن النذر» (سورة القمر /٥).

ويمكن ان يكون المقصود هو المحكم، أي ان القرآن منظم ومتقن في

ترتيبه. وطبيعي ان الإحتمال الثاني يبدو أقوى، ذلك لأنه جاء فعل هذه الصيغة من باب الافعال، بمعنى الإتقان في آيتين، وهما:

«**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**» (سورة هود /١).

«**ثم يحكم الله آياته**» (سورة الحج /٥٢).

وكلمة محكمة في الآية التالية بهذا المعنى:

«**فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال**» (سورة محمد (ص) /٢٠).

وطبيعي، ان الآيات المحكمة في قبال الآيات المتشابهة، لها معنى آخر يجب ان يقع موقع البحث من بحث المحكم والمتشابه.

والحكيم هو إحدى صفات الله التي تعني الإتقان في الأمور، فأفعاله تعالى تتحقق على أساس النظام والترتيب والإتقان، ولذا فلما كان القرآن نازلاً من عند الحكيم فهو محكم ومتقن بدوره. ويمكن ان يكون شاهد هذا المعنى الآيات التي تنسب نزول القرآن الى الله المتصف بأنّه حكيم من مثل:

«**وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم**» (سورة النمل /٦).

«**تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم**» (سورة الزمر /١).

«**تنزيل من حكيم حميد**» (سورة فصلت /٤٢).

(١١) ــ الذكر:

يقول الراغب في مفرداته: «**الذكر** تارة يقال و يراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان ان يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلاّ ان **الحفظ** يقال اعتباراً باحرازه، **والذكر** يقال اعتباراً باستحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء القلب، أوالقول، ولذلك قيل: الذكر، ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان».

ولأن القرآن يوجب التذكر والرجوع الى الذات، فقد أُسمي بـ(**الذكر**) والآيات التي تتضمن استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى هي:

«**والذكر الحكيم**» (سورة آل عمران /٥٨).

«**او عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم**» (سورة الاعراف /٦٣) و(٦٩/٧).

«**ان هو الا ذكر للعالمين**». (سورة يوسف /١٠٤).

«**وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر انك لمجنون**» (سورة الحجر /٦).

«**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**» (سورة الحجر /٩).

«وأنزلنا اليك الذكر» (سورة النحل /٤٤).

« وقد آتيناك من لدنّا ذكراً» (سورة طه/٩٩).

«هذا ذكر من معي وذكر من قبلي» (سورة الأنبياء /٢٤).

«وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث» (سورة الشعراء /٥).

«انما تنذر من اتبع الذكر» (سورة يس /١١).

«ان هو الا ذكر وقرآن مبين» (سورة يس /٦٩).

«فالتاليات ذكراً» (سورة الصافات /٣).

«ص والقرآن ذي الذكر» (سورة ص /١).

«أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري» (سورة ص /٨).

«ان هو الا ذكر للعالمين» (سورة ص /٨٧) و(٢٧/٨١).

«ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز» (سورة فصلت /٤١).

«أفنضرب عنكم الذكر صفحاً» (سورة الزخرف /٥).

«وانه لذكر لك ولقومك » (سورة الزخرف /٤٤).

«ولقد يسرنا القرآن للذكر» (سورة القمر /١٧ ــ ٢٢ ــ ٣٢ ــ ٤٠).

«أءُلقي الذكر عليه» (سورة القمر /٢٥).

«قد أنزل الله اليكم ذكراً» (سورة الطلاق /١٠).

«لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون. وما هو الا ذكر للعالمين»
(سورة القلم/٥١ ــ ٥٢).

وقد استعملت كلمة (ذكرى) في بعض الآيات وهي:

«ان هو الا ذكرى للعالمين» (سورة الانعام /٩٠).

«وذكرى للمؤمنين» (سورة الاعراف /٢) و(١١/ ١٢٠).

«وذكرى لقوم يؤمنون» (سورة العنكبوت /٥١).

كما استعملت لفظة (تذكرة) في آيات أخرى هي:

«إلاّ تذكرة لمن يخشى» (سورة طه /٣).

«وانه لتذكرة للمتقين» (سورة الحاقة /٤٨).

«فما لهم عن التذكرة معرضين» (سورة المدثر /٤٩).

«كلا انه تذكرة» (سورة المدثر /٥٤).

«ان هذه تذكرة» (سورة الدهر /٢٩).

«كلا انها تذكرة» (سورة عبس /١١).

(١٢) ــ رحمة

بمعنى الرقة والعطف الذي يتبعه البذل والإحسان وفي المجال الإلهي ــ لأن الله ليس محلاً للحوادث ولا مجال فيه للتأثر ــ يجب ان ينزها كبا قي الصفات عن المعاني المادية فرحمته انعامه و بذله للعباد الذين يستحقون ذلك، لان فيض الله جار دائماً، ورحمته جارية، ويبق ان تتوفر القابلية في الشخص والشي ء حتى تناله الرحمة.

والرحمة في مورد القرآن بهذا المعنى فهو نبع متدفق دائماً لهداية الإنسان وسعادته، ويبق ان تتوفر القابلية والإستحقاق في الناس ليستفيدوا من هذا النبع المتدفق.

ولنذكر الآن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة و يقصد منهاالقرآن نفسه.

«فقد جاء كم بينة من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة الانعام /١٥٧).

«هدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الأعراف /٥٢).

«وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الأعراف /٢٠٣).

«وهدىً ورحمة للمؤمنين» (سورة يونس /٥٧).

«وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين» (النحل /٨٩).

«ورحمة للمؤمنين» (سورة الاسراء /٨٢).

«وانه لهدى ورحمة للمؤمنين» (سورة النمل /٧٧).

«هدى ورحمة للمحسنين» (سورة لقمان /٣).

«هذا بصائر للناس وهدىً ورحمة» (سورة الجاثية /٢٠).

(١٣) ــ روح

اطلقت هذه الكلمة في مورد واحد على القرآن وهو آية:

«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا» (سورة الشورى /٥٢).

وقد قال الراغب في وجه تسميته بذلك: وذلك لكون القرآن سبباً للحياة الأخرو ية الموصوفة في قوله:

«وان الدار الآخرة لهي الحيوان» (سورة العنكبوت /٦٤).

(١٤) ــ شفاء

بمعنى البرء من المرض، ولأنَّ القرآن وسيلة للشفاء من الأمراض الأخلاقية والنفسية، فقد أُطلقت عليه هذه الكلمة. والآيات التي جاء فيها كذلك هي:

«قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور» (سورة يونس /٥٧).

«وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة» (سورة الإسراء /٨٢).

«قل هو للذين آمنوا هدىً و شفاء» (فصلت /٤٤).

(١٥) ــ صحف

جمع صحيفة، بمعنى الشريط المنبسط، أو بمعنى الصفحة التي كتب عليها شيء. والجمع هو صحائف، وقد استعمل هذا الاسم في القرآن والكتب السماوية الأُخرى. اما في القرآن فرتان، إحداهما:

«فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة» (سورة عبس ١٢/١٣).

والأُخرى

«صحفاً مطهرة» (سورة البينة /٢).

وفي سورة الأعلى، جاءت في كتاب ابراهيم وموسى:

«صحف ابراهيم وموسى» (سورة الأعلى /١٩).

وأحياناً بعنوان الصحف الأولى:

«أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى» (سورة طه /١٣٣).

اما استعمال كلمة مصحف في القرآن، فهو متأخر، ولم تذكر هذه الكلمة في القرآن. وهذه الكلمة ــ كما ذكر في كتب اللغة ــ هي بمعنى الصفحات التي صارت بشكل كتاب ونظمت بين جلدين، ولم يكن القرآن بشكله المجلد عند نزوله، بل كان صحائف يكتبها كتاب الوحي.

(١٦) ــ الصدق

وهو أحد العناوين التي أُطلقت على القرآن، ومناسبته في مورد القرآن واضحة، والآيات التي جاء فيها هي:

«وكذب بالصدق اذجاءه» (سورة الزمر /٣٢).

«والذي جاء بالصدق وصدق به» (سورة الزمر /٣٣).

«وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته» (سورة الانعام /١١٥).

وفي موردين آخرين، ذكر قول الله وهو القرآن على انه «أصدق» وهما:

«ومن أصدق من الله حديثاً» (سورة النساء /٨٧).

«ومن أصدق من الله قيلاً» (سورة النساء /١٢٢).

وفي بعض الموارد، ذكر القرآن باعتباره مصدقاً للكتب السماوية التي سبقته، وهي:

«وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم» (سورة البقرة /٤١).

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» (سورة البقرة /٨٩).

«وهو الحق مصدقاً لما معهم» (سورة البقرة /٩١).

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه» (سورة الانعام /٩٢).

«نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه» (سورة البقرة /٩٧).

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه» (سورة آل عمران /٣).

«آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم» (سورة النساء /٤٧).

«فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه» (سورة المائدة /٤٦).

«وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب»
(سورة المائدة /٤٨)

«ولكن تصديق الذي بين يديه» (سورة يونس /٣٧) و(١١١/١٢).

«هو الحق مصدقاً لما بين يديه» (سورة فاطر /٣١).

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً» (سورة الأحقاف /١٢).

«كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه» (سورة الاحقاف /٣٠).

(١٧) ــ العدل

وقد أُطلق على القرآن في مورد واحد اسم «العدل» وهو الآية:

«**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته**» (سورة الانعام /١١٥).

والمقصود منه ان القرآن من حين نزل باقٍ على صفته الأُولى دون تحريف أو تبديل، وكلمة «لامبدل لكلماته» تعليل لكونه «صدقاً وعدلاً» بمعنى ان الصدق وعدم الإنحراف فيه لأنه لايحصل تبديل في كلماته.

(١٨) ــ الفرقان

مصدر من فرق يفرق فرقاً، بمعنى الإنفصال. والفرقان عبارة عن كل شيء يؤدي لتمييز الحق من الباطل، وجاء بمعنى البرهان، ولأنَّ القرآن يوجب تمييز الحق من الباطل، فقد أُطلق عليه لفظ «الفرقان». طبيعي ان هذه الكلمة ليست من الأسماء المختصة بالقرآن، لأنها أُطلقت على التوراة أيضاً.

«**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان**» (سورة الأنبياء /٤٨).

والآيات التي استعمل فيهاهذا اللفظ، هي:

«**وبينات من الهدى والفرقان**» (سورة البقرة /١٨٥).

«**وأنزل الفرقان**» (سورة آل عمران /٤).

«**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده**» (سورة الفرقان /١).

(١٩) ــ القرآن

وهو من أشهر أسماء هذا الكتاب السماوي. «القرآن» مصدر قرأ يقرأ، بمعنى الجمع. وقال البعض انه بمعنى القرن حين يكون مصدره الآخر هو قرء على وزن فرع. وكذلك فان مصدر قرأ يقرأ هو بمعنى القراءة.

وقد اختار الراغب في مفرداته المعنى الأول وهو يرى حيث المقصود من القرآن ضم الحروف والكلمات الى بعضها لتُقرأ بشكل مرتل، وهو يؤيد مدعاه بالآية التالية:

«**ان علينا جمعه وقرآنه**» (سورة القيامة /١٧).

و ينقل عن بعض العلماء قوله ان علة تسميته بالقرآن من بين الكتب

السماوية، هي أنه جامع لما في الكتب السماوية، بل انه جامع لجميع العلوم، حيث وصف بأنه:

«**وتفصيل كل شيء**» (سورة يوسف /١١١).

والآيات التي تتضمن كلمة القرآن كاسم لهذا الكتاب السماوي في أرجاء القرآن لها (٦٨) مورداً ذكرت في المعجم، ولأنَّ المقصود فيها جميعاً هو القرآن الكريم، لم نجد حاجة لذكرها هنا.

(٢٠) ــ القول

وهو الاسم الآخر من أسماء القرآن، وجاء في الآيات التالية:

«**أفلم يدّبروا القول**» (سورة المؤمنون / ٦٨).

«**ولقد وصّلنا لهم القول**» (سورة القصص /٥١).

«**لقد حقّ القول على أكثرهم**» (سورة يس /٧).

«**ويحق القول على الكافرين**»(سورة يس /٧٠).

«**انه لقول رسول كريم**» (سورة الحاقة /٤٠) و (١٩/٨١).

«**انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**» (سورة المزمل /٥).

«**انه لقول فصل**» (سورة الطارق /١٣).

و يستفاد من هذه الآيات ان القرآن قول الله الذي نزل عليه بواسطة الوحي وليس قولاً شخصياً له. وهو ما نرى آية أُخرى تؤكده فتقول:

«**ولو تقول علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين**» (سورة الحاقة /٤٤ ــ ٤٥).

وفي آية أُخري:

«**ان هو إلّا وحي يوحى**» (سورة النجم /٤).

وعليه فادعاء من قالوا فيه:

«**ان هذا إلّا قول البشر**» (سورة المدثر /٢٥).

مردود وبعيد عن الإنصاف. ومن الطبيعي انه يمكن ان يطلق عليه انه قول الله، ذلك ان آية **سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** تدل على هذا المعنى. وقد استعملت كلمة «قول» منسوبة الى الله في مثل:

«**ومن أصدق من الله قيلاً**» (سورة النساء /١٢٢).

وصفة الثقيل في الآية المذكورة باعتبار ان القرآن لايستطيع ان يتحمله أي أحد، وانما يتحمله ذوو القلوب الطاهرة الصافية، كما جاء في الآية الأُخرى.

«لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله»

(سورة الحشر/٢١)

فالقلوب الصخرية التي يعبِّر عنها القرآن بأنها:

«كالحجارة أوأشد قسوة» (سورة البقرة/٧٤).

محرومة من قابلية حمل القرآن.

(٢١) ـ كتاب

مصدر من كتب يكتب، وجمعه كتب على وزن قرص، وكتب وهو عبارة عن الأُمور التي كتبت. وله معان أُخرى، وهي عبارة عن: المكتوب، الصحيفة، الحكم، الواجب والفرض، القدر. وقد استعملت بكل هذه المعاني تقريباً في القرآن الكريم.

واطلاق **الكتاب** على «القرآن» كما يقول الراغب من جهة ان الأصل في الكتاب انه مجموعة من الخطوط والكتابات ولكنه يستعمل بشكل الإستعارة لمجموعة الفصول والجمل والكلمات المترابطة وحتى لولم تكن مترابطة. لذا فان «الكتاب» في مثل:

«ذلك الكتاب لاريب فيه» (سورة البقرة/٢).

وأمثاله، يستعمل بهذا المعنى، أي المجموعة النازلة على النبي (ص) لا الأوراق والغلاف والكتابات، لأنَّها جميعاً مما يقبل التغيير والتحريف. فالمقصود من الكتاب عندما يطلق على القرآن هو مجموعة السور والآيات التي نزلت على الرسول الأعظم، وانتقلت عبر الأذهان والصدور أو الأوراق، ولخاف الشجر من جيل الى جيل حتى وصلتنا نحن.

وبعبارة أدق فانَّ للقرآن نوعين من الوجود: **الأول:** هو الوجود النفسي، **والثاني:** هو الوجود الكتبي. فالوجود الكتبي أو الذهني للقرآن عبارة عن الصورة والشكل الذي رسم به على الورقة أو الذهن، والمقصود من عدم الريب في القرآن وحقانية القرآن وأكثر المباحث التي تطرح في المستقبل هو الوجود النفسي للقرآن، ذلك انه في زمان النزول التدريجي للآيات القرآنية لم يكن مجموعة مكتوبة، ويؤيد

القرآن ذلك بقوله:

«ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين» (سورة الأنعام /٧).

والآن لنستعرض الآيات التي أطلقت اسم الكتاب على القرآن.

«ذلك الكتاب لاريب فيه» (سورة البقرة /٢).

«ولما جاءهم كتاب من عند الله» (سورة البقرة /٨٩).

«كتاب الله وراء ظهورهم» (سورة البقرة /١٠١).

«آتيناهم الكتاب» (سورة البقرة /١٢١).

«و يعلمهم الكتاب» (سورة البقرة /١٢٩).

«و يعلمكم الكتاب» (سورة البقرة /١٥١).

«بيناه للناس في الكتاب» (سورة البقرة /١٥٩).

«نزّل الكتاب بالحق» (سورة البقرة /١٧٦).

«اختلفوا في الكتاب» (سورة البقرة /١٧٦).

«من الكتاب والحكمة» (سورة البقرة /٢٣١).

«نزّل عليك الكتاب بالحق» (سورة آل عمران /٣).

«أنزل عليك الكتاب» (سورة آل عمران /٧).

«هنّ أُم الكتاب» (سورة آل عمران /٧).

«و يعلمهم الكتاب» (سورة آل عمران /١٦٤).

«إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة النساء /١٠٥).

«وأنزل الله عليك الكتاب» (سورة النساء /١١٣).

وما يتلى عليكم في الكتاب» (سورة النساء /١٢٧).

«والكتاب الذي نزّل على رسوله» (سورة النساء /١٣٦).

«نزّل عليكم في الكتاب» (سورة النساء / ١٤٠).

«نور وكتاب مبين» (سورة المائدة /١٥).

«وأنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة المائدة /٤٨).

«الذين آتيناهم الكتاب» (سورة الانعام /٢٠).

«ما فرطنا في الكتاب من شيء» (سورة الانعام /٣٨).

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (سورة الانعام /٩٢).

«أنزل اليكم الكتاب مفصلاً» (سورة الانعام /١١٤).

«آتيناهم الكتاب» (سورة الانعام /١١٤).

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (سورة الانعام /١٥٥).

«أنزل الكتاب» (سورة الانعام /١٥٦).

«أنزل علينا الكتاب» (سورة الأنعام /١٥٧).

« كتاب انزل اليك » (سورة الاعراف /٢).

«جئناهم بكتاب فصلناه» (سورة الاعرّاف /٥٢).

«الله الذي نزل الكتاب» (سورة الاعراف /١٩٦).

«تلك آيات الكتاب الحكيم» (سورة يونس /١).

«وتفصيل الكتاب» (سورة يونس /٣٧).

« كتاب أحكمت آياته» (سورة هود /١).

«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة يوسف /١).

«تلك آيات الكتاب» (سورة الرعد /١).

« كتاب أنزلناه اليك » (سورة ابراهيم /١).

«تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» (سورة الحجر /١).

«وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبين لهم» (سورة النحل /٦٤).

«ونزّلنا عليك الكتاب» (سورة النحل /٨٩).

«أنزل على عبده الكتاب» (سورة الكهف /١).

«من كتاب ربك» (سورة الكهف /٢٧).

«وآذكر في الكتاب» (سورة مريم /١٦ ــ ٤١ ــ ٥١ ــ ٥٤ ــ ٥٦).

«أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم» (سورة الانبياء /١٠).

«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة الشعراء /٢).

«تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (سورة النمل /١).

«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة القصص /٢).

«فأتوا بكتاب من عند الله» (سورة القصص /٤٩).

«ان يلقى اليك الكتاب» (سورة القصص /٨٦).

«اتل ما أُوحي اليك من الكتاب» (سورة العنكبوت /٤٥).

«أنزلنا اليك الكتاب» (سورة العنكبوت /٤٧).

«أنزلنا عليك الكتاب» (سورة العنكبوت /٥١).

«تلك آيات الكتاب الحكيم» (سورة لقمان /٢).

«تنزيل الكتاب لا ريب فيه» (سورة السجدة /٢).

«في الكتاب مسطوراً» (سورة الاحزاب /٦).

«الذين يتلون كتاب الله» (سورة فاطر /٢٩).

«أوحينا اليك من الكتاب» (سورة فاطر /٣١).

«ثم أورثنا الكتاب» (سورة ص /٢٩).

«كتاب أنزلناه اليك مبارك» (سورة ص /٢٩).

«تنزيل الكتاب من الله» (سورة فاطر /٣٢).

«إنا أنزلنا اليك الكتاب» (سورة الزمر/٢)

«الله نزّل أحسن الحديث كتاباً» (سورة الزمر /٢٣).

«إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس» (سورة الزمر /٤١).

«تنزيل الكتاب من الله» (سورة المؤمن /٢).

«الذين كذبوا بالكتاب» (سورة المؤمن /٧٠).

«كتاب فصلت آياته» (سورة فصلت /٣).

«وانه لكتاب عزيز» (سورة فصلت /٤١).

«أورثوا الكتاب» (سورة الشورى /١٤).

«أنزل الكتاب بالحق» (سورة الشورى /١٧).

«والكتاب المبين» (سورة الزخرف/٢).

«والكتاب المبين» (سورة الدخان/٢).

«تنزيل الكتاب من الله» (سورة الجاثية /٢).

«تنزيل الكتاب من الله» (سورة الاحقاف /٢).

«وهذا كتاب مصدق» (سورة الاحقاف /١٢).

«سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى» (سورة الأحقاف /٣٠).

«وكتاب مسطور» (سورة الطور /٢).

«و يعلمهم الكتاب والحكمة» (سورة الجمعة /٢).

كانت هذه هي كل الآيات التي استعمل فيها لفظ **الكتاب** في خصوص

القرآن. وطبيعي ان بعض الآيات استعملت لفظ **الكتاب** بشكل عام في القرآن والكتب السماوية السابقة، مما حدا بنا لعدم ذكرها هنا، مثل آية:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان» (سورة الحديد /٢٥).

(٢٢) ــ كلام الله

وهذا التعبير جاء في القرآن في ثلاثة موارد؛ أحدها يتعلق بالقرآن، وهو الآية:

«وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله» (سورة التوبة /٦).

والمقصود كلام الله في القرآن. وعليه فيظهر أن لايمكن ان يكون إسماً للقرآن الكامل. صحيح ان كل القرآن كلام الله، ولكنه في هذه الآية لم يستعمل كاسم للقرآن.

وقد جاء في آية أُخرى بعنوان **«كلمة ربك»** (سورة الانعام /١١٥).

والمقصود هو القرآن.

(٢٣) ــ المثاني

وقد جاءت هذه الكلمة بمعنيين ــ حسب الأصل ــ احدهما العدد (٢) والثاني الثناء والحمد، وفي مورد القرآن ذكر في آيتين إحداهما:

«الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني» (سورة الزمر /٢٣).

والأُخرى:

«ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (سورة الحجر /٨٧).

وقد ذكر المعنيان السالفان في هاتين الآيتين.

اما بمعنى العدد فالمقصود ان القرآن يتكرر ولا يندرس ولا يؤثر فيه مرور الأزمنة والعصور. يقول الراغب: و يصح انه قيل للقرآن مثاني لما يثني و يتجدد حالاً فحالاً من فوائده كما روي في الخبر في صفته (لايعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه).

وان كان بمعنى الثناء والمدح، فانَّ المقصود سيكون ان القرآن دائماً موردا

لثناء أهل التحقيق وحمدهم، باعتبار انهم يشهدون كل حين آثاره الرائعة، كما ان قارئه ممدوح أيضاً.

وفي المورد الثاني، جاءت عبارة (سبعاً من المثاني)، حيث من الجدير بالذكر انه بموجب الروايات المعتبرة ان المقصود منه هو فاتحة الكتاب، باعتبار اشتمالها على سبع آيات، وأنها تُقرأ في كل صلاة مرتين.

وللعلامة الطباطبائي ــ في مجال كون القرآن مثاني ــ تحقيق رائع في ذيل الآية السالفة ملخصه: **ان المثاني جمع مثنى بمعنى العطف والإعادة وبقرينة (متشابهاً) في الآية الأخرى نعرف ان المقصود هو أن آيات القرآن تعطف إحداها على الأُخرى، وتفسر الآيات بالآيات. وقد ذكر في هذا المجال بعض الروايات ومنها الحديث النبوي الشريف وفيه (يصدق بعضه بعضاً).**

(٢٤) ــ موعظة

من **وعظ يعظ وعظاً**، بمعنى النصيحة بالنحو الذي يؤدي الى اصلاح الانسان وتكامله المعنوي. وجمعها **مواعظ**. ولأنَّ القرآن نصيحة للناس، فقد اطلقت عليه كلمة «موعظة» وقد جاء هذا الإسم في خمسة موارد هي:

«**هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين**» (سورة آل عمران /١٣٨).

«**وموعظة للمتقين**» (سورة المائدة /٤٦).

«**قد جاءتكم موعظة من ربكم**» (سورة يونس /٥٧).

«**وموعظة وذكرى للمؤمنين**» (سورة هود /١٢٠).

«**وموعظة للمتقين**» (سورة النور /٣٤).

(٢٥) ــ نبأ عظيم

وقد أُطلق مورد واحد ــ طبق أحد الأقوال ــ على القرآن وهو الآية:

«**قل هو نبأ عظيم**» (سورة ص /٦٧).

والنبأ بمعنى الخبر ولأن القرآن كتاب يخبر عن التوحيد والمعاد وما يجوز وما لا يجوز والقصص والأمثال، فقد أُسمي بهذا الإسم، و يعتقد البعض أن آية:

«**عمَّ يتساءلون ✲ عن النبأ العظيم**» (سورة النبأ /١ ــ ٢).

يراد منها القرآن.

(٢٦) ــ النجم والنجوم:

أصل النجم بمعنى الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، وقد جاءت هذه الكلمة في موارد كثيرة في القرآن، أكثرها تنظر الى مسألة الخلقة والقدرة الإلهية، ولكنها في آيتين احتمل فيها بعض المفسرين أنها تقصد القرآن وهما:

«والنجم اذا هوى» (سورة النجم /١).

أي قسما بالقرآن إذ نزل، ووجه استعمالها في القرآن - كما يقول الراغب أيضاً ــ ان القرآن نزل تدريجاً ونجوماً، أي في أوقات معينة. والآية الأخرى.

«فلا اقسم بمواقع النجوم» (سورة الواقعة /٧٥).

والمواقع هي مواضع الوقوع، ويكون المراد بمقتضى هذا التفسير موارد نزول القرآن، وهذا المعنى متحد مع معنى الآية السابقة.

(٢٧) ــ النور

بمعنى الضياء، ولأنَّ القرآن بمثابة الضياء لهداية البشر، فقد اطلقت هذه الكلمة عليه. والآيات التي تتضمن هذه الكلمة وتستعملها في القرآن هي:

«وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً» (سورة النساء /١٧٤).

«قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين» (سورة المائدة /١٥).

«واتبعوا النور الذي انزل معه» (سورة الاعراف /١٥٧).

«ولكن جعلناه نورا» (سورة الشورى /٥٢).

«فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا» (سورة التغابن /٨).

(٢٨) ــ هدى

وهذه الكلمة استعملت تارة إسماً للقرآن، وأُخرى صفة له. ومعنى الهدى واضح، ووجه تسمية القرآن به واضح أيضاً. والآيات عبارة عن:

«هدىً للمتقين» (سورة البقرة /٢).

«وهدىً وبشرى للمؤمنين» (سورة البقرة /٩٧).

«هدىً للناس وبينات من الهدى» (سورة البقرة /١٨٥).

«هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين» (سورة آل عمران /١٣٨).

«وهدىً وموعظة للمتقين» (سورة المائدة /٤٦).

«فقد جاء كم بينة من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة الانعام /١٥٧).

«هدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الاعراف /٥٢).

«هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة الاعراف /٢٠٣).

«وهدىً ورحمة للمؤمنين» (سورة يونس /٥٧).

«وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة يوسف /١١١) و(٦٤/١٦).

«وهدىً وبشرى للمسلمين» (النحل /١٠٢).

«هدىً وبشرى ورحمة للمؤمنين» (سورة النمل /٢).

«وانه لهدى ورحمة للمؤمنين» (سورة النمل /٧٧).

«هدىً ورحمة للمحسنين» (سورة لقمان /٣).

«قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» (سورة فصلت ٤٤).

«هذا هدى» (سورة الجاثية /١١).

«وهدىً ورحمة لقوم يوقنون» (سورة الجاثية /٢٠).

وقد ذكرت خاصية القرآن هذه بشكل فعل في بعض الآيات الاُخرى، مثل:

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» (سورة الاسراء /٩).

وهذه الآيات تدرس عندما يأتي الحديث عن هدف القرآن وغاياته.

(٢٩) ـ الوحي

وهو في اللغة كل شيء يعلّمه الإنسان للآخرين إلقاءً، ولكنه بالتدريج شاع في ما أنزله الله على أنبيائه (المنجد).

وللوحي ـ حسبما جاء في القرآن ـ أنواع وأقسام متعددة، فهو في الآية الكريمة:

«وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً» (سورة النحل /٦٨).

جاء بمعنى الإلهام وهو نوع من الوحي، والوحي من وراء حجاب أو بواسطة الشجرة وأمثال ذلك أنواع اُخرى من الوحي، وسوف لن نبحث هنا حول أقسام الوحي وأنواعه، وما يتعلق منه ـ في مجال القرآن ـ هو ان هذه الكلمة أُطلقت عليه في بعض الموارد وهي:

«ان هو الا وحي يوحى» (سورة النجم /٤).

«قل انما انذركم بالوحي» (سورة الانبياء /٤٥).

«ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه» (سورة ٢٠/١١٤).

وطبيعي ان الآية التالية لم تستعمل الوحي في القرآن، الا أنها لما كانت ترتبط بوحي القرآن فقد ذكرناها هنا.

وفي آيات أُخرى ذكرت كلمة الوحي بشكل فعل، وهي تدل كلها على ان القرآن أُوحي الى الرسول من قبل الله، وهي:

«وأُوحي اليَّ هذا القرآن» (سورة الانعام /١٩).

«بما أوحينا اليك هذا القرآن» (سورة يوسف /٣).

«لتتلوا عليهم الذي أوحينا اليك» (سورة الرعد /٣٠).

«وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك» (سورة الاسراء /٧٣).

«ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك» (سورة الاسراء /٨٦).

«واتل ما أُوحي اليك من كتاب ربك» (سورة الكهف /٢٧).

«أتل ما أُوحي اليك من الكتاب» (سورة العنكبوت /٤٥).

«والذي أوحينا اليك من الكتاب» (سورة فاطر /٣١).

«كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك» (سورة الشورى /٣).

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذرأُمَّ القرى ومن حولها» (سورة الشورى /٧)

«والذي أوحينا اليك» (سورة الشورى /١٣).

«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا» (سورة الشورى /٥٢).

«فاستمسك بالذي أوحي اليك» (سورة الزخرف /٤٣).

«قل أُوحي اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً» (سورة الجن /١).

أوصاف القرآن

رغم ان بعض العناوين التي ذكرناها قد تكون صفات للقرآن علاوة على كونها أسماء له، إلاَّ ان ما نذكره فيمايلي لايعدو ان يكون صفة له:

(٣٠) ــ عجب

وهذه الكلمة جاءت في مورد واحد من القرآن وهي:

«سمعنا قرآنا عجباً» (سورة الجن /١).

أي القرآن الذي لم نعرفه من قبل، ولم يسمع أحد به، أو يره من قبل، و بعبارة أُخرى هو ما يوجب الحيرة والعجب.

وهذا التعبير جاء بشكل فعل ــ أحياناً على نحو الإستفهام الإنكاري مثل:

«أفمن هذا الحديث تعجبون» (سورة النجم /٥٩).

«أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم» (سورة الاعراف /٦٣ و٦٩).

حيث ان التعجب في هذه الآيات حالة لمنكري القرآن، وفي آية سورة الجن (٧٢) هي صفة للقرآن. ومن النوع الأول آية:

«أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل» (سورة يونس /٢).

«كانوا من آياتنا عجباً» (سورة الكهف /٩).

(٣١) ــ عربي.

وهو أحد أوصاف القرآن وكونه عربياً، لأن المخاطبين به عند نزوله كانوا عرباً، و إنْ كان غير العرب مأمورين بالإسلام. ونفس القرآن يؤكد عالميته في آيات من قبيل:

«تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (سورة الفرقان /١).

«ان هو الا ذكر للعالمين» (سورة التكوير /٢٧).

وذلك بشكل صريح واضح.

وعلى أي حال، فقد جاء القرآن باللسان العربي لأنه بطبيعة الحال خاطب أُم القرى، ومن حولها، والعرب لأول مرة.

وعربي: بمعنى اللسان العربي، وبمعنى الكلام الفصيح والواضح أيضاً، وقد استعمل بكلا معنييه في مورد القرآن. والآيات التالية ينبغي اعتبارها من النوع الأول.

«وهذا لسان عربي مبين» (سورة النحل /١٠٣).

«بلسان عربي مبين» (سورة الشعراء /١٩٥).

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً» (سورة الأحقاف /١٢).

ومن النوع الثاني، يمكن ذكر الآيات التالية:

«ءَأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» (سورة فصلت /٤٤).

«انا أنزلناه قرآنا عربياً» (سورة يوسف /٢).

«وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» (سورة الرعد /٣٧).

«وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً» (سورة طه /١١٣).

«قرآناً عربياً غير ذي عوج » (سورة الزمر /٢٨).

«كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً» (سورة فصلت /٣).

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً» (سورة الشورى /٧).

«انا جعلناه قرآناً عربياً» (سورة الزخرف /٣).

(٣٢) ــ عزيز

ولهذه اللفظة معان مختلفة منها: القوي، الشريف الكريم، النادر، وكريم. وهي في مورد الله بمعنى القوي، والذي لايقبل الغلبة عليه، والذي لا يعجز عن أي شيء. وفي مورد القرآن بمعنى الشريف والكريم.

وقد جاء مورد واحد يصف فيه القرآن بهذه الصفة، وهو آية:

«ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز» (سورة فصلت /٤١).

وفي خمس موارد، نسب نزول القرآن الى الله العزيز، وهو عبارة عن:

«تنزيل العزيز الرحيم» (سورة يس /٥).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (سورة الجاثية /٢) و(٢/٤٦).

«تنزيل الكتاب من اللهِ العزيز العليم» (المؤمن /٢).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (الجاثية /٢) و (٢/٤٦).

«كذلك يوحي إليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» (الشورىٰ /٣).

(٣٣) ــ غير ذي عوج

عوج يعوج عوجاً؛ من باب علم يعلم، بمعنى الإنحناء. وفي مورد الانسان

بمعنى سوء الخلق. هذا التعبير من الصفات السلبية للقرآن حيث استعمل في موردين، أحدهما:

«قرآنا عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون» (سورة الزمر/ ٢٨).

«انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» (سورة الكهف /١).

يقول الراغب في شرح التعبير: «والعوج يقال فيما يدرك بالفكر، والبصيرة كما يكون في أرض بسيط يعرف تفاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش».

وعليه فلما كان القرآن من الأشياء التي تدرك بالفكر والبصيرة، أمكن ان تستعمل هذه الكلمة كوصف له. فليس فيه أي أعوجاج وانحناء.

(٣٤) ــ قَيِّم

وهو وصف آخر من أوصاف القرآن، هو يعني المستقيم والثابت، وقد استعملت هذه الصفة في مورد «الدين» أيضاً «ديناً قِيَماً» (سورة الانعام /١٦١) أي الدين الثابت والمقوم لأمور المعاش والمعاد.

وقد اتصف به القرآن في موردين، أحدهما:

«ولم يجعل له عوجاً* قيماً لينذر بأساً شديداً» (سورة الكهف /١ ــ ٢).

والآخر:

«رسول من الله يتلوا صحفاً مطهَّرةً* فيها كتب قيِّمة».

(سورة البينة /٢ ــ ٣)

(٣٥) ــ كريم

وجمعه كرام و كرماء، وهو من الأسماء الحسنى لله تعالى وهو بمعنى السخي ــ لدى الإنسان ــ وفي مجال الأشياء كل بحسب ما له من أفضل الحالات التي توجب الإعجاب. فمثلا: **رزق كريم**: بمعنى الرزق الكثير الحسن، **وقول كريم** بمعنى الكلام الذي يفيد فائدة كاملة تامة من حيث اللفظ والمعنى، **ووجه كريم** بمعنى الوجه الجميل الجذّاب (المنجد).

وهذه الصفة جاءت في القرآن لأسماء وعناوين مختلفة، مثل: الله الرسول، نِعَمُ الجنة، الأجر، القول، الرزق، والقرآن. وفي مورد القرآن جاءت في مورد واحد، وهو:

«انه لقرآن كريم* في كتاب مكنون» (سورة الواقعة /٧٧ ــ ٧٨).

ومعناه واضح على ضوء ما تقدم.

وجاء في مورد آخر بصيغة مكرمة:

«في صحف مكرمة» (سورة عبس /١٣).

بمعنى ان القرآن أُوحي في صحف متعددة...

وفي موردين نسب الى الرسول الكريم:

«انه لقول رسول كريم» (سورة الحاقة /٤٠) و(٨١ / ١٩).

اذ مع ملاحظة هذا الوصف في مورد القرآن والرسول، يكون المعنى ان القرآن الافضل هو قول أفضل الرسل.

(٣٦) ــ المبارك

وهو مأخوذ من البركة (بفتح الراء) بمعنى وجود الخير الإلهي في شيء، والمبارك وهو الشيء الذي يوجد فيه ذلك. وحول القرآن توجد هذه الصفة في بعض الموارد:

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (سورة الأنعام /٩٢).

«وهذا ذكر مبارك أنزلناه» (سورة الانبياء /٥٠).

«كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته» (سورة ص /٢٩).

وفي مورد واحد اشارة لنزوله في زمان مبارك :

«انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين» (سورة الدخان /٣).

وفي مورد آخر اشارة الى التقديس والعظمة الإلهية المنزلة للقرآن:

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»

(سورة الفرقان /١)

(٣٧) ــ مجيد

وهي من الصفات الإلهية بمعنى مجري الفيض والبذل والعطاء المخصوص به بجود عظيم.

وفي مورد القرآن، أُستعمل في مكانين:

الأول: «ق والقرآن المجيد» (سورة ق /١).

والآخر: «**بل هو قرآن مجيد**» (سورة البروج /٢١).

والمعنى ان القرآن عظيم محمود، لأنه يتضمن كل المكارم الدنيوية والأُخروية.

(٣٨) ــ متشابه.

وهذه الصفة و إن جاءت في آية صفة لجزء من القرآن و يقابلها المحكم التي يتصف بها باقي القرآن. وهي الآية المعروفة:

«**هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أم الكتاب وأخر متشابهات**» (سورة آل عمران /٧).

ولكن في آية أُخرى يتصف بها القرآن كله، وهي:

«**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**» (سورة الزمر /٢٣).

فما المقصود إذن؟

طبيعي ان البحث حول المحكم والمتشابه يجري في محله، ولكن المقصود من المتشابه هنا هو الشبه، أي الكتاب الذي يشابه بعض آياته البعض الآخر في النظم والأحكام والحكمة والإستقامة، وغير ذلك (مفردات الراغب)، و إلاَّ فإنْ كان المتشابه بالمعنى المقابل للمحكم، فإنَّ هذه الآية تتناقض مع آية المحكم والمتشابه.

(٣٩) ــ مرفوعة

يعني رفيعة القدر والمنزلة. هذا التعبير جاء في آية:

«**في صحف مكرمة* مرفوعة مطهرة**» (سورة عبس /١٣ ــ ١٤).

صفة للصحف، والصحف خبر بعد خبر في آية «**كلا انها تذكرة**» وهو مصون في صحف مكرمة ومرفوعة ومطهرة أي متعددة وكتب بواسطة كرام بررة، وكرام كاتبين. هذه الآية والآيات المشابهة تثبت ان القرآن موجود في أُم الكتاب، اللوح المحفوظ والصحف المتعددة.

وعلى أي حال تلك الصحف كريمة، رفيعة القدر ومطهرة. فهذه الأوصاف و إنْ لم تكن أوصافاً مباشرة للقرآن فهي أوصاف ولا يخلو القرآن الكريم منها.

(٤٠) ــ المهيمن

وهي إحدى الصفات التي استعملت في القرآن الكريم في أحد الموارد وهو الآية الشريفة:

«وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه»

(سورة المائدة /٤٨).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الكلمة: «هيمنة الشيء على الشيء ــ على ما يتحصل من معناها ــ كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بانه تبيان كل شيء بالنسبة الى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأُصول الثابتة غير المتغيرة، وينسخ منها ما ينبغي ان ينسخ من الفروع التي يمكن ان يتطرق اليها التغير والتبدل حتى يتناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقي والتكامل بمرور الزمان» (الميزان ج ٦: ص ٣٤٨).

(٤١) ــ نذير

من نذر ينذر نذراً ونذوراً، من باب علم يعلم، بمعنى الإدراك لعواقب الشيء، والاستعداد له. **والإنذار** متعدية، بمعنى التوعية بالعواقب الوخيمة للشيء.

وهذه الصفة جاءت للأنبياء وللقرآن، لأن القرآن يخبر عما سيواجهه الإنسان من عواقب وخيمة ويحذره منها. والآيات التي تعطي هذه الصفة هي:

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»

(سورة الفرقان /١)

«حكمة بالغة فما تغن النذر» (سورة القمر /٥).

«كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً»

(سورة فصلت /٣ــ ٤)

بمعنى انه لو لم يكن القرآن وهو الحكمة البالغة نذيراً لهم، فما هو الشيء الذي يمكنه ان ينذرهم بعد القرآن؟:

«وجاء كم النذير» (سورة فاطر /٣٧).

«هذا نذير من النذر الأولى» (سورة النجم /٥٦).

وهناك عدد من الآيات التي جعلت هدف القرآن الإنذار، مثل:

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا»

(سورة الاحقاف /١٢).

حيث البحث فيها يتم في بحث أهداف القرآن.

استنتاج:

والآن وبعد ان استعرضنا كل الأسماء والأوصاف التي أُطلقت على القرآن، ومع التركيز على كل منها، نصل الى هذه النتيجة، وهي: انها كلها مشتركة، ولا تختص بالقرآن، فكلمة الفرقان مثلاً تطلق على القرآن وعلى بعض الكتب السماوية الأُخرى، وكذلك الأوصاف فيها ليست أوصافاً مخصوصة بالقرآن، بل تأتي أوصافاً لله، وأوصافاً لأشياء معينة مثل الكريم والمجيد. والصفات التي هي من قبيل البشير والنذير والهادي وأمثالها، هي بدورها تأتي أوصافاً للأنبياء.

ولكن الذي يختص بهذا الكتاب السماوي و يشكل عَلَماً له، هو (القرآن) فهو من قبيل أسماء الله وصفاته، حيث لفظ الجلالة (الله) علم لذات الحق. وهناك المئات من الأسماء الأُخرى كلها عناوين فرعية، وقد يستعمل بعضها في موارد أُخرى، و إنْ كانت من حيث المعنى تجرد في الساحة الإلهية من أي معنى مادي.

وعلى هذا نستنتج ان الاسم المختص والعَلَمَ لهذا الكتاب السماوي، هو القرآن الذي له كل هذه الخصائص والأسماء والصفات المشتركة ■

نظرة في العلاقات الدولية
على ضوء القرآن

حجة الاسلام
الشيخ محمد علي التسخيري /ج. إ. إ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

قبل الدخول في البحث، ينبغي ان نذكر بعض النقاط لعلاقتها الشديدة بتكوين الصورة الكاملة عن الموضوع، نطرحها بكل اختصار:

١ ــ ربما تنطرح في الذهن شبهة قديمة تقول: ما معنى هذا البحث؟ الإسلام دين ينظم الحياة الفردية، والجوانب الاجتماعية المتصلة بها مباشرة، اما المجموع الكلي للعلاقات داخل المجتمع فضلاً عن العلاقات الدولية فلا مجال للحديث عنه. ولكن الجواب عنها عاد اليوم من نافلة القول بعد وضوح بطلانها، واذعان الجميع ــ حتى من لم يطلعوا اطلاعاً كاملاً على الإسلام ــ بأنَّ الشبهة قائمة على التصور الغربي أو الكنسي عن الدين كشأن من الشؤون الفردية، واذا كانوا يؤمنون بالحرية الدينية، ــ وهم بها لايؤمنون في الواقع ــ فإنَّ ذلك قائم على أساس انها شأن فردي، واذا كان جان جاك روسو يرفض ان تمتد قوانين الدين لتشمل الحياة، وعندئذ يحدث ما يسميه بالتعارض بين القوانين الدينية والمدنية، فذلك أيضاً ناشئ من هذا التصور الكنسي المرفوض.

اما التصوّر الاسلامي الأمثل: فهو يعتبر الدين موقفاً من الكون والحياة والإنسان، تقوم على أساسه عواطف الإنسان، ويتوجه من خلالها سلوكه الحياتي في مختلف الشؤون.

بل اننا اذا تتبعنا التعاليم الإسلامية، لمسنا ان الجانب الإجتماعي يحتل

القسط الأكبر منها، وربما أمكن القول بأنَّ السلوك الفردي يقيم من خلال الذوبان الإجتماعي بهدف إلهي سام.

ولسنا بصدد الحديث عن هذا الجانب بقدر الإشارة الى بطلان الشبهة المطروحة.

٢ ــ وباستعراضنا للعلاقات الإجتماعية المفضلة لدى الإسلام، ومحاولة استنباط أهم أساس تقوم عليه، لانجد أمامنا إلاَّ (القسط) و(العدل) كأساس أول، ثم تتطور العلاقة لتصل الى حد (الرحمة والمحبة) وتواصل سيرها لتبلغ حد (الإيثار والتضحية).

واذا أردنا ان نجد للعدل مضمونه الصحيح، فإننا لانستطيع ان نستقي محتواه من مقاييس كميَّة ــ كالمساواة مثلاً ــ أومادية أُخرى، لاننا سنقع حينئذ في مفارقات لا مناص منها: وانما نستطيع ان نعرف له مضموناً صحيحاً اذا اقمناه على أساس الإيمان بالحقيقة الإلهية الكاملة المطلقة التي تملك كل شيء، لأنها خلقت كل شيء، والقائمة بالقسط والعدل في الكون، وكذلك الإيمان بالفطرة والمسيرة الطبيعية للإنسان، فكل شيء يحقق لها الجو الطبيعي المناسب، و يواكب مسيرتها الصاعدة يعدّ عدلاً، وكل سلوك يتنافى مع متطلباتها يُعدّ ظلماً، هذا وقد أُودعت في الفطرة نفسها، طاقة الإتجاه نحو العدل، والإبتعاد عن الظلم، بل وأُودعت فيها قدرة تشخيص بعض المصاديق العادلة أوالظالمة.

٣ ــ ومن الظواهر التي تتبع مسألة العدالة: مسألة الجانب الإنساني في التشريع، فيكفي استعراض سريع لمجموعة من الأحكام الإسلامية، لتكوين نظرة تصديقية، بأنَّ الشريعة الإسلامية تأخذ الجانب الإنساني العام بعين الاعتبار دائماً، لابل نستطيع القول بأنها ــ بطبيعتها ــ إنسانية، وذلك من خلال تأكيدها على الفطرة وانسجامها معها، وما الفطرة إلاَّ الجانب الإنساني الأصيل...

وها هو القرآن الكريم يؤكد على ان الإنسانية كانت تعيش الحالة الفطرية الواحدة قبل ان تطرأعليها حالة التعقيد التي احتاجت الى نظام أصلح يوفق بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية، فبعث الله النبيين مبشرين بالنظام المنسجم مع الفطرة.

وقد ركَّز القرآن الكريم على حقيقة أُخرى الى جنب هذه الحقيقة، وهي: ان ماتصوَّروه من فروق يمكنها ان تؤدي الى نوع من التفاضل الكاذب، انما كانت

في الأصل لكي تسهل اللقاء الحضاري ويتم التعارف، وهو أرضية ضرورية للتعامل الإجتماعي السليم، اما معيار التفاضل الطبيعي فهو ــ بنفسه ــ سر المسيرة الموحدة المتناسقة، وهو معيار التقوى الإلهية الفاعلة، وسنعرف من خلال البحث شيئاً من انسانية النظام الإسلامي.

٤ ــ وانسجاماً مع فطرية الرسالة وتأكيدها على الجانب الإنساني، نجد التخطيط الإسلامي يلحظ عنصر الخلود الزماني و يتجاوز الاختلافات المكانية والعنصرية وأمثال ذلك، ولذا نجده في جانب كبير من تخطيطه مرناً مرونة حكيمة، بعيداً عن أية ميوعة، فبتركه لمنطقة المباحات بشكل أولي ليملأها ولي الأمر طبق مصلحة الأُمة، وعبر نظام التشاور الذي يراه صالحاً للفترة الزمانية والظروف المكانية القائمة، حقق مرونة لانجد مثيلها في أي نظام آخر.

وعلى هذا فيجب ان يلحظ هذا الجانب تماماً عند ملاحظة موقف الإسلام من تنظيم العلاقات الدولية العامة.

٥ ــ ومن الطبيعي ان نذكر بأن النصوص القرآنية رغم أنها من أعم القوانين، فإنَّ لظروف الآية وأسباب النزول دورها في توضيح الدلالة. كذلك نجد ان تطبيقات الرسول الأكرم (ص)، والقادة الأوائل، وسيرة المسلمين التي تكشف عن تأييد المعصوم، كل هذا يلقي أضواءً كاشفة رائعة على المدلول القرآني، وانْ كان الظاهر القرآني يبقى هو الأصل الأساسي في البين.

٦ ــ وفي خاتمة هذا التمهيد، نذكر بأننا هنا، انما نحاول معرفة الأُسس العامة التي تقوم عليها المواقف الإسلامية التفصيلية من العلاقات الدولية، اما تحديد تطبيقاتها، ومدى تفوق أي جانب على الجانب الآخر في المواقف المشخصة، وأنى يمكن مواجهة المواقف المواجهة، فهذه أُمور تقدرها الخبرة الحاكمة في الدولة الإسلامية وتعينها مفردات الواقع القائم.

الإسلام والدولة العالمية:

ربما كان الحديث عن دعوة الإسلام للدولة العالمية، حديثاً عن ضروري من ضروريات الإسلام، أو على الأقل حديثاً عن ضروري فقهي واضح لدى علماء الإسلام وفقهائه.

فالإسلام جاء ليُطبَّق في الأرض كلها، وللناس كلهم، وعلى شؤون

الحياة كلها، وذلك باعتباره السبيل الوحيد الذي يضمن السير الطبيعي للقافلة الإنسانية نحو كمالها، والحل الأصلح الذي قام على أساس من علم الهي غير محدود، وتخطيط حكيم لهذه المسيرة، من قبل خالق الإنسان والكون.

إنه دين الحياة كلها، والحياة محورها الإجتماع، والمجتمع لايتم بدون دولة. فهو إذن يدعو للدولة العالمية الموحدة، حيث يكون الدين كله لله.

انه رسالة جاءت ناسخة لجميع الشرائع، في نفس الوقت الذي جاءت فيه مصدقة لأُصولها ونظراتها الثابتة، فكل الشرائع إذن وجدت صورتها الأكمل في الإسلام، وكل البشرية رأت سبيلها الصالح فيه.

والرسول الأكرم «ص» رسول للناس جميعاً، لالعشيرة، ولا لفئة، ولا لعنصر، ولا لمنطقة جغرافية معينة، انه رسول خالق الإنسانية لكل الإنسانية.

«يا أيُّها النّاس إني رسول الله اليكم جميعاً»

(الأعراف: ١٥٨)

«وما أرسلناك إلاّ كافة للنّاس بشيراً ونذيراً».

(سبأ: ٢٨)

ولهذا نجده (ص) دعا العالم جميعاً الى الإسلام، وأرسل رسائله الى زعماء الدول المعروفة آنذاك ، داعياً إيّاهم اليه، لابل أعلن عالمية رسالته وهي ما تزال مستضعفة في مكة، حيث جاءت الآيات القرآنية:

«وان يكاد الذين كفروا، ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون* وما هو إلاّ ذكر للعالمين».

(القلم: ٥١ ــ ٥٢)

لتؤكد هذه الحقيقة في المراحل الأُولى من الدعوة. وقد ذكر الرسول الأعظم (ص) مضمون الآية السابقة، في إحدى رسائله وهي التي أرسلها الى «خسرو پرويز» كسرى، حيث جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، و يشهد ان لا إله إلاّ الله، وحده لاشريك له، وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسول الله الى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإنْ أبيت فعليك اثم

المجوس»[1].

ومن نفس هذا المنطلق بشّر الأنبياء باليوم الموعود، حيث يعم العدل، و يكون الدين كله لله، وحيث يظهر المهدي المنتظر «عج».

ان هذا التبشير بالدولة العالمية، منطلق من طبيعته العالمية بلا ريب، على ان أية مراجعة لجوانب التشريعات الإسلامية توضح للإنسان ــ بما لامراء فيه ــ ان الإسلام مصمم ليكون دين الإنسانية ككل، ذلك لانه لاينطبع بطابع معين، ولا منطقة أومساحة زمانية أومكانية خاصة.

كل هذا يكاد يكون من نافلة القول.

إلاّ أن الذي نريد أن نؤكده هنا: هو ان الاسلام بادعائه العالمية يصدق مع ذاته، في حين تكذب كل النظم الاُخرى مع اُسسها.

إذ ان السؤال التالي ينطرح بسرعة في الذهن، بعد ادعاء أي منها العالمية والاُممية، وملخصه: ما الذي يبرر للقائمين على النظام ان يوسعوا من اُفقه وسلطته ليشمل العالم؟ ومن الذي خولهم ذلك ؟

اننا حتى لو ركزنا على أكبر المبادئ المدعية لذلك وهي الماركسية، وجدناها لا تستطيع ان تثبت مبرراً ينسجم من اُسساً هي، على فرض قبولها وسلامتها من المناقشة، وهو فرض محال، فليس هناك قانون ديالكتيكي واحد يفرض حكومة فئة أوشعب على العالم، بل ان هذه القوانين تقضي باختلاف مسيرة الشعوب لاختلاف مستواها الإقتصادي، وتعقّد علاقاتها الإجتماعية.

وحينئذ فلن يصدق الماركسيون ــ مع ذاتهم الماركسية ــ عندما يعلنون الاُممية والدولة العالمية.

اما الرأسمالية: فهي أعجز من ان تثبت لها اُسساً فلسفية، فضلاً عن ان تجد المبرر التاريخي الحضاري لأطروحة حكومة عالمية موحدة.

اما الإسلام فيستمد عالميته كما رأينا من:

١ ــ كونه رسالة (خالق الإنسان ووليه المطلق) للإنسان، والاطروحة النهائية لمسيرة التكامل الإنساني.

٢ ــ وكونه دين الفطرة: والفطرة لاتختلف من انسان الى آخر، بل هي

١ــ مكاتيب الرسول(ص)/ ص ٥ / ط. بيروت

الحد الإنساني الفاصل.

٣ ــ وكون رسوله ــ رسول الله ــ الى البشرية جمعاء.

هذا ما أردنا الإشارة اليه، كما وددنا ان ننبه على أن الإنطلاقة الإسلامية لايمكن ان تقارن بأي حال الى أية انطلاقة أُخرى... انها رسالة الله، وليست كما يدعون رسالة الرجل الأبيض أو رسالة التأريخ أو رسالة التحضير، أو ما الى ذلك من آلهة وهمية، صاغتها العقلية الإستغلالية الإستعمارية، لتبرر نهب الشعوب والثروات.

نعم، يمكن لأي انسان ان يتساءل عن الدليل، اما اذا قبله فلا مناص له من التسليم بالحقيقة.

وعلى أي حال:

فإنَّ تحقق هذا الحلم الكبير، حلم الدولة الإسلامية العالمية الواحدة ــ وهو ما نعتقد بلزوم تحققه ان عاجلاً أو آجلاً ــ لم يعد هناك مجال للبحث عن العلاقات الدولية، وانما تعود المسألة علاقة بين القطاعات المختلفة في داخل جسم الأُمة الموحدة، وهي الحالة الطبيعية للبشرية، أو فلنعبر: هي الأصل في المسيرة.

ان الإسلام يريد الأرض كلها تطوف حول الكعبة محور التوحيد، كما يطوف الكون حول العرش محور الخلق الإلهي، ونستطيع ان نشهد هذه المقارنة في كلمات الإمام علي عليه السلام، التي تشبّه الطائفين بالبيت، بالطائفين بالعرش، حيث يقول:

(واختار من خلقه سُمّاعاً، أجابوا اليه دعوته، وصدَّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه.)

«ص ٤٥ نهج البلاغة»

الإنقسام هو الإستثناء

وما يتصورة الإسلام في مرحلة الاستثناء هو: ان ينقسم العالم الى دارين: **احداهما دارالاسلام، والأُخرى دارالكفر.**

والحد الفاصل بين الدارين هو السلطة الإسلامية.

يقول الأُستاذ الشهيد عبدالقادرعودة: **«الأصل في الشريعة الإسلامية انها شريعة عالمية لامكانية... ولكن لما كان الناس جميعاً لا يؤمنون بها ولا يمكن فرضها**

عليهم فرضاً، فقد قضت ظروف الإمكان، ان لا تطبق الشريعة إلاّ على البلاد التي يدخلها سلطان المسلمين دون غيرها من البلاد.

... وهذا نستطيع ان نقول: ان الشريعة الإسلامية في أساسها شريعة عالمية، اذا نظرنا اليها من الوجهة العلمية، ولكنها في تطبيقها شريعة اقليمية اذا نظرنا اليها من الوجهة العملية» (التشريع الجنائي طبع طهران ص ٤٤٠)

وعلى هذا الأساس فتشمل هذه الدار كل بلد سكانه ــ كلهم أو أغلبهم ــ مسلمون، وكل بلد يتسلط عليه المسلمون و يحكمونه.

اما دار الكفر فتشمل مساحتين:

دار الحرب، ودار العهد.

والعلاقة مع دار العهد تحكمها ــ بالإضافة للقواعد العامة في التعامل مع غير المسلمين عموماً ــ مقتضيات العهد التي يلتزم بها الإسلام بشدة، و يأمر القرآن بكل وضوح بعدم نقض العهد إنْ كانت شروطه مُحَقَّقَة.

«وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً».

«الاسراء: ٣٤»

في حين تقوم العلاقة مع دار الحرب على مقتضيات لغة الحرب، دون ان تخرج ــ في منطق الإسلام ــ عن الأُطر الإنسانية العامة في التعامل.

عناصر مهمة في العلاقات مع الآخرين

وهنا نود ان نجمل الأمر، فنذكر بعض العناصر التي تلعب دورها الكبير في تحديد نوعية العلاقات الدولية للسياسة الخارجية الإسلامية، إلاّ اننا قبل ذكر هذه العناصر، نشير الى الأساسين الرئيسين، اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإسلامية، وهما:

أولاً ــ المصلحة الاسلامية العليا على ضوء الواقع القائم.

وثانياً ــ الروابط والرحمة الإنسانية، والصلات الخلقية.

والواقع ان كل التشريع الإسلامي يستقي من هذين المعينين، بل يمكننا القول ــ عند التعمق ــ انهما يعبران عن موقف واحد، فلم يكن الإسلام ليقصد الا أن يضع الإنسان على طريق تكامله، و يفجّر طاقاته، و ينفي عن حياته كل المعوقات التي تقف في وجه مسيرته المستمدة من هدي الرسولين، الداخلي

والخارجي، أي الفطرة والتشريع.

والواقع الذي لاشك فيه ان الواقعية والروح المناقبية، تعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتى جوانبه، وما سنراه فيمايلي من أُسس تنبثق عن هاتين الصفتين الرئيستين.

أما العناصر التي وددنا التركيز عليها في نظرتنا السريعة هذه فهي كما يلي:

أولاً ــ العمل على ابقاء الأُمّة نموذجاً أعلى للمجتمعات البشرية.

فالأُمّة الإسلامية التي يصفها القرآن: هي الأُمّة الوسط، والوسطية هنا بلا ريب يراد بها النموذج الأسمى، وما يمكن استفادته من تعبير واسطة العقد، حيث الجوهرة الثمينة التي تتبعها الجواهر الأخرى فيه، وهي الأُمّة الشاهدة، وهي خير أُمّة أُخرجت للناس، وعلى هذا فالسياسة الخارجية الإسلامية تسير بشكل منسجم مع مجموع السياسات الداخلية باتجاه تحقيق هذا الأمر بشتى الوسائل والسبل، أي سواء على الأصعدة السياسية، أو الإعلامية، أو الإجتماعية، أو العسكرية، أوغيرها.

ان هذا العنصر ــ كما ترون ــ يدفع الأُمّة إلى التعالي والتكامل في كل حقل، والإستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، واستغلال كل تسابق في سبيل تحقيقة.

انه يعني الإنفتاح على كل مجالات الحياة، وحمل رسالة انسانية حضارية كبرى، نقول هذا ونحن نعترف بأنَّ أُمّتنا ــ نتيجة عوامل كثيرة ــ قد اقصيت عن هذا الدور الطليعي الذي أُهلت له، ولكن هذا لايعني ان لا تظل تلح على الوصول اليه، او تنساه عندما تحاول أن تُوَصِّلَ أية علاقة دولية.

ثانياً ــ المبدئية في التعامل:

وهي سمة عامة في كل خط سياسي، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ذلك:

ان الدولة الإسلامية: دولة عقائدية، تؤمن بمبادئ تصورية تقوم على أساس منها خطوط عملية تستوعب حياة الإنسان (الفرد والمجتمع).

ولهذا فهي تقترب من الآخرين بمقدار قربهم من المبدأ، وتبتعد عنهم

بنفس المقياس، وهي لا تتعامل معهم إلاّ من خلال الامتدادات التي يسمح بها المبدأ... فعلى ضوء المبدأ يتحدد نوع العلاقات الدولية: وكونها ودّية، أو حسنة، أو سيئة، في الأصل.

اما العلاقات الأخوية: فلا تقوم إلاّ بين المؤمنين، وذلك لأنها علاقات سامية، قد تعني وحدة الأفراد في مختلف الشؤون، وليس هناك امكان ان يصلها النّاس يختلفون على قضية الإيمان.

ثالثاً ــ نفي السبيل على المؤمنين:

وتعتبر هذه القاعدة من أروع قواعد السياسة الخارجية، وربما كانت في بعض جوانبها تطبيقاً للقاعدة الأُولى، كما تعبّر عن علوالإسلام على غيره من الأنظمة، وكرامة المسلمين التي يجب ان لا تُمَسّ مطلقاً.

وبموجب هذه القاعدة، فإنّ أي تصرف أو معاهدة أو عقد يؤدي الى تفوق الكافرين على المسلمين، يعد ملغياً من أساسه ــ وكما يعبّر الفقهاء ــ فإنّ هذه القاعدة شأنها شأن قاعدة لاضرر ولاضرار في الإسلام، وقاعدة (نفي العسر والحرج) تعد من القواعد الثانوية التي تستطيع ان تحكم على الأحكام الأولية بمجموعها، اللهم إلاّ تلك التي تتضمن بنفسها تحمل الضرر في سبيل تحقيق غاية أسمى كالجهاد.

وتستند هذه القاعدة الى أدلة، منها: الآية الشريفة:

«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً».

(النساء/١٤١)

ومنها الأحاديث التي تطبقها في بعض الموارد، كالحديث الوارد في كتاب من لايحضره الفقيه (ج/٤)، وقد جاء فيه: **(الاسلام يعلو ولا يعلى عليه، والكفار بمنزلة الموتى، لايحجبون ولا يورثون).**

كما تستند الى اجماع الفقهاء، وربما أمكن ان يقال ان روح التوجهات الإسلامية، وملاحظة المناسبات بين الحكم والموضوع، تقرر هذه الحقيقة بوضوح، **«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون».**

(المنافقون/٨)

و ينبغي ان ننبّه هنا الى ان هذا التوجه لا يعبّر عن نوع من التكبر ــ كما يقول البعض ــ وانما هو تقرير حقيقة علوالنظام الإسلامي على غيره، باعتباره

النظام الأكمل، وبالتالي أفضلية تابعيه، فهو يعمل على أساس من معيار إنساني. نعم، يمكن ان يناقش أويتساءل أحد عن أصل المعيار، ويتحول البحث حينئذ الى الأدلة، اما ان يطلق القول على عواهنه، و يعتبر ذلك بشكل عام عملاً عنصرياً، فهو من أشد الظلم.

انها قاعدة تعاملية مهمة، لها تطبيقاتها في مختلف المجالات، ومنها: المجالات السياسية.

وليس هنا بأورع من تطبيقها اليوم في تعاملنا مع القوى العظمى، التي تعمل على ابتلاع العالم ونهب ثرواته، وعبر بعض الأساليب الخداعة.

وما حادثة تحريم شراء التبغ عام ١٢٦٨ هجري من قبل الميرزا الشيرازي، نتيجة المعاهدة التجارية التي عقدها الطاغوت ناصر الدين شاه مع انكلترا، والتي منح فيها امتياز شراء و بيع التبغ الداخلي والخارجي لبريطانيا، من خلال تاجر انكليزي يدعى (رجي) إلاّ تطبيقاً لهذه القاعدة، حيث سلّط الشاه الظالم، الكافرين على جانب اقتصادي اسلامي، حيث أصدر الميرزا الشيرازي فتواه المعروفة القائلة:

«بأنّ استعمال التبغ ومشتقاته حرام اليوم، وانه يعد بمثابة اعلان الحرب ضد الإمام المهدي عجل الله فرجه».

والتطبيق السياسي الثاني المعاصر: هوالموقف الحازم الذي وقفه إمام الأُمة الخميني العظيم من معاهدة الكابيتولاسيون (اي الاشتراط) و يعني: اشتراط ان لا تطبق على الأتباع الأجانب في ايران إلاّ قوانين دولهم هم، حيث يقوم قنصل الدولة المذكورة بتطبيقها.

وما كانت تعني إلاّ نوعاً من الحصانة القضائية للأجانب، وتسليطهم على رقاب المسلمين، وقد قام نظام الشاه المقبور بعقد هذه المعاهدة في عام ١٩٦٣، فنهض العلماء الكبار ــ وفي طليعتهم الإمام القائد ــ ضد هذا العمل المنافي للإسلام والعدالة، مما أدى الى أن يبعده الحكم الطاغي الى تركية. والواقع ان بذرة الثورة الإسلامية الكبرى غرست في ذلك اليوم. والرائع ان الإمام استهل بيانه الجريء وفتواه بالآية القرآنية الشريفة: **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)**.

«النساء: ١٤١»

ولو ان الأمّة الإسلامية، أو هؤلاء القائمين عليها، راعوا هذه القاعدة في تعاملهم، لما أُصيبت الأمّة بالحالة التي هي عليها الآن قطعاً، حتى عدنا نشهد اليوم حكّام المسلمين يتنادون الى مجلس يعترفون فيه بالحدود الآمنة لاسرائيل، هذا العدو المتسلط على رقاب المسلمين، والمهين لشرفهم وكرامتهم.

ومن الجدير بالذكر:

ان العناصر الثلاثة الماضية تشكل أساساً لروح الإستقلال، والترفع على أي نفوذ أجنبي مذل.

رابعاً ــ التوعية قبل كل خطوة أُخرى:

الإسلام دين التوعية والتربية.. وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي انسان يراد له أن ينظم الى معسكره، وأي مجتمع يراد للإسلام ان ينفذ الى عمقه... انه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم ان قيمتها ستنكشف بكل وضوح للجميع.. ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، ويدعو للبحث والبرهنة، **(قل هاتوا برهانكم)**، وهو يرفض أي عملية إكراه عقائدي **(لا إكراه في الدين)**، كما يريد من الأمّة ان تكون من أُولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها و بصيرتها...، وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

«أُدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن، إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين».

(النحل /١٢٥)

«فلذلك فادع واستقم كما أُمرت ولا تتبع أهواء هم».

(الشورى /١٥)

«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»

(فصلت /٣٣)

«قُل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين».

(يوسف /١٠٨)

وفي هذا يقول شهيد الثورة الإسلامية في العراق، آية الله السيد الصدر في كتابه (اقتصادنا):

«والامر الآخر: ان يبدأ الدعاة الإسلاميون ــ قبل كل شيء ــ بالإعلان عن رسالتهم الإسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى اذا تمّت للإسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرين على رفض النور...، عند ذلك لايوجد أمام الدعوة الإسلامية ــ بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للإنسانية ــ إلاّ ان تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح»

(ص ٢٧٥ /١)

وقد جاء في كتاب الكافي للمرحوم الكليني عن الصادق (ع) قوله:

«قال أمير المؤمنين (ع): بعثني رسول الله (ص) الى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه الى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عزّوجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي.»

(وسائل الشيعة ج/١١ ص٣٠)

انه اسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى وهارون (ع):

«إذهبا إلى فرعون انه طغىٰ * فقولاله قولاً ليّناً لعله يتذكر أويخشىٰ».

(طه /٤٣ ــ ٤٤)

انه الدعوة ــ حتى عند مواجهة الطواغيت ــ عسى ان يهتدوا الى الحق.

وهانحن نجدالرسول العظيم يكرر عبارة (أدعوك بدعاية الإسلام) في رسالته الى كسرى انوشيروان وقيصر امبراطور الروم تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوة الى الأقطار. وقد ذكرت اسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أُرسلوا لتحقيق واجب الدعوة الى الله، ومنهم:

عبدالله بن حذافة السهمي ــ مبعوث الرسول الى ايران.

حاطب بن ابي بلتعة ــ مبعوث الرسول الى مصر لدعوة المقوقس.

دحية الكلبي ــ مبعوث الرسول الى روما.

عمرو بن أمية ــ مبعوث الرسول الى الحبشة.

سليط بن عمرو ــ مبعوث الرسول الى اليمامة.

عمرو بن العاص ــ مبعوث الرسول الى عمان.

حرملة بن زيد ــ مع وفد معه الى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الاحمر.

المهاجر بن ابي امية ــ مبعوث الرسول الى ملوك حمير.

خالد بن الوليد ــ مبعوث الرسول الى همدان (مدينة قرب بحر عمان).

علي بن ابي طالب (ع) ــ مبعوثة الثاني الىٰ هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان ــ مبعوث الاسلام الى الهند.

عبدالله بن عوسجة ــ مبعوث الرسول الى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ــ مبعوث الرسول الى قبائل ذي الكلاع الحميري.

وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة الى الشعوب.

واذا أردنا ان نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا ان نلحظها في بعثات الإيضاح المرسلة من هنا الى هناك ، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية، وفي مذكرات الإيضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة الى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: انها تنظر لعملية التوعية والإيضاح كرسالة إلهية ومبدأ ضروري يجب الإلتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية أو سياسية أو غيرها تجاه الدول الأُخرى.

اما ما نجده من السياسة الماكرة القائمة ــ بالفعل ــ فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية ــ باعتبارها مناورة سياسية ــ فإذا لزم الأمر، قلبت الحقائق، وتغيرت الموازين.

خامساً ــ مراعاة العدالة في التعامل:

يشكل العدل أهم أُصول التصور الإسلامي عن الواقع:

«شهد الله أنه لا إله إلاّ هو، والملائكة، وأولوا العلم، قائماً بالقسط...».

(آل عمران /١٨)

وأهم الأُسس عند التعامل الاجتماعي:

«يا أيها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله...».

(النساء /١٣٥)

ومن الطبيعي ان يأتي التأكيد على العدالة حين تثور الإحن والشنآن، و يكاد العدل ينسى من البين، وحينئذ تقول الآية:

«... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...».

(المائدة /٨)

واذا لاحظنا ان العدل في التعامل مع الأجانب عن دارالاسلام يلحظ فيه واقعهم القائم، أدركنا البعد الإنساني في هذا الأصل، وهذا ما تؤكده أحكام الاسلام في الجهاد والعهد والإجارة وغيرها.

وهو ما يفسر وقوف الدولة الإسلامية الى جانب قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض، ومقارعة الظلم والطغيان في كل مكان ــ حتى لو لم يكن الأمر يمسها من قريب، وعملها على نفي العلاقات الظالمة بين الدول.

فليس وقوفنا الى جانبهم وقوفاً مصلحياً دعائياً، حتى اذا ما تسنى لنا الأمر ومنحتنا المقادير أزمتها رحنا نسومها سوء العذاب، وهو ما نجده من القوى العظمى، شرقيها وغربيها.

وانما هو موقف مبدئي أصيل، قائم على أساس متين، متى ما خالفناه ــ وفي أية لحظة ــ خرجنا عن الخط الإسلامي القويم، ودخلنا في عداد المستكبرين، الذين يقول فيهم تعالى:

«فهل عسيتم إنْ توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم* أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم».

(سورة محمد /٢٢ ــ ٢٣)

ان القرآن على العكس من ذلك، يعطينا صورة الجماعة المسلمة المتمكنة، بقوله:

«الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور».

(سورة الحج /٤١)

سادساً ــ مبدأ تأليف القلوب:

وهو مبدأ يمثل إيجابية الشريعة الإسلامية بكل وضوح، كما يعكس واقعيتها في نفس الوقت.

ففي الجو الذي يتم تأليف القلوب فيه، تنفتح النفوس للحقيقة، وتتقرب الى الواقع، والأصل في هذا المبدأ، هو: سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، حيث فتح هذا مجالاً للعمل المنظم لتحقيق ذلك، عبر الوقوف الى جانب كل

المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، وجلب القلوب الى الإسلام.

ورغم ان الفقهاء يختلفون في مساحة هذه القلوب المؤلفة. وهل تختص بغير المسلمين، أم تشمل المنافقين، أم تعم بعض المسلمين ضعيفي الإيمان، إلاّ ان الذي يبدو من روح الإسلام واتجاهاته الإقتصادية، ومن أقوال فقهاء الشيعة والسنة ــ ومنهم الإمام الخميني القائد ــ انه مبدأ عام، وأصل يتيح للدولة الاسلامية ان تلحظ المصلحة أينما تكون. ومن هنا فمن الطبيعي ان يشكل عنصراً اسلامياً، له دوره في تحديد العلاقات الدولية، وتقديم المساعدات الى مختلف الدول والشخصيات والجمعيات على شتى مذاهبها.

ولئن كان هناك بعض البحث في لزوم العمل بهذا المبدأ في عصر معين، وبالنسبة لأشخاص معينين، بعد وفاته (ص)، فإنه لاشك في اسلاميته أصلاً، ولزومه في العصور الاُخرى.

على اننا ننبه هنا الى أن هذا السهم المعطى للمؤلفة قلوبهم، لا يختص مورده بباب الزكاة، وانما نجد الاسلام يسمح للإمام ان يقوم بالإنفاق بما يحقق مصلحة الإسلام العليا من أموال الدولة، وتفصيل هذا يذكر في البحوث الاقتصادية الاسلامية.

وبانفتاح هذا الباب، نجد المجال السياسي لتطبيقاته واسعاً جداً، يشمل كل المعونات الإقتصادية والسياسية، التي يمكن أن تقدمها الدولة في سبيل تقريب القلوب اليها والى مبادئها... الا ان من الواضح فيه ملاحظة مدى ما يعود به من نفع على القضية الكبرى بغض النظر عن أية منافع سياسية ضيقة.

سابعاً ــ احترام العهود والعقود والإتفاقيات الدولية:

وهذا الأصل هو من أهم الاُصول التي تعتمدها السياسة الإسلامية الحقة، وكما قلنا من قبل، فإنه يستمد من الواقعية التي تتسم بها النظرة الإسلامية من جهة، واحترام مقتضيات الخلق من جهة اُخرى.

فالقائد الإسلامي يفكر ملياً في أي عهد أو عقد يعقده، ولكنه اذا عقد العقدة ــ مستوفية لكل شروطها ــ التزم بها تمام الإلتزام.

«... وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولاً»

(الإسراء/٣٤)

والعهود التي تعطى للدول الأجنبية أو الأجانب، تارة تدخل ضمن عقود

صرح بها الإسلام، وحدد لها قوانينها العامة، فيجب الإلتزام بذلك، والأُخرى تسير بمنحى مستقل، يرى ولي الأمر ان يعقدها لانها تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

ومثال القسم الأول: عقد الذمة، وعقد الهدنة، وعقد الأمان. ومثال الثاني: كل العقود الأُخرى والتي تعقد على الصعيد العسكري والإقتصادي، وأمثال ذلك.

وتستمد التعاليم الاسلامية ــ الخاصة بهذا العقد أو ذاك ــ من نصوص القرآن الشريفة، والأحاديث المباركة، وعمل الرسول (ص).

ففي مجال عقد الذمة: تستفاد بعض الأحكام من الآية الشريفة «**قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**»

(التوبة /٢٩)

وهناك عقود الذمة التي عقدها (ص) مع نصارى «نجران» و«بني تغلب» ومجموعات من اليهود.

ولا نريد هنا ان ندخل في تفاصيل هذه العقود، وانما نريد التأكيد على ان مسألة العهود تحتل جانباً مهماً من الفقه الإسلامي، وتستمد خطوطها العريضة من القرآن الكريم.

إلاّ اننا يجب ان نلحظ في البين نقطتين متقابلتين.

الأُولى

ان الحديث هنا عن عهود يقدمها الحاكم الإسلامي الولي الشرعي، اما هذه العهود والمعاهدات التي يعقدها هؤلاء المتسلطون على الرقاب بالقوة والطغيان فهي في الأصل لا تلزم أي مسلم، لأن من عقدوها ليسوا مخولين إسلامياً للقيام بتقديم هذه العهود من قبل المسلمين، اللهم إلاّ اذا كان ذلك التقديم بصفتهم الفردية، وكانت التعاليم تسمح بمثل هذه العهود والعقود كما في عقد الأمان في بعض صوره.

على انه يجب أنه يلحظ ــ في مثل هذه العقود والمعاهدات ــ مدى ما يعود على المسلمين من حصيلة.

الثانية

وكما لاحظنا جانب المسلمين، يجب ان نلحظ الجانب الآخر في البين، ومدى ايمانه وعلمه بصلاحية المسؤول الإسلامي الذي يعقد معه هذه المعاهدة، فإذا لم يثبت لدينا وضوح الموقف لديه، كان علينا ان نحتاط في مجال نقض المعاهدات الدولية بلاريب.

وهذا المعنى يبدو وبكل وضوح عندما يطرح الفقهاء فكرة الالتزام باحترام حرية المحاربين ــ الذين دخلوا الأرض الإسلامية ــ بشبهة الأمان.

نعم، في كثير من الحالات، يجد المسلمون ان الدولة الأجنبية، التي دخلت في معاهدة مع حكامهم، كانت تعلم علم اليقين، ان هؤلاء الناس متجبرون، لم تخولهم مبادئهم الاسلامية ولا أُمتهم، حق التحدث باسمها، وحينئذ، لايجدون مايلزمهم بمثل هذه العقود الظالمة في الغالب.

ثامناً ــ التعامل بالمثل:

يقول تعالى: «**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المتقين**».

(البقرة/١٩٤)

واذا كان مبدأ القصاص من جهة، ومبدأ جزاء الإحسان بالإحسان من جهة أُخرى، مبدأين واقعيين يرتضيهما المنطق الإنساني في التعامل الفردي والاجتماعي الداخلي، فإنهما كذلك في مجال التعامل الدولي، بل ربما عاد أحدهما من الضرورات، اما لردع الإعتداء أو لجلب القلوب.

فإذا كان العدو في العصور السالفة ــ مثلاً ــ يسترقُّ المسلمين، فمن الطبيعي ان يعامل العدو بمثله، طبعاً مع ملاحظة كل الجوانب الأُخرى.

ذلك ان حالة الاسترقاق يجب ان يحددها القائد، الذي بلغ درجة سامية من الورع والمحبة الإنسانية، ومستوىً سامياً من وعي روح الشريعة المتنافية مع أصل الإسترقاق، فإذا رأى القائد ان الإسترقاق يشكل أفضل ردّ على العدو من جهة، ومن جهة أُخرى أُسلوباً لدخول الأسير الى المجتمع، والإحتكاك بالمسلمين، ومن ثم التعرف على الاسلام، وكذلك تخلصاً من تعطيل هذه الطاقات الخلاقة الأسيرة، فإنه حينئذ يأمر به كموقف لابديل له. هذا، في حين لايقاس هذا

بأساليب الإسترقاق الوحشية التي كانت جارية آنذاك .

يقول آية الله الشهيد الصدر:

«واذا عرفنا بهذا الصدد، ان ولي الأمر مسؤول عن تطبيق أفضل الحالات الثلاث (ويقصد بها: العفو، أو الاطلاق بفدية، أو الاسترقاق) على الأسير، وأوفقها بالمصلحة العامة، كما صرّح بذلك الفاضل، والشهيد الثاني، وغيرهما، من فقهاء الإسلام، وأضفنا الى ذلك حقيقة اسلامية أُخرى، وهي: ان الحرب لم يسمح بها الإسلام سماحاً عاماً، وانما سمح بها في ظرف وجود قائد معصوم، يتولى قيادة الغزو وتوجيه الزحف الإسلامي في معاركه الجهادية، اذا جمعنا بين هاتين الحقيقتين، نتج عنهما ان الإسلام لم يأذن باسترقاق الأسير، إلاّ حين يكون أصلح من العفو والفداء معاً، ولم يسمح بذلك إلاّ لولي الأمر المعصوم، الذي لايخطئ في معرفة الأصلح، وتمييزه عن غيره.

وليس في هذا الحكم شيء يؤاخذ الإسلام عليه، بل هو حكم لاتختلف فيه المذاهب الإجتماعية، مهما كانت مفاهيمها، فإنّ الإسترقاق قد يكون أحياناً أصلح من العفو والفداء معاً، وذلك فيما اذا كان العدو يتبع مع أسراه طريقة الإسترقاق، ففي مثل هذه الحالة يصبح من الضروري ان يعامل العدو بالمثل، وتتبع معه نفس الطريقة»

(اقتصادنا/ص ٢٧٥)

هذا من الجانب السلبي، والأمر كذلك ، بل هو أولى في الجانب الإيجابي، حينما يحسُّ الإسلام من العدو أو الطرف المقابل موقفاً حسناً، فإنه حينئذ يأمر بمجازاته بالإحسان و يرفض مطلقاً ان لايأبه المسلمون لمثل هذه المواقف الايجابية.

«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...»

(الأنفال /٦١)

«لاينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا اليهم، ان الله يحب المقسطين».

(الممتحنة /٨)

تاسعاً ــ نظام الجهاد بمختلف فروعه:

وهو باب واسع الأبعاد والفروع، حاول الإسلام فيه تنظيم الأعمال الحربية، مستهدفاً من جهة تحقيق الأهداف الإسلامية العليا، من خلال رفع الموانع في سبيل الدعوة الإسلامية، والحفاظ على محورها المتحرك . كل ذلك مع

ضمان أكبر لالتزام الأساليب الإنسانية الممكنة، ولن نتحدث طويلاً عن هذا الباب لسعته، وضيق مجالنا عنه.

كانت هذه بعض الأُسس القرآنية للتعامل الدولي، أشرنا اليها في لمحات سريعة، تاركين التفصيل فيها الى مظانه، وملاحظين انه قد يكون البعض فيها داخلاً في اطار البعض الآخر، كما في مسألة المبدئية في التعامل مثلاً، أونظام الجهاد، ولكن فصلة تمَّ على أساس من أهمية الدور الخاص الذي يلعبه في تحديد نوعية العلاقات الدولية.

وعلى أي حال:

فإننا اذا استعرضنا بعض الأُسس التي تقوم عليها العلاقة بين الدارين (دارالإسلام ودارالكفر)، نبقى نتصور الحالة المفروضة، وهي قيام الدولة الواحدة في العالم، و يبقى هذا التصور الإسلامي هو الذي يحكم العلاقات الدولية، و يتحكم في نوعيتها.

هذا، ومن المناسب هنا ان نقول: **ان سياسة الجمهورية الاسلامية في ايران كانت تسير باطراد نحو تطبيق هذه المبادئ السامية في مجال تعاملها الدولي، وان كانت نتيجة ذلك قد واجهت شتى الضغوط من الاستكبار العالمي، ومنها: هذا الحصار العالمي على الأصعدة: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والإعلامية.**

ولكنها راحت تتجاوز كل المؤامرات، مرفوعة الرأس مفتخرة برسالتها الاسلامية التي حددت لها المنطلقات والأهداف، والسبيل لتحقيقها، بكل وضوح.

مع الدستور الاسلامي

وعند الرجوع الى الدستور الاسلامي، نجده يعد موضوع العمل على طرد الإستعمار، والحيلولة دون النفوذ الأجنبي، وكذا فكرة بناء السياسة الخارجية على أساس المعايير الإسلامية، والالتزام الأخوي تجاه كل المسلمين، والوقوف التام الى جانب قضايا المستضعفين والدفاع عنها: يعدّ هذا من أهداف الدولة الإسلامية.

في حين تجعل المادة ٤٣ موضوع الحيلولة دون التسلط الاقتصادي الخارجي على مرافق البلاد، مسلمات الإقتصاد الإسلامي، وأُسسه.

اما المادة ١٤٦ فتمنع بتاتاً إقامة أية قاعدة عسكرية أجنبية، حتى ولو كان ذلك باسم الأغراض السلمية.

وبالتالي فان الفصل العاشر من الدستور، مخصص للسياسة الخارجية، حيث تقول المادة ١٥٢:

«ان السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية في ايران تقوم على أساس نفي أي نمط من فرض النفوذ أو القبول بذلك، والحفاظ على الاستقلال التام في جميع النواحي ووحدة اراضي البلاد، والدفاع عن حقوق كل المسلمين، وعدم الالتزام بأي شيء تجاه القوى المتسلطة، والعلاقات السلمية المتبادلة مع الدول غير المحاربة».

كما تقول المادة ١٥٣:

«تمنع كل معاهدة تؤدي الى التسلط الأجنبي على المصادر الطبيعية، والمرافق الاقتصادية، والثقافية، والجيش، وباقي شؤون البلاد».

اما المادة ١٥٤ فتقول:

«تعتبر الجمهورية الاسلامية في ايران سعادة الإنسان في كل المجتمع البشري، هدفاً سامياً لها، وتعتبر الاستقلال والحرية وحكومة الحق والعدل، حقاً لجميع شعوب العالم؛ وبناءً على هذا، ومع نفي أي تدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، فإنها تؤيد وتدافع عن الكفاح العادل للمستضعفين في قبال المستكبرين، في أي بقعة من بقاع العالم».

وأخيراً فإنَّ المادة ١٥٥ تؤكد ان:

«دولة الجمهورية الإسلامية في ايران تستطيع ان تمنح حق اللجوء السياسي لكل من يطلب ذلك باستثناء الذين يعتبرون وفقاً لقوانين ايران مجرمين أوخونة».

الإستثناء الثاني

عبَّرنا عن فكرة انقسام العالم الى دارين: دار الإسلام، ودار الكفر، بأنها حالة استثنائية في تصور الإسلام، بعد ان كانت الحالة الأولية المفروضة هي حالة الدولة العالمية الواحدة، ورأينا كيف تتم العلاقة بين المعسكرين في إطار هذا المفروض، وعلى أساس من الواقعية والأخلاقية الإسلامية.

وقد افترضنا في الإستثناء الأول قيام دولة اسلامية واحدة، يقودها الإمام الذي تسلّم السلطة على أساس شرعي، وعاد ولياً للأمر في دار الإسلام.

وهذه الحالة هي الحالة الطبيعية في دار الإسلام بملاحظة:

أ) ــ وحدة التشريع الإسلامي الثابت.

ب) ــ صلاحية الإمام غير المحدودة بمنطقة معينة، في مجال ملء منطقة الفراغ، وهي التي تعالج الجانب المتغير من حياة المجتمع.

ج) ــ روح الإسلام التي تفرض الوحدة التامة، لا الشكلية في تحرك المسلمين.

وتمنع مطلقاً من شق عصا المسلمين، وتعتبر ذلك من أعظم الأمُور.

ومن هنا فإننا لا نوافق على ما تفضَّل به بعض الأساتذة، من القول بأنَّ قيام الدول المتعددة في دار الإسلام، لا يتعارض مع أحكام الإسلام، مستدلاً لذلك بأنَّ عصر وضع النظريات الإسلامية هو عصر الدولة العباسية الذي شهد دولاً اسلامية متعددة، هي:

«دولة العباسيين في المشرق، والعلويين في المغرب، والأمويين في الاندلس».

(التشريع الجنائي الاهي/ص٤٦٤)

والغريب ان الأُستاذ الجليل (عبد القادر عودة) يصرِّح: «بأنَّ الإسلام لايتنافى مع نظام كنظام الجامعة العربية القائمة اليوم»، رغم اننا نشهد ان الجامعة العربية لا تعبِّر حتى عن أقل طموح.

اننا نعتقد ان هذا التطبيق لايستطيع مطلقاً ان يثبت صحته، خصوصاً واننا نعلم ان العامل الرئيس في تفتيت الأمُة وتقطيعها ماكان إلاَّ الأهواء، والطغيان، والإستئثار، والنفعية، لاغير، وتبقى دولة الصدر الأول الواحدة هي الأصل بلاريب، والحالة المنسجمة مع تطلعات الاسلام.

و يبدو هذا الرأي أكثر وضوحاً عندما نركز على رأي مدرسة أهل البيت في مجال قيادة الإمام المعصوم للعالم، امتداداً لقيادة النبي (ص) له، ومن بعد الإمام المعصوم يقوم الفقيه العادل بتولي أمر الأمُة، واكتساب صلاحياته الى حدٍ كبير.

إلاَّ اننا إذ نواجه تعدد الدول والسلطة في دار الإسلام، علينا ان نعتبره استثناءً آخر، يجب ان يعمل المسلمون على التخلص منه ــ مهما أمكن ــ والعودة الى حالة الوحدة الطبيعية.

وعندما نفترض هذا الإستثناء الثاني، يضاف الى أساسي التعامل الرئيسيين المذكورين سابقاً، اُسس اُخرى مثل (الاُخوة الإسلامية) و(الوحدة الإسلامية)، و(الإلتزام بباقي أحكام الإسلام في مجال التعامل بين المسلمين)،

ومقتضياتها التي تتجاوز منطق المصلحة، والربح والخسارة، الى حيث يضع الإسلام للمسلم على المسلم حقوقاً لايمكنه ان يتخطاها.

وحينئذ يجب ان يحس كل مسلم بآلام كل مسلم آخر، ويجب ان يقيس نفسه الى مستوى ما يعيشه المسلم الآخر، و يعمل على الدفاع عن كل شبر اسلامي اينما كان باعتباره وطنه، وان ينسجم مع كل صرخة تنادي بتطبيق أحكام الاسلام، واعتبار كل ثروة في أعماق أي أرض اسلامية ملكاً في الأصل لكل المسلمين، وقياماً لهم، الى ما هناك من التعاليم الإسلامية الحية.

وهنا ــ وفي خصوص هذه المساحة ــ يجب التنبيه الى نقطة مهمة في البين، هي:

إننا اذا نظرنا الى الواقع القائم اليوم على الأرض الإسلامية، وجدناه، يعج بأنماط مختلفة من الحكومات والسلطات.

فهناك منطقة اسلامية لو قيس المسلمون الى مجموع سكانها لشكلوا الأغلبية الساحقة، ولكنهم مع ذلك، يرزحون تحت حكم إلحادي كافر معلن بالحرب ضد الإسلام، أو حكم كافر يتستر ببعض الأقنعة، أوحكم آخر يعلن رفضه لأهم تعاليم الإسلام الحياتية، وتمسكه ــ في أُسس تصورة ــ بأفكار يرفضها الإسلام بتاتاً، أونظام متسلط يتقنع بالدين، في حين يعمل جهده على بيع المسلمين وثرواتهم للعدو، وتمهيد السبيل للقوى العظمى، كي تلعب لعبتها وتستعبد المسلمين، وهكذا دواليك.

اننا نعتقد بكل وضوح بالمضمون القرآني الكريم حيث يردد:

«... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»

(المائدة / ٤٤)

«... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»

(المائدة / ٤٥)

«... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»

(المائدة /٤٧)

ونؤمن بأن أي عمالة للأجنبي الكافر، تصم الحكم كله بالكفر، وأي تضريط واضح بحقوق المسلمين، يعني الحرب ضد الاسلام والمسلمين.

واننا لنعد أنفسنا بمقتضى اسلامنا مسؤولين، وعلينا العمل المشترك على

إسقاط الصاغوت بشتّى ألوانه، وإعمادة الصورة الاسلامية الناصعة الى الأمة الاسلامية الواحدة.

وختاماً، نسأل الله العلي القدير أن يوفق قائدالأمة الامام الخميني لتحقيق آمالها، في الوحدة والعزة وتطبيق الاسلام، إنه السميع المجيب■

الحروف المقطعة
في القرآن الكريم

حجة الاسلام
السيد جعفر مرتضى/ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ موضوع بحثناهو:

«الحروف المقطَّعة في فواتح السورمن وجهة نظر قرآنية».

فلقد كثر الحديث عن الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور القرآنية، وتعدّدت، وتشعَّبت الأقوال والآراء حولها، حتّى عدَّ المفسرون ما يقرب من عشرين قولاً حول المراد منها..

فقيل:

(١) ــ هي من المتشابه الذي لايعلم تاويله إلاَّ الله سبحانه.

(٢) ــ هي أسماء للسور التي وقعت في أوائلها.

(٣) ــ إنها أسماء لمجموع القرآن...

(٤) ــ إنها أسماءلله سبحانه فـ (الم) معناها: أنا الله العالم.

و(المر) معناها: أنا الله أعلم وأرى.. وهكذا..

(٥) ــ إنها أسماء لله مقطَّعة، لواُحسن تأليفها لعلم اسم الله الأعظم

و: (الر) و(حم) و(ن) تصير: الرحمان... وهكذا.

(٦) ــ إنَّ هذه الحروف شريفة لكونها مباني كتبه المنزَّلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، واُصول لغات الاُمم.. وقد أقسم الله تعالى بهذه الحروف.

(٧) ــ إنها اشارات الى آلائه سبحانه، وبلائه، ومدة الأقوام

وأعمارهم وآجالهم.

(٨) ــ إنها اشارة الى بقاء هذه الأُمّة بحسب حساب الجمل...

(٩) ــ إنها تسكيت للكفار الذين تواصوا فيما بينهم: «**لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**». فكانوا اذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، وتفكّروا فيها، فيقرع القرآن مسامعهم.

(١٠) ــ إنها للاشارة الى معاني السورة، فكلمة (**ن**) اشارة الى ما تشتمل عليه السورة من النصر الموعود، وكلمة (**ق**) اشارة الى القرآن أو الى القهرة[1]

الى غير ذلك من أقوال لامجال لتتبعها..

ولعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأياً في هذا المجال... ما ذكره بعض المتأخّرين، واعتبر بمثابة «إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصري» وهو يعني: أن هذه الحروف المقطّعة تدخل كعنصر مهم وحاسم في موضوع الإعجاز العددي للقرآن.

ونحن لانريد ان نسيء الظن فيما يتعلق بهذا الرأي، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (١٩) و يتخذه محوراً في مجمل استنتاجاته، وهو الرقم المقدّس عند طائفة البهائية الضالّة.

كما اننا لانريد المبالغة في التشاؤم الى حد ان نعتبر ذلك يهدف الى صرف الأنظار عن دقائق المعاني القرآنية الباهرة، الى الإهتمام بالظواهر والقوالب اللفظية...

لا.. لانريد ذلك.. فإننا نأمل أن يكون ثمة قدر كبير من حسن النيّة، وسموالهدف.. وإنّما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين قد تتبع هذه النظرية بالبحث والتمحيص، حتى خرج بنتيجة حاسمة، مفادها الجزم بخطأ هذه النظرية، وذلك لعدم صحة الأرقام التي قدّمتها، واعتبرتها أساساً صالحاً للتدليل على قيمتها العلمية.

فقد قال هذا المحقق الذي رمز لنفسه بـ(ابومحمد): قولهم: كلمة «اسم» تتكرر(١٩) مرة بالضبط. اقول: ذُكر في المعجم المفهرس عدد (١٩)

---

١ ــ تفسير الميزان ج١٨ ص٦و٧.

تحت كلمة اسم. وذكر ان كلمة «بسم» تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى باسم الله مجراها. «وبسم الله» أو «الحمد». وانه من سليمان وانه «بسم الله». وذكر كلمة (اسمه) وقال انها تكررت خمس مرات.

قولهم: ان كلمة الرحيم تتكرر (١١٤) مرة. ونقول: بل تتكرر (١١٥) مرة بالضبط.

وقالوا: ان حرف (ن) قد تكرر في سورة القلم (١٣٣) أي (١٩× ضرب ٧).

ونقول: بل يتكرر (١٢٩) مرة فقط. ولو كررنا المشدّدات مثل أن فإنَّ المجموع يصير أكثر من ذلك...

وقالوا: ان حرف (ص) يتكرر في كل سورة الأعراف التي أولها (المص) وسورة (ص) وسورة (مريم) التي أولها «كهيعص» (١٥٢ أي ١٩ ضرب ٨).

ونقول: ان عدد الصادات في سورة الأعراف (٩٠) صاداً، ولعله قد اشتبه عليَّ واحد أو اثنان. وفي سورة مريم (٢٤) مرة «كذلك» وفي سورة ص (٢٧) مرة فليس المجموع (١٥٢) ولا في كل واحدة منها (١٥٢) أيضاً[٢]

أما العلاَّمة الطباطبائي قدس سره، فقد أورد على الأقوال التي سلفت باستثناء هذا الأخير، حيث لم يذكره قدس سره.. بأن:

دعوى كون الحروف المقطَّعة من المتشابهات لايصح، وذلك لأن التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها، وليست الحروف المقطعة من هذا القبيل.

واما سائر الأقوال، فإنما هي تصويرات لا تتعدى حد الإحتمال، ولا دليل يدل على شيء منها. واما الروايات التي ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال، فقد ردها رحمه الله تعالى بضعف السند تارة وبضعف الدلالة أُخرى، حيث لايوجد فيها تقرير من النبي (ص) فهمه الآخرون منها.. أو لأنَّ مفاد الرواية أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها، ولا حاجة لاستعمال الرمز في التعبير عنها..

---

٢ ــ راجع مجلة المنطلق اللبنانية سنة ١٣٩٩ هـ . العدد الخامس ص ٨٢.

ثم استظهر رحمه الله تعالى : ان هذه الحروف هي رموز بين الله سبحانه و بين رسوله، خفية عنّا، لا سبيل لافهامنا العادية اليها إلاّ بمقدار أنْ نستشعر أن بينها و بين المضامين المودعة في السور إرتباطاً خاصاً حيث وجد رحمه الله تشابهاً في سياق وفي مضامين السور التي اشتركت حروف معيّنة في فواتحها، كالطواسين والحوامين والميمات والراءات ونحو ذلك.

ونحن لانستطيع الموافقة على ما ذكره رحمه الله تعالى، فإنَّ القرآن ليس كتاب ألغاز أو أحاج وإنما أنزله الله تعالى هدىً للناس[٣]، ليدبروا آياته[٤]، بلسان عربي مبين[٥]، قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[٦] كتاب فصلت آياته، قراناً عربياً لقوم يعلمون[٧].

وقد ذكر العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني : ان تعقيب هذه الأحرف،بأنَّ هذا الكتاب مبين وواضح وانه قرآن عربي لقوم يعلمون أولعلكم تعقلون، لايتناسب كون تلك الألفاظ رموزاً، أو من قبيل الألفاظ والإجماعات. قال تعالى في سورة يوسف «**الم. تلك آيات الكتاب المبين. انا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون**».

ولدينا من الشواهد والدلائل ما يكفي لإعطاء فكرة عن المراد من هذه الحروف ونستطيع بيان ذلك في ضمن النقاط التالية.

(١) ــ إننا في نفس الوقت الذي نعتبر فيه ان ما سنذهب اليه هو المقصود الأول من هذه الأحرف، فإننا نؤكد على اننا لانستبعد إرادة سائر المعاني، مما ذكر أو مما لم يذكر منها، اذا دل الدليل على إرادتها أيضاً فإنَّ للقرآن ظهراً و بطناً، ولعل لاختلاف الأزمنة، وتقدم الفكر والعلم تأثيراً كبيراً في فهم الكثير من المعاني الأُخرى التي يمكن ان تكون هذه الأحرف مشيرة اليها أو دالة عليها، بنحو من أنحاء الإشارة والدلالة..

(٢) ــ إننا نلاحظ : أننا لم نجد في التاريخ ما يشير الى أن أياً من

---

٣ ــ البقرة/ ١٨٥.

٤ ــ ص/ ٢٩.

٥ ــ الشعراء/ ١٩٥.

٦ ــ يوسف/ ٢.

٧ ــ فصلت/ ٣.

الصحابة أو من غيرهم من المشركين وأعداء الاسلام، قد تصدى للسؤال أو الاستفهام عن معاني هذه الأحرف، وعمّا ترمي اليه، ولوسلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن ان يكون ناشئاً عن ايمانهم العميق، وعن وصولهم الى درجة التسليم والخضوع لكل ما يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة ــ رغم ان ذلك لاينسحب على كثيرين منهم، ورغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامي عن أمر كهذا ــ اننا اذا سلمنا ذلك فإننا لانستطيع ان نفسّر سكوت المشركين وغيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا، وهم في موقع التحدي والمجابهة، و يحاولون التشبث ولو بالطحلب للطعن في الاسلام والنبوة والقرآن.

فسكوتهم هذا ــ والحالة هذه ــ لايعني إلا أنهم قد فهموا منها معنىً قريباً الى أذهانهم، وأن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عمّا يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات..

(٣) ــ اننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة، ستٌّ وعشرون منها نزلت في مكة و ثلاثٌ منها نزلت في المدينة، وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ: أن اثنتين منها نزلتا في أوائل الهجرة، حيث كان الوضع الديني والايماني فيها لايختلف كثيراً عنه في مكة، ولا سيّماً مع وجود اليهود وشبهاتهم ومؤامراتهم الى جانب المشركين فيها.

و واحدة منها وهي سورة الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون في الاسلام رغباً أو رهباً، وكثر المنافقون حتى ليرجع ابن ابي بثلث الجيش في غزوة أحد.. وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً، وعقائدياً بشكل سافر.. فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة: القرآن كأُسلوب أمثل لبعث عمق عقائدي وايماني جديد في المسلمين، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لايجدون لمواجهته سبيلاً إلاّ بالتسليم والخنوع والإنقياد له.

وهذا ما يفسّر لنا السر في اننا نجد أُسلوب وأجواء سورة الرعد لاتختلف كثيراً عن أجواء وأُسلوب غيرها من السور المكيّة، وان هناك توافقاً تاماً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التضليل أو التزوير والصدود عن الحق..

ونستطيع بعد كل ما تقدَّم أنْ نصل الى النتيجة التالية، وهي : ان ورود هذه الحروف في خصوص السور المكيَّة، وفي ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها انما جاءت في مقام التحدي للمشركين، ولأعداء الإسلام... وان عدم اعتراض هؤلاء أو حتى عدم سؤالهم وكذلك عدم سؤال أي من الصحابة المؤمنين عن معاني هذه الحروف، إنَّما يشير الى انهم انما فهموا منها معاني قريبة الى أذهانهم، كافية للإجابة على ما ربما يختلج في نفوسهم من أسئلة حولها. وليس ذلك إلاَّ ما ذكرناه من التحدي بهذا القرآن، المركب من أمثال هذه الحروف التي هي تحت اختيار الجميع، مع انه يعجز عن مجاراته وعن الإتيان بجملة وحتى بسورة من مثله الجميع.

(٤) ــ إننا اذا راجعنا الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد :

أ) ــ ان جميع السور التي وقعت الحروف المقطَّعة في فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث، نجد أن الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب وآياته، أو القلم أو القرآن، أو نحو ذلك، كقوله تعالى :

«المص. كتاب أُنزل اليك».

(الأعراف)

«المر. كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور».

(ابراهيم)

«حم. والكتاب المبين. انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

(الزخرف)

«حم. والكتاب المبين. انا انزلناه في ليلة مباركة».

(الدخان)

«الر. كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير».

(هود)

«ص. والقرآن ذي الذكر»..

«ن. والقلم وما يسطرون»

وحتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث، يمكن ان تكون تلك القصة، أو

التنبؤات أو الحكم التي تذكر بعد هذه الحروف فيها من الإعجاز ما يكفي لأنْ يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكورة. وعجز الغير عن الإتيان بمثلها، كافياً عن التصريح في ذلك...

ب) ــ إننا نجد أن بعض الآيات التي وقعت بعد الأحرف المقطعة، قد جاءت باسم الإشارة ليكون خبراً عن الحروف المقطّعة، لأنّه اشارة لما قبله، ولا يصح ان يكون إشارة لما بعده، لأنَّ ما بعده ليس فيه الألف واللام ليكون بدلاً أو عطف بيان له.. وذلك مثل قوله تعالى:

«الر. تلك آيات الكتاب المبين. انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

(يوسف)

«الر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين».

(الحجر)

«الر. تلك آيات الكتاب الحكيم».

(يونس)

وكذا الحال بالنسبة لسورتي الرعد، والحجر، وغيرهما من السور. أما مثل قوله تعالى: **(الم. ذلك الكتاب)** فالكتاب بدل أو عطف بيان.

ج) ــ ما هو من قبيل قوله تعالى:

«حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون».

(فصلت)

فان قوله **تنزيل**، خبر لقوله: حم. كما قاله الفراء وكما هو الظاهر... وجعل **كتاب**. خبراً لتنزيل، لايستسيغه الذوق السليم ولاينسجم مع المعنى المقصود، ولا سيما مع تنوين كلمة تنزيل وتنكيرها وكذلك الحال في قوله تعالى:

«الم. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين».

(السجدة)

«حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم».

(المؤمن)

وكذا الحال فيما ورد في أول سورة الجاثية والأحقاف...

وقد أعرب المفسرون، وغيرهم هذه الموارد على ان كلمة تنزيل خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلك، مع أن اعرابها على النحو الذي ذكرناه هو الأنسب والأظهر، وان كان اعرابهم لاينافي ما ذكرناه أيضاً، فإنَّ تقدير كلمة (هو) أو كلمة: «هذا» المقدرة لمبتدأ ظاهرها الإشارة الى ما قبلها أيضاً.

(د) ــ قوله تعالى:

«حم عسق. كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم».

(الشورى)

فإنَّ قوله (كذلك) يشاربها في القرآن عادة الى ماقبلها، أي كتلك الحروف التي سبقت يوحي اليك الله تعالى... أي ان آيات الله هي من جنس هذه الأحرف.

٥) ــ وبعد: فلقد جاء في رواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه، انه قال: **كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: سحر مبين تقوّله فقال الله: «الم. ذلك الكتاب».**

أي يا محمد؛ هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطّعة التي منها (الف، لام، ميم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم؛ فأتوا بمثله ان كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بيَّن أنهم لايقدرون عليه بقوله:

«قل: لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً...».[٨]

وضعف هذه الرواية لايضر ما دامت مؤيدةً بما قدَّمناه من الشواهد والدلائل... هذا على الرغم من أننا نجد في كلام المجلسي ما يشير الى امكان الإعتماد على روايات تفسير العسكري.. مع أننا لانجد مايبرر الوضع والجعل في أمر كهذا...

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين... ■

---

٨ ــ معاني الأخبار ص٢٢، وتفسير البرهان ج١ ص٥٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣، والبحار ج٩٢ ص٣٧٧، وتفسير الميزان ج١٨ ص١٦.

مناهج التفسير فى شبه القارة

حجة الاسلام
السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل
باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت مكة، منذ أقدم العصور، مدينة مقدسة، ومركزاً للعرب، وكانت تتميز بميزتين:

الأولى: هي وجود بيت الله فيها.

والثانية: انها كانت مركزاً تجارياً آنذاك ، حيث كانت بضائع الهند والسند، والحبشة، وسواحل الهند، وسيلان، واليمن، والشام، تمر من هناك .

وكانت المكانة المقدسة للكعبة من الأهمية بحيث كان الناس من غير العرب يقصدونها للحج، وكان عبدة الأوثان والصابئة واليهود والنصارى يقصدونها لأداء المراسم الدينية والإجتماع في الأسواق لغرض التجارة والتداول في الشؤون الدينية والقصص وحكايات الشعوب وابداء الآراء والأفكار ووجهات النظر السياسية وتبادل الآراء وترسيخ علاقات الصداقة ومعرفة العدو والصديق، كما كانت مركزاً للإعلام أيضاً. وكذلك كانت مكة ــ من الناحيتين التاريخية والإجتماعية ــ مكاناً جيداً يطمع فيه المستعمرون.

ونظراً لأهمية هذا المركز، فقد صمم أبرهة الحبشي الذي كان قد استقل باليمن عن الحبشة على ان يظهر قوته ويفتح مكة ويقضي على مكانتها الإجتماعية والتاريخية، إذ انها كانت تشكل خطراً بالنسبة له. لذلك استعد بكامل قواه وجهّز جيشه بالفيلة التي لم يكن العرب قد الفوها، ولكن حسن التدبير وتقدير الباري دفع كيد أبرهة وأذهب قوة جيشه وأهلكهم.

وفي تلك الظروف السياسية المتأزمة، سطع نور الحق، فولد الرسول محمد (ص) من صلب ذرية ابراهيم محطم الأصنام، وشملت رحمة الباري تعالى شعوب العالم.

أجل ولد ابن آمنة ليقطع جذور الإستكبار وعبادة الأوثان.

يقول أبوطالب رضوان الله عليه بحق محمد (ص):

«وابيض يستسق الغمام بفيضه ثمال اليتامى عصمة للأرامل»

وانقضت اربعون سنة من هجوم ابرهة على مكة. وكانت مكة تعيش حالة تزلزل في القيم والأخلاق وتناحر الشعراء، وكانت كل قبيلة تفكر في مصلحتها والإغارة على القبائل الأخرى.

وفي مثل هذه الظروف كانت هذه المسألة مطروحة في مكة وهي ان ابن عبدالله بن عبدالمطلب وابن أخي أبي وطالب يتفوه بأقوال عجيبة ويطرح أفكاراً غريبة، إذ كان لايقبل بعبادة الآلهة القديمة والأصنام التي كانت تعبد من قبل الآباء والأجداد، كما يرفض جبروت الإنسان، ويرفض أيضاً الخضوع للأصنام، ويحث على عبادة الله ونبذ عبادة الطواغيت والخضوع لهم... انه كلام غريب...

مرّت أربعون سنة والرسول يدعو الناس ــ قولاً وعملاً ــ الى التحلي بالخلق العالي الانساني، والتقوى، والمحبة وعبادة الله، والعفة، عندها عرف الناس بأن له شأناً، وسيصبح قاعدة عظيمة. وفي تلك البرهة من الزمن، نزل عليه الوحي، فدخلت دعوته مرحلة أخرى. ولم تكن دعوته مقتصرة على قراءة الآيات والتدبر فيها والاعتقاد بالله وحده، بل كانت تدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبراءة من العقائد السيئة والشرك وذم جمع المال وتجنب الجاهلية ونبذ الذين يريدون التسلط وجمع المال والذهب، وكانت تدعو للإعتقاد بالقيامة والحشر والنشر والثواب والعقاب.

وكان الناس القادمون من أطراف مكة يستمعون الى الكثير من الأقوال بشأن محمد (ص) وكان المكيون قلقين ازاء هذه الحالة ولا يصدقون أقواله (ص) ويدعون الناس الى نبذها. وبعد انتهاء موسم الحج واطلاع الحجاج من كافة الشعوب والأديان على نبأ ظهور منج للبشر في مكة، فإنَّ الناس كانوا يستفسرون عنه وعن دعوته من أهالي مكة، فكان جواب قسم منهم الإستهزاء بالحقيقة، وقسم آخر كانوا يروون القضية بتعجب، وقسم آخر يروونها ويتعاطفون معها. ومن جهة

أُخرى كان الرسول (ص) يستغل كل فرصة وكل مكان ممكن لطرض رسالته على الناس، فكانت الضجّة التي يفتعلها أعداؤه و وابل الحجارة التي كانت تنهمر عليه من قبل المشركين، سبباً في توجه أنظار الوافدين من خارج مكة نحوه، وكانت خطاباته ورسائله القصيرة والآيات القرآنية تترجم من العربية الى لغات أخرى، سواء أكانت من قبل السامعين، أو عن طريق الرواة من الواعين.

وخلاصة القول؛ ان مرحلة تفسير القرآن بدأت منذ تلك الفترة التي كانت فترة نزول الوحي. وكان تفسير القرآن من العربية الى العربية يتم من قبل الرسول نفسه، اما تفسيره الى اللغات غير العربية فكان يتم عن طريق السامعين والناقلين، وفي بعض الأوقات كان الرسول (ص) يرسل بعض أصحابه أو يستخدم الأفراد الذين يجيدون لغة أُخرى غير العربية كمترجمين لأبناء تلك اللغة. وكان من بين أصحاب رسول الله أفراد غيرعرب كسلمان الذي كان يجيد الفارسية، وصهيب الذي كان يجيد الرومية، وبلال الذي كان يجيد الحبشية. ومن غير المستبعد ان اليهود والنصارى الذين كانوا يتكلمون العربية والعبرية ولغات أُخرى كانوا يتناقلون المفاهيم القرآنية فيما بينهم حسب ما تستدعيه ضروراتهم من ضدٍّ وردّ.

ولم تكن لتنقضي خمس سنوات على نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى أرسل الرسول الأكرم(ص) أصحابه الى الحبشة، فكانت هذه أول هجرة للمسلمين[1] اما هجرتهم الثانية الى الحبشة فقد ترأسها جعفربن ابي طالب أخو علي بن أبي طالب (ع) وكانت الحبشة مملكة غريبة على المسلمين ودينها منفصلاً عن دين مكة. والظاهر ان أهل الحبشة كانوا يستفسرون عن هجرة ورسالة الرسول وأحواله. وبالطبع فقد كان المسلمون يجيبون على أسئلتهم ويقنعونهم. ووصل الحبشة اثنان من العرب يمثلان المشركين، وطلبا من النجاشي أن يسلمهم أصحاب محمد (ص) فقرر النجاشي ان يعقد مجلساً للتشاور في القضية وطرحها على الجميع ومعرفة الحقيقة.

---

١ ــ لقد بيّنت وجهة نظري السياسية والنضالية في قضية هجرة المسلمين الى الحبشة وذلك في مجلة «نقوش» سيرت نمبر، لاهور (طبع سنة ١٤٠٢هـ .ق).

أول تفسير باللغة الحبشية (الأمهرية):

وتشكل المجلس الذي حضره أعيان الدولة وأصحاب الكنيسة وممثلا مشركي مكة والمسؤولون عن المهاجرين المسلمين... ووصل الأمر الى أن قرأ جعفر بن ابي طالب آيات من سورة مريم، بعدها طرح النجاشي بعض الأسئلة. وبعد ان حصل على الجواب، توجه نحو الحاضرين، فقال: **(والله ان كلام محمد «ص» لايختلف مطلقاً عن عقيدة المسيحيين. فكل ما يقوله القرآن عن المسيح موجود في الإنجيل بحذافيره).**

وبديهي ان الأكثرية الحاضرة في المجلس بما فيها النجاشي كانت تتكلم اللغة الحبشية وكان الكلام يترجم من قبل أحد الحاضرين، وانني اعتقد بأنّ جعفر بن ابي طالب كان يجيد اللغة الحبشية، وهو الذي قام بترجمة الآيات الى تلك اللغة[٢].

ان هذه الواقعة كانت أول قضية ترجمت فيها الآيات القرآنية في مجلس يضم أشراف ذلك الزمن. اما الواقعة الثانية فكانت في منطقة سند هند المسماة اليوم بباكستان.

والظاهر ان التجار كانوا ينقلون ثقافة وآراء شعوبهم الى الشعوب الأُخرى. ومن المؤكد ان التجار الذين كانوا يحتكون بالعرب، وينقلون السلع الكثيرة عن طريق ميناءَي: «ديبل» و «سورت» كانوا مطلعين منذ بداية الدعوة الإسلامية على أول تفسير للقرآن باللغة السندهية. ومن المؤكد أيضاً انهم نقلوا الروايات والوقائع المحيرة الى شعوبهم. ومما يؤيد ذلك انتشار الإسلام عن طريق البحر في «ديبل» و «سند» و «الرور» وعن طريق البر من مناطق: «قصدار» و «كابول» و «ملتان» حيث كان المسلمون يعرفون هذه الطرق بل وعادات الناس وتقاليدهم.

كما ان التجار والسياسيين والمبلغين والسفراء والحاشية أو عامة الناس

---

٢ — يرجى مراجعة ديوان أبي طالب/ط النجف. فذلك الديوان يضم أشعاراً تدل على وجود علاقات قديمة بين الهاشميين والنجاشي.

والعسكريين، كانوا يأتون الى هذه المناطق لدراسة طبيعتها كل باختصاصه[3] وبالطبع فقد كانوا يقيمون الصلاة ويقرأون القرآن ويتباحثون مع العلماء ويترجمون مطالب وأهداف القرآن الى اللغة المحلية لكل منطقة، إلاّ ان ترجمتهم كانت تقتصر على توضيح معاني القرآن، ولم تكن عميقة تبين فلسفة الأحكام والبحث والجدل، الى ان حان يوم وصول المسلمين الى أرض باب الإسلام سنده (باكستان اليوم) ويظهر التاريخ بأن سكان هذه الأرض قاوموا المسلمين في البداية وذلك لعدم معرفتهم بهم ولكنهم سرعان ما بدأوا يحترمونهم حين اطلعوا على أخلاقهم وأفكارهم. واستمرت هذه الحالة الى ان بنى آل هبيرة مدينة باسم المنصورة[4] التي أصبحت مقراً لدولة المسلمين هناك . كان ذلك في القرن الثالث الهجري.

التفسير الأول الذي كتب في السند:

طلب الراجا رائك مهروق ــ الذي كان حاكماً على منطقة الرور ــ من عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز[5] الذي كان والياً في سنة. ٢٣٠هـ ان يفسّر القرآن له. فأمر عبدالله بن عبدالعزيز أحد العلماء العراقيين ممن كانوا يجيدون لغة الناس هناك بأنْ يفسر القرآن.

وحسب رواية السائح السند هي «بزرگ بن شهريار» صاحب كتاب عجائب الهند، فانَّ القرآن الكريم ترجم الى حد سورة يس على الأقل، وكانت الترجمة باللغة الهندية وسمعها الراجا. ونقصد باللغة الهندية، اللغة السنسكريتية التي كانت اللغة العلمية هناك ، أو السندهية التي تشكل اللغة المحلية، فلقد جاء عن بزرگ بن شهريار مايلي:

فما في الهند، ما حدثنا به ابومحمد الحسن بن عمرو بن حمّويه بن النيجري بالبصرة قال: كنت بالمنصورة في ٢٨٨هـ .ق وحدثني بعض مشايخها ممن يثق به ان ملك الرا، وهو اكبر ملوك الهند والناحية التي هو بها ــ بين قشمير الأعلى

---

٣ ــ فتوح البلدان للبلاذري /باب/فتوح السندوالهند/ ط مصر. كان المؤرخون القدامى لايعتبرون السند جزءاً من الهند، وذلك كما يظهر من البلاذري في كتابه.

٤ ــ وهي اليوم اطلال تقع في منطقة (ولاية السنده). والباكستان لها اربع ولايات هي:
١ ــ البنجاب ٢ ــ السنده ٣ ــ بلوجستان ٤ ــ سرحد.

٥ ــ يرجى مراجعة مجلة اورينتال كالج الصادرة في لاهور (باكستان) بتاريخ مايس ١٩٥٥م.

وقشمير الأسفل ــ وكان يسمّى مهروق بن رائك كتب في سنة ٢٧٠ الى صاحب المنصورة وهو عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز يسأله أن يفسر له شريعة الاسلام بالهندية فأحضر عبدالله رجلاً كان بالمنصورة أصله من العراق. وكان حسن الفهم، وشاعراً، نشأ في بلاد الهند، عرف لغاتهم على اختلافها، فعرف ما سأله ملك الرا، فعمل قصيدة ذكر فيها ما يحتاج اليه وأرسلها اليه. فلما قُرئت، استحسنها ملك الرا وكتب الى عبدالله يسأله عن صاحب القصيدة فارسله اليه وأقام عنده ثلاث سنين، ثم انصرف عنه، فسأله عبدالله عن أمر ملك الرا ــ فشرح له أخباره وانّه تركه وقد أسلم قلبه ولسانه وانه لم يمكنه اظهار الإسلام خوفاً من انكشاف أمره وذهاب ملكه، وكان فيما حكاه عنه أنّه سأله أن يفسر له القرآن بالهندية ففسره له.

قال: فأنتهيت من التفسير الى سورة (يس) قال: ففسرت له قول الله عزَّ وجلَّ: **قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَميمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذي أَنْشَأها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَليمٌ**» قال: فلما فسّرتُ له هذا وهو جالس على سرير من ذهب مرصّع بالجوهر والدّر لا تعرف له قيمة، قال لي أعد عليَّ، فأعدت، فنزل من سريره ومشى على الأرض ــ وكانت قد رشت بالماء وهي ندية ــ فوضع خده على الأرض وبكى حتى تلوّثَ وجهه بالطّين، ثم قال لي: هذا هو الربّ المعبود والذي ليس يشبهه أحد. وبنى بيتاً لنفسه وأظهر انه يخلو فيه لمهمّةٍ، وكان يصلّي فيه سرّاً من غير أن يطلع على ذلك أحد، وانّه وهب له في ثلاث دفعات ستمئة مَنٍّ من الذهب[٦].

وانني اعتقد بأن هذا التفسير كان واضحاً وسهلاً يتلاءم مع مستوى العامة، وللأسف لايوجد ــ اليوم ــ أي أثر لذلك الكتاب، والجدير بالذكر انه كان اول تفسير يكتب في الباكستان.

التفاسير الفارسية في الهند والباكستان:

ومنذ ذلك الوقت والى ما بعد فتوحات السلطان محمود الغزنوي لم نعثر على تفسير للقرآن إلاّ تفسير السيد اسماعيل محمد البخارى (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) الذي كان يفسّر القرآن للناس تفسيراً خطابياً وبيانياً باللغة الفارسية في مدينة لاهور[٧].

---

٦ ــ كتاب عجائب الهند ــ طبعة ليدن ١٨٨٣م لمؤلفه بزرگ الذي كان حياً في سنة ٣٣٩هـ .ق.

٧ ــ تذكرة علماء الهند/ تأليف رحمن علي/ ط لكهنو، وحدائق الحنفية/ تأليف فقير محمد.

ونحن نعرف بأنَّ أهم التفاسير التي كانت تطالع من قبل العلماء والمتطلعين الى القرآن، كانت عبارة عن كتاب (البيان في تفسير القرآن) لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠هـ، وتفسير الكشاف لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، والتفسير الكبير لفخرالدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وتفسير البيضاوي. وكان هؤلاء ينتخبون التفاسير ذات الأساليب الجدلية والفلسفية والعرفانية المختلفة.

وبعد ان قويت شوكة المجتمع الإسلامي، وآتَّسعت المدارس، ظهر تفسير آخر للقرآن باسم «تفسير غرائب القرآن» بقلم نظام أعرج النيسابوري القمي الدولة آبادي في منطقة الدكن. وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الحضرة الرضوية في مشهد. كما طبع هذا التفسير في ثلاثة مجلدات في طهران عام ١٢٨٠هـ، وقد ذُكر تاريخ التأليف في كل نسخة منها. والأمر الذي يثير الإنتباه ان هذا التفسير يضم نص القرآن أيضاً، وتوجد في أسفل النص ترجمة باللغة الفارسية، واعتقد ان هذا الكتاب قد تُرجم في الدكن، ويحتمل ان مترجمها أحد العلماء. واذا ما ثبت هذا الشيء فانَّ هذه الترجمة تعتبر أقدم ترجمة فارسية في الهند.

وفي عهد أكبر شاه اتسعت آفاق دراسة ومطالعة القرآن في «آكره» و «لاهور» ومنذ ذلك الزمن أصبح لدينا أربعة تفاسير مع الحواشي، منها: حاشية نورالله الشوشتري (الشهيد الثالث ١٠١٩هـ) على «انوار التنزيل» للبيضاوي ورسائل ومباحث أُخرى على الآيات بالعربية، إلاَّ ان أشهر تلك التفاسير هو تفسير علي رضا تجلّي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ.

وأول من غيَّر طريقة التفسير وأوجد فيها تحولاً، هو العالم الكبير الحنفي ولي الله المحدث الدهلوي (المتوفى سنة ١١٧٦هـ) الذي ألَّف كتاب (الفوز الكبير في أُصول التفسير) باللغة العربية، وطبع عدة مرات، وقد أوصى المؤلف المذكور بترك تقليد القدماء، وألَّف كتاباً باسم «حجة الله البالغة» بيَّن فيه فكر وفلسفة المجتمع وأُسلوب التفكر في الحديث والقرآن.

وفي القرن الثالث عشر الهجري دخل الإنجليز بسياستهم وثقافتهم الى الساحة، وأصبحوا حجر عثرة في طريق تقدم المسلمين في شبه القارة الهندية، وعملوا على سلب الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون الهنود منذ سبعمائة سنة. وبالرغم من مجاورة المسلمين للهندوس، إلاَّ ان علاقتهم بالقرآن والعلوم القرآنية

حالت دون تسرب فلسفة وعقائد شعوب الهند ومذاهبها الى تفاسير المسلمين. فالثقافة الإسلامية تسود كل مكان، وان اللغتين العربية والفارسية هما اللغتان العلميتان المتبعتان في التدريس هناك . وخلاصة كلامنا ان أهداف ومناهج تفسير القرآن كانت منذ القرن الثالث وحتى القرن الحادي عشر الهجري على الشكل المدرج أدناه:

١ ــ ابلاغ المواضيع القرآنية الى عامة المسلمين عن طريق اللغة الفارسية المبسطة واللغة العربية.

٢ ــ تفسير القرآن بطريقة علمية تتناسب مع فقه واعتقادات عامة الناس.

٣ ــ البحث في القراءة والصرف والنحو وبيان ربط الآيات والسور.

٤ ــ البحث في الفلسفة ــ بصورة مختصرة ــ والأدب، والبحث في آراء المفسرين وخاصة الشيعة والسنة منهم.

٥ ــ العرفان والتصوف.

٦ ــ والطريقة الخاصة والمتبعة هي استعمال اللغة العربية والفارسية، وقد استعملت اللغة الفارسية أكثر من اللغة العربية. وترك دخول القوات الإنجليزية وتسلطها على شبه القارة الهندية أثرين هما :ــ

١ ــ نشر وتوزيع الكتب والرسائل الدينية المسيحية بين الناس، وحث المسلمين على ترك دينهم ليصبحوا نصارى، والتحامل على القرآن والعقائد الإسلامية.

٢ ــ توزيع نسخ محرفة من القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والاردية وبالحروف الإنجليزية أولاً، والاردية ثانياً. ولذلك أُجبر المسلمون على النهوض والدفاع عن القرآن، فاستعملوا اللغة الاردية في الكتابة. وكانت تلك الخطوة تحولاً. عظيماً جعل تفسير القرآن في متناول عامة الناس بعد ان كان مقتصراً على طلبة العلوم الدينية.

بدء التفسير باللغة الاردية:

وقد وضعت عدة تفاسير وتراجم للقرآن اشتهرت بالحواشي، وكان الهدف منها هو حث المسلمين على عدم قراءة التفاسير الأُخرى، ولم تتطرق هذه التفاسير

الى القصص القرآنية والتفاصيل، وكانت بعيدة عن الإختلافات المذهبية.

وفي هذه الاثناء ادعى السيد «أحمد خان» الذي يعتبر مؤسس جامعة علي گره (مسلم يونيورستي) انه تمكّن من ان ينسق أفكار ووجهات النظر الاوروبية مع أفكار المسلمين. وكانت وجهة نظره تتلخص في جمع القولين المسيحي والإسلامي وما يقوله التوراة والإنجيل وما يقوله القرآن. ونتيجة لضغط الإنجليز عليه لم تتحقق أمنيته. وللسيد أحمد خان رسالة مستقلة يبيّن فيها وجهة نظره وطريقته الجديدة في التفسير، فلقت أنظار العلماء والجماهير نحوه. وللمزيد من الاطلاع يرجى ملاحظة كتاب «مكاتبات الخلان»[٨] وكتاب «التحرير في أُصول التفسير».[٩]

وبعد ذلك بدأ تفسيره للقرآن، ولكنه لم يتم تفسيره بالرغم من انه فسّر بعض السور والآيات وجمعها في كتاب أسماه «**التفسير الأحمدي**» وقد طبعت ترجمته الفارسية في طهران.

وبعد شيوع هذه الأفكار، وقف جميع المسلمين والعلماء في شبه القارة بوجهها، ولكنّ الإنجليز أيّدوا السيد أحمد خان. كما ان السيد جمال الدين الأسدآبادي أصدر بيانات ردّ فيها على أفكار السيد أحمد خان، كما ألّف كتاباً باسم «**رسالة رد نيچرية**» للغرض نفسه. وعلى اثر ذلك ظهرت تفاسير مهمة، كما ظهرت أساليب جديدة للتفسير، منها: أساليب مدرسة المفكرين المتغربين بزعامة «مولوي چراغ علي» و «سيد أحمد خان»، والمدرسة الإسلامية الحقيقية. ومن المفسرين الذين ينتمون الى هذه المدرسة: عبد الحق حقاني صاحب تفسير حقاني (وهذا التفسير يضم عدة مجلدات و يرد فيها على سيد أحمد خان والنصارى)، وتاج العلماء سيد علي محمد (الذي كتب رسالة للرد فيها على أفكار سيد احمد خان)، وسيد محمد حسين محقق هندي الذي ألّف كتاب «اتقان البرهان» في تفسير سورة الإسراء. وقد اتبع هؤلاء العلماء نفس الأُسلوب الذي اتبعه الشيخ محمد عبده ورشيد رضا والشيخ جواد البلاغي ــ في الدول العربية ــ ونعني بهذا الأُسلوب، محاربة الأفكار الإستعمارية، وعدم الخضوع لها، والإتكال على القرآن في كل

---

٨ ــ طبع محمد عثمان مقبول ــ سنة ١٩١٥م.

٩ ــ طبع آگره/ الهند سنة ١٨٩٢م.

مكان.

إذن علينا ان نبدّل الأُسلوب التقليدي، وأنْ نرفع المستوى الفكري، وأنْ لا تكون نظرتنا ضيقة ومحصورة في محيط واحد.

ان القرآن كتاب للجميع، لذلك يلزم علينا ان نعمل على إثمار هذه الجهود.

لقد تحررت شبه القارة وأقام المسلمون هناك دولة باسم جمهورية باكستان الإسلامية.

منهج التفسير في هذا العصر:

وملخص القول ان هناك نهضة فكرية للتفسير ظهرت ابتداءً من القرن الثالث عشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر، وكانت عبارة عن:

١ ــ الضغط على الأفكار الإستعمارية والرد عليها.

٢ ــ العمل على وحدة الشعب، والإستعداد من أجل الكفاح ضد التفرقة بالإتكال على القرآن، إلاّ ان تلك الجهود كانت تتقدم ببطء.

٣ ــ تغيُّر طريقة التفسير والبيان، وظهور ظاهرة الدفاع والنضال بصورة تدريجية.

٤ ــ رغبة الناس خلال هذه الفترة الزمنية في ايجاد حل قرآني للمسائل المستحدثة، كمسألة نظام الحكم والسياسة والإقتصاد والحرية.

هذه أهم النقاط التي أدخلت القرآن في معترك الحياة هناك.

ان استقلال شبه القارة الهندية ووجود دولة باكستان، فتحا آفاقاً جديدة للأفكار الإسلامية، وبدأت الإستفادة مجدداً من كنوز القرآن. وكان للباكستان كسائر الدول الإسلامية مدرستان: الأُولى مدرسة ما يسمى بالمثقفين بزعامة سيد أحمد خان، والأُخرى بزعامة السيد جمال الدين الاسدآبادي. وقد استفاد أغلب الباكستانيين من العلاّمة اقبال الذي استفاد هوبدوره من الشيخ عبد علي الهروي الطهراني. كما ظهرت مدرسة العلماء الربانيين التي ترأسها محمود حسن من السنة، ومقبول أحمد من الشيعة. ومنذ اعلان استقلال الباكستان ولحد الآن ظهرت تفاسير كثيرة للقرآن بأساليب سياسية وتحررية وتتعلق بالشؤون الثقافية والاجتماعية، كما أُنجزت أعمال كثيرة في هذا الصدد.

وأشرقت شمس الإسلام في ايران الإسلام، وانتصرت الثورة الإسلامية. ونظراً لاتكال هذه الثورة على القرآن والسُّنَّة النبوية، فقد طرحت التعاليم الإسلامية بشكلها الحقيقي والجلي، بحيث أصبحت مصدر قوة للمسلمين، فأحرزوا وبعون الله انتصارات على القوى العظمى، كما اثبتت هذه الثورة بأنَّ الإسلام حي وخالد ويحظى بدعم كل مستضعفي العالم.

انني أدعوكم وضمن تعريفي لتأريخ التفسير، ومناهج التفسير في شبه القارة، أدعوكم الى مراجعة مقالتي المنشورة في كتاب «دائرة معارف اسلامية اردو» في جامعة لاهور. كما أرجو ان تطالعوا الكتب الأُردية، ذلك ان اللغة الاردية تعتبر من اللغات العالمية المهمة وهي لغة المسلمين وغير المسلمين في الهند والباكستان وفي أماكن أُخرى.

منهج التفسير باللغة الفارسية:

لابُدَّ ان نشير الى ان مطالعة العربية والفارسية من قبل أبناء شبه القارة تعود الى ستمائة سنة خلت، كما انهم ألَّفوا كتباً في هذا المجال. وتعتبر بعض هذه التفاسير من التفاسير القيِّمة نذكر بعضاً منها هنا:

١ ــ تفسير غرائب القرآن في رغائب الفرقان، تأليف محمدبن حسين الشافعي القمي الدولة آبادي والمعروف بتفسير النيسابوري.

ان هذا التفسير طبع في مصر على حاشية تفسير الطبري دون وجود النص القرآني والترجمة الفارسية.[١٠] و يوجد هذا التفسير في ايران مع ترجمة فارسية، و يوجد أصل هذه النسخة في المكتبة الرضوية وهو مخطوط في حيدرآباد، وتعتمد هذه الطريقة من التفسير على ترجمة الآيات القرآنية من التفسير العربي الى الفارسية. و يعتبر هذا الكتاب أول نموذج لذلك. كما يوجد كتاب تفسير خواجكي شيرازي في بعض الفهارس، وهو خلاصة تفسير «مجمع البيان» للطبرسي[١١] وهناك تفاسير مبسطة ومفهومة مع ترجمات كثيرة لا تعرف أسماء اصحابها.

١٠ــ مصر/ سنة ١٣٢١هـ . ق وقبل هذا التاريخ في طهران.

١١ــ مقدمة التفسير بقلم علي تقي/ط لكهنصوص ٢٣١ واستوري.

٢ ــ تفسير (بحر مواج) بقلم شهاب الدين الدولة آبادي (قاضي جون پورهند) و يعتمد على النهج الهندي، وهو من التفاسير القديمة، ويحتوي على بحوث لغوية وأدبية في اللغة العربية وفي العقيدة، وقد دافع المؤلف في كتابه عن الفقه الحنفي.

٣ ــ تفسير علي رضا تجلي المتوفى في حدود سنة ١٠٨٥هـ وكان من التفاسير المشهورة عند الشيعة.

٤ ــ تفسير نورالدين نعمة الله ولي الشافعي، وهو تفسير ضخم ومعروف باسم «نعمت عظمى» ومنهج هذا التفسير يعتمد على أُسلوب الأساتذة القدماء باللغتين الفارسية والهندية ويحتوي على مباحث فقهية وفق المذهب الشافعي. وهذا التفسير موجود في مكتبة المرحوم السيد علي الحائري في لاهور.[١٢]

٥ ــ ترجمة ومقدمات ومباحث تفسير شاه ولي‌الله محدث دهلوي المتوفى سنة ١١٧٦هـ وهو من التراجم القيِّمة.

٦ ــ تفسير «لوامع التنزيل» للسيدأبي القاسم الحائري المتوفى سنة ١٣٢٣هـ وابنه المتوفى سنة ١٣٦٠هـ وهو تفسير في أكثر من عشرين مجلداً، ولقد رأيت المجلد السابع والعشرين منه ــ وبخط المؤلف ــ وكان قد وصل في تفسيره الى الآية العاشرة من سورة القمر.

فهرست التفاسير العربية:

هناك تفاسير للقرآن الكريم أو بعض آياته وسوره باللغة العربية، وهي كثيرة. ومن التفاسير القيِّمة والتي تستحق المطالعة:

١ ــ تفسير «تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير الى اعجاز القرآن» تأليف مخدوم على مهائم المتوفى سنة ٨٣٥هـ وطريقة المؤلف في التفسير واضحة من اسم الكتاب. فبعد ان يتطرق المؤلف الى اعجاز ربط الآيات القرآنية والسور، فانه يتطرق الى فلسفة وعرفان ابن العربي والفقه الشافعي. كما ان

١٢ــ تجدرالاشارة الى اني نسبت الكتاب الى نعمة خان عالي شيرازي وذلك في كتاب دائرة معارف اسلامية نقلا عن استوري وعلى نقي ولكني عندما لاحظت الكتاب تبيَّن لي بأنَّ الكتاب لايعود الى نعمة خان عالي شيرازي.

أسلوبه يعتبر ممتازاً وسلساً وغير معمَّق.

٢ ــ «منبع عيون المعاني» تأليف الشيخ مبارك بن خضر ناگوري السندهي المتوفى سنة ١٠٠١هـ، وقد استخدم الكاتب أُسلوب فخرالدين الرازي، ولم يكن هذا الكتاب في متناول اليد الى ان أخبرنا السيد آقا مهدي بأنَّ ذلك الكتاب موجود بكامله في مكتبة جدّه ممتاز العلماء في لكهنو (في الهند).

و يوجد تفسير عجيب للقرآن باسم «سواطع الإلهام» لمؤلفه الملا فيضي بن الملا مبارك، طبع هذا التفسير في لكهنو عدة مرات. وتجدر الإشارة الى ان «الملافيض» كان شاعر «اكبر شاه التيموري» وقد توفي سنة ١٠٠٤هـ.

٣ ــ «التفسير المظهري» تأليف قاضي محمد ثناء الله باني بتي الحنفي/ المتوفى سنة ١٢٢٥هـ. ويدور البحث في هذا الكتاب عن الصوفية والفقه والعقائد الحنفية وهو كتاب مطبوع ومعروف عند الحنفية وله منهج جدلي.

٤ ــ تفسير «فتح البيان في مقاصد القرآن» تأليف نواب صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧هـ. وقد طبع في بولاق والهند وهو تفسير سلس ورائع وموضوع بمنهج جدلي. والمؤلف له كتاب آخر هو «نيل المرام في أحكام القرآن» وهو مطبوع أيضاً.

٥ ــ «تفسير القرآن بكلام الرحمن» تأليف ثناء الله ارتسري المتوفى سنة ١٩٤٨م وهو مطبوع أيضاً. وبما ان هذه التفاسير تخلو من ذكر أهل البيت وتتحامل على عقائد الشيعة فان طريقة التفسير عند الشيعة تظهر فضائل أهل البيت (ع) وترد على إشكالات المعترضين.

٦ ــ «تفسير روائع القرآن في فضائل أُمناء الرحمن» تأليف ميرمحمد عباس شوشتري لكهنوي المتوفي سنة ١٣٠٦هـ. طبع هذا الكتاب سنة ١٢٧٧هـ في لكهنو.

تفاسير القرآن باللغة الإنجليزية:

والشيء الملفت للنظر فيما يتعلق بتفسير القرآن في شبه القارة هو تفسيره باللغة الإنجليزية. فقد كان العلماء يعتقدون بأنَّ عليهم تفسير القرآن باللغة الإنجليزية ليتسنى للإنجليز دراسة القرآن، ومن هؤلاء العلماء السيد حسين بالكرامي، وأبوالفضل إله آباد و بادشاه حسين سيتابوري، وافتخار حسين،

ومارمادیوك بكتهال. وهناك أشخاص آخرون فسّروا القرآن بالإنجليزية، ومن أشهر هؤلاء:

١ ــ عبدالله يوسف علي. طبع تفسيره في لاهور، وهو تفسير قيّم من حيث البساطة واللغة الأدبية.

٢ ــ ميرزا محمد مهدي بويا ومير أحمد علي وتفسيرهما مطبوع في كراتشي، و يعتبر هذا التفسير ممتازاً من الناحية العرفانية والفلسفية وتعريف مدرسة أهل البيت (ع).

٣ ــ ترجمة محمد عسكري جعفري مع حواشي ام. ايچ شاكر. طبعت مع النص في طهران عده مرات.

ومما تجدر الإشارة اليه هوان القرآن قد تُرجم الى الإنجليزية ولغات أُخرى من قبل الفرقة القاديانية، وهذه الفرقة شأنها شأن الفرقة البهائية تعتبر من الفرق الخارجة على الإسلام وعميلة للمستعمرين، وللأسف فإنَّ بعض المسلمين لايعون هذه الحقيقة، ويقدّمون المساعدات لتلك الفرقة.

وبالاضافة الى هذه التفاسير، هناك تفاسيرأُخرى باللغات المحلية في شبه القارة كاللغة السندهية والبنجابية ولغة البشتووالكجراتية، اما الأساليب المتبعة في هذه التفاسير فهي أساليب تخلو من هدف معين، وكانت فكرية بحتة وتبيّن وجهة نظر المفسر، كما ان أكثر هذه التفاسير هي تفاسير تقليدية إلاّ انها تمتاز بميزات جيدة.

أسلوب ومنهج التفاسير باللغة الاردية:

للتفسير باللغة الأُردية ميزات منها:

١ ــ توضيح التعاليم القرآنية لكافة المسلمين.

٢ ــ الرد على الحملات الإعلامية التي يشنها غير المسلمين ضد الإسلام.

٣ ــ اتباع الأُسلوب الفكري أو الإبتكار في أُسلوب التفسير.

٤ ــ الأُسلوب الأدبي والخطابي السلس بأقسامه المختلفة.

٥ ــ استعمال التفسير للرد على عقائد وأفكار المذاهب الإسلامية بأُسلوب عرفاني ومنطقي وجدلي وفقهي واعتقادي.

٦ ــ تفسير القرآن بالأسلوب الفكري والسياسي والثقافي والإجتماعي

بحيث يتلاءم مع وجهة نظر القرآن.

وبما ان هذا الموضوع عميق، فاننا سوف نتطرق الى تفاصيله في مناسبات أُخرى. ونورد هنا أسماء بعض أهم المفسرين ومنهم عبدالحق حقاني صاحب «تفسير حقاني» ومولانا أحمدرضاخان بربلوي، ومولانا أشرف تهانوي، ومولانا محمود حسن وشبير أحمد عثماني، ومولانا ابو الأعلى المودودي.

ومن أشهر المفسرين من علماء الإمامية الذين رحلوا الى دار الآخرة؛ تاج العلماء علي محمد، ومحمد قلي خان، وعمار علي، ومقبول أحمد، وحافظ فرمان علي، وراحت حسين كويال بوري، وامداد حسين كاظمي.

وقد استخدم هؤلاء أُسلوب الدفاع عن القرآن الكريم وأهل البيت (ع) في تفاسيرهم، كما قام ميرزا امدادعلي بترجمة تفسير (خلاصة المنهج) من اللغة الفارسية الى اللغة الاردية.

وكما أوضحنا سابقاً فانَّ منهج تفسير القرآن الكريم قد تغيَّر الى حدٍ ما بعد استقلال الباكستان، حيث ظهر اتجاهان فكريان، أحدهما قومي والثاني يقوم على أُسس إسلامية. وكانا في نزاع وجدل الى ان انتصرت الثورة الإسلامية في ايران، حيث شكلت دعماً قوياً للاتجاه الفكري الإسلامي الذي تمكَّن من مجابهة المتغربين من أصحاب الميول الغربية.

كما كانت هذه الثورة المباركة بداية لتحول عميق في مجال تفسير القرآن الكريم، سيساعد فيما بعد على تصدير الثورة الإسلامية الى الدول الأُخرى.

وبديهي ان عملية تصدير ثورة بلدٍ ما الى البلدان الأُخرى بحاجة الى وقت كاف. لكن ومن المسلَّم به هو ان الثورة الإسلامية في ايران تركت آثاراً على الشباب المسلم، حيث بدأ هؤلاء يتلهفون لقراءة التفاسير القرآنية أو الإستماع لها ■

تفسير القرآن بالقرآن
بالنظر لترابط آياته

الأستاذ بي آزار الشيرازي/ ج. !!

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنَّ أفضل طريق لمعرفة القرآن، هوالقرآن نفسه، ذلك ان القرآن ميزان[1]، و يفسر بعضه بعضاً.[2]

ولقد استفاد المفسرون الى حدٍ ما من تفسير القرآن بالقرآن، ولكن استفادتهم كانت تتم عادة دون التوجه الى ارتباط آيات ومواضيع السور، فكانوا يفسّرون كل سورة أو أي جزء منها بصورة منفصلة عن مجموع السورة. ولهذا السبب كان الإنسان يستفيد من بحر القرآن، استفادة محدودة، أوانه كان ينحرف عن مقاصد وأهداف القرآن، فيفسّر القرآن حسب رأيه.

يقول البروفسور عرفان شهيد في مقالته تحت عنوان:

A Contribution to Qur'anic Exegesis

إن العناية بارتباط آيات السورة عند تفسير القرآن، أمر يحظى بالأهمية، لأنَّ تجزئة آيات القرآن، وتفسير كل منها منفصلة عن مجموع السورة، أمر يضر

---

١ ــ سورة الشورى ــ الآية ١٧، وسورة الحديد ــ الآية ٢٥.

٢ ــ يراجع «تفسير الدر المنثور» ج ٢ ص ٦، و نهج البلاغة، الحكمة: ١٨ (ان الكتاب يصدق بعضه بعضاً) وكذلك «الشيعة في الإسلام» للعلامة الطباطبائي ص ٩. على سبيل المثال، ان الآية ٦٩ من سورة النساء: «الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» هي أفضل تفسير للآية (٦) من سورة الحمد: «صراط الذين انعمت عليهم».

بالقرآن أكثر من أي شيء آخر.[1]

وللأسف فإنَّ بعض المفسرين[2] وأغلب المستشرقين، تصوَّروا بأنَّ القرآن عبارة عن آيات متفرقة، جمعت مع بعضها البعض عن طريق الصدفة، ولكن مطالعة تاريخ نزول وجمع القرآن تظهر بأنَّ القرآن ورغم نزول أجزائه على الرسول (ص) خلال فترة تمتد أكثر من عشرين سنة، إلاَّ ان الرسول الأكرم (ص) كان يعيِّن مكان كلٍ منها[3]، كما ان الصحابة حفظوا ودرسوا القرآن وفق نفس الترتيب الذي عيَّنه الرسول (ص).[4]

وقد يكون سبب وجوب قراءة سورة كاملة بعد سورة الفاتحة عند الصلاة وفق الفقه الشيعي، يعود الى ارتباط الآيات، إذ لا تكفي قراءة جزءٍ من سورة ما بعد سورة الفاتحة.

ومن المفسرين القدامى الذين فسَّروا القرآن وفقاً لارتباط آياته؛ الإمام فخر الدين الرازي في تفسير «مفاتيح الغيب» و برهان الدين ابراهيم عمر البقاعي (٨٠٩- ٨٨٥هـ .ق) في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ونظام الدين حسن بن محمد القمي النيسابوري في كتاب «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، وابو اسحق أحمد بن ابراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ .ق) في كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، وابو بكر بن العربي في كتاب «أحكام

١- Arabic and Islamic Studies un Honour of H.A. R. Gibb, ed 1965, P. 519

٢ ــ إنَّ أكثر المفسرين عند تعرضهم الى آيةٍ من الآيات، كانوا يركِّزون كثيراً على الكلمات بالروايات والتفاصيل والإشكالات الى درجة ان الارتباط القائم بين الآيات كان يبدو معدوماً أو على الأقل ضعيفاً.

٣ ــ جاء في كتاب (سنن أبي داوود) ص ٣١ عن ابن عباس: «عندما كان الوحي ينزل على الرسول الأكرم (ص)، كان يدعو كُتَّاب الوحي و يقول لهم: «ضعوا هذه الآيات الى جانب الآية الفلانية من السورة الفلانية» النقل بالمعنى.

٤ ــ أُنظر الى «الاتقان»: ج ١ ص ٩٩، و «البرهان» ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٣٧ ــ و «مقدمتان في علوم القرآن»: ص ٤٨ و ٤٩، ٤ ٦-٤ ٧ـ و «سفينة البحار»: ج ١ ص ٣٢٦، ٥٢٧- و «المرشد الوجيز»: ص ٤٤- و «تفسير الصافي»: ج ١ ص ٢٤- و «مجمع البيان»: ج ١- ص ٣١، و يراجع أيضاً:

Baver (H): Uber die Anordnugder Soren and uberdie Geheimnis vollen Bucnst aben im QURAN

Dans Zomg, LXXV (1921) 1-2
Blacher, intr. du Qoran. P.P. 50-51

القرآن»، ومن المفسرين الجُدد الذين فسَّروا القرآن وفقاً لارتباط آياته: الشيخ محمود شلتوت في كتاب «تفسير القرآن الكريم والى القرآن الكريم».

و يعتبر (A. Gullane) أحد المحققين الأُوروبيين الذين اهتموا بارتباط الآيات القرآنية.[1]

اننا نعتقد بأن مطالعة الآيات القرآنية في إطار مجموع السورة، هي أفضل وسيلة لتوضيح الكثير من الأمور المبهمة والمتشابهة في القرآن، وتفتح أمامنا باباً للدخول في معاني القرآن الباطنية[2] كما وتساعدنا على معرفة الأمر التالي وهو أن الآيات والقصص المتكررة في القرآن مثل قصة آدم التي ذُكرت في ست سور، لها معنى خاص ومناسب لكل سورة، وهي في الحقيقة لا تعتبر تكراراً.

لقد اختبرنا تناسق وارتباط الأقسام المختلفة من السورة بالإعتماد على آيات القرآن في سور مختلفة كسورة البقرة وسورة الأعراف، فتوصَّلنا الى نتائج نعرض نموذجاً منها خلال هذه الدراسة:

«ارتباط الآيات والمواضيع في سورة البقرة»

التقوى ــ خلافة آدم ــ بنو اسرائل ــ آل ابراهيم ــ رسالة الرسول (ص) واستقلال المسلمين ــ الشجرة المنهية والحدود الإلهية.

جاء في بداية سورة البقرة بأنَّ القرآن هو هدىً للمتقين، ثم تقسِّم (أي السورة) الناس الى ثلاثة أقسام: متقين، وكافرين، ومنافقين، بعدها تستعرض قصة خلق العالم وخلافة آدم في الأرض، ثم تتطرق الى قصة من قصص بني اسرائيل، و بعد ذلك تتطرق الى إمامة ابراهيم (ع) وذريته، ثم تبيِّن حوالي ٥٠٠

١ــ The meaning of Amaniya in Sura. 2: 73-ing Kritzeck and B. Winder (edd): The World of Isla-London, 1959. PP. 41-46

٢ ــ إنَّ من أحد اعتبارات القرآن هو تعدد أبعاده، و تشير الروايات الواردة عن الشيعة والسنة ان القرآن له باطن وظاهر. و بتنقل عن الرسول الأكرم (ص) ان القرآن له ظاهر (جميل) و باطن (عميق). ولمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة نهج البلاغة ج ١ ــ وتفسير الطبري ج ١ــ ص ٦٨، ٧٥ــ وتفسير مرآة الأنوار أبوالحسن قنوني ــ و بحار الأنوار ج ١ــ ص ١٣ وسفينة البحار ج ٢ ص ٤١٣.

حكم من الأحكام الالهية.

لكن ماهي علاقة كل هذه المواضيع المختلفة بموضوع التقوى والمتقين؟ ثم علاقة قصة آدم بقصص بني اسرائيل؟ وعلاقة هذين الموضوعين بقصة ابراهيم (ع)، وعلاقة الخمسمائة حكم إلهي بموضوع التقوى والمتقين، وقصة آدم أو علاقة خلافة آدم بالتقوى، وقصة بني اسرائيل وامامة آل ابراهيم (ع). كل ذلك يمكن آستخراجه من ارتباط الآيات مع بمجموع السورة.

١ ــ علاقة التقوى وخلافة الأرض:

«ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»

(الأعراف ــ ١٢٨)

هذه الآية تمثل وصية موسى (ع) لقومه من أجل نيل الإنتصار ووراثة وخلافة الأرض التي تتأتي في ظل التقوى والاتحاد والتعاون والتضامن. وهذا الإتحاد يقوّيهم وبالتالي ينصرهم على أعدائهم غيرالمؤمنين والمتفرقين.

ومن جهة أُخرى فإنَّ الباري عزَّوجلَّ قد أورث و يورث الأقوام والشعوب، خلافة الأرض، كي يبلوهم في تقواهم.

قال تعالى:

«وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات ليبلوكم فيما آتاكم»

(الأنعام ــ ١٦٥)

أجل يريد الله ان يبلو المستضعفين الذين اصبحوا خلفاء وأئمةً، فيزيد عليهم النعم بصورة تدريجية ليرى هل أنهم سينجرّون نحوالماديات ويجعلون لله شريكاً، أم انهم سينوجهون نحوالله فيشكرونه على نعمه و يترسخ ايمانهم اكثر من ذي قبل؟ وهل سيتخلون عن أخلاقهم الإلهية و يتحلّون بالصفات الشيطانية؟ أم انهم سيسعون في تحكيم الصفات الإلهية عندهم؟ ومن الناحية العملية هل ستجبرهم روح التكبر والغرور على استغلال وظلم ضعفاء الناس اذا ما وصلوا الى السلطة وتحسّنت أوضاعهم كما هو الحال عند أغلب الشعوب القديمة أم انهم سيتبعون سبيل التقوى و يساعدون الآخرين؟

وحسب ما جاء في الآية المذكورة فإنَّ (العاقبة للمتقين).

والآن و بعد ان اتضحت علاقة التقوى والخلافة، نلقي نظرة الى سورة البقرة فنرى ان مسألة خلافة آدم في الأرض قد ذُكرت بعد الموضوع الكلي للتقوى والمتقين والأصناف الثلاثة من الناس؛ المتقون والكافرون والمنافقون، مقابل الهداية الإلهية، ثم تتطرق السورة بعد ذلك الى مصير بني اسرائيل كنموذج للقوم غيرالمتقين وغيراللائقين لخلافة الأرض، ثم تتطرق الى مصير ابراهيم (ع) وآله الأطهار باعتبارهم نموذجاً للتقوى واللياقة للإمامة وخلافة الأرض مقابل بني اسرائيل.

إذن فانَّ مسألة التقوى، وخلافة آدم، وقصص بني اسرائيل، وامامة ابراهيم (ع) وآله الصالحين، أُمور مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطاً كاملاً.

٢ ــ علاقة قصة آدم و بني اسرائيل:

«المركتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»

(هود ــ ١)

ان التوجه الى ارتباط الآيات، يظهر بأنَّ أُسلوب القرآن في تبيين المواضيع، يتمثل في الوهلة الأولى في تبيين المواضيع بصورة اجمالية وكلية، ومن ثم تفصيلها.

ففي قصة بني اسرائيل نلاحظ كيف أنعم الله على بني اسرائيل بأنواع النعم؛ كنعمة الحياة، والاستقلال، والحرية، والنعم الموجودة في الأرض... والخ، كما فضَّلهم على العالمين، واستخلفهم في الأرض، وأسكنهم أرض كنعان المباركة. غير ان هؤلاء القوم اثبتوا عدم جدارتهم وأهليتهم، فلم يفوا بالوعود الإلهية واتبعوا الشياطين، واصبحوا نتيجة لذلك في عداد زمرة الظالمين، فاستحقوا العقاب، ولكن رحمة الله واسعة، فهو يقبل التوبة، و يؤكد ألطافه ونعمه عليهم، ويجدد عهده معهم، و يتم حجته عليهم، ليرجعوا الى طريق الحق، ويهتدوا على يد الرسول(ص) ويصبحوا من المتقين. الجدول في أدناه نموذج من الترابط القائم بين قصتي آدم و بني اسرائيل:

	قصة آدم	رقم الآية	قصة بني اسرائيل	رقم الآية
١	اذقال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة	البقرة ٣٠	قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم	الأعراف ١٢٩
٢	قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء.	البقرة ٣٠	ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم	البقرة ٨٥
٣	واذقلنا للملائكة اسجدوا الآدم	البقرة ٣٤	واذ قلنا... وادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حطة.	البقرة ٥٨
٤	فسجدوا إلاّ ابليس.	البقرة ٣٤	فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم.	البقرة ٥٩
٥	أبى واستكبر.	البقرة ٣٤	أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم.	البقرة ٨٧
٦	وكان من الكافرين.	البقرة ٣٤	وآمنوا بما انزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به.	البقرة ٤١
٧	وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة.	البقرة ٣٥	واذ قلنا ادخلوا هذه القرية (الأرض المقدسة).	البقرة ٥٨
٨	وكلا منها رغداً حيث شئتما.	البقرة ٣٥	فكلوامنها حيث شئتم رغداً.	البقرة ٥٨
٩	ولا تقربا هذه الشجرة.	البقرة ٣٥	ولا تعثوا في الأرض مفسدين.	البقرة ٦٠
١٠	فتكونا من الظالمين.	البقرة ٣٥	ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون .	البقرة ٥١
١١	فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه.	البقرة ٣٦	واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان.	البقرة ١٠٢
١٢	وقلنا اهبطوا.	البقرة ٣٦	اهبطوا مصراً فأن لكم ما سألتم.	البقرة ٦١
١٣	بعضكم لبعض عدو.	البقرة ٣٦	وضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله.	البقرة ٦١
١٤	ولكم في الأرض.	البقرة ٣٦	قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض.	المائدة ٢٦

١٥	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	البقرة ٣٧	ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون.	البقرة ٥٢
١٦	انه هوالتواب الرحيم.	البقرة ٣٧	فتاب عليكم انه هوالتواب الرحيم.	البقرة ٥٤
١٧	قلنا اهبطوامنها جميعاً فاما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون	البقرة ٣٨	ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون.	البقرة ٦٢

٣ ــ علاقة بني اسرائيل بآدم و ابراهيم (ع):

إنَّ قصة ابراهيم (ع) كقصة بني اسرائيل، تمثل مصداقاً آخر لقصة آدم في مسألة الخلافة، ولكن بهذا الفارق وهو ان احداهما تظهر النقاط الموجبة والحسنة من قصة آدم، بينما الأُخرى تظهر النقاط السلبية منها.

ففي قصة آدم يقول عزَّ وجلَّ، «**اني جاعل في الأرض خليفة**» فتجيبه الملائكة: «**اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء**»؟ فيرد الباري «**اني أعلم مالا تعلمون**» اما قصة بني اسرائيل فهي تفسير ومصداق مفصل للجوانب السلبية لخليفة الأرض، حيث تطرح الملائكة سؤالها بالنظر الى ذلك، كذلك فإنَّ قصة إمامة ابراهيم واسماعيل «ع» والرسول الأكرم (ص) و سائر آل ابراهيم الأطهار هي مصداق للجوانب الايجابية لهذه الخلافة، كما تعتبر جواباً مفصلاً عن سؤال الملائكة في تفسير الجواب الإجمالي: «**اني أعلم مالا تعلمون**».

	بنو اسرائيل	آل ابراهيم
١	الآية ٣٠ من سورة البقرة تظهر استشكال الملائكة، وتظهر نموذجا من البشر المفسدين والقتلة وعديمي التقوى «قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء».	الجانب الثاني من الآية ٣٠ من سورة البقرة (قال اني اعلم ما لا تعلمون) هوجواب مفصل على اشكال الملائكة مع بيان نموذج من البشر الصالحين والمتقين.
٢	الآيتان (٨٤، ٨٥) من سورة البقرة تظهران أنَّ سيرة بني اسرائيل هي نموذج من الافساد واراقة الدماء.	الآية (١٢٤) من سورة البقرة تبيّن بأن سيرة ابراهيم وآله الطاهرين هي نموذج من الكمال واللياقة.

بنو اسرائيل	آل ابراهيم
٣ الآية ٢٦ من سورة المائدة تبيّن عدم نجاح بني اسرائيل في الاختبار الالهي «فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون»	الآية ١٢٤ من سورة البقرة والتي تخص قصة ابراهيم تبيّن نجاح ابراهيم في الاختبار الالهي. «واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن» ملاحظة: يرجى مقارنة ذلك بالامتحان الذي امتحن به آدم بالكلمات.
٤ الآيتان (٩٥، ٥١) من سورة البقرة تبيّنان بأن بني اسرائيل مظهر للظالمين.	الآية (١٣٠) من سورة البقرة تظهر بأن ابراهيم (ع) كان مظهرا ونموذجا للصالحين.
٥ الآية (٦١) من سورة البقرة تبين ان بني اسرائيل يتحلون بروح شيطانية، أي روح العصيان والاعتداء «... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».	الآية (١٣١) من سورة البقرة تظهر بان آل ابراهيم كانوا نموذجا للاسلام والتسليم امام الله. «اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لربّ العالمين».
٦ الآية (٩٥) من سورة البقرة تبيّن تنفر بني اسرائيل من الله والشهادة. «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم»	الآية (١٣٢) من سورة البقرة تبين مدى عشق آل ابراهيم لله والشهادة. «فلا تموتن الا وانتم مسلمون»
٧ الآية (٦١) من سورة البقرة تبيّن بأن بني اسرائيل هم يمثلون قوما غير لائقين للامامة والخلافة «اهبطوا مصراً... وضربت عليهم الذلة والمسكنة»	الآية (١٢٤) من سورة البقرة تبين بأن ابراهيم وآله الصالحين نموذج للمؤهلين «قال اني جاعلك للناس اماماً».
٨ الآيات: (٥١، ٥٤، ٥٩، ٦٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٣، ١٠٠) من سورة البقرة تبين نقض بني اسرائيل المواثيق والعهود.	الآية (١٢٥) من سورة البقرة تبين وفاء ابراهيم واسماعيل بالعهد. «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل»

٩	الآية (٥٨ ـ ٥٩) من سورة البقرة تبين ان بني اسرائيل دنسوا بيت الله بالاستهزاء وعبادة الاصنام «وادخلوا الباب سجدا... فبدل الذين ظلموا»	الآية (١٢٥) تبين بأن ابراهيم وآله هم مطهرو بيت الله من الشرك وعبادة الاصنام «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي»
١٠	الآية (١٣٨) من سورة الاعراف تبين بأن بني اسرائيل كانوا قوما جاهلين. «انكم قوم تجهلون»	الآية (١٣٠) من سورة البقرة تبين بأن ملة ابراهيم (ع) هم نموذج للعلم. «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه»
١١	الآية (٧٤) من سورة البقرة تبين ان بني اسرائيل لهم قلوب مريضة. «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك».	الآية (٨٤) من سورة الصافات تبين بأن ابراهيم وآله يحملون قلوبا سليمة. «وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم»
١٢	الآية (٥٤) من سورة البقرة تبين ان بني اسرائيل يميلون الى عبادة العجل وصنع الاصنام. «انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل»	الآية (٥٧) من سورة الانبياء تبين بأن ابراهيم وآله نموذج لمحطمي الاصنام «تالله لاكيدن اصنامكم»
١٣	الآية (٦١) من سورة البقرة تبين ان بني اسرائيل كانوا قوما غير شاكرين لنعم الله «اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»	الآية (١٢١) من سورة النحل تبين بأن ابراهيم (ع) كان شاكرا لنعم الله: «شاكرا لأنعمه»
١٤	الآية (٦١) من سورة البقرة تبين بأن بني اسرائيل كانوا يكفرون بآيات الله. «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله»	الآية (١١١) من سورة الصافات تبين بأن ابراهيم كان من المؤمنين بالله. «انه من عبادنا المؤمنين»

٤ ــ الهدف من المقارنة بين بني اسرائيل وآل ابراهيم:

ان أحد أهداف هذه المقارنة ــ علاوة على أخذ العبر من الأقوام السالفة ــ هو كسر روح الإستعلاء القومي عند اليهود في الرسول(ص) إذ ان اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم قوماً مفضلين على سائر الأقوام، وكانوا يتوقعون ان يتَّبعهم الرسول(ص).

قال تعالى:

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم».

فهم كانوا يقولون:

«لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أونصارى»

(البقرة ــ ١١١)

والمقارنة الآنفة تبيِّن بأنَّ بني اسرائيل غير جديرين بالخلافة والإمامة. وفي هذه السورة يقول عزَّ وجلَّ:

«لاينالُ عهدي الظالمين»

(البقرة ــ ١٢٤)

بل ان المسلمين الذين يتَّبعون سُنَّة ابراهيم «ع» والذين كان نبيهم ثمرة دعاء ابراهيم (ع) (البقرة ــ ١٤٢ ــ ١٢٩) جديرون بخلافة وامامة الأرض. ولهذا فقد أمرالله المسلمين بتغيير قبلتهم ليستقلوا عن اليهود (البقرة ــ ١٤٢ ــ ١٤٣) كما ان هناك أُموراً ذكرت في الآيات (١٠٤ ــ ١١٠) تتعلق بانتقال الخلافة من بني اسرائيل الى المسلمين.

٥ ــ علاقة الحدود بالتقوى والشجرة المنهية:

مثلما أورث الباري تعالى الأُمم الأرض، وجعلهم خلفاء وفق شروط وعهود معينة، ومثلما أسكن آدم الجنة بشرط اجتنابه الشجرة المنهية: **«ولا تقربا هذه الشجرة»** فهو يشترط على المسلمين الآن ومن أجل أن يحققوا استقلالهم و يصبحوا خلفاءَ، أن يتَّقوه، وان يعملوا وفق الحدود، ولا يرتكبوا المحرَّمات، وقد بيَّن ٥٠٠ حكم من أجل أن يصل الإنسان الى مرحلة التقوى، ذلك ان العاقبة للمتقين.

وكما ان الجدول المدرج في أدناه يبيّن ان هذه الحدود والأحكام الإلهية هي تفسير ومصداق مفصل للشجرة المنهية في قصة آدم، فإنَّ الشجرة المنهية، لها الآثار التالية:

١ ــ ان الشجرة المنهية تعني الشجرة التي تعتبر مورد النهي الإلهي.

٢ ــ ان الشجرة المنهية هي كشجرة مليئة بالأشواك والتي يجب ان لايتقرب أحد منها، ويمنع نفسه عنها (التقوى).

٣ ــ ان نتيجة التَّقرب الى هذه الشجرة هي بمثابة ظلم النفس والخروج من الجنة.

٤ ــ ان نتيجة التقوى أمام هذه الشجرة هي دخول الجنة.

واننا نرى هذه الآثار الأربعة في الحدود والمحرَّمات الإلهية، ولقد وصفها القرآن بالحدود الإلهية. ومثلما تكون الحدود الفاصلة بين دولة وأُخرى محاطة بالأسلاك الشائكة والوسائل القاتلة بحيث لايتجرأ الناس على الإقتراب منها، فإنَّ القرآن يسمّي تجنب العبور من الحدود الإلهية بالتقوى، و يوصي بعدم الإقتراب من تلك الحدود.

قال تعالى:

«تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون»

(البقره ــ ١٨٧)

ان كل من يتعدى الحدود الإلهية، يحصل على نفس نتيجة الإقتراب من الشجرة المنهي عنها، أي يظلم نفسه بهذا العمل.

قال تعالى:

«تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون»

(البقرة ــ ٢٢٩)

والتقوى مقابل هذه الحدود الإلهية تقوم بضمان الجنة والفوز العظيم للإنسان.

قال تعالى:

«تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم».

(النساء ــ ١٣)

وكذلك فإنَّ نتيجة تعدّي الحدود الالهية نتيجة فقدان التقوى، لن تكون إلاَّ الخلود في النار.

قال تعالى:

«ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين».

(النساء ــ ١٤)

٦ ــ الخطوط البيانية للإرتباط القائم بين آيات و مواضيع سورة البقرة

ــ فهرست المواضيع ــ

ــ سورة البقرة ــ

التقوى والعمل الصالح

(فهرست مواضيع السورة): (١ - ٢)

أنواع النّاس أمام الهداية الإلهية:

١ ــ المتقون (٣- ٥)

٢ ــ الكافرون (٦- ٧)

٣ ــ المنافقون (٨- ٢٠)

القسم الأول: طريق التقوى، وقصة آدم (خليفة الله في الأرض).

الفصل الأول: السبيل الإجمالي للتقوى

١ ــ التوحيد في العبادة (٢١)

٢ ــ إتحاد أجزاء الطبيعة، دليل على وحدانية الله (٢٢)

٣ ــ الإيمان بالرسول (ص) و بالكتاب التشريعي للباري تعالى (٢٣- ٢٤)

٤ ــ الإيمان والعمل الصالح (٢٥)

٥ ــ الفاسقون (٢٦- ٢٧)

٦ ــ الهداية والضلالة (٢٦)

الفصل الثاني: خلق الإنسان، والنعم الإلهية:

١ ــ نعمة الحياة (٢٨)

٢ ــ نعمة الأرض (٢٩)
٣ ــ نعمة السماء (٢٩)
٤ ــ مقام الخلافة (٣٠)
٥ ــ العلم الواسع (٣١- ٣٢)
٦ ــ نعمة التنبؤ (٣٣)
٧ ــ تواضع الملائكة (٣٤)
٨ ــ الجنة والحرية (٣٥- ٣٦)
٩ ــ قبول توبة آدم (٣٧)
١٠ ــ تجديد العهد مع البشر (٣٨)

° ° °

القسم الثاني:
بنواسرائيل نموذج من عدم التقوى وعدم اللياقة لخلافة الأرض
«أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»
فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء»
الفصل الأول: التقوى أمام العهد الإلهي (٤٠- ٤٦)
الفصل الثاني: ظلم بني إسرائيل بسبب عدم شكرهم النعم الإلهية (٤٧- ٤٩)
التحرر من الإستعمار (٥٠)
العفو الإلهي (٥١- ٥٢)
إنزال كتب الهداية (٥٣)
قبول توبة بني اسرائيل، ونجاتهم من الموت (٥٤)
الحياة مجدداً (٥٥- ٥٦)
المن والسلوى (٥٧)
دخول بيت المقدس (٥٨- ٥٩)
الفصل الثالث: إثنتا عشرة عين ماء (٦٠)
١ ــ الهبوط الى المدينة (٦١- ٦٢)
٢ ــ عدم الإلتزام بالميثاق (٦٣ــ ٦٤)

٣ ــ عدم الإمتثال للأوامر الإلهية (٦٥- ٦٦)
٤ ــ نتيجة التذرع في قضية تنفيذ التعاليم الإلهية (٦٧- ٧٤)
٥ ــ التحريف، وكتمان الأحكام (٧٥- ٧٩)
٦ ــ الإدعاء بالنجاة من النار (٨٠- ٨٢)

الفصل الرابع: نتيجة استكبار بني اسرائيل وعدم التزامهم بالوعود
١ ــ نقض العهود العبادية، والأخلاقية، والإقتصادية (٨٣)
٢ ــ نقض عهد الأمن الإجتماعي (٨٤- ٨٦)
٣ ــ الكفر والاستكبار أمام عيسى (ع) وسائر الأنبياء (٨٧- ٨٨)
٤ ــ الكفر والاستكبار أمام الرسول الأكرم(ص) (٨٩- ٩٠)
٥ ــ الكفر والإستكبار أمام الحق المصدق للتوراة (٩١)
٦ ــ الكفر والإستكبار أمام الأنبياء وتعاليم التوراة (٩١)
٧ ــ الكفر والإستكبار أمام موسى (ع) (٩٢)
٨ ــ الكفر والعصيان أمام عهد الله (٩٣)
٩ ــ العداء لجبريل والكفر به (٩٧)
١٠ ــ الكفر، الفسق، ونقض العهود أمام الرسول (ص) (٩٩- ١٠١)

° ° °

الفصل الخامس: انتقال الخلافة من بني اسرائيل الى المسلمين
١ ــ أدب التحدث مع الرسول (١٠٤)
٢ ــ العطف الالهي على المسلمين (١٠٥)
٣ ــ حكومة القرآن تحل محل حكومة التوراة (١٠٦)
٤ ــ المسلمون يرثون خلافة الأرض (١٠٨)
٥ ــ التسامح أمام الحسد
٦ ــ الصلاة والصوم، دعم في الآخرة (١١٠)

١ ــ احتكار الجنة (١١١)
٢ ــ العمل الصالح، واطاعة الله (١١٢)
٣ ــ التعصبات الجاهلية (١١٣)

٤ ــ تخريب بيت المقدس نتيجة للتعصبات الجاهلية (١١٤)
٥ ــ التعصبات الجاهلية ازاء تغيير القبلة (١١٥)
٦ ــ النسب الى الله (١١٦ - ١١٧)
٧ ــ التوقعات الجاهلية من الله سبحانه وتعالى (١١٨)
٩ ــ التوقعات الجاهلية من الرسول الأكرم (ص) (١١٩)
١٠ ــ توقعات اليهود والنصارى من الرسول الأكرم (ص) (١٢٠)
١١ ــ الذين يؤمنون بالرسول الأكرم (ص) (١٢١)
١٢ ــ تحذير بني اسرائيل (١٢٢ - ١٢٣)

١ ــ العلاقة بين قصة آدم، وقصة بني اسرائيل، وقصة ابراهيم، وقصة الرسول (ص)
٢ ــ أي من أبناه ابراهيم كان يستحق الخلافة والإمامة؟ (١٢٤ - ١٢٥)
٣ ــ دعاء ابراهيم (ع) (١٢٦)
٤ ــ الإسلام والرسول الأكرم (ص) حصيلة دعاء ابراهيم (ع) (١٢٧ - ١٢٩)
٥ ــ ابراهيم (ع) نموذج للصالحين. (١٣٠)
٦ ــ الإسلام اتفاق بين الله وابراهيم (١٣١)
٧ ــ الإسلام كان آخر وصية من جانب ابراهيم ويعقوب لابنائها (١٣٢ - ١٣٤)
٨ ــ الدعوة الى الوحدة والتحرر من التعصبات الطائفية (١٣٥ - ١٣٧)

١ ــ استقلال خط المشي (١٤٢ - ١٤٣)
٢ ــ الإنتقال من قبلة اليهود والنصادرى الى قبلة ابراهيم (ع) (١٤٤ - ١٤٩)
٣ ــ الهدف من وراء تغيير القبلة. (١٥٠)
٤ ــ (الإرتباط بين الآيات السابقة واللاحقة)
٥ ــ الرسول الأكرم (ص)، جواب لدعاء ابراهيم واسماعيل (ع) (١٥١)

° ° °

الفصل الرابع: أحكام و ميثاق المسلمين
١ ــ ذكرالله وشكره على منحهم الرسالة والإستقلال (١٥٢)
٢ ــ تحمل الشدائد في طريق الإستقلال (١٥٥ - ١٥٧)

٣ ــ الشكر المتقابل من جانب الله نتيجة لطاعة العباد (١٥٨)
٤ ــ كتمان وانكار الرسالة (١٥٩- ١٦٢)
٥ ــ تناسب جهاز الخلق، دليل على وحدانية الله (١٦٣- ١٦٤)
٦ ــ نتيجة الشرك والإنفتاح على الطاغوت (١٦٥- ١٦٧)

° ° °

القسم الرابع: حدود التقوى، وتفسير: (ولا تقربا هذه الشجرة)
١ ــ التقوى والاجتناب عن أفعال الشيطان (١٦٨- ١٧١)
٢ ــ التقوى في الأكل والشرب (١٧٢- ١٧٦)
٣ ــ التقوى والعمل الصالح، من الصفات العشر للصادقين والمتقين (١٧٧)
٤ ــ التقوى في القصاص (١٧٨- ١٧٩)
٥ ــ الوصية من حقوق المتقين (١٨٠- ١٨٢)
٦ ــ كسب التقوى بواسطة الصيام (١٨٢- ١٨٦)
٧ ــ التقوى في الصيام والاعتكاف (١٨٧)
٨ ــ التقوى في الحكم والقضاء (١٨٨)
٩ ــ التقوى في العبادة (١٨٩)
١٠ ــ التقوى في الحرب (١٩٠- ١٩٣)
١١ ــ التقوى، والسعي دون الوقوع في التهلكة (١٩٥)
١٢ ــ التقوى في الحج والعمرة وغيرهما (١٩٦)
١٣ ــ التقوى في محرمات الحج (١٩٧)
١٤ ــ التقوى في الذكر والدعاء (١٩٨- ٢٠٣)
١٥ ــ المنافقون، نموذج من عدم التقوى (٢٠٤- ٢٠٦)
١٦ ــ نموذج التقوى (٢٠٧)
١٧ ــ تجديد عهد آدم للمؤمنين والمتقين (٢٠٨- ٢١٢)

° ° °

القسم الخامس: الأحكام والحدود الإلهية أمام تقوى السالفين
وتفسير (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)
مراحل الاجتماع والأحكام الإلهية (٢١٣)
المرحلة الشاقّة، وانتصار الدين والمجتمع (٢١٤)

الحد الأول: صرف الإنفاق (٢١٥)
الحد الثاني: الحرب (٢١٦)
الحد الثالث: الحرب في الشهر الحرام (٢١٧-٢١٨)
الحد الرابع: الخمر والميسر (٢١٩)
الحد الخامس: مقدار الإنفاق (٢١٩-٢٢٠)
الحد السادس: الإعتناء باليتامى (٢٢٠)
الحد السابع: الزواج بالمشرك (٢٢١)
الحد الثامن: النساء في مرحلة الحيض (٢٢٢-٢٢٣)
الحد التاسع: القسم (٢٢٤-٢٢٥)
الحد العاشر: الإيلاء (٢٢٦-٢٢٧)
الحد الحادي عشر: عدة الطلاق (٢٢٨)
الحد الثاني عشر: الطلاق (٢٢٩)
الحد الثالث عشر: المحلل (٢٣٠)
الحد الرابع عشر: التصالح (٢٣١)
الحد الخامس عشر: الزواج مجدداً (٢٣٢)
الحد السادس عشر: حقوق الطفل الرضيع (٢٣٣)
الحد السابع عشر: عدة النساء والعقد (٢٣٤-٢٣٥)
الحد الثامن عشر: المهر (٢٣٦)
الحد التاسع عشر: الصلاة (٢٣٨-٢٣٩)
الحد العشرون: كتابة الوصية للزوجة (٢٤٠-٢٤٢)

° ° °

القسم السادس: توضيحات حول الأنواع الثلاثة للبر والتقوى

الفصل الأول: البر والتقوى في العمل (القتال)

١ ــ الهروب من القتال (٢٤٣-٢٤٥)
٢ ــ عدم الإمتثال لأوامر القتال (٢٤٦)
٣ ــ التكبر على طالوت (٢٤٧)
٤ ــ صندوق العهد (٢٤٨)
٥ ــ الإختيار الإلهي (٢٤٩)

٦ ــ دحر العدو (٢٤٩- ٢٥١)
٧ ــ جالوت (٢٥١)
٨ ــ داوود (٢٥١)
٩ ــ منشأ القتال بين أنصار الأديان (٢٥٣)
١٠ ــ الإنفاق (٢٥٤)

الفصل الثاني: البر والتقوى في الإعتقاد بالله
١ ــ مظهر من سلطة الله (٢٥٥)
٢ ــ لا إكراه في الدين (٢٥٦)
٣ ــ الله ولي المؤمنين، والطاغوت ولي الكافرين (٢٥٧)
٤ ــ غرور و تكبر الطاغوت أمام عناية الله (٢٥٨)

الفصل الثالث: البر والتقوى في الإعتقاد بالمعاد
١ ــ قصة عزير (٢٥٩)
٢ ــ قصة الطيور الأربعة (٢٦٠)

الفصل الرابع: البر والتقوى في الأخلاق (الإنفاق)
١ ــ الثمرة العظيمة للإنفاق (٢٦١)
٢ ــ عدم الرياء في الإنفاق (٢٦٢- ٢٦٤)
٣ ــ الأهداف السامية في الإنفاق (٢٦٥)
٤ ــ نار الرياء في محصول الإنفاق (٢٦٦)
٥ ــ التقوى في انتخاب المال للإنفاق (٢٦٧)
٦ ــ التقوى أمام وساوس الشيطان (٢٦٨)
٧ ــ أحكام الإنفاق، والحكمة الإلهية (٢٦٩)
٨ ــ معرفه الله بالانفاق والنذر (٢٧٠)
٩ ــ الإنفاق في السر والعلانية (٢٧١)
١٠ ــ الإنفاق على غير المسلمين (٢٧٢)
١١ ــ صفات الفقراء الحقيقيين (٢٧٣)

١٢ ــ الإنفاق في الليل والنهار (٢٧٤)

الفصل الخامس: التقوى وتجنب الربا
١ ــ نتيجة أكل الربا (٢٧٥)
٢ ــ القضاء على الربا وزيادة الصدقة (٢٧٦ - ٢٧٧)
٣ ــ التقوى عن الإستمرار في أكل الربا (٢٧٨ - ٢٨١)
الفصل السادس: التقوى في تسجيل وتنظيم العقود (٢٨٢ - ٢٨٣)
النتيجة الكلية (٢٨٤ - ٢٨٦)

■

منهج معرفة الطبيعة
فى القران الكريم

الدكتور مهدي گلشني/ج.ا.ا

بسم الله الرحمن الرحيم

هدف الباحث الطبيعي

المقصود من الطبيعة هو العالم المادي: اي العالم الذي نتعامل معه من خلال حواسنا. و توجد في القرآن الكريم اكثر من (٧٥٠) آية تشير الى الظواهر الطبيعية. حيث نجده في اغلب هذه الآيات يوصي بمطالعة كتاب الطبيعة والتدبر فيه.

ومن الطبيعي ان القرآن– كما اكد ذلك الكثيرمن العلماء الاسلاميين الكبار– لم يأت كتابا يستعرض العلوم الطبيعية وانما هو كتاب الهداية، فاذا وجدناه يتحدث عن الظواهر الطبيعية فان ذلك لكي يدفع الناس عبر البحث والتعمق والتدبر في الموجودات الطبيعية للوصول الى عظمة الخالق المدبر للعالم و بالتالي التقرب اليه.

والموجودات الطبيعية– من وجهة نظر القرآن– آيات للحق تعالى. والباحث الطبيعي يجب أن ينظر اليها باعتباره باحثا في الآيات الالهية يعمل على ان يوصلنا من خلال هذه الآيات الى خالق الآيات.

«ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»

(الروم/٢)

«ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

(الروم/٢)

«ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين.»

(الروم/٢٢)

ان معرفة الطبيعة ــ من وجهة النظر القرآنية ــ ليست مطلوبة بذاتها وانما تكون كذلك اذا قربتنا الى خالق هذا العالم ومدبره:

«ذلك بان الله هوالحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل...»

(الحج /٦٢)

ان معرفة الطبيعة يمكنها ان تزيد معرفة الناس بالله كما يمكنها ان تجعلهم قادرين على الاستفادة من الامكانات التي وفرها الله لخيرهم وسعادتهم الابدية.

امكان معرفة الطبيعة:

توجد في القرآن آيات كثيرة تدعو البشر لدراسة الطبيعة:

«قل انظروا ماذا في السماوات والارض...»

(يونس /١٠١)

«وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون»

(الذاريات/٢٠ــ٢١)

«قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...»

(العنكبوت/٢٠)

«فلينظر الانسان ممَّ خلق...»

(الطارق/٥)

ان هذه الايات تؤكدان معرفة الطبيعة ممكنة وإلاّ فلا معنى للامر بمطالعتها ان لم تكن ممكنة. وكذلك فان الآيات التالية:

«وعلم آدم الاسماء كلها». (البقرة/٣١)

«علم الانسان ما لم يعلم»

(العلق/٥)

«والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون»

(النحل/٧٨)

تفيد ان الله اودع طاقة المعرفة في الانسان وعليه ان يستثمر هذه الطاقات بالنحو الممكن. علاوة على هذا فان آيات مثل:

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق...»

(فصلت /٥٣)

«وقل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون»

(النمل/٩٣)

تؤكد ان البشر يمكنه ان يصل الى كثير من حقائق العالم.

المواضيع المهمة في مجال معرفة الطبيعة:

رغم ان الهدف الغائي لمعرفة الطبيعة من وجهة نظر القرآن هوزيادة معرفة الافراد بالله والتقرب اليه الا انه بالامكان طرح اهداف قصيرة المدى لمجموعة من المسائل تمهد معرفتها لتحقيق الهدف النهائي. انها مسائل تطرح في ما يتعلق بالظواهر الطبيعية في القرآن الكريم وقد قمنا بتقسيمها الى مقولات ثلاث هي:

(١)ـ كشف مبدأ الخلقة وكيفية تكوين الموجودات و الظواهر:

«اولم يرالذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقنا هما وجعلنا من الماء كل شيء حي، افلا يؤمنون»

(الأنبياء/ ٣٠)

«الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا».

(نوح/١٥—١٦)

«الذي احسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سويه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون»

(السجدة/٧—٩)

«افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت»

(الغاشية/١٧—٢٠)

«الله الذي يرسل الرياحَ فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله...»

(الروم: ٤١)

و يبدو من مثل هذه الآيات ان علينا ان نسعى لكشف مبدأ الخلقة وكيفية التكوين لان ذلك مؤثر في زيادة الايمان والقرب الى المبدأ «جل وعلا». والملاحظ في بعض الآيات القرآنية ان وقوع بعض الظواهر الطبيعية يعد شاهدا على وقوع المعاد:

«اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم* بلى وهو الخلاق العليم»

(يس/٨١)

«والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور»

(فاطر/٩)

«يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً...»

(الحج /٥)

(٢)ـ **كشف النظام والتناسق والهدفية في الطبيعة:** وقد اعتبر في كثير من الآيات القرآنية ان وجود النظام والتناسق والهدفية في الطبيعة دليل على وجود الخالق الحكيم المدبر وتنقسم هذه الآيات الى مجاميع:

الف)ـ جاء في بعض الآيات ان خلق السماوات والارض تم بالحق (ذات غاية) ولم تكن عبثا ولا باطلاً اولهواً ولعباً.

«وهو الذي خلق السموات والارض بالحق...»

(الانعام/٧٣)

«وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين. لو أردنا ان نتخذ لهواً لا تخذناه من لدُنّا ان كنّا فاعلين».

(الانبياء/١٦)

«وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين. ماخلقنا هما الاّ بالحق ولكن اكثرهم لايعلمون.»

(الدخان/٣٨ـ٣٩)

«افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون»

(المؤمنون/١١٥)

«... ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلاً...»

(آل عمران/١٩١)

ب)ـ وقد ذكرت بعض الآيات ان هناك أجلاً معينا للسير الطبيعي للحوادث:

«اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الابالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون»

(الروم/٨)

«الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها* ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى* يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون»

(الرعد/٢)

ج) – وفي بعض الآيات تأكيد على ان خلق الاشياء ومجرى الامور الطبيعية طبق حساب دقيق (اي له قدر معين وميزان مشخص).

«الشمس والقمر بحسبان»

(الرحمن /٥)

«وان من شيء الاعندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم»

(الحجر/٢١)

«والسماء رفعها و وضع الميزان»

(الرحمن/٧)

«...و كل شيء عنده بمقدار»

(الرعد /٨)

«...وخلق كل شيء فقدره تقديرا»

(الحجر/١٩)

وبالتأكيد فانه من خلال وجود هذا النظام يتم الحصول على مفهوم للقوانين الطبيعية. ولو لم يمتلك علماء العلوم الطبيعية في أعماقهم ايمانا بوجود النظام في الطبيعة– على الاقل– لم يندفعوا في الكشف عن قوانين الطبيعة.

من الآيات الماضية وآيات اخرى مثل:

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الابالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون».

(يونس /٥)

«...ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور...»

(الملك :٣)

يمكن استنتاج ان الكشف عن النظام والانسجام في الطبيعة (اي القوانين الطبيعية) واتقان صنع الباري– تعالى– يعد احدى المسائل المهمة في مجال معرفة الطبيعة.

(٣)– الاستفادة المشروعة من الامكانات الطبيعية التي وفرها الله للبشرية (التكنولوجيا في خدمة الاهداف الالهية):

يذكر الله تعالى في عدد كثير من الآيات النعم التي وفرها للبشر:

«وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا».

(الجاثية/١٣)

«ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون»

(الاعراف/١٠)

«ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»

(القصص/٧٣)

«ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون»

(الروم/٤٦)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحرقد فصلنا الآيات لقوم يعلمون»

(الانعام/٩٧)

وقد ذكرت هذه الايات ان سبب التذكر بالنعم الالهية هو تعريفها للبشر والامر بالاستفادة منها (لتبتغوا من فضله) وشكرها.وأحد ابعاد الشكر في قبال النعم الالهية هواستخدامها في السبيل الذي عينه الله- تعالى- لها. فيجب على عباد الله من خلال الاستفادة المشروعة من الامكانات المتوفرة للبشر، ان يقودوا انفسهم والمجتمع الانساني نحو السعادة، وعلى هذا فان التكنولوجيا وهي الاستفادة العملية من الامكانات الطبيعية ستكون في خدمة الاهداف الالهية.

مسارب معرفة الطبيعة

هناك ايات كثيرة في القرآن يمكن ان تعرف منها مسارب معرفة الطبيعة ونحن نبدأ البحث من الآية الشريفة:

«والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة...»

(النحل/٧٨)

اذ يستنتج منها أن المعلومات تحصل من خلال السمع والبصر والفؤاد، ونلاحظ هنا انه من بين الحواس الظاهرية ذكر السمع والبصر فقط باعتبارهما وسيلتين رئيستين لكسب المعلومات عن عالم الطبيعة و قد عبروا عن الفؤاد بقوة ادراك الامور والتعقل[1] وربما ذكر القلب في القرآن باعتباره وسيلة للتعقل والفهم:

«أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها...»

(الحج/٤٦)

«لهم قلوب لايفقهون بها...»

(الاعراف /١٧٩)

«وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون...»

(التوبة/٨٧)

«ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب...»

(ق/٣٧)

«اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم و اولئك هم الغافلون»

(النحل: ١٠٨)

كما جاء في كثير من النصوص الاسلامية ذكر القلب على اساس انه وسيلة للتعقل. فقد روي عن الامام الصادق(ع) انه قال[2]. **«فانها قلبه الذي به يعقل و يفقه و يفهم...»**

كما روي عن الامام علي بن محمد النقي انه قال:«**دل القرآن واخبار الرسول(ص) أنّ القلب مالك لجميع الحواس يصحح افعالها ولايبطل ما يصحح القلب شيء.**»

وها نحن نحاول الآن ان نستدل بالآيات القرآنية على ان مسارب معرفة الطبيعة عبارة عن:

(١)— الحواس الظاهرية (وبها تحصل المشاهدة والتجربة).

(٢)— العقل المنزه عن الشوائب (الغالب على الهوى والميول والمترفع على

انماط التقليد الاعمى).

(٣)ـ الوحي والالهام.

دور المشاهدة والتعقل في معرفة الطبيعة:

توجد في القرآن الكريم آيات تلزم الانسان ليستعمل حواسه لاكتشاف الحقائق الطبيعية وها نحن نذكر بعضا منها على سبيل المثال:

«قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...»

(العنكبوت/٢٠)

«قل انظروا ماذا في السموات والارض...»

(يونس/١٠١)

«افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت...»

(الغاشية/١٧)

«اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم»

(الشعراء/٧)

ونحن نجد في هذه الآيات ان النظر والرؤية جاء بمعنى النظر مع الاستنتاج العقلي وفي بعض الموارد جاء الحديث عن تجارب عملية كمقدمة لاكتساب المعرفة، وها نحن نذكر ثلاثة موارد منها كمثال لذلك:

أ)ـ الله يعلّم قابيل كيفية دفن الميت بواسطة الغراب.

«فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءَةَ اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءَةَ اخي فاصبح من النادمين»

(المائدة/٣١)

ب)ـ الله يعرّف الرجل الصالح بامكان بعث الاجساد.

«أوكالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنّى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت؟ قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل

شيء قدير»

(البقرة/٢٥٩)

ج)— يجسد الله امام ابراهيم كيفية احياء الموتى:

«واذ قال ابراهيم ربّ ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم»

(البقرة/٢٦٠)

وهنا نذكر بالضمن ان القرآن و بشكل مكرر يعمل على التمثيل بالمحسوسات ليقرب المعاني الى الاذهان:

«مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة...»

(البقرة/٢٦١)

«ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار»

(ابراهيم/٢٦)

«مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيءُ ولولم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء و يضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم»

(النور /٣٥)

«والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور».

(فاطر/٩)

وعليه فلاشك في ان القرآن يؤكد ان الحواس الظاهرية هي وسائل اولية لبعض المعلومات الا اننا نجد سواء في الآيات السابقة او في الآيات التي سنذكرها انه لم تذكر التأثرات الحسية باعتبارها كافية لوحدها لمعرفة الطبيعة. وادلتنا هي:

أ— قد ذكر بكل صراحة في غالب الايات التي تتحدث عن الظواهر الطبيعية ان ادراك الايات الالهية في الطبيعة وعلاقتها بما تعبر عنه من عمل

اصحاب العقول وارباب التفكير ونحن نذكر بعض هذه الآيات:

«هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون».

(النحل/١٠ــ ١١)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون».

(الانعام/٩٧)

«وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

(النحل/١٢)

«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»

(الذاريات/٤٩)

«ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولي الالباب»

(الزمر/٢١)

«وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون»

(الانعام/٩٨)

ان تعبيرات التفكر والتعقل، والتفقه وغيرها مما جاء في الآيات السابقة تنصُّ كلها (على اختلاف المراتب) على أنه لفهم الطبيعة تجب الاستفادة من القوة العاقلة. فالتفكر الذي جاء في آيات كثيرة ــ مثلاً ــ هو عبارة عن البدء بالمعلومات القبلية والوصول الى معلومات جديدة[٥]. يقول الحكيم السبزواري:

الفكر حركة الى المبادي ــ ومن المبادي الى المراد.

وتعبيرات التعقل والتفقه وغيرهما تعبر عن السير العقلي، وعليه فالمعارف التي تبدأ من مبادئ حسية؛ يجب ان يصحبها التفكير والتعقل لتحصل على معلومات اضافية... والروايات التالية عن الامام الصادق تؤيد هذا المعنى:

الف)— «ان اول الامور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لاينتفع بشيء الابه، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل عرف العباد خالقهم، وانهم مخلوقون، انه المدبر لهم وانهم المدبرون... واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وارضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبان له ولهم خالقا ومدبرا لم يزل ولايزول، و عرفوا به الحسن من القبيح، وان الظلمة في الجهل، وان النور في العلم فهذا ما دلهم عليه العقل»».

ب)— يروي الشيخ المفيد (في كتاب الارشاد)[٧] ان ابا شاكر الديصاني قال للامام الصادق: قد علمت انّا لانقبل الاّ ما ادركناه بأبصارنا أوسمعناه بآذاننا او ذقناه بافواهنا، اوشممناه بانوفنا اولمسناه ببشرتنا.

فاجاب الامام الصادق: «ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط الابدليل، كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح».

ج)— وفي رواية اخرى عن الامام الصادق جاء قوله (ع)[٨]: «فانك لورأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت ان راميا رمى به، فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل لان العقل هوالذي يميزه، فيعلم ان الحجر لايذهب علوا من تلقاء نفسه...».

وعلى هذا يمكن القول بان التجربة والملاحظة وان كانتا ضروريتين للحصول على معرفة عن العالم الخارجي الا انهما لا تكفيان لوحدهما.

فلو اننا اكتفينا بحواسنا الظاهرية لم نستطع التعبير عن العالم الخارجي والايمان بوجود ترابط بين الحوادث الطبيعية. و الواقع ان الانسان— من حيث الحواس الظاهرية— لايختلف عن بعض الحيوانات الاخرى وربما كانت اكثر منه قدرة في بعض الموارد. والشيء الذي يجعله متميزا عنها هو قابليته على التعمق في مجال الكون وتفسير الحوادث وانما يتاح له ذلك لوجود القوة المسماة بالقوة العاقلة. اذ بها يستطيع ان يربط بين العلائم التي حصل عليها و يفسر العالم. ان الحس يعطينا سلسلة علائم متفرقة والعقل هوالذي يقوم بعملية الربط بينها.

(٢)— في القرآن آيات كثيرة تؤكد انه لا تقوم العين والاذن والقلب لدى بعض الافراد بالدور الحقيقي المتوقع منها، فكثير اولئك الذين يرون آيات الله

في الطبيعة ولكن لايتدبرون فيها ولا يستفيدون منها:

«وكأين من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون»

(يوسف/١٠٥)

«لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها...»

(الاعراف/١٧٩)

«ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها...»

(الاعراف/١٩٥)

«ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون»

(الانفال/٢١)

«فما اغنى عنهم سمعهم ولاابصارهم ولا افئدتهم من شيء»

(الاحقاف/٢٦)

«وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون»

(الاعراف/١٩٨)

«افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها اوآذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»

(الحج/٤٦)

و روي عن الرسول الاكرم(ص) قوله: «ليس الاعمى من يعمى بصره، انما الاعمى من تعمى بصيرته»[٩]. وقال البعض في تفسير الآيات الماضية بأن لدينا نوعين من السمع والبصر: سمعاو بصراظاهريين، وسمعاو بصراباطنيين، فالسمع والبصر الظاهريان هما وسيلتا الادراك، والسمع والبصر الباطنيان هما الوسيلة للاستفادة الصحيحة من تلكما الوسيلتين. يقول الامام الفخر الرازي في تفسير آية:[١٠]

«مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير...»

(هود/٢٤)

«واعلم ان وجه التشبيه هوانه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن

النفس، وكما ان للجسد بصرا و سمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر، وكما ان الجسد اذ كان اعمى واصم بقي متحيرا لايهتدي الى شيء من المصالح، بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لايبصر نورا يهتدي به ولايسمع صوتا، فكذلك الجاهل الضال المضل، يكون اعمى واصم القلب، فيبقى في ظلمات الضلالات حائرا تائها»

ونحن نرى ان المرجح هوالتعبير عن الايات السالفة بان العين والاذن و باقي الحواس الظاهرية وسائل للعقل فان لم يكمل التعقل عملها كانا ناقصين: ان العين ترى و يقوم العقل بتفسير التأثرات الحسية و يصدر الحكم[11]. وانما يمكننا ان ننظر لعمل العين عملا كاملا اذا صحبته البصيرة اي اذا جاء التعقل بعد عمل العين. والآيات التالية نذكرها تأييدا لهذا التعبير (وهي تذكر كنموذج لذلك):[12]

«أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون».

(يونس/٤٢)

«ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون* ان شر الدواب عندالله الصم البكم الذين لايعقلون»

(الانفال/٢١—٢٢)

وجاء في نهج البلاغة نقلا عن الامام علي(ع) قوله[13]:

«فانما البصير من سمع فتفكر، ونظر فابصر، وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال فى المغاوي....»

وفي رواية الاهليلجة عن الامام الصادق(ع): **«زعمت انّ الاشياء لا تدرك الاّ بالحواس. فإني اخبرك انه ليس للحواس دلالة على الاشياء ولافيها معرفة الاّ بالقلب فانّها دليلها ومعرّفها الاشياء التى تدعى ان القلب لايعرفها الاّبها... ان القلب يفكر بالعقل الذي فيه... ان الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبرا للجسد وبه يسمع وبه يبصر وهوالقاضي والامير عليه،لايتقدم الجسد إن هوتأخر، ولايتأخر ان هوتقدم وبه سمعت الحواس وابصرت، ان أمرها ائتمرت وان نهاها انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن و به ينزل الالم، ان فسد شيء من الحواس بقي على حاله، وان فسد القلب ذهبت جميعا حتى لايسمع ولايبصر».**

(٣)— ان الآيات القرآنية توضح انه ليست كل معارفنا ذات صبغة حسية

فهناك بعض المعارف التي لا تنشأ من التأثرات الحسية، والشاهد على هذا الامر مجموعتان من الايات هما:

الف)ـ مجموعة من آيات الله تنفي منطق اولئك الذين يعتمدون على المحسوسات لاغير:

«واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون»

(البقرة/١١٨)

«وقال الذين لايعلمون لولا يكلّمنا الله اوتاتينا آية...»

(البقرة/١١٨)

«يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارناالله جهرة...»

(النساء/١٥٣)

«وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا* اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا. اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اوتأتي بالله والملائكة قبيلا* اويكون لك بيت من زخرف أوترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الابشرا رسولا»

(الاسراء/٩٠ـ٩٣)

«يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون»

(الروم/٧)

(ب)ـ ان القرآن يعلمنا ان بعض الحقائق المتعلقة بعالم الطبيعة لايمكننا ادراكها بحواسنا:

«الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها...»

(الرعد /٢)

«فلا اقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون»

(الحاقة/٣٨ـ٣٩)

«سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم وممّا

لايعلمون».

(يس/٣٦)

كما يعلمنا بان الله وحده هوالمطلع على غيب السموات والارض ولايطلع على ذلك احد الا اذا شاء الله ان يطلع على هذا الجزء غيرالمحسوس.

«ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله»

(هود/١٢٣)

«قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض...»

(الكهف/٢٦)

«ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون»

(الحجرات/١٨)

«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا، الا من ارتضى من رسول...»

(الجن/٢٦—٢٧)

وإن من الموسف ان نجد بعض المفكرين المسلمين في القرون الاخيرة يروجون فكرة حصر مسألة الحصول على المعرفة بالتجربة، وان الملاحظة التجريبية لوحدها قادرة على ان توصلنا الى المعرفة الالهية،[١٥] ونحن بدورنا نتفق معهم في كون التجربة والملاحظة اداة مهمة لمعرفة الطبيعة بل ونعتقد ايضا ان المسلمين قصروا في هذا المجال كثيرا، الا اننا نعتقد ضمن ذلك بانه: اولا— ان معلوماتنا حول الطبيعة ليس منشؤها حسيا فقط، و ثانيا— ان ملاحظاتنا وتجاربنا بدون الاستناد الى الاصول العقلية لايمكنها مطلقاً ان تكون منشأ لأي علم وفي مجال المعرفة الالهية نعتقد ايضا— مثلنا مثل الاستاذ الشهيد المطهري— بان «التجربة تقف عند حد معرفة آثار الله، اما معرفة الله من خلال آثاره المعلومة بالتجربة فهي نوع من الاستدلال العقلي المحض»[١٦] ودليل ذلك واضح، ان التجربة يقوم بها الجميع ولكنهم لايصلون الى المعرفة الالهية.

علاوة على هذا نجد ان العلم اليوم يشتمل اسما على المسائل التي تقبل الاثبات بالاساليب التجريبية، اما الواقع فانه يشمل الكثير من العناصر التي لم تستفد مباشرة من الحس، ويمكن القول في الواقع انه في كل العلوم الطبيعية تقوم

المعرفة على اساس من الاستنباط من الاثار، واننا لم نحصل من التجربة المباشرة على اي من القوانين الفيزياوية او الكيمياوية وانما كانت في الحقيقة على اساس الاستنباطات العقلية، ونفس المادة ايضا نحن نعرفها عبر الاستنتاجات العقلية ذلك ان التجارب الفيزياوية والكيمياوية انما توصلنا الى خواص المادة وعوارضها فقط.

ان هذه النظرة القائلة بان عمدة معرفتنا عن العالم المادي تقوم على اساس الاستنباط العقلي لا تؤيدها اكثرية علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر الا انه— وكما يقول اينشتاين[17] —«من الافضل ان لا ننظر الى مايقوله علماء الفيزياء وانما نركز على افعالهم». والحقيقة اننا في المجالات العلمية نجد الكثير من ذوي النظرة الوضعية يتخلفون عن مدعياتهم. هذا علاوة على اننا نجد من بين العلماء الطبيعيين الغربيين انفسهم افرادا بارزين يعترفون بالدور المهم الذي تلعبه الاستنتاجات العقلية في مجال الوصول لمعرفة الظواهر الطبيعية. يقول ماكس بلانك في مقال له تحت عنوان (التصوير الذي يقدمه العلماء عن العالم الفيزياوي)[18]

«ان الكمال الذي يقصده كل فيزياوي هو ان يعرف واقع العالم الخارجي، اما الوسائل التي يستخدمها لتحقيق هذا الهدف— والمصطلح عليها فيزياويا بوسائل التقدير— فانها لا تمنحنا معلومات مباشرة حول الواقع الخارجي، انها مجرد اثر اوتمثيل لرود الفعل في قبال الظواهر الفيزياوية وبهذا فانها لا تمنحنا معلومات صريحة وانما يجب تفسيرها. وكما قال هلمولتز ان مقاييس التقدير تمنح العامل الفيزياوي العلائم وعليه ان يعبر عنها تماما كما يقوم علماء اللغات بالسعي للتعبير عن وثيقة تاريخية تركتها لنا حضارة مجهولة ماضية. ان عالم اللغة يفترض اولا— وعليه ان يفترض اذا رغب في ان يوصله عمله الى نتائج عملية— ان هذه الوثيقة تحوي رسالة معقولة، وان هذه الرسالة لها قواعد و علامات صرفية ونحوية خاصة، و كذلك عالم الفيزياء يجب ان يفترض ان هناك قوانين معينة قابلة للفهم حاكمة على العالم الفيزياوي. وان لم يستطع هوان يفهمها تماما اويكتشف من خصائصها واسلوب عملها. والآن ومع فرض وجود قوانين حاكمة على العالم الخارجي يستطيع ان يصوغ مجموعة من المفاهيم والقضايا و مانسميه بالتصوير العلمي للعالم الفيزياوي. ان هذا التصوير تعبير عن العالم الخارجي من حيث

انه منسجم– الى الحد الممكن – مع النتائج الحاصلة من التجارب. بعد هذه الاعمال يستطيع المحقق– دون خشية من تناقض الحقائق– ان يدعي انه اكتشف وجها عن واقعية العالم الخارجي وان لم يستطع مطلقا ان يثبت صحة مدَّعاه بشكل قطعي...».

واينشتاين– ايضا– في خطبة له القاها في سنة ١٩٣٣م تحت عنوان (حول منهج الفيزياء النظرية) في جامعة اكسفورد– قال[١٩]: «كان نيوتن – هو اول بانٍ لجهاز فيزياوي نظري قابل للعمل– مازال يتصور ان بالامكان استنتاج مفاهيم جهازه الاساسية وقوانينه من التجربة، ومقصوده من جملة (ان النظريات ليست صنعي) هو هذا المعنى ايضا.

والواقع انه لم يكن يتصور آنذاك وجود مشكلة في مفاهيم الزمان والمكان. وكذلك مفاهيم الكثافة والقصور الذاتي والطاقة والقوانين الرابطة بينها فقد كان المتصور فيها انها استفيدت من التجربة مباشرة. ومع الاذعان لهذه الاسس فان القانون المتعلق بقوة الثقل يمكنه ان يستنتج من التجربة وعليه فانَّه كان يبدو من المنطقي ان يصدق هذا الامر في مجال كل القوى ايضا.

ويبدو– بشكل واضح– من خلال الاسلوب الذي عرض به نيوتن مفهوم الفضاء المطلق (وهو الساكن المطلق) انه لم يكن مطمئن البال حول هذا الموضوع، والواقع انه كان قد علم بانه لايرتبط أي شيء من عالم التجربة بهذا المفهوم. وفي مجال الاستفاده من القوى المؤثرة على البعد نجده– ايضا– لايمتلك احساسا مقنعاً. ويمكن ان يكون التوفيق العملي العظيم الذي حالف هذه النظرية هوالذي جعل نيوتن وعلماء الفيزياء في القرنين (١٨–١٩) يغفلون عن تعيين الهوية الذهنية كمبان لهذا الجهاز.

وعلى العكس فان اكثر الفلاسفة الطبيعيين في تلك العصور كانوا يعتقدون بان المفاهيم الاساسية والاصول الموضوعة للفيزياء لم تكن ابتكارات حرة للذهن البشري بل انتزعت من التجربة، اي انه تم الحصول عليها باساليب منطقية وقد انكشف خطأ هذه العقيدة– في الواقع– بعد وضع نظرية النسبية العامة. ذلك ان هذه النظرية قد وضحت ان بالامكان توضيح حقائق تجريبية اكثر بشكل اكثر اقناعا وعلى اساس مختلف تماما مع نظرية نيوتن. ولكن مع غض النظر عن مسالة ارجحية احدى هاتين النظريتين على الاخرى يمكن استنتاج الهوية الذهنية لهذه الاصول الاساسية من حقيقة

أننا نستطيع ان نستنبط نظريتين مختلفتين تماما وهما تنسجمان ـ الى حد كبير ـ مع التجربة... ان هذا يوضح ـ ضمنا ـ ان اي سعي للحصول على المفاهيم الاساسية والاصول الموضوعة للميكانيك من التجارب الاعدادية محكوم بالفشل.

ترى مع انه لايمكن استنتاج الاصول الاساسية للفيزياء النظرية من التجربة بل يجب ان تبدع بشكل حر، هل يحق لنا ان نتوقع الوصول الى السبيل الصحيح، وهل ان هذا السبيل الصحيح موجود خارج اذهاننا. وهل انه مع وجود نظريات (نظير الميكانيك الكلاسيكي) يمكنها ـ دون ان تصل الى كنه الامر ـ ان تنسجم ـ الى حد كبير ـ مع التجربة، يمكننا ان نتوقع بان ترشدنا التجربة ـ لوحدها ـ الى المقصود؟ انني ـ وبدون اي تأمل ـ اجيب بالايجاب. انني اعتقد بوجود طريق صحيح، واننا نستطيع ان نعثر على هذا الطريق. ان التجارب التي امتلكناها لحد الآن تسمح لنا لأن نعتقد بان الطبيعة هي مصداق ابسط التصورات الرياضية قابلة للتصور.

وان رأيي القاطع هو اننا عبر الاستفادة من الوسائل الرياضية المجردة نستطيع الحصول على المفاهيم والقوانين الرابطة بينها وهي مفتاح معرفة الظواهر الطبيعية. من الممكن ان تمنحنا التجارب مفاهيم رياضية مناسبة، ولكن من المقطوع به انه لايمكننا ان نستنتج هذه المفاهيم من التجارب. طبيعي ان التجربة سوف تبقى كذلك المعيار الوحيد لكون جهاز رياضي ما مفيدا، لكن الابداع يكمن في المجال الرياضي من الأمر. وعلى هذا فاني بلحاظ خاص اعتقد ـ كما كان القدماء يتصورون ـ ان الفكر المحض يمكنه ان يصل الى الحقيقة».

وهكذا نجد هيزنبرغ في كتابه «الفيزياء وماوراءها» يكتب[٢٠] انه كان في سنة ١٩٢٦ يتصور ان اينشتين مازال يعتقد بالنظرية الوضعية لـ«ماخ» اي انه كان يتصور ان الكميات القابلة للمشاهدة لوحدها هي التي يجب ان ترد مجال النظريات الفيزياوية ومن هنا عندما سأله اينشتاين «الا تعتقد أنت بان الكميات القابلة للملاحظة ـ لوحدها ـ يجب ان ترد مجال اية نظرية فيزياوية».

اجابه هيزنبرغ: «اليس هذا هو بالضبط ماصنعته في مجال النظرية النسبية؟ الم تقل انت اننا يجب ان لانتحدث عن الزمان المطلق لان الزمان المطلق لايقبل التقدير، والوحيدة التي تنفع في تعيين الزمان هي الاعداد التي تظهرها الساعة سواء في

حالة الحركة اوالسكون؟».

فيجيب اينشتاين: «يمكن ان اكون قد استدللت بهذا النوع من الاستدلال ولكنه مع ذلك لامعنى له. قد يكون من الاكثر مهارة ان اقول انه- من المفيد- بلحاظ العملية التحقيقية- ان نودع اذهاننا كل ما نشاهده من الاشياء عملا ولكن من الخطأ- مبدئيا- ان نقيم نظرية على اساس الكميات القابلة للملاحظة فقط. ان ما حدث- في الواقع- هو عكس ذلك فالنظرية هي التي تعين ما يجب ان نشاهده من اشياء».

وهذا فيليب فرانك ايضا ينقل في «حياة اينشتاين» انه قال مرة لاينشتاين انه ادخل هذه النظرية الوضعية بنفسه في سنة ١٩٠٧ للفيزياء فكان جواب اينشتاين: «لاينبغي الإكثار من مزحة لطيفة»[٢١].

كان الهدف من نقل هذه الاقوال هو ان نوضح ان البعض من المحققين المعاصرين الكبار قد التفتوا الى عدم كفاية التجربة لتفسير الطبيعة والآفانه لاشك في اهمية التجربة ولزومها وان على المحققين المسلمين ان لاينسوا المضمون الذي حملته آيات مثل:

«قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...»

(العنكبوت/٢٠)

«قل انظروا ما ذا في السموات والارض....»

(يونس/١٠١)

في مجال البحث في الطبيعة لمعرفة اسرار الخلقة. ولكن عليهم في نفس الوقت ان يلتفتوا الى ان القرآن يؤكد على اهمية التفكير والتعقل في نفس الوقت الذي يدعونا فيه للمطالعة التجريبية لكتاب الطبيعة، و يعلمنا ان لانقنع بالمحسوسات فقط وانما نحاول من خلال ملاحظة خلفيات الظواهر الطبيعية التقرب الى الخالق «سبحانه»

دور الوحي والالهام في معرفة الطبيعة:

يستفاد من بعض الآيات القرآنية ان المعلم الاصلي لكل العلوم هو الله

تعالى:

«اقرأ باسم ربك الذي خلق... الذي علم بالقلم* علم الانسان ما لم يعلم»

(العلق/١—٥)

«خلق الانسان* علمه البيان»

(الرحمن/٣/٤)

«وعلم آدم الاسماء كلها* ثم عرضهم على الملائكة...»

(البقره/٣١)

وما يمكن استفادته من هذه الايات على الاقل هو ان الله اودع الوجود الانساني قابلية كسب المعرفة واعطاه الوسائل اللازمة. الا ان البعض من الحكماء يعتقدون[٢٢] ان دور المحسوسات في ادراك الاوليات، و المقدمات في ادراك النظريات انها تعد النفس لتقبل افاضة عالم القدس ، حيث يكون العامل الاصلي— في الواقع— في اعطاء المعارف للنفس الانسانية هو واهب العلم نفسه هذا وان كانت النفوس الانسانية متفاوتة من حيث الارتباط بهذا المنبع. فبعض لايصل الى شيء بعد تفكيره و بعض يصل الى بعض الحقائق من خلال السير الفكري في حين يعي البعض حقائق دون اي سير فكري و بمجرد التوجه البسيط. يقول الحكيم السبزواري في منظومته في الحكمة:

كما خمود الحدس يبلغ انتهى ... يصعد في شدته غايتها

فيها يكاد زيتها يضيء وصل ... وفيه لاتهدي من احببت نزل

ان بعض الآيات تذكر انه بالاضافة للمسارب العامة (المشاهدة مع التفكير اوالتعقل المحض) يوجد طريق اكثر مباشرة لتلقي حقائق العالم من واهب العلم ولكنه ليس طريقا عاما وانما يتمتع به عباد معينون. ويمكن ان تصنف هذه الآيات الى مجموعات:

(١)— جاء في بعض الآيات ان الله اعطى علوما خاصة لعباد معينين:

«وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك وعلمه مما يشاء»

(البقرة/٢٥١)

«ربّ قد آتيتني من الملك و علمتني من تأويل الاحاديث»

(يوسف/١٠١)

«فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما»

(الكهف/٦٥)

«اذ قال الله يا عيسى ابن مريم... و اذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل...»

(المائدة/١١٠)

«...وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لايعلمون»

(يوسف/٦٨)

«وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث... ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين* وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون»

(الانبياء/٧٨/٨٠)

وفي بعض الآيات نفي لمثل هذا التعليم عن المعلم البشري:

«ان هو الا وحي يوحى* علمه شديد القوى»

(النجم/٤—٥)

«ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلّمه بشر....»

(النحل /١٠٣)

«وانزل الله عليك الكتاب والحكمة و علمك ما لم تكن تعلم»

(النساء/١١٣)

(٢)— وفي بعض الآيات حديث عن الوحي للانبياء:

«ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة»

(الاسراء/٢٩)

«فأوحى الى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى»

(النجم/١٠—١١)

«انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم

واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وعيسى وايوب و يونس وهرون وسليمان و اتينا داود زبورا.»

(النساء/١٦٣)

«واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف مايأفكون»

(الاعراف /١١٧)

«أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ان أنذر الناس...»

(يونس/٢)

«وأوحينا الى موسى و أخيه ان تبوءآ لقومكما بمصر بيوتا»

(يونس/٨٧)

«فأوحينا إليه أنِ آصنع الفلك ...»

(المؤمنون/٢٧)

«ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ...»

(آل عمران/٤٤)

«وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالا نوحي اليهم...»

(النحل /٤٣)

«قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي...»

(الكهف/١١٠)

(٣)— و بعضها يتحدث عن الوحي لغير الانبياء:

«واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي، قالوا آمنا واشهد باننامسلمون»

(المائدة/١١١)

«واوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه...»

القصص/٧)

وقد عبر عن الوحي في هذا المورد بالالهام[٢٣] (اي الالقاء في القلب)،

وطبيعي ان الوحي في القرآن استعمل بمعان اخرى[٢٤]. وما نحصل عليه من مجموع هذه الآيات هو امكان حصول التعلم من قبل واهب العلم بطريق غير

الطريق المتداول (المشاهدة والتفكير) وطبيعي ان تكون له مراتب، والمراتب العاليه له —وهي الوحي باصطلاح اليوم— تختص بالانبياء ووفقا للآية الشريفة:

«وما كان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا اومن وراء حجاب اويرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء»

(الشورى/٥١)

فانه يتحقق من خلال القاء المعنى في قلب النبي مباشرة، خلق الكلام، وارسال الملك[٢٥] واما المراتب الدانية فتتحقق عن طريق الالهام. و يعتقد الحكماء المسلمون ان اولئك الذين يمتلكون **قوة قدسية هم** المستعدون للحصول على المعارف من هذا السبيل.

ويجب ان نرجع الى الوراء قليلا لكي يتوضح لنا استدلالهم هذا.

لقد راينا ان احد المسارب العامة للحصول على معرفة العالم هوالتفكر. وفي مجال التفكر يقوم الذهن بحركتين: احداهما حركة من المطلوب الى المبادي المعلومة والثانية حركة من هذه المبادي الى المطلوب. والانسان في حالة التفكر يبحث عن حد وسط يستطيع بمعونته ان يحصل على مطلوبه من جديد. وفي الحالات الكلية يستلزم الحصول على الحد الوسط بعض المقدمات الا انه في **الحالات الخاصة يوجد افراد يستطيعون —بدون وجود هذه المقدمات او الالتفات اليها— ان يصلوا الى الحد الوسط والمطلوب**[٢٦].

و يسمى هذا الاستعداد الذهني للوصول الى المطلوب— دون سير فكري— بالحدس، وتسمى المرتبة السامية فية بالقوة القدسية والفرد المجهز بهذه القوة يستطيع بدون الاستفادة من التجارب الحسية والتفكر ان يصل الى حقائق كثيرة.

و يعتبر ابن سينا فى كتاب (الاشارات) العبارة القرآنية **(يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار)** اشارة نحو هذه القوة[٢٧] ولاثبات هذه القوة يقول[٢٨]: **ولعلك تشتهى زيادة دلالة على القوة القدسية، وامكان وجودها. فاستمع: الست تعلم ان للحدس وجودا، وان للانسان فيه مراتب وفي الفكرة، فمنهم غبي لا تعود عليه الفكرة برادة، ومنهم من له فطانة الى حدّ ما و يستمع بالفكر، ومنهم من هو اثقف من ذلك وله**

اصابة في المعقولات بالحدس. وتلك الثقافة غير متشابهة في الجميع بل ربما قلت وربما كثرت، وكما انك تجد جانب النقصان منتهيا الى عديم الحدس فايقن ان الجانب الذي يلي الزيادة يمكن انتهاؤه الى غني في اكثر احواله عن التعلم والفكرة».

ولنحاول الان ان نستنتج انه كما كان الوحي ذا مراتب مختلفة وفقا للآيات الكريمة.

«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمه الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس»

(البقرة/٢٥٣)

«وما كان لبشر ان يكلمه الله الاّ وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا...»

(الشورى/٥١)

فان الامام وهو اقل منه مستوى— ذو مراتب ايضا. فالبعض من الافراد يتمتع بالحد الاعلى منه في حين يقدر البعض الآخر على الحد الضعيف منه. وفي مراتبه العالية تبدو الحقائق دون طلب و فكر و بشكل خاطف. اما في المراتب الواطئة فانه بسبب ممارسة الشخص لمسائل قسم خاص تنكشف له امور جديده. وقد اعترف بعض علماء الطبيعة المعاصرين بوجود هذه القوة. فهذا الدكتور الكسيس كارل في كتابه (الانسان ذلك المجهول) يقول:[٢٩]

«اننا نجزم بان الاكتشافات العلمية ليست حصيلة الفكر الانساني لوحده وان النوابغ بالاضافة لقوة المطالعة ودرك القضايا التي يمتلكونها يتمتعون بخصائص اخرى كالاشراق والتصور الخلاق. فهم يحصلون بالاشراق على اشياء تخفى على الآخرين، و يرون العلاقة المجهولة القائمة بين بعض القضايا التي لا تبدو مترابطة— ظاهرا— ويحصلون على كنوز مجهولة بفراستهم. ان كل العظماء يتمتعون بموهبة الاشراق فهم يعلمون دون دليل او تحليل بالاشياء اللازم معرفتها. ان مديرا واقعيا لايحتاج في مجال انتخاب من يعملون تحت ادارته الى ذكاء واوراق للمعلومات، وان قاضيا جيدا يستطيع — دون التوجه لجزئيات الموارد وفقرات القانون وربما احيانا بدون التوجه لكلام الطرفين ومع كونه مواجها بدعاوى خاطئة— ان يصدر الحكم الصحيح.

و ينجر عالم كبير بطبيعته نحوطريق يؤدي الى حصول اكتشاف جديد وهذه هي الحالة التي كان يطلق عليها سابقا (الالهام).

يمكن تقسيم العلماء الى مجموعتين: احداهما منطقية والاخرى اشراقية ورقي العلوم رهين المجموعتين المفكرتين. والعلوم الرياضية التي تملك اسسا منطقية كاملة نجد ان الاشراق يملك فيها سهما رغم ذلك.. والاكتشافات الاشراقية يجب ان تقاس بواسطة المنطق دائما وتتحول الى المجال العملي. وفي الحياة العادية ايضا مثلها مثل القضايا العلمية يشكل الاشراق عامل تعرف قوي وخطير في نفس الوقت وتمييزه عن الوهم مشكل، والذين اسلموا زمام امورهم اليه فقط يتعرضون للخطأ لانه ليس صادقا وصائبا دائما. والكبار وذوو القلوب الطاهرة هم لوحدهم يستطيعون ان يصلوا الى كمال علو الحياة المعنوية. ان هذه الموهبة محيرة حقا، وادراك الواقع دون دليل وتعقل امر لا يمكننا ان نفسره»

وفي ختام هذا القسم من اللازم ان نذكر بانه و ان كان الالهام والاشراق وسيلة للحصول على المعارف الا ان هذه النافذة غير مفتوحة لكل أحد في كل وقت:

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...»

(الجمعة/٤)

والسبيل المفتوح امام الجميع— ويجب ان يستفاد منه في مجال معرفة الطبيعة بشكل مستمر— هوالاستفادة من التجربة والتفكر، ومن الطبيعي انه لكي يصل هذا الطريق الى النتيجة الصحيحة يجب ان تتوفر شرائط الصدق التي سنقوم بالاشارة اليها في البحوث اللاحقة.

مراتب معرفة الطبيعة

رأينا انه من وجهة نظرالقرآن قداودع استعداد معرفة الطبيعية في افراد الانسان، وان عليهم من خلال الاستفادة من الحواس الظاهرية والعقل ان يعرفوا الآيات الالهية، وليتمكنوا من التقرب اليه تعالى. وهنا نريد ان نقول ان القرآن في كل موضع ذكر فيه الآيات الالهية في عالم الطبيعة جعل قابلية فهمها مخصوصة

بمجموعة معينة وها نحن نذكر نماذج من هذه الآيات:

حول المفكرين:

«هو الذي انزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون».

(النحل/١٠—١١)

«وسخر لكم ما في السموات ومافي الارض جميعا منه ان في ذلكلآيات لقوم يتفكرون»

(الجاثية/١٣)

حول العقلاء:

«ان في خلق السمُوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون».

(البقرة/١٦٤)

«وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

(النحل/١٢)

حول اولي الالباب:

«ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب».

(آل عمران/١٩٠)

«ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا

مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب».

(الزمر/٢١)

حول المؤمنين:

«ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين»

(الجاثية/٣)

«الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»

(النمل/٨٦)

حول المتقين:

«ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون»

(يونس/٦)

«خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون»

(البقرة/٦٣)

حول العلماء:

«ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين»

(الروم/٢٢)

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب* ما خلق الله ذلك الا بالحق* يفصل الآيات لقوم يعلمون.»

(يونس/٥)

اهل التذكر:

«وماذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون»

(النحل/١٣)

«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»

(الذاريات/٤٩)

الذين يتبعون الحق:

«ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون»

(الروم/٢٣)

«والله انزل من السماء ماءً فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون»

(النحل/٦٥)

اهل اليقين:

«وفي خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون»

(الجاثية/٤)

«وفي الارض آيات للموقنين، وفي انفسكم افلا تبصرون»

الذاريات/٢٠—٢١)

اهل الفقه، التوسم، البصيرة، النّهى...

«وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون»

(الانعام/٩٨)

«فاخذتهم الصيحة مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها و أمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين»

(الحجر/٧٣—٧٥)

«يقلب الله الليل والنهار، ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار»

(النور/٤٤)

«كلوا وارعوا انعامكم، ان في ذلك لآيات لاولي النُّهى»

(طه/٥٤)

وحول تعبيرات التفكر والتعقل والتفقه و... التي جاءت في هذه الآيات ما يستفاد من القرآن هو ان بعضا منها يتعلق بالمراتب المختلفة من الادراك العقلي والبعض الآخر من لوازم مراتب اخرى. فمثلا من المقارنة التالية:

«ان في خلق السمٰوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا...»

(آل عمران/١٩٠—١٩١)

«ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار... لآيات لقوم يعقلون»

(البقرة/١٦٤)

«ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم ينقون»

(يونس/٦)

«...وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب»

(البقرة/١٩٧)

«افمن يعلم انّما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى، انّما يتذكر اولوا الالباب»

(الرعد/١٩)

«وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون.»

(العنكبوت/٤٣)

يمكن ان نستفيد ان اولي الالباب يتمتعون بالتعقل والتفكر والتقوى والعلم، كما تستفاد الخصائص الاخرى لاولي الالباب؛ من قبيل انهم يتبعون

الحق،يبتعدون عن المتشابهات، و يعبدون الله، و يتمتعون بالحكمة، و يتذكرون و يعتبرون بالماضين، نستفيدها من الآيات التالية:

«فبشر عبادالذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب»

(الزمر/١٧—١٨)

«هوالذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و أُخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربّنا وما يذكر الا اولوالالباب»

(آل عمران/٧)

«امنّ هو قانت آناء الليل ساجدا و قائما يحذرالآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر اولوا الالباب»

(الزمر/٩)

«يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب»

(البقرة/٢٦٩)

«الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتريه مصفراً ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب»

(الزمر/٢١)

«لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيءٍ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»

(يوسف/١١١)

وعلى هذا نجد اولي الالباب يملكون غالب الخصائص المذكورة في القرآن لفهم الطبيعة: انهم اصحاب العقول الطاهرة مما يمكنهم أكثر لمعرفةٍ اعمق بالطبيعة.

وكذلك مقارنة الآيات الشريفة:

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا

الآيات لقوم يعلمون»

(الانعام/٩٧)

«وهو الذي أنشأ كم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون»

(الانعام/٩٨)

«وهوالذي انزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا... ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»

(الانعام/٩٩)

توضح (كما يذكر العلامة الطباطبائي)[٣٠] انه بالرغم من ان فهم بعض الامور المتعلقة بالزراعة ممكن للمؤمنين غير العلماء فان.. فهم المسائل النجومية يستلزم وجود سابقة علمية، وفهم الامور المتعلقة بالنفس الانسانية واسرارها يحتاج للتحدث النظرى والتفقه و التعمق الشديد.

وكذلك اشير في القرآن الى مرتبة اعلى من المعرفة وهي معرفة ملكوت السماوات والارض:

«وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين»

(الانعام: ٧٥)

«اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض و ما خلق الله من شيء...»

(الاعراف: ١٨٥)

والملاحظ ضمنا ان رؤية الملكوت — كما تذكر الاية الاولى — ادت الى اليقين. وتوجد تفاسير مختلفة حول الملكوت. فبعض العلماء كالطباطبائي، اعتبره الجانب الباطني للاشياء[٣١] وهو ما يحكي من انتسابهالله و قيامهابه، ورأى البعض الآخر انه عجائب السموات والارض[٣٢] وفسره اخرون بقوانين الطبيعة.[٣٣]

و توجد حول مسألة رؤية الملكوت آراء متنوعة و يرى غالب المفسرين انها ليست رؤية حسية و انما هي بصيرة عقلية[٣٤]. يقول الامام الفخر الرازي في تفسير آية:

«وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات و الارض» مانصه:[٣٥]

«واعلم ان في تفسير هذه الاراءة قولين: الاول: ان الله اراهُ الملكوت بالعين...» والقول الثاني: «ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة والعقل لابالبصر الظاهر والحس الظاهر».

و بعد مجموعة من الاستدلالات يضيف قائلاً:

«فثبت بجملة هذه الدلائل ان تلك الاراءة كانت بحسب بصيرة العقل لابحسب البصر الظاهر)

والقدر المتيقن هو ان مثل هذا النوع يمثل معرفة عميقة حول الطبيعة ولانها تؤدي الى اليقين فانها اسمى مراتب المعرفة، وعليه فان لازم الحصول على مثل هذا النوع من المعرفة هو توفر كل الخصوصيات المذكورة في الآيات التي اوردناها في هذا القسم من البحث:

والنتيجة الكلية التي نحصل عليها من خلال امثال هذه المقارنات هي:

اولاً: هناك مستويات مختلفة لمعرفة ظاهرة ما.

ثانياً: ان المقدمات اللازمة لادراك المسائل المختلفة للطبيعة متفاوته.

ثالثا: لكي نحصل على معرفة اعمق عن الطبيعة يجب ان يتحلى الباحثون اكثر فاكثر بكل الخصوصيات التي ذكرتها الآيات الآنفة وهذه الخصوصيات يمكن تلخيصها في المقولات الثلاث التالية:

التمتع بالرصيد العلمي، التعقل، الايمان و التقوى.

ويمكن ان يطرح هنا تساؤل عن الدور الذي يمكن ان يلعبه الايمان والتقوى في معرفة الطبيعة وعن السر الذي دعا القرآن لان ينفي المعرفة الصحيحة من قبل غير اهل الايمان كما جاء في الآيات التالية:

«قل انظروا ماذا في السماوات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون»

(يونس/١٠١)

«أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين».

(الشعراء/٧—٨)

«وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»

(الروم/٥٣)

ولماذا نجد في آيات نظير:

«ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين»

(الجاثية/٣)

«ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون»

(يونس/٦)

نسب فهم بعض آيات الطبيعة لاهل الايمان والتقوى؟ اليس التفكير المنطقي يمكن من كل احد مؤمنا كان او كافرا؟ وحتى اننا نجد القرآن يستدل في قبال المشركين والكفار باسلوب منطقي؟ اننا نستمد الجواب بمعونة من القرآن الكريم نفسه. فمن ملاحظة التلازم بين التقوى والايمان.

«...واتقوا الله ان كنتم مؤمنين»

(المائدة/٥٧)

وآيات اخرى نظير:

«ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا...»

(الانفال/٢٩)

«ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»

(الاعراف/٢٠١)

«...ومن يؤمن بالله يهد قلبه...»

التغابن/١١)

يمكن القول بانه على اثر الايمان تحصل في الانسان ملكة تمييز الحق من الباطل، و تنشط القوة العاقلة بعيدا عن الشوائب والالقاءات الشيطانية.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان بهذا الصدد: [٣٦] «ان القرآن الكريم انما اشترط التقوى في التفكير والتذكير والتعقل، وقارن العلم بالعمل للحصول

على استقامة الفكر و اصابة العلم و خلوصه من شوائب الاوهام الحيوانية والالقاءات الشيطانية» وحديث: «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء»

المنقول عن الرسول الاعظم يؤيد هذا المعنى:[٣٧]

كما روي عن الامام علىّ انه قال(ع):[٣٨]

«من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل»

وعلى هذا فالدور المهم للتقوى هو منعها من انحراف العقل، الا انه يستنتج من بعض الآيات القرآنية والنصوص الاسلامية الاخرى ان الدور المهم للتقوى والتزكية لاينحصر بدفع آفات المعرفة وانما يستطيع الانسان على اثر تزكية النفس و تهذيبها ان يصل الى معارف وراء ما يحصل بالتجربة والفكر وها نحن نذكر بعضا منها كنماذج لذلك:

الف)— جاء في القرآن الكريم:

«واتقوا الله ويعلمكم الله...» (البقرة/٢٨٢)

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...»

(العنكبوت/٦٩)

«وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين»

(الانعام: ٧٥)

ب)— وجاء في حديث قدسي متفق على مضمونه بين المسلمين:

قال رسول الله (ص): قال الله عزوجل...**«وما تقرب الي عبد بشيء احب الي مما افترضت عليه وانه ليتقرب الي بالنافلة حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته»**[٣٩]

ج)— و روي عن الرسول الاكرم(ص) انه قال:

«ما اخلص عبدٌ لله عزوجل اربعين صباحا الاجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».[٤٠]

د)— ونقل في نهج البلاغة عن الامام علي عليه السلام:

«قد احيا عقله وامات نفسه حتى رق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق، فابان له الطريق وسلك به السبيل، وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه، وارضى ربه»[41]

وكذلك جاء في نهج البلاغة قوله(ع):

«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون»[42]

وعلى أيّ حال فالمسلّم هو ان نافذة الالهام والاشراق ليست مفتوحة لاي احد وانما تختص هذه الموهبة الالهية باولئك الذين وجد فيهم استعداد وتقبل هذا الفيض الالهي فعادوا محلا للطف الالهي، اما السبيل المفتوح امام الجميع فهوالاستفادة من التجربة والتعقل وطبيعي انه لكي تضمن النتائج الموفقة يلزم الحذر من آفات المعرفة.

آفات المعرفة

قد تسيطر بعض العوامل على عقل الانسان و تؤدي الى عدم استطاعة العقل لتأدية دوره المطلوب و هنا نجد ان الاحكام قدتنسب الى العقل ولكنها في الواقع صادرة من عقل مشوب غيرسليم والعقل في مثل هذه الموارد— كما يقول العلامة الطباطبائى هو[43]: «كالقاضي الذي يقضي بمدارك اوشهادات كاذبة منحرفة، فانه يحيد في قضائه عن الحق وان قضى من غير قصد للباطل، فهوقاض وليس بقاض، كذلك الانسان يقضي في مواطن المعلومات الباطلة بما يقضي وانه وان سمّى عمله ذلك عقلا بنحومن المسامحة لكنه ليس بعقل حقيقة لخروج الانسان عند ذلك عن سلامة الفطرة وسنن الصواب». فعلى الانسان الباحث ان ينزه ذهنه عن الاحكام المسبقة التي لااساس لها والظنيات و يطهره من الهواجس النفسية والادران الاخلاقية ليستطيع الوصول الى المعرفة الصحيحة. و للغزالي في كتابه (احياء العلوم) تشبيه جيد يقول فيه: [44] «فالقلب في حكم مراة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه، وهذه الاثار على التواصل واصلة الى القلب. اما الاثار المحمودة التي

ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلالأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين... واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولايزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى.

اعلم ان محل العلم هوالقلب، اعني اللطيفة المدبّرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المعلومات؛ فكما ان للمتلون صورة، ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها... فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة...

وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة امور (احدها) نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل (والثاني) لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل. (والثالث) لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة. (والرابع) لحجاب مرسل بين المرآة والصورة. (والخامس) للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر لسببه ان يحاذي بها شطر الصورة وجهتها... فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها، وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة. (اولها) نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لاينجلي له المعلومات لنقصانه. (والثاني) لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه... (الثالث) ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب. بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية اوبتهيئة اسباب المعيشة ولايصرف فكره الي التامل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية. فلا ينكشف به الاما هومتفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها، اومصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها. واذا كان تقييداً لهم بالأعمال وتفصيل الطاعات، مانعاً عن

انكشاف جلية الحق، فماظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها و علائقها فكيف لايمنع عن الكشف الحقيق؟ (الرابع) الحجاب، فان المطبع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لاينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن. فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق... (الخامس) الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها رتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار. فعند ذلك يكون قد عثر عن جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه، فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية تُقتَنَصُ الا بشبكة العلوم الحاصلة... ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي فيها الصورة، بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلايظهر فيها القفا، وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلايرىٰ المرآة ولاصورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها و يراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها الازورارات.

فهذه هي الاسباب المعارفة للقلوب من معرفة حقائق الامور، والآفكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف .

وهذا نجد القرآن في الآيتين التاليتين:

«...لونشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون»

(الاعراف/١٠٠)

«واتقوا الله واسمعوا»

(المائدة/١٠٨)

يعبر عن عدم سماع كلمة الحق بالطبع على القلب اى عدم ادراكه (على اثر الذنوب) و يعتبر كونه سميعا مرتبطا بالتقوى».

وعلى اي حال:

فاننا نجد القرآن الكريم يذكر موانع من المعرفة الصحيحة ويمكن طرحها تحت عنوان او عنوانين كليين، ولكنّا نسعى لكي يتوضح الأمر بنفس العناوين التي جاءت في القرآن الكريم.

(١)– عدم الايمان:

فهناك ايات كثيرة تعبر عن ان عدم الايمان يشكل مانعا كبيرا في سبيل كسب المعرفة الصحيحة.

«ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون»

(المنافقون/٣)

«وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»

(الروم: ٥٣)

«كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون»

(الانعام: ١٢٥)

«انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لايؤمنون»

(الاعراف: ٢٧)

«ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله...»

(النحل/١٠٤)

«...والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً...»

(فصلت/٤٤)

وتؤكد بعض الآيات ان مجرد الاعتماد على العلم دون وجود عنصر الايمان لايمكنه ان يؤدي الى المعرفة الصحيحة للطبيعة.

«قل انظروا ماذا في السموات والارض وماتغني الايات والنذر عن قوم لايؤمنون»

(يونس:١٠١)

«فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هواعلم بمن ضل عن سبيله وهواعلم بمن اهتدى»

(النجم: ٢٩—٣٠)

وكما اشرنا من قبل فان الدور الاساسي للايمان في مجال المعرفة هو ارجاع القوة العاقلة للانسان الى الحالة المستوية الفطرية.

(٢)— وجود العوامل المضللة للعقل:

ان وجود بعض الصفات و الخصوصيات في الافراد يمنع من ان يتخذوا موقفا صحيحا و يصلوا الى كشف الحقيقة وها نحن نذكر اهمها فيمايلي:

الف)— اتباع الهوى والأمل:

وقد كرر القرآن حقيقة ان اتباع الاهواء والميول يؤدي الى الضلال:

«فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله...»

(القصص: ٥٠)

«أفرأيت من اتخذ إلـهه هويٰه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون»

(الجاثية/٢٣)

«ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير»

(البقرة/١٢٠)

«...فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله...»

(ص/٢٦)

«... وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم...»

(الانعام/١١٩)

«... أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم»

(محمد«ص»/١٦)

«... ومنهم أميّون لايعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ وان هم إلاّ يظنون»

(البقرة/٧٨)

وقد نقل عن الرسول الاعظم(ص) انه قال: [٤٥] «ان اخوف ما اخاف على امّتي الهوى وطول الامل امّا الهوى فانّه يصد عن الحق وامّا طول الامل فينسي الآخرة» .

وعن على(ع) انه قال: «عدو العقل الهوى» [٤٦]

و «الاماني تعمي اعين البصائر» [٤٧]

(ب)— الحب والبغض الاعمى والتعصب:

وهذه ايضا من العوامل التي تمنع من موضوعية القوة العاقلة وطلبها للحقيقة؛ يقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

و يقول الشاعر المولوي ماترجمته: عندما يحل الهوى ينعدم الفن وتسدل مئات الحجب العاطفية على العين. والقرآن الكريم يحذر الانسان — مكررا— من هذه الامراض القلبية فيقول:

«واماثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون»

(فصلت/١٧)

«وعاداً وثمود وقدتبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين»

(العنكبوت/٣٨)

«...وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين» (الاعراف/٧٩)

«ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط أعمالهم...» (محمد(ص) /٩)

«لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون»

(الزخرف/٧٨)

«..وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا»

(الفتح/١١)

«وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيٰها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنريٰها في ضلال مبين»

(يوسف/٣٠)

«...وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل...»

(غافر/٣٧)

ونقل عن الرسول الاعظم (ص) قوله : «حبك للشيء يعمي ويصم» [٤٨]

ونقل عن الامام علي (ع) قوله: «ومن عشق شيئا اعشى بصره و امرض قلبه فهوينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة». [٤٩]

وجاء في نهج البلاغة قوله : [٥٠] «ان القلب اذا كره عمي»

(ج) الاستكبار:

ولأنه قد يتفق للانسان— في حالة بلوغه مرتبة علمية— ان لايتبع الحق غرورا منه، فان القرآن يبشر هؤلاء بالعذاب الالمي.

«يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرمستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم* واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين»

(الجاثية/٨—٩)

«ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتيٰهم إن في صدورهم الأكبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله...»

(غافر/٥٦)

«فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحرمبين* وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين» (النمل/٣—١٤)

«فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون»

(الاحقاف/٢٦)

«ان الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء...»

(الاعراف/٤)

«فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه...»

(العنكبوت/٦٨)

«ولما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحرمبين»

(النمل/١٣)

«وانّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم و اصرّوا واستكبر وا استكباراً»

(نوح/٧)

(نوح/٧)

«ثم ادبر واستكبر* فقال ان هذا الاسحر يؤثر»

(المدثر/٢٢—٢٤)

ونقل عن الرسول الاكرم(ص) قوله[٥١]:«يا علي ثلاث درجات وثلاث كفارات وثلاث مهلكات و ثلاث منجيات... واما المهلكات. فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه».

ونقل عن الامام علي (ع) قوله[٥٢]: «العجب يفسد العقل».

(د) ــ التبعية العمياء لآراء الماضين وذوي القدرة والسوابق الذاتية في الذهن.

وهذه ايضا من الخصال المانعة من طلب الحقيقة وقد أدانها القرآن مرارا:

«وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا»

(الاحزاب/٦٧)

«بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون»

(البقرة/١٧٠)

«فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون»

(غافر/٨٣)

«واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءَنا اولوكان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون»

(المائده/١٠٤)

«وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون* قال اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون»

(الزخرف/٢٣—٢٤)

«وتلك عادجحدوا بآيات ربّهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد»

(هود/٥٩)

«...فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد»

(هود/٩٧)

هـ)— العجلة في القضاء والحكم:

ان العجلة في كثير من الاحيان تؤدي الى الخطأ في معرفة الحقيقة ولذا نجد القرآن يحذرنا منها:

«خلق الانسان من عجل، سأوريكم آياتي فلا تستعجلون»

(الانبياء:٣٧)

«... ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه...»

(طه: ١١٤)

«يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»

(الحجرات/٦)

وفي الاحاديث المأثورة عن الرسول الاعظم(ص):

«انما أهلك الناس العجلة، ولوان الناس تثبّتوا لم يهلك احد»[٥٣]

و:

«الاناة من الله والعجلة من الشيطان»[٥٤]

وقد نقل عن الامام عليّ (عليه السلام) انه قال:

«العجلة تمنع الاصابة»[٥٤]

(٣)ـ الجهل:

ان الكثير من الاشتباهات في الاحكام (العلمية وغير العلمية) تنشأ من الجهل بالموضوع و عدم وجود رصيد علمي كاف، و يدين القرآن الكريم الاحكام الجاهلة بقوة فيقول:

«...فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم...»

(آل عمران:٦٦)

«...وان كثيرا ليضلّون باهوائهم بغير علم...»

(الانعام:١١٩)

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير»

(الحج: ٨)

«وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون»

(الاحقاف: ٢٣)

وجاء في الحديث المأثور عن الرسول الاعظم(ص):

«من افتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السمّوات والارض»[٥٥]

و من النماذج البارزة للاحكام الجاهلة اتباع الظن، وانماط النفي والاثبات دون دليل والتعامل الساذج مع الحوادث والظواهر:

أـ اتباع الظن

ويحذرنا القرآن الكريم ـ مرات عديدة ـ من اتباع الظن والتعامل معه كالتعامل مع العلم.

«وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيىٰ وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك

من علم، ان هم الايظنون»

(الجاثية: ٢٤)

«ومالهم به من علم، ان يتبعون الا الظن، وان الظن لايغني من الحق شيئا»

(النجم: ٢٨)

«وما يتبع اكثرهم الاظنا، ان الظن لايغني من الحق شيئا»

(يونس: ٣٦)

«يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية...»

(آل عمران/١٥٤)

ب— تجنب النفي والاثبات دون دليل:

ان القرآن يرغبنا في طلب البرهان ويحذرنا من أنماط التصديق والانكار غير المعتمدة على دليل.

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الاتخرصون»

(الانعام: ١٤٨)

«ولا تقف ماليس لك به علم، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا»

(الاسراء:٣٦)

«وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى، تلك امانيهم، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»

(البقرة/١١١)

«ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم إلا كبرٌ ماهم ببالغيه، فاستعذ بالله انه هو السميع البصير»

(غافر:٥٦)

والمبدأ المهم في البحوث العلمية هوان لانقبل شيئا دون دليل او نرفضه دون دليل.

وقد روي عن الامام الصادق(ع) قوله :[٥٦]

«ان الله تبارك وتعالى خَصَّ عباده بآيتين من كتابه: ان لايقولوا حتى يعلموا ولايردوا مالم يعلموا. قال الله عزوجل: «الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق»

(الاعراف: ١٦٩)

و قال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»

(يونس: ٣٩)

ان عدم مراعاة هذا المبدأ من قبل بعض الباحثين من العلوم الطبيعة — مع الاسف — قد أدى الى تعميمات خاطئة وانكارات دون دليل وعاد على الانسانية بخسائر مادية ومعنوية جسيمة. وان الالحاد والمادية المسيطرين على بعض المجتمعات البشرية هي نماذج واضحة من الغفلة عن المبدأ المذكور. وان اولئك الذين يبنون احكامهم على اساس من الحس ليس لهم ان ينكروا ما فوق الحس واكثر مالهم ان يصنعوه هو التوقف عن الحكم وابداء الراي. وعلى كل الباحثين ان يلتفتوا الى نصيحة الشيخ الرئيس ابي علي بن سينا في آخر النمط العاشر من الاشارات وهي في الواقع تفسير للآيات السالفة اذ يقول[٥٧].

«اياك ان يكون تكيسك وتبرؤك عن العامة هو ان تبري منكرا لكل شيء فذلك طيش وعجز، وليس الخرق في تكذيبك مالم يستبن لك بعد جليته دون الخرق في تصديقك مالم تقم بين يديك بينة، بل عليك الاعتصام بحبل التوقف، وان ازعجك استنكار مايوعاه سمعك مالم تتبرهن استحالته لك ان تسرح امثال ذلك الى بقعة الامكان مالم يذدك عنه قائم البرهان. واعلم ان في الطبيعة عجائب، و للقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب».

ج — عدم التعقل والسطحية في النظرة:

و يصف القرآن بكل شدة اسلوب اولئك الذين يتعاملون مع الظواهر والحوادث تعاملا سطحيا ولايفكرون فيها:

«وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير»

(الملك: ١٠)

«...ويجعل الرجس على الذين لايعقلون» (يونس: ١٠٠)

«واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا، ذلك بانهم قوم لايعقلون»

(المائدة: ٥٨)

«ومنهم من يستمعون اليك، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون»

(يونس: ٤٢)

«افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها...»

(الحج: ٤٦)

«يعلمون ظاهراً من الحيوة الد نيا و هم عن الآخرة هم غافلون»

(الروم: ٧)

«وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها و هم عنها معرضون»

(يوسف: ١٠٥)

ثم اننا من خلال مقارنة الآيتين التاليتين:

«ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون»

(الانفال: ٢٢)

«ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم اضل سبيلا»

(الفرقان: ٤٤)

نستطيع ان نستنتج ان الفرق الاساسي بين الانعام والانسان يكمن في التعقل ولذا فان الانسان الذي لايفكر لايختلف في الواقع عنها بل هو منها أضل.

(٤) — عدم طلب الحق او عدم قبوله:

يعد احد العوامل المهمة في اي نوع من البحوث ان يقصد الباحث بكل تجرد كشف الحقيقة، و ها هوالقرآن الكريم يدعو الانسان لطلب الحق واتباعه:

«فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه، اولئك الذين هديهم الله و اولئك هم اولوا الألباب»

(الزمر: ١٨)

«... افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع أمَّنْ لايَهِدِّي الا ان يُهدى...»

(يونس: ٣٥)

«لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»

(يونس: ٩٤)

«...فماذا بعد الحق الا الضلال فأنّى تصرفون»

(يونس: ٣٢)

و يدين اولئك الذين لايقصدون الحق و يذعنون له:

«فقد كذبوا بالحق لما جاءهم...»

(الانعام: ٥)

«لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون»

(الزخرف: ٧٨)

«ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذّب بالحق لما جاءه..»

(العنكبوت/ ٦٨)

«سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا، ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين»

(الاعراف: ١٤٦)

ومن الآيات الشريفة:

«ومن آياته منامكم في الليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون»

(الروم/٢٣)

«والله انزل من السماء ماءً فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون»

(النحل/٦٥)

«هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون»

(يونس/٦٧)

«يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم.»

(الجاثية/٨)

يستفاد ان الآيات الالهية انما تكون مؤثرة ومربية لاولئك الذين يملكون اذنا سميعة، و يفكرون فيما يسمعون و يقبلون ذلك ان رأوه حقا[٥٨].

الأصول الهادية في معرفة الطبيعة

قلنا ان القرآن ليس كتابا في العلوم الطبيعية، واذا تحدث عن الظواهر الطبيعية فان ذلك لكي يصل من خلالها الى هداية الانسان. كما قلنا ان الله تعالى قد اودع في الانسانية القدرة التي تستطيع بها عبرالسعي والاستمداد من الفيض الالهي ان تصل بالتدريج الى الكثير من الآيات الآفاقية والانفسية الحقة «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» و بذلك يتقدم خطوة الى خالق العالم.

ونحاول الآن ان نقول انّ القرآن الكريم وفق الآيات الشريفة.

«... ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة و بشرى للمسلمين»

(النحل/٨٩)

«...ما فرطنا في الكتاب من شيء...»

(الانعام/٣٨)

يتكفل مسألة الهداية الانسانية في جميع المجالات الحياتية ولذا فمن الطبيعي ان نتوقع منه تعريفنا بالمبادئ الهادية في مجال التحقيق في العلوم الطبيعية. اننا— ومن خلال استنتاجنامن القرآن الكريم— نعتقد بانّه بالاضافة للمبادئ المنطقية المتعارفة (من مثل مبدأ عدم التناقض) يجب ان تشكل المبادئ التالية اضواء على التحقيقات العلمية:

(١) ـ الاعتقاد الراسخ بالتوحيد:

تركز الايات القرآنية حقيقة كونه تعالى خالق العالم والحاكم فيه، كل شيء ينشأ منه واليه منتهى كل شيء، وكل الموجودات تسبح له، والهدف من الخلقة الانسانية هو ان يعمل الانسان عبر العبادة الى التقرب اليه، والبحث في كشف الطبيعة ليس مستثنى من هذه القاعدة، فالهدف من البحث في الطبيعة يجب ان يتلخص في رؤية آثار عظمة الفعل الالهي والاستفادة من الامكانات المتوفرة لصالح الانسان وايصاله الى السعادة الابدية.

اما البحث في الطبيعة لمجرد اشباع حب الاستطلاع في الانسان فليس أمراً مقبولا من وجهة النظر القرآنية. ان عملية معرفة الطبيعة يجب ان لا تقف بنا عند الوسائط وتشغلنا بها بل عليها ان تذكر بالله دائما. ان الانسان الباحث اذا التفت الى ان الله غير محدود من اي جهة وان كلماته غير محدودة فانه ـ عبر هذا التوجه لهذا المنبع اللامحدود ـ سوف لن يقف عند اي مستوى وانما يسعى للتعرف الاكثر على عظمة الخلقة، لانه يحس بانه يتقرب الى الله خالق العالم من خلال هذا الطريق.

ان على معرفة الطبيعة ان توصلنا من اول هذه المجموعة من العلل والاسباب الى آخرها ومبدئها وهوالله تعالى. وهذا هو السبيل الذي سار عليه ابراهيم(ع):

«فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لااحب الآفلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون* اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين» (الانعام/٧٦ـ٧٩)

وكانت النتيجة هي رؤية ملكوت السماوات والارض:

«وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين.»

(الانعام/٧٥)

وهو السبيل الذي دعي لطيه كل الباحثين:

«اولم ينظروافي ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء...»

(الاعراف/١٨٥)

ان الاعتقاد الراسخ بالتوحيد يبعث الباحث على ان لاينظر للطبيعة وكأنها مركبة من اجزاء منفصلة بل يراها في ترابط تام ناشئ من منبع واحد، انه من خلال هذا التكثير يرى الوحدة. وان تجارب القرون السالفة تظهر ان العلماء كانوا يسعون دائما لكشف أطروحة تعبر **عن مجموع الطبيعة، فكانت لليونانيين** تفسيراتهم عن العالم كله، وفي العالم الاسلامي كانت هناك مدارس تسعى لتعطي نماذج تعبر عن ترابط اجزاء الطبيعة، و في المرحلة التاريخية التي تلت النهضة الاوربية الحديثة عمل نيوتن على ان يوضح عبر مجموعة من القوانين الحركات السماوية والارضية، وسعى اينشتاين بعده لتوسيع الترابط بين الامور الطبيعية اكثر من الحد الذي تصوره نيوتن. وفي السنين الاخيرة انصبت جهود الباحثين المتخصصين في الفيزياء النظرية على ارجاع كل القوى الطبيعية الى أصل واحد. والذي يبدو من خلال كل هذه المراحل ان العلماء كانوا يسعون من خلال العثور على نماذج مناسبة كي يفسروا كل الظواهر الطبيعية واذا كانت التجربة قدتمت في الارض فانهم ارادوا تعميمها لكل عالم الطبيعة. لقد لوحظت خصلة (طلب الوحدة) بين العلماء الماديين و غير الماديين مما يعبر عن انها تنشأ من امر فطري. والاختلاف الموجود بين الماديين و غيرهم **هووقوف الماديين عند الظواهر**، في حين رأى غيرهم ان وحدة التدبير تعبر عن وحدة المدبر. تقول الآية الشريفة— وهي تعبر عن الموقف الاول—:

«وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وماهم بذلك من علم ان هم الايظنون»

(الجاثية: ٢٤)

في حين تقول الآية الآخرى— معبرة عن الموقف الثاني—:

«خلق السمٰوات والارض بالحق تعالى عما يشركون»

(النحل/٣)

والامر المهم الذي يجب ان نذكر به في هذا الصدد هو ان القرآن الكريم يؤكد بشدة على النظام في الظواهر والنظم الطبيعية، والتناسق التام بين الاجزاء المختلفة للطبيعة والغائية فيها:

«وكل شيء عنده بمقدار»

(الرعد: ٨)

«وخلق كل شيء فقدره تقديرا»

(الفرقان: ٢)

«ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور»

(الملك :٣)

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب. ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق. يفصل الآيات لقوم يعلمون»

(يونس: ٥)

و يعتبر القرآن هذا النظام و الانسجام ناشئاً ومعبراً عن التوحيد الالهي:

«... لوكان فيهاآلهة الاالله لفسدتا...»

(الانبياء: ٢٢)

«صنع الله الذي اتقن كل شيء...»

(النمل: ٨٨)

«... وما كان معه من إلٰه إذاً لذهب كلُّ إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض...» (المؤمنون: ٩١)

ان الايمان بوجود النظام في الطبيعة يشكل عاملا قويا في تشجيع الباحثين على كشف الطبيعة و بدونه فان اي نوع من السعي لكشف العلاقات والقوانين في الطبيعة يعد عبثا لانه لايملك قيمة عامة عالمية. فهو في الحد الاقصى حينئذ يملك قيمة موقتة لاغير.

ان الاعتقاد بوجود النظام يؤدي الى ان نتهم انفسنا— حينما لانستطيع العثور على وجه النظام في ظاهرة طبيعية ما ــ بان ذلك ناتج من جهلنا نحن، لا من عدم وجود النظام وسيطرة الصدفة في الطبيعة.

وعندما سيطر الميكانيك الكوانتمي في الربع الأول من القرن العشرين انكر البعض من المتضلعين في الفيزياء النظرية وجود النظام في المجال الذري، وهنا انبرى اينشتاين— رغم انه لم يوفق لابداء نظرية في قبال الفرضية الموجودة — ليرد على ذلك معتمدا على اصل النظام في الطبيعة. فقد كتب في رسالة بعثها في ديسمبر ١٩٢٦ الى بورن— يقول:[٥٨]

«ان الميكانيك الكوانتمي ذوعظمة حقا، الا ان نداءً من الاعماق يقول لي بانه ليس لحد الآن شيئا واقعيا، ان هذه النظرية لها مضمون كثير، الا انها لا تقربنا — واقعا — من اسرار الذات القديمة، وعلى اي حال فاني اعتقد ان الله لايقامر بالنرد».

و كذلك نجده يقول في رسالة بعثها الى بورن في سبتمبر١٩٤٤:[٥٩]

«لقد عدنا أنا وأنت— من الوجهة العلمية— في قطبين متضادين، فانت تعتقد بالله الذي يقامر بالنرد وانا اعتقد بالنظام الكامل في العالم الذي له واقع، واني بشكل لايمكن السيطرة عليه اسعى— عبر الفحوص النظرية— لكشفه، انه حتى التوفيق الاولي الذي حصلت عليه نظرية الكوانتم لايجعلني أومن بهذه المقامرة الرئيسة وان كنت اعلم تماما بان زملائي الشباب يرون ذلك من عوارض الشيب.... ولاريب في مجيء يوم يتوضح فيه أيٌّ منا على صواب في رؤيته الشهودية».

و يعتقد البعض من العلماء بوجود النظام في الطبيعة دون ان يكونوا مؤمنين بالله تعالى. الا اننا نرى ان النظام والانسجام الموجود في الطبيعة لايمكن تفسيره الا في ظل التوحيد.

والنتيجة الاخرى التى نحصل عليها بعد الاعتماد على مبدأ التوحيد هي ان الباحث بعد ملاحظته للترابط الموجود بين ابعاد الطبيعة المختلفة تتكون لديه نظرة توحيدية بالنسبة للعلوم المتنوعة. فهو ينظر الى اي جزء منها كمعرف نال من عالم الخلقة ولايرفض ايا من الاجزاء بحجة عدم معرفة حقيقته.

(٢)— الإيمان بالواقع الموضوعي الخارجي

يرى القرآن ان العالم خارج الذهن له تحقق عيني:

«وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون»

(الذاريات: ٢٠–٢١)

«الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ... والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون»

(الزخرف: ١٠– ١٢)

«والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة...»

(النحل: ٧٨)

«سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون..»

(يس: ٣٦)

«لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون»

(المؤمن: ٥٧)

وآيات من قبيل:

«وما يتبع اكثرهم الاظنا. ان الظن لايغني من الحق شيئا..»

(يونس: ٣٦)

«وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا»

(الكهف/١٨)

«وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرالسحاب»

(النحل/٨٨)

تحكي ايضا عن الواقعيات المستقلة عن الذهن، فاذا لم تكن الصورة الذهنية لدينا عن الاشياء مطابقة للواقع الخارجي فهي ليست الاصورة ذهنية خيالية ولن توصلنا الى الحقيقة مطلقا. هذا بالاضافة الى ان العالم الخارجي لو لم يكن واقعيا لم يدعنا القرآن بمثل هذا التأكيد الى مطالعة الطبيعة وكشفها:

«قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...»

(العنكبوت/٢٠)

«قل انظروا ماذا في السموات والارض...»

(يونس: ١٠١)

«اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء...»

(الاعراف/١٨٥)

ان الايمان بواقعية العالم خارج الذهن يشكل اساسا لكل البحوث التجريبية و بدون ذلك فان اي نمط من البحث العلمي لايعبر في الحد الاقصى الا عن تسلية ذهنية لاغير وهذا الايمان يعد احد العوامل الرئيسة الدافعة لعمل الباحثين في مجال كشف الطبيعة.

(٣)– الايمان بالغيب ومحدودية المعرفة البشرية

ان القرآن يعلمنا ان المعرفة البشرية محدودة:

«وما اوتيتم من العلم الاقليلا»

(الاسراء/٨٥)

«سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون»

(يس/٣٦)

و يعلمنا أن هناك الكثير من الاشياء لاندركها بالحواس الظاهرية:

«فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون»

(الحاقة/٣٨–٣٩)

و يؤكد لزوم ايماننا بالغيب اي الحقائق غير المحسوسة:

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون»

(البقرة/٣)

ان الايمان بمحدودية العلم الانساني والغيب يؤدي اولا– لئلا يتوقف

الذهن الانساني عن المحسوسات، وثانيا— لئلا نظن في اي زمان كان اننا اكتشفنا كل الحقائق.

وطبيعي ان هذا لايستلزم ان لايصل الانسان الى كشف اي من حقائق الطبيعة، وانما يعرفنا على ان لاندعي— في زمان خاص— اننا نمتلك المعرفة الكاملة بالنسبة لظاهرة طبيعية. يقول سيد قطب في تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة: [٦١]

«والايمان بالغيب هوالعقبة التي يجتازها الانسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لايدرك الاما تدركه حواسه، الى مرتبة الانسان الذي يدرك ان الوجود اكبر واشمل من ذلك الحيز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس او الاجهزة التي هي امتداد للحواس. وهي نقلة بعيدة الاثر في تصور الانسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي احساسه بالكون وماوراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الاثر في حياته على الارض فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي لا تدركه بديهته، وبصيرته ويتلق اصداءه وايحاء اته في أطوائه واعماقه ويشعر ان مداه اوسع من الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود، وان وراء الكون —ظاهره وخافيه— حقيقة اكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمدمن وجودها وجوده.. حقيقة الذات الالهية التي لا تدركها الابصار ولاتحيط بها العقول.»

(٤)— الاعتقاد بنظام الاسباب والمسببات (العلية العامة والفروع التي لا تنفك عنها):

ان مبدأ العلية العامة يقول بان اية حادثة تحتاج الى محدث وينشأ من هذا المبدأ فرعان:

الف— مبدأ الضرورة العلية والمعلولية: فانه مع وجود العلة يكون وجود المعلول ضروريا، كما يستحيل وجود المعلول مع عدم العلة.

ب — مبدأ السنخية بين العلة والمعلول: العلل المتساوية تؤدي الى معلولات متساوية.

ولاينفك هذان المبدآن عن مبدأ العلية العامة، والتخلف عن اي منها يعني التخلف عن مبدأ العلية [٦٢].

بعد هذه المقدمة القصيرة نحاول ان نستعرض تأكيد القرآن على مبدأ العلية:

الف) ــ وقد جاء الحديث في بعض الآيات الكريمة عن السنن الالهية التي لا تتخلّف مطلقا.

«سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا»

(الاسراء/٧٧)

«سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا»

(الاحزاب/٦٢)

«ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوامن قبل، وكان امر الله قدرا مقدورا»

(الاحزاب/٣٨)

«يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم»

(النساء/٢٦)

وقد عرضت بعض الآيات نماذج لهذه السنن:

«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم»

(الرعد: ١١)

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها...»

(الاسراء/١٦)

«وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض...»

(النور/٥٥)

«ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين...»

(آل عمران/١٣٩)

«وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون»

(هود/١١٧)

«...فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض...»

(الرعد/١٧)

«...ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الاسنة الاولين، فلن تجد

لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا»

(فاطر/٤٣)

ب— وقد ذكرت بعض الآيات ان خلق الاشياء ومجرى الامور الطبيعية طبق حساب دقيق وان هناك اجلا معينا للسير الطبيعي للحوادث:

«الشمس و القمر بحسبان»

(الرحمن: ٥)

«وان من شيء الاعندناخزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم»

(الحجر/٢١)

«وكل شيء عنده بمقدار»

(الرعد/٨)

«أولم يتفكروا في انفسهم ماخلق الله السمٰوات والارض وما بينهما الابالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون»

(الروم/٨)

ج— و في ذكر بعض الآيات الاسلوب العملي لوقوع بعض الظواهر:

«ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين»

(المؤمنون/١٢)

«وانزل من السماء ماءً فاخرج به من الثمرات رزقا لكم...»

(البقرة/٢٢)

«قال ابراهيم: فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر...»

(البقرة/٢٥٨)

«والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لاالشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون»

(يس: ٣٨ — ٤٠)

د— كما أن الكثير من الآيات فيها حديث عن دور بعض العوامل في وقوع

بعض الظواهر والحوادث.

«وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل»

(الفيل/٣—٤)

«والله انزل من السماء ماءً فأحيا به الارض بعد موتها...»

(النحل/٦٥)

«ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا...»

(النحل/٦٧)

«وارسلنا الرياح لواقح...»

(الحجر/٢٢)

«قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين»

(التوبة/١٤)

وهذه الآيات تعبر عن سيطرة بعض القوانين الصارمة على العالم ومن الطبيعي والواضح انه لامعنى لوجود القوانين القطعية الا في ظل مبدأ العلية. وسيطرة نظام العلل والمعلولات على العالم في مثل هذا النظام. فان لكل موجود محلا مشخصا معينا، وكل حادثة توجد في مكان وزمان مشخص لاغير وهذا لايعني ان الحوادث تقع بعيدا ومستقلة عن ذات الباري جل وعلا، وانما تعني وجود مسير خاص لوقوع اية حادثة من خلاله يفيض المولى جل وعلا الوجود على تلك الحادثة، و بعبارة اخرى فان كل شيء يتحقق باذن الله ولكن من سبيله الخاص به. فالآيات:

«والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا...»

(الاعراف/٥٨)

«الم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي اكلها كل حين باذن ربها... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار»

(ابراهيم/٢٤—٢٦)

تؤيد هذا الامر— فان هذه الآيات تؤكد انه في نفس الوقت الذي يتم نمو النباتات فيه باذن الله تعتبر قابلية الارض لنمو النباتات. فلا ينمو النبات في اي ارض.وعندما تكون الارض قابلة فان السنة الالهية تعطي النبات امكانية النمو. وكذلك الآيتان الشريفتان:

«قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه...»

(المائدة/١٥—١٦)

يُستنتج منها ان اولئك الذين يبتغون رضوان الله لوحدهم هم الذين يتمتعون بالهداية القرآنية— باذن الله—

وقد حاول بعض المتكلمين (ونعني الأشاعرة) بملاحظة الآيات التالية:

«قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار»

(الرعد/١٦)

«والله خلقكم وما تعملون»

(الصافات/٩٦)

«الا له الخلق والامر»

(الاعراف/٥٤)

«بل لله الامر جميعا»

(الرعد/٣١)

«أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون»

(الواقعه/٦٣—٦٤)

التي تنسب خلق العالم وتدبيره لله، وكذلك آيات من قبيل:

«قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم»

(الانبياء/٦٩)

وهي تتحدث عن خرق **العادة**، حاولوا ان ينكروا نظام الاسباب والمسببات في عالم الطبيعة وادعوا ان الاسباب والوسائط المادية لا تملك اي دور في تحقق الظواهر، وان علة حدوث اي ظاهرة **هي الارادة الالهية**، غير ان عادة الله

جرت على ان يخلق ما نسميه معلولا بعد ما نسميه علة دون ان تكون هناك بينهما أية علاقة تجعل وجود المعلول بعد وجود العلة امرا ضروريا، فليس النار هي سبب احتراق القطن وانما هي عادة الله جرت على احتراقه عند وصول النار اليه و متى مالم يشأ لم يحترق القطن.

يقول الغزالي في تهافت الفلاسفة:[٦٣]

«الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا، وبين ما يعتقد مسببا، ليس ضروريا عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولاذاك هذا، ولاثبات أحدهما متضمنا لاثبات الآخر، ولانفيه متضمنا لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولامن ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري والشر، والشبع والأكل، والاحتراق ولقاء النار، والنور وطلوع الشمس، والموت وجز الرقبة، والشفاء وشرب الدواء، واسهال البطن واستعمال المسهل، وهلم جرّا، الى كل المشاهدات، من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف. فان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوق لالكونه ضروريا في نفسه، غير قابل للفوت، بل في المقدور خلق الشبع دون الاكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، و ادامة الحياة مع جز الرقبة، وهلم جرّا الى جميع المقترنات.

وأنكر الفلاسفة امكانه، وادعوا استحالته.

والنظر في هذه الامور الخارجة عن الحصر يطول، فلنعين مثالا واحدا، وهو الاحتراق في القطن مثلا، عند ملاقاة النار. فانا نجوز وقوع الملاقاة بينها دون الاحتراق، ونجوز حدوث انقلاب القطن رمادا محترقا دون ملاقاة النار و هم ينكرون جوازه.

وللكلام في هذه المسألة ثلاثة مقامات:

المقام الاول: أن يدعي الخصم، أن فاعل الاحتراق، هوالنار فقط، وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار، فلايمكنه الكف عما هو في طبعه، بعد ملاقاته لمحل قابل له.

وهذا مما ننكره، بل نقول: فاعل الاحتراق، بخلق السواد في القطن، والتفرق في أجزائه، وجعله حراقا أو رمادا، هوالله تعالى، اما بوساطة الملائكة، أوبغير وساطة، فأما النار، وهي جماد، فلا فعل لها.

فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل، الا مشاهدة حصول الاحتراق

منذ ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لاعلة له سواها»

وكان منشأ نظرية الاشاعرة هذه هو تصورهم ان القول بالنظام القطعي لعالم الخلقة يستلزم انكار القدرة الالهية. وقد ذكر الفلاسفة المسلمون في رد هذا التصور مايلي:

أ ــ ان توارد علتين على شيء واحد انما يستحيل اذا كانت هاتان العلتان في عرض بعضها البعض امالو كانتا طوليتين فلا اشكال في البين.[٦٤] اننا اذا قلنا بسيادة النظام الطولي للعلل في العالم امكننا ان ننسب كل فعل الى الله، وذلك لانه هو الذي يفيض الوجود في نفس الوقت الذي تتم فيه الافاضة من مسير خاص، ولهذا الدليل ينسب تعالى في القرآن الكريم تدبير الامور تارة الى نفسه واخرى للملائكة:

«يدبر الامر من السماء الى الارض...»

(السجدة/٥)

«فالمدبرات امرا»

(النازعات/٥)

وهكذا تنسب عملية قبض الروح تارة لنفسه واخرى للملائكة.

«الله يتوفى الانفس حين موتها...»

(الزمر/٤٢)

«قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم...»

(السجدة/١١)

ب ــ اذا ركزنا على الموجودات المادية وجدنا ما يسمى بالعلة ــ عرفا ــ هو علة فاعلية، اي انها ليست علة موجدة بل هي علة معدة. والعلل المعدة هي التي تهيء الظروف المساعدة لكي يفيض القادر المتعال الوجود. ان هذه العلل هي التي تمهد الظروف المادية والاعدادية لوجود حادثة ما، وربما عبر عنها ــ احيانا ــ بالنظام العرضي للعلل.

وعلى هذا النحو يمكن القول بان علة ايجاد كل شيء هوالله، ولكنه يوجد

كل شيء من خلال وسائله المعينة وفي ظل ظروف خاصة. و طبيعي ان هذه الوسائل والظروف هي معلولة له سبحانه. يقول صدر المتألهين في توضيح نظرية الفلاسفة المسلمين هذه:

«وذهبت طائفة اخرى وهم الحكماء وخواص اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم الى انّ الاشياء في قبول الوجود من المبدئ المتعال متفاوتة، فبعضها لايقبل الوجود الاّ بعد وجود الآخر كالعرض الذي لايمكن وجوده الاّ بعد وجود الجوهر. فقدرته على غاية الكمال، يفيض الوجود على الممكنات على ترتيب ونظام وبحسب قابلياتها المتفاوتة بحسب الامكانات. فبعضها صادرة عنه بلاسبب، وبعضها لسبب واحد اوأسباب كثيرة. فلايدخل مثل ذلك في الوجود الاّ بعد سبق امور هي اسباب وجوده وهو مسبّب الاسباب من غير سبب. وليس ذلك لنقصان في القدرة بل النقصان في القابلية وكيف يتوهم النقصان والاحتياج مع ان السبب المتوسط ايضاً صادر عنه. فالله سبحانه غير محتاج في ايجاد شيء من الاشياء الى احد غيره» [٦٥]

وعلى هذا الاساس فان آيات من قبيل:

«افرايتم ما تحرثون أ أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون* لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون... أفرايتم الماء الذي تشربون أ أنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لونشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون»

(الواقعة/٦٢—٧٠)

قد وقعت مورد الاستدلال لبعضٍ مثل الامام الفخر الرازي لنفي نظام الاسباب والمسببات، لاتحكي عن نفي العلل والوسائط المعدة في حدوث الظواهر الطبيعية [٦٦] وانما تنظر الى حقيقة أننا يجب ان لانتوقف عند مسارب الفيض و نغفل عن العلة الاصلية الحاكمة في كل عالم الوجود والموجدة لكل الاشياء والتي تقف على رأس النظام الطولي للعلل، ونتصور لها استقلالية. يقول الدكتور الشهيد السيد بهشتي [٦٧].

«ان الامر هو ان القرآن يريد ان يصل بالبشرية بهداية الفطرة من ابتداء هذه السلسلة اي المحسوسات الى نهايتها اي الله، يريد ان لايقف الانسان عند هذه العلل المتوسطة وبالتالي يتأخر عن الوصول الى المبدأ. انه يقول له في كل الآيات كن يقظا؛

فعندما تطالع العالم تجنب الغرق، واحذر ان يفلت منك الزمام، لا تغرق في عالم المادة والممكنات... صحيح انك تقوم ببعض الاعمال– في زراعتك – ويجب عليك ان تقوم بها... ولكن عليك ان لا تظن ابدا ان الأمر بيديك ، كلا فانه قد تقوم بكل انماط الدقة والصيانة، وتستعمل كل الوسائل القديمة والحديثة ولكن النبتة الخضراء تبتلى بالجفاف فجأة، فانت اذن وكل الوسائل التي هي طوع يديك اصغر من ان يكون الامر بيدك ...صحيح ان ماء الشرب يهطل من السحاب، ولكن العين النافذة لا تتوقف على السحاب ولا تعتبره ماء زلالا فمن الممكن ان ينزل المطر ملوثا ممالا استطيع معه ان اشرب منه قطرة فليس امرماء الشرب بيد السحاب، وانما هوبيد ذلك القدير العليم الذي خلق السحاب ومئات العوامل لتعمل بامره ويصل اليك ماء الشرب الزلال».

اما عن الاعجاز فنقول فيه انه بملاحظة الايات التي تؤكد عدم التخلف في السنن الالهية، نعتقد انه ليس من اللازم المصير الى الاستثناء في القوانين الطبيعية... واذا رأينا تخلفا عن قانون طبيعي فلايدل هذا لزوما على عدم صحة ذلك القانون او انتقاض قانون العلية ، ذلك انه من خلال الاستفادة من قانون في هذا العالم يمكن منع القانون الآخر من التأثير، فلو ان جسما سقط على اثر الجاذبية الارضية فانه يمكن منع هذا القانون من التأثير بقوة اخرى فاذا رأينا جسما معلقا في الفضاء لم يكن من الطبيعي افتراض انه لاوجود لقانون الجاذبية بل يجب فرض وجود قوة اخرى غير الجاذبية.

وعلى اي حال فانه– وكما يقول الشهيد المطهري– [٦٨]

«لاقوانين الخلقة تقبل الاستثناء، ولا الأعمال الخارقة للعادة تشكل استثناء في قوانين الخلقة. فاذا شوهد تغيير في سنن العالم فانما هو لتدخل سنن وقوانين اخرى.هي بدورها كلية حسب شرائطها الخاصة بها، بمعنى ان تغيير القانون بدون قانون آخر امر غير ممكن... فاذا ولد طفل مثل عيسى بن مريم(ع) دون أب فان ذلك ليس خلافا للسنن الالهية وقوانين العالم. وانما الاشكال في ان البشر لايعرف قوانين العالم وسننه، وفي كثير من الموارد يكون ما نسميه قانونا هو مجرد قشر لااكثر ».

و بعد ظهور نظرية الكوانتم في الفيزياء وعرض مبدأ عدم القطعية بواسطة هيزنبرغ في اوائل الربع الثاني من القرن العشرين، انكر بعض مؤسسي هذه

النظرية النظام القطعي في عالم الذرات واكتفوا بالحسابات التي تمنحنا مجرد احتمال وقوع الحوادث، و انه باستثناء عدة قليلة من الفيزياويين المشهورين من امثال بلانك وانشتين فان الباقين منهم انسجموا مع هذه النظرية نظرا لنجاحها الباهر وقبلوا تعابيرها— قليلا او كثيرا— وما زال هذا الوضع مستمرا ايضا، وان كان عدد معارضي هذا التفسير الاحصائي عن الظواهر الداخلية للذرة يزداد على مرالايام.

وقد كانت معارضة اينشتين ومن سار على منواله للتعبير المتداول لنظرية الكوانتم من جهة انهم لم يستطيعوا الاذعان لفكرة سيطرة قوانين الاحتمال على العالم. ومن وجهة نظرهم فان هدف الفيزياء يجب ان يكون هو توضيح تمام الظواهر الطبيعية وفق القوانين المطلقة. اما اذا اضطررنا في الفيزياء للتمسك بالقوانين الاحصائية فان ذلك اما لعدم اطلاعنا على القوانين المطلقة التي تشكل اسسا لهذه القوانين الاحصائية او لاننا نتصل بعدد كبير من الذرات فنلجأ الى الرياضيات الاحصائية لتسهيل العمل لاغير. وقد وضح انشتين في حديثه سنة ١٩٣٢ هذا الموضوع على النحو التالي:

«إنني مضطر للاعتراف باني لاامنح هذا التفسير (اي التعبير الاحصائي لبورن) — نفسه— الا قيمة عرضية عابرة. فما زلت اؤمن انه بالامكان عرض اطروحة عن الواقع، اي النظرية التي تعرض نفس الاشياء لامجرد احتمال وقوعها فحسب»[٥٨]

وفي رسالة له الى بورن في ابريل سنة ١٩٢٤ كتب يقول:

«انني لاارغب في ان اكون مضطرا لرفض العلية المحضة دون ان ادافع عنها اكثر من ذي قبل. انني ارى ان الرأي القائل بان الالكترون الداخل في مجال اشعة الكترومغناطيسية؛ يختار— بحرية— لازمان طفرته (الى مدار آخر) فحسب بل يحدد — بالحرية ذاتها— اتجاهه، هذا الراي مما لايمكن قبوله. انني ارجح في تلك الحالة ان اكون اسكافيا او عاملا في محل للقمار بدلا من ان اكون عالما فيزياويا.

ولاريب في ان مساعيَّ لمنح الشكل الملموس للكوانتا قد فشلت مرات عديدة، ولكني بعيد جداً من أن أفقد الثقة حتى ولولم تصل مساعيَّ الى شيء و يبقىٰ هذا الأمل المسلي لي دائما بان عدم التوفيق هنا يرتبط بي تماما»[٥٩]

وفي السنين الاخيرة نجد بعض الفضلاء المسلمين[٧٠] قد احيوا نظرية المتكلمين واعتبروا نظرية الكوانتم تساعد على مدعاهم. وفي جواب هؤلاء نكتفي بما ذكره ديراك في حديثه الاخير سنة ١٩٧٩م، وهو احد مؤسسي الفيزياء الكوانتمية حيث يقول:

«يبدو من الواضح ان الميكانيك الكوانتمي المعاصر ليس في شكله النهائي وان هناك حاجة لتغييرات اكثر، تغييرات اساسية تشابه ماحدث خلال عملية العبور من نظرية المدارات الالكترونية لبور الى الميكانيك الكوانتمي. وسوف يكتشف ميكانيك كوانتمي نسبي – يوما ما – بحيث لا توجد فيه امور لانهائية. ويحتمل ان يحتوي هذا الميكانيك الكوانتمي الجديد على مبدأ الضرورة بالنحو الذي كان يرمي اليه انشتين.

اما قبول هذا المبدأ. فانه سيؤدي الى الغاء بعض آخر من التنبؤات التي يعتبرها الفيزياويون(ولايعقل نقدها فعلا).

وعلى هذا او في ظل هذه الظروف فاني احتمل كثيرا او انه من الممكن – على اية حال – ان تعلم صحة نظرية انشتين – مع مرور الايام – وان كان الفيزياويون بالفعل مضطرين لقبول التعبير الاحتمالي لبورن – وخصوصا عندما يواجهون امتحانا في هذا الصدد»[٧١]

ونقول في الرد على اولئك الذين انكروا النظام العلي والمعلولي في عالم الذرات:

الف – انكم لو انكرتم اعتبار مبدأ العلية في العالم الذري و تحت الذري فقد اشكلتم على هذا المبدأ في كل العالم. ذلك أن العلية في كل العالم مترابطة وكما يقول الشيخ الشبستري:

اذارفعت ذرة من محلها فقد أوجدت الخلل في كل العالم

ب – ان تعميم نتائج التجارب المحدودة وتحويلها الى قوانين عامة، او عرض نظريات علمية انما يكون ذا معنى في ظل مبدأ العلية. ذلك اننا عندما نقبل شيئا على انه قانون نقبل انه:

– لكل معلول علة.

— والعلاقة بين العلة والمعلول علاقة ضرورية.

— وان هناك سنخية بين العلة والمعلول.

ومن الطبيعي أنه لما لم يكن هنا وثوق في المجال العملي باتنا لاحظنا كل العوامل والمقاييس فان تعميمنا لن يمتلك قيمة مطلقة ولكن هذه المحدودية نابعة من نقص في معلوماتنا نحن.

وعلى اي حال فاننا نؤمن بان الاعتقاد بوجود القوانين المطلقة انما يكون ذا معنى في ظل الايمان بمبدأ العلية وفروعه (و بالخصوص مبدأ السنخية بين العلة والمعلول) وكما يقول بلانك:

«من الممكن القول بان قانون العلية بعد كل هذه الاقوال مجرد فرضية لاغير. الا أنه لوكان فرضية فليس هو كسائر الفرضيات الاخرى بل هوفرضية اساسية. ذلك لان هذا اصل يجعل الاستفادة من الفرضيات في البحوث العلمية أمراًذا مغزى. و دليل هذا الامر هو ان اي فرضية تعبر عن قانون معيَّن نفترض مسبقا كون مبدأ العلية معتبرا.» [٧٢]

ج — لولم يكن مبدأ العلية معتبراًفانه لن تتيسر اقامة اي دليل على اي شيء [٧٣] ذلك لان الدليل هوعلة علمنا بالنتيجة المطلوبة فان لم تكن هناك علاقة ضرورية بين الدليل والنتيجة فان الوصول من الدليل الى النتيجة لن يكون قطعا. وفي هذه الحالة لايمكننا ان نعتبر اي مطلب نتيجة لاي دليل، و يكون من المتوقع ان يؤدي اي دليل الى أية نتيجة كانت، ولايعود هناك اي فرق بين اقامة الدليل وعدمه على اي موضوع. ولهذا السبب فانه حتى اولئك الذين يعملون على نفي مبدأ العلية يقبلون ضمنا هذا المبدأ. ذلك لانهم يذعنون بان دليلهم يؤدي الى زوال الايمان بمبدأ العلية. [٧٣]

د — وكما ذكر الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري والاستاذ العظيم آية الله محمد باقر الصدر [٧٤]، فان عدم امكان التنبؤ القطعي في المجال الذري لاينشأ من عدم وجود مبدأ العلية وفروعه في العالم الذري، بل هو نابع من عدم معرفتنا بالنظام الحتمي في ذلك المجال. وربما كان ذلك اما لنقص في وسائل تجربتنا في عصرنا الحاضر او من عدم قدرتنا على قياس مدى تأثير المجرب على التجربة. وعلى

اي حال فيجب ان نلتفت الى ان عدم كشف العلة بواسطة التجربة لايدل على عدم وجود العلة. فلا دليل لدينا على ان العلم اليوم قد اكتشف كل العوامل الدخيلة في البين. و كما يقول اينشتاين:

«إننا اذا نجدنا مضطرين للقبول بتصوير ناقص عن العالم الفيزياوي فان ذلك لاينبع من طبيعة العالم و انما هو امر يتعلق بنا نحن»[٧٥].

وخلاصة القول ان نفي مبدأ العلية يستلزم نفي القوانين العلمية ونفي الاستدلال وان على العلوم ان تقبل مبدأ العلية بكل لوازمه التي لاتنفك عنه لكي يكون وجودها بنفسه ذا معنى بلاريب.

و آخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

المصادر والتعليقات

(١)«والافئدة؛ جمع فؤاد، وهو القلب، والمراد به في القرآن مبدأ الشعور والفكر من الانسان، و هو النفس الانسانية»الميزان، ج٢ ص ٣٦٠

(٢)– الكليني: اصول الكافي (بيروت، ١٤٠١هـ ج٣ ، ص ٣٤)

(٣)– الحراني: تحف العقول (قم، ١٣٩٤هـ ص ٣٥٤)

(٤)– وجاء النظر في القرآن بمعنى الرؤية:

«ومنهم من ينظر اليك»

(يونس: ٤٣)

كما جاء بمعنى الرؤية مع الاستنتاج:

«قل انظروا ماذا في السموات والارض...»

(يونس/ ١٠١)

يقول الراغب في المفردات: «النظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء، وقديرادبه التأمل والفحص، و قد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية».

وكما تأتي الرؤية في القرآن بمعنى الابصار بالعين:

«فلما جن عليه الليل رأى كوكبا»

(الانعام/٧٦)

ولكنها تأتي في بعض الموارد بمعنى التدبر:

«ولقد همت به وهم بها، لولا ان رأى برهان ربه»

(يوسف/٢٤)

وقد تاتي بمعنى الرؤية بالبصر مع البصيرة:

«اولم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن، انه بكل شيء بصير»

(الملك /١٩)

ونقل في نهج البلاغة عن الامام عليّ.(ع) انه قال:

«ليس الرؤية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذب العيون اهلها ولايغش العقل من استنصحه»

(نهج البلاغة،طبع الدكتور صبحي الصالح، ص ٥٢٥)

(٥)— يقول صدر المتألهين في تعريف الفكر: «ومنها الفكر، وهو انتقال النفس من المعلومات التصورية والتصديقية الحاضرة الى مجهولا ته المستحضرة»

(الاسفار، ج ٣ ، ص ٥١٦)

(٦)— الكليني: أصول الكافي (ج ١ ، ص ٢٦)

(٧)— المفيد: الارشاد (منشورات مكتبه بصيرتى) ص ٢٨١

(٨)— المجلسي: بحار الانوار، ج٣، ص١٤٦—١٤٧.

(٩)— المتقي: كنز العمال: ح ١٢٢٠.

(١٠)— الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ١٧ ، ص ٢٠٩.

(١١)— وطبيعي ان من يسمى التحليل العقلي للمرئيات والمسموعات ـ(البصر والسمع القلبي) فلا مناقشة فيما يصطلح لنفسه.

(١٢)— يقول العلامة الطباطبائي في تفسير آية:

«افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون»

«وقوله: (لوكانوا لايعقلون) قرينة على ان المراد بنفي السمع نفي ما يقارنه من تعقل ما يدل عليه الكلام المسموع وهو المسمى بسمع القلب» (الميزان، ج ١٠ ص ٦٨)

و يقول ايضا في تفسير آية:

«ومن آياته منامكم...»

(الروم: ٢٣)

«في... لآيات نافعة لمن له سمع واع يعقل ما يسمع فاذا وجده حقا اتبعه» (تفسير الميزان، ج ١٦ ، ص ١٦٧).

(١٣)— نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح، ص ٢١٣)

(١٤)— المجلسي: بحار الانوار، ج ٣ ص ١٥٩—١٦٩.

(١٥)— وكنموذج لما قلناه تراجع الكتب التالية:

اقبال لاهوري: احياء الفكر الديني في الاسلام (الترجمة الفارسية بقلم السيد آرام) ص ١٤٧—١٥١

ابوالحسن الندوي: ماذا خسرالعالم بانحطاط المسلمين (دارالقلم بالكويت) ص ١٠٨

محمد تقي شريعتي: التفسير الحديث، ص ٩.

مهدي بازرگان: الطريق المطوي، ص ٦٨.

عفيف عبدالفتاح طباره: روح الدين الاسلامي (بيروت دار العلم للملايين) ص ٢٧٠.

(١٦)ـ مرتضى مطهري: الدوافع نحوالمادية، ص ١٠١/الطبعة الثالثة.

(17) Einstein, A Centenary Volume, Edited by A.P. French (Heinemann, 1979), p. 312.

(18) Max Planck, The New Science (Greenwich Edition, 1959), p. 51.

(19) Einstein, A Centenary Volume, Edited by A.P. French (Heinemann, 1979), pp. 312-313.

(20) Werner Heisenberg, Physics and Beyond (Harper-Torchbooks), p. 63.

(21) Philip Franck, Einstein: His life and Times, Trans. George Rosen (Newyork, 1970), pp. 214-218.

(٢٢)ـ صدرالدين الشيرازي: الاسفار الأربعة، ج٣، ٣٨٤.

(٢٣)ـ محمدحسين الطباطبائي: الميزان، ج ١٦، ص ١٠.

(٢٤)ـ الراغب الاصفهاني: مفردات الفاظ القرآن: سميع عاطف الزين، مجمع البيان الحديث.

(٢٥)ـ «وقد ذكر سبحانه في الآية التي نحن بصددها ثلاثة اوجه لتكليم الرسل وكيفية اتصاله

بهم:

الاول: القاء المعنى في قلب النبي(ص) مباشرة و من غيرواسطة وهذا هوالمراد بقوله «الأوحياً»

الثاني: ان يخلق الله الكلام كما يخلق غيره من الكائنات فيسمعه النبي لابواسطة رسول من الله بل من وراء حجاب، اي انّ النبي يسمع الكلام ولايرى المتكلم وهذا هوالمقصود من قوله تعالى و كلّم الله موسى تكليماً، (النساء/١٦٤)

الثالث: ان يرسل سبحانه الى رسوله ملكاً يبلغه رسالات ربّه.

محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف، ج ٦/ص ٥٣٤

(٢٦)ـ يقول ابن سينا في الاشارات (ج ٢/ص ٣٥٨) انّ الحد الوسط والمطلوب يتمثلان معاً في الذهن:

«وامّا الحدس وهو ان يتمثل الحد الوسط في الذهن دفعة امّا عقيب طلب وشوق من غيرحركة، و امّا من غير اشتياق وحركة، و يتمثل معه ما هووسط له اوفي حكمه»

و يعتقد الامام الفخر الرازي في الحكمة المشرقية (ج١/ص ٣٥٣ـ٣٥٤) بانّ الشعور بالحد الوسط مقدم عل الشعور بالمطلوب:

«وامّا النفوس القدسية، فيقع الحد الاوسط في ذهنها و يتأدى الذهن منه الى النتيجة المطلوبة.

فيكون الشعور بالحد الاوسط مقدماً على الشعور بالمطلوب».

و يعتقد صدرالمتألهين ايضاً (الاسفار ج٣/ص ٣٨٧) انّه في الحدس يكون الشعور بالحد الوسط مقدماً على الشعور بالمطلوب:

«انّ سائر النفوس تعين المطالب اولاً ثم تطلب الحدود الوسطى المنتجة لها، واما النفوس القدسيه فيقع الحد الوسط لها في الذهن اولاً ويتأدى الذهن منه الى النتجة المطلوبة. فيكون الشعور بالحدود الوسطى مقدماً على الشعور بالمطالب.»

(٢٧)— ابن سينا: الاشارات والتنبيهات، ج ٢ ، ص ٣٥٣.

(٢٨)— ابن سينا: الاشارات و التنبيهات، ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢٩)— الكسيس كارل: الانسان ذلك المجهول (الترجمة الفارسية، ص ١٣٤).

(٣٠)— السيد محمدحسين الطباطبائي: الميزان، ج ٧ (ص ٢٨٩—٢٩٠)

(٣١)—**«ان الملكوت هو** باطن **الاشياء لاظاهرها المحسوس»** (الميزان، ج ٨، ص ٢٤٠)

«وهو الوجه الباطن من الاشياء الذي يلي جهة الرب تعالى» (تفسير الميزان، ج ٨ ، ص ٣٤٨)

«ان الملكوت هو وجود الاشياء من جهة انتسابها الى الله وقيامها به» **(الميزان، ج ٧، ص ١٧١)**

(٣٢)— محمد جواد مغنية: تفسير الكاشف. ج ٣ ص ٢١٣.

(٣٣)— دين اركان الطبيعة، ص ٢٥١

(٣٤)— يقول الغزالي في احياء علوم الدين (ج ٣ ، ص ١٥): «واما **عالم الملكوت، وهي الاسرار** الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر، فلا نهاية له».

و يقول صدرالمتألهين في الاسفار (ج ٨، ص ٣٠٤): «ومعلوم ان الجسم وقواه ليس منها بهذه الصفات السنية من رؤية عالم الملكوت والايقان والتوجه بوجه الذات لفاطر السموات والحنيفية اي الطهارة والقدس».

(٣٥)— فخرالدين الرازي: التفسير الكبير(بيروت، داراحياء التراث العربي)، ج ١٣ ص ٤٣

(٣٦)— السيد محمدحسين الطباطبائي: الميزان، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٣٧)— الغزالي: احياء علوم الدين، ج ٣، ص ٩، الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣٨)— الآمدي: غررالحكم ودررالكلم، ج ٥، ص ٤١١.

(٣٩)— الكليني: اصول الكافي (بيروت، ١٤٠١ق) ج ٢، ص ٢٦٣. وقد جاء هذا الحديث بصور اخرى نذكر منها صورتين كنموذج لذلك :

«وماتقرب الي عبدي بشيْ احب الي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وان سألني لاعطيته...»(صحيح **البخاري**، باب التواضع ج ٨/ص ١٠٥)

«ما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ولايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها، ان دعاني اجبته وان سألني أعطيته»

(الفيض الكاشاني: الكلمات المكنونة، ص ١٣)

(٤٠)– الصدوق: عيون اخبار الرضا، ج ٢ ، ص ٦٩. و نقل هذا الحديث ايضا بتعابير مختلفة اخرى نذكر منها ثلاثة نماذج:

«ما اخلص عبد لله اربعين صباحا الاظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (السيوطي، الدر المنثور، ج ٢ ص ٣٧)

«من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» (السيوطي الجامع الصغير، ج ٢ ، ص ٤٨٣)

«من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (الفيض الكاشاني، الكلمات المكنونة، ص ٢٤٧).

(٤١)– نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح) ص ٣٣٧.

(٤٢)– نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح) ص ٤٩٧.

(٤٣)– السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٤٤)– الغزالي: احياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٢– ١٤.

(٤٥)– الصدوق: الخصال، ج١ ص ٥١.

(٤٦)– الامدي: غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١ ، ص ٦٨.

(٤٧)– نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح) ص ٥٢٤.

(٤٨)– ابن ابي الجمهور: غوالي اللئالي، ج ١ ، ص ٢٩٠. وورد هذا الحديث في الجامع الصغير للسيوطي بالشكل التالي.

«حبك الشيء يعمي و يصم» (الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٠٠)

(٤٩)– نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح) ص ١٦٠.

(٥٠)– نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح) ص ٥٠٣.

(٥١)– الصدوق؛ الخصال، ج ١ ، ص ٨٥. وورد هذا الحديث في الجامع **الصغير للسيوطي** بالشكل التالي:

«ثلاث مهلكات و ثلاث منجيات، و ثلاث كفارات، و ثلاث درجات. **فاما المهلكات، شح** مطاع، هوى متبع، واعجاب المرء بنفسه...» (الجامع الصغير، ج١، ص ٦٩)

(٥٢)– الآمدي: **غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١ ص ١٨٩.**

(٥٣)– البرقي: المحاسن: ج ١ ، ص ٢١٥.

(٥٤)– الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، ج١ ، ص ٢٣١

(٥٥)– **الصدوق: «عيون أخبار الرضا» (ج٢، ص،٤٦).**

(٥٦)– **الكليني «اصول الكافي» (ج ١، ص، ٤٣).**

(٥٧)– ابن سينا: الاشارات و التنبيهات، (طهران، ١٣٧٧هـ) ج ٣ ، ص ٤١٨.

(٥٨)– السيد محمدحسين الطباطبائي: الميزان، ج ١٦، ص ١٦٧.

(59)- Einstein, A Centenary Volume, Edited by A.P. French (Heinemann, 1979) p.275.

(٦٠)— الغيب خلاف الشهادة و ينطبق على ما لايقع عليه الحس، وهوالله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، و منها الوحي... والقرآن يؤكد على عدم القصر على الحس فقط، ويحرص على اتباع سليم العقل وخالص القلب»

(الميزان، ج ١ ص ٤٥— ٤٦)

(٦١)— سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١ ص ٤٠.

(٦٢)— حواشي الشهيد المطهري على اصول الفلسفة والمنهج الواقعي (طبع دارالعلم— قم) ج ٣، ص ١٨٣.

(٦٣)— الغزالي: تهافت الفلسفة (طبع مصر) ص ٢٣٩—٢٤٠.

(٦٤)— «وهؤلاء انما وقعوا فيما وقعوا من جهة خلطهم بين العلل الطولية والعرضية، وانما يستحيل توارد العلتين على شيء اذا كانتا في عرض واحد، لا اذا كانت احداهما في طول الاخرى، مثال ذلك ان العلة التامة لوجود النار كما توجب وجود النار كذلك توجب وجود الحرارة، ولايجتمع مع ذلك في الحرارة ايجابان، ولا تعمل فيها علتان تامتان مستقلتان، بل علة معلولة لعلة.

و بتقريب آخر ادق: منشأ الخطأ هوعدم التمييز بين الفاعل بمعنى ما منه والفاعل بمعنى ما به..»

(السيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان، ج ٧، ص ٢٩٨)

(٦٥)— صدرالدين الشيرازي: الاسفار الاربعة، ج ٦، ص ٣٧١.

(٦٦)— فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ج ٢ ، ص ١١٠— ١١١، ج١٤، ص ١٩٣—١٩٥، ج ٣٠، ص ٥٣.

و ينتقد صدرالمتألهين في الاسفار (ج ٩، ص ١٥٣—١٥٨)— وبكل شدة— الاسلوب الذي تبناه افراد، امثال الرازي في مجال اثبات القدرة الالهيه اوالنبوة او المعاد وانكروا معه الخواص الذاتية للاشياء، والنظام العلي والمعلولي والترتيب الوجودي للموجودات، واعتبرهذا النمط من التعامل مع مسائل اصول الدين من اعجب الامور.

(٦٧)— الشهيد الدكتور بهشتي: حديث الشهر، (ج٣، ص ١١٤).

(٦٨)— الشهيد المطهري، العدل الالهي، ص ٦٢.

(69) Einstein, A Centenary Volume, Edited by A. P. French, P. 314.

(70) Dr. Ismail R. Al-Farugi, The Causal and Telic Nature of the Universe, paper presented at the International Conference on science in Islamic polity, Nov. 1983. FATEH VLLAHKHAN, God, Universe, and Man (Lahore, Wajidalis Limited, 1982), pp. 251-267.

(71) Some Strangeness in the Proportion, Edited by Harry Woolf (Addison-Wesley).

(72) Max Planck, The New Science (Greenwich Edition, 1959), p. 104.

(٧٣)— ابن رشد، تهافت التهافت، (مصر، ١٣٢١ق) ص ١٢٢— ١٢٣.الشهيد آية الله الصدر،

فلسفتنا (بيروت، دارالتعارف، ١٤٠٠ق) ص ٣٠٨– ٣٠٩، حواشي الشهيد المطهري على اصول الفلسفة والمنهج الواقعي، ج ٣، ص ٢١٧

(٧٤)– حواشي الشهيد المطهري على أصول الفلسفة (ج٣،ص٣١٨)، والشهيد آية الله الصدر، فلسفتنا (ص ٣١٤– ٣١٥).

(75) M. Planck, The New Science (Greenwich Edition, 1959) p.x.

التربية والتعليم
في القرآن الكريم

الدكتور
محمد جواد السهلاني/ ج.إ.إ

بسم الله الرحمن الرحيم

«يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم * هوالذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

نبدأ بحثنا الخاص بالتربية والتعليم إنطلاقاً من هاتين الآيتين القرآنيتين المذكورتين في بداية سورة الجمعة. ففي الآية الأولى هناك إشارة ضمنية لضرورة تربية وتعليم البشر، فعندما تبيّن الآية بأن كل مخلوقات العالم تسبح لله، فإنها بلاشك تعني البشر أيضاً. وبما ان الإنسان مخلوق منحه الله حرية الإختيار، فمن المؤكد انه يحتاج الى توعية.

وقد تكون التوعية ذاتية أو مكتسبة (حضورية وحصولية) ويمكن أن تكون التوعية الذاتية مادية أو معنوية. وتنقسم التوعية المكتسبة الى قسمين: **توعية مكتسبة من الوحي والإلهام الالهي، وتوعية مكتسبة بالتحقيق والتجربة.**

والتوعية الذاتية المادية تستلزم وجود أسباب ظاهرية جسمية وفيزيائية، وهي ما أشار اليها القرآن في الآية (٧٨) من سورة النحل:

«وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة».

اما التوعية الذاتية المعنوية فقد منحت من قبل الله. والآية ٣٠ من سورة الروم تبيّن هذا الأمر:

«فطرت الله التي فطر الناس عليها».

ويؤكد الباري تعالى على ان التوعية الناشئة من الوحي والإلهام، تكتسب عن طريقين؛ طريق مباشر يعتمد على الإلهام الباطني.

قال تعالى:

«ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها»

(الشمس/ ٧ــ٨)

وطريق غيرمباشر، أي إرسال الأنبياء العظام الى البشر. والآيات الخمس التي تلي الآية الأُولى من سورة الجمعة تبيّن هذه المسألة بدورها.

ان التوعية التي تعتمد على التجربة والمطالعة والمشاهدة، هي معرفة، لابُدَّ للإنسان أنْ يستخدم قدرته التي وهبها الله له لكي يحصل عليها، ويؤدي واجبه كجزء من مخلوقات هذا العالم، والاّ فسيعتبر مسؤولاً يستوجب العقاب والمؤاخذة.

والمسألة الاخيرة، يمكن استنباطها من الآيتين ٩، ١٠ من سورة والشمس.

قال تعالى:

«قد افلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها».

واذا ما أردنا تعريف التربية والتعليم حسب المصطلح المتداول في الوقت الحاضر، فهي عبارة عن: «مصدر» يمكن بواسطته الحصول على المعلومات والمهارات والملكات والقيم، وتهدف الى:

«تقريب الإنسان الى درجة الكمال وتنمية قابلياته».

وتكون نتيجتها:

«تهيئة الإنسان لحياة مفيدة ومؤثرة، وايجاد التعادل النفسي له ازاء الأُمور غيرالملائمة».

ونفهم من هذا بأنَّ الإنسان مكلّف ببناء نفسه وبناء الآخرين بناء مستمراً ووفق حسابات. ومن هنا تتضح لنا ضرورة التربية والتعليم.

والآن لنر كيف يرشدنا القرآن في هذه المسألة.

يقول جلَّ شأنه:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً».

(الملك / ٢)

إذن يظهر بأنَّ الإنسان يجب أن يسعى لتكون أعماله حسنة. ولكن ما هو معيار الأعمال الحسنة؟ يقول القرآن:

«لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة».

(الأحزاب / ٢١)

واستناداً الى هذه الآية، فإنَّ معيار الأعمال الحسنة، يكمن في التأسي برسول الله (ص). ومن جهة أُخرى ورد في القرآن الكريم:

«لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

(آل عمران / ١٦٤)

ويستفاد من هذه الآية بأنَّ الإنسان مالم يتأسَّ برسول الله، فإنه يكون في ضلال مبين وقد يدور في أذهاننا بأنَّ الضلال المبين يتعلق بالأجيال الماضية. والجواب الدقيق على ذلك يكمن في الآية الثالثة من سورة الجمعة، إذ يقول سبحانه وتعالى:

«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم».

(الجمعة / ٣)

لذلك فإنَّ القرآن الذي يعتبر تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة أساليبَ للتربية الإلهية الصحيحة والحقيقية، فإنه يحثُّ على ضرورة التربية والتعليم.

والآن لنعرف ما هو الدافع لهذا الأمر؟

توجد ــ إستناداً الى النصوص القرآنية ــ عوامل سلبية وسيئة تكمن في الإنسان، وهي:

١ ــ إنَّ الإنسان مخلوق ضعيف:

«وخلق الإنسان ضعيفاً».

(النساء / ٢٨)

٢ ــ إنَّ الإنسان مخلوق عجول:

«خلق الإنسان من عجل».

(الانبياء / ٣٧)

٣ ــ إنَّ الإنسان مخلوق هلوع:

«ان الإنسان خلق هلوعاً».

(المعارج/ ١٩)

٤ ــ إنَّ الإنسان مخلوق ظالم وجاهل:

«انه كان ظلوماً جهولاً».

(الأحزاب/ ٧٢)

٥ ــ إنَّ الإنسان مخلوق طاغٍ:

«كلاَّ ان الإنسان ليطغى».

(العلق/ ٦)

وطبيعي ان هذه العوامل السلبية في الإنسان، تعتبر ضرورية في توازن حياته، وايجاد التعادل النفسي له، وضرورية أيضاً لحريته واختياره. وهذا الأمر يتَّضح من خلال الآية التالية:

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».

(التين/ ٤)

ومن خلال ذلك، تنضح لنا النقاط التالية:

أولاً: يجب ان يتوجَّه الإنسان الى العمل الصالح في هذه الدنيا، لأنَّ الله يريد اختباره.

ثانياً: يجب عليه التأسِّي برسول الله.

ثالثاً: بما ان الإنسان يحمل عوامل سلبية، فيجب ان يسلك سلوكاً يبدِّل بواسطته العوامل السيئة الكامنة فيه الى عوامل حسنة وايجابية.

رابعاً: وطريقة هذا التكامل ــ باختصار ــ عبارة عن مطالعة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة.

والآن لنرى ما هي الأهداف التي يتوخَّاها القرآن من التزكية والتعليم؟

أ ــ إنَّ القرآن يتضمن آيات تتحدث عن الظواهر الإلهية في الطبيعة:

«وكأين من آية في السماوات والأرض».

(يوسف/ ١٠٥)

كما يشتمل على آيات تخص وجود الإنسان، إذ يقول جلَّ وعلا:

«بل هو آيات بيِّنات في صدور الذين أُوتوا العلم».

(العنكبوت/ ٤٩)

وأخيراً يبيّن معجزات الله، ورحمته في الدنيا:

«وجعلنا ابن مريم وأُمه آية».

(المؤمنون/ ٥٠)

ومما لاشك فيه انه يمكن من خلال التحقيق والتدبُّر والمطالعة، الحصول على نتائج لاتحصى في مجال معرفة آيات الله وكافة المجالات العلمية والتربوية الأُخرى.

ب ــ ان التزكية تعني طهارة الجسم والروح من القبائح والآثار السلبية ومراعاة أصل حرية الإنسان بصورة كاملة، تعتبر من أهم الأُصول في التربية والتعليم. وهذا ما نراه من خلال التدبر في الآيات ٢٩، ١٥١، من سورة البقرة، والآية ١٦٤ من سورة آل عمران، والآية الثانية من سورة الجمعة. ففي هذه الآيات جاءت التزكية متلازمة مع التعليم. كما ان كلمة التزكية تقدّمت على كلمة التعليم ثلاث مرات، وقد يمكن الإستنتاج من خلال ترتيب الكلمات القرآنية بأنَّ التزكية يجب ان تتم قبل التعليم. والأمر الأهم من ذلك هو ان النتيجة الأكثر قطعية لهذا التلازم، هوالتلاحم الخالد بين التزكية والتعليم، أي لابُدَّ من تزكية روح الإنسان قبل وبعد اكتساب العلم، وذلك من أجل استخدام العلم في الأعمال الحسنة. وهذا الموضوع يجرّنا الى بحث أخلاقي.

ومن جهة أُخرى، فإنَّ الإنسان اذا لم يسر وفق التربية الفطرية الالٰهية، فإنه سوف يضع أكبر عقبة في طريق بناء شخصيته، فهو في مثل هذه الحالة يريد تطبيق سلوكه وأفعاله وفق تقييم ورأي الآخرين، دون التفكير في الأُمور الواقعية للحياة، ودون التوجّه الى نفسه وقيمته الذاتية.

ان إنساناً كهذا، هو إنسان يرى نفسه مكبَّلاً بالأغلال والقيود والأوهام، و يذهب من هذه الدنيا وهو يحمل أحلاماً وآمالاً لا أساس لها، و بتعبير القرآن:

«ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم».

(التوبة/ ١١٨)

أما التمسُّك بالاسوة الحسنة ــ أي بالرسول الأكرم (ص) ــ فيعني نزع الأغلال عن روح الإنسان، كما تعبّر عن ذلك الآية الكريمة:

«الذين يتبعون الرسول النبي الأُمي ... و يضع عنهم اصرهم والأغلال التي

كانت عليهم».

(الاعراف/ ١٥٧)

إذن ومن أجل أن لايصبح الإنسان متكبّراً وعبداً للشهوات والنفس، ومن أجل ان لايقع تحت ظلم وخداع الآخرين، ومن أجل ان لا تغره الأُمور الجذّابة المزيّفة، عليه إزالة الحواجز التي تعترض طريق تنميته وتحرره، وهو ما يسمى بالتزكية وفق التعبير القرآني.

ج ــ واما التعليم، فإنَّ القرآن اعتنى بهذه الناحية أكثر من أي كتاب سماوي آخر. وهذه نقطة لفتت حتى انتباه بعض المحققين من غير المسلمين أيضاً.

ومن أبرز الآيات في هذا المضمار، الآية التاسعة من سورة الزمر:

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون».

أو الآية التي يعتبر فيها الباري تعالى العلماء العدول شهادة على وحدانيته:

«شهد الله أنه لا إله الاهو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله الا هو العزيز الحكيم».

(آل عمران/ ١٨)

الاستنتاج

ان مثل هذا الإهتمام الدقيق والشامل للقرآن بموضوع التربية والتعليم، شكّل مع التوصيات المستمرة للرسول الأكرم (ص) سبباً في قيام حضارة راقية امتدت عشرة قرون، حُمِلَتْ على أكتاف قوم كانوا من أكثر الناس تخلُّفاً في العالم.

وكان مستوى هذا الرقي العلمي والتربوي عظيماً ومذهلاً، بحيث اعترف البعض من كبار العلماء والمحققين من غير المسلمين ــ بعد تمدن العالم غير الإسلامي ــ بالإنفجار العلمي الذي وقع في العالم الإسلامي. وفيما يلي أسماء قسم من أُولئك الذين اعترفوا بهذه الحقيقة، وألّفوا كُتباً أو مقالات حولها:

١ ــ براتراند راسل ــ الإنجليزي ــ في كتاب «تاريخ فلسفة الغرب».

٢ ــ غوستاف لوبون ــ الفرنسي ــ في كتاب «تاريخ مدنية الإسلام والعرب».

٣ ــ جورج سارتن ــ الأمريكي ــ في كتاب «مقدمة في تاريخ

العلم».

٤ ــ ويل دورانت ــ الأمريكي ــ في كتاب «تاريخ المدنية».

٥ ــ آن فرمانتل ــ الفرنسي ــ في كتاب «عصر الاعتقاد».

٦ ــ فرانسوا جوزيف بيكاوه ــ الفرنسي ــ في كتاب «حول الفلسفة الإسلامية».

٧ ــ هيرمان راندال ــ الامريكي ــ في كتاب «مسيرة تطور العقل الحديث».

٨ ــ جان برنان ــ الايرلندي ــ في كتاب «العلم في التأريخ».

٩ ــ بيار روسو ــ الفرنسي ــ في كتاب «تاريخ العلوم».

١٠ ــ فولتير ــ الفرنسي ــ في مقالات عديدة.

وفي هذا الصدد نورد عبارتين من جورج سارتن. فهذا الشخص الذي يعتبر من المحققين البارزين في تاريخ العلم، يقول في كتابه «مصير العلم»:

«لايتيسر بيان الخدمات التي قدَّمتها الحضارة الإسلامية ولوبشكل مفهرس في هذه المقالة القصيرة... والذي يمكننا قوله هوقيام حضارة علمية عالمية جديدة وراقية خلال أقل من قرنين، وليس من المستطاع ايفاء حقها المطلوب».

أجل كيف يمكن لهم ان لايعترفوا بهذه الحقيقة في وقت اقتبسوا فيه كل الجوانب العلمية من العلماء المسلمين خلال القرون الأربعة الأخيرة، أي بعد رقي العصر المعروف بعصر الرنسانس. وحتى انهم استفادوا من آداب تدوين الملاحظات اثناء الدرس، ومنح الشهادات الى الطلبة، وأمثال هذه الأُمور والتي تعتبر من أحدث مستلزمات أي نظام علمي ــ تربوي من كتب المسلمين، بل انهم ترجموا بعض هذه الكتب قبل قرن أو قرنين، ومن جملة تلك الكتب: كتاب «أدب الإملاء والإستملاء» بقلم عبدالكريم سمعاني والذي تُرجم الى الالمانية، وكتاب «الإجازة في فنون التدريس عند الإسلام» الذي تُرجم الى الفرنسية في عام ١٨٥٥.

وكان الأوروبيون ينتخبون الكتب الجامعية من المصادر الإسلامية ومن الكتب الدراسية المعروفة التي آستفيد منها في الدراسات الجامعية في اوروبا:

١ ــ كتاب الحساب ــ تأليف الخوارزمي.

٢ ــ كتاب مساحة الأشكال ــ تأليف بني شاكر.

٣ ــ كتاب الرسائل ــ تأليف أبو مشعر البلخي.
٤ ــ كتاب الرسائل ــ تأليف محمدبن جابر البتاني.
٥ ــ كتاب الهيئة ــ تأليف الفرغاني.
٦ ــ كتاب صور الكواكب ــ تأليف عبدالرحمن الصوفي.
٧ ــ كتاب المناظر والمرايا ــ تأليف الكندي.
٨ ــ كتاب الريح والمطر ــ تأليف الكندي.
٩ ــ كتاب نزهة المشتاق ــ تأليف الادريسي.
١٠ ــ كتاب تقويم البلدان ــ تأليف ابوالفداء.
١١ ــ كتاب المفردات ــ تأليف ابن البيطار.
١٢ ــ كتاب الحاوي ــ تأليف الرازي.
١٣ ــ كتاب طب المنصوري ــ تأليف الرازي.
١٤ ــ كتاب القانون ــ تأليف ابن سينا.
١٥ ــ كتاب المناظر ــ تأليف ابن الهيثم.
١٦ ــ كتاب اصلاح المجسطي ــ تأليف جابر بن أفلح.
١٧ ــ كتاب التصريف (حول الجراحة) ــ تأليف ابوالقاسم الزهراوي.
١٨ ــ كتاب تقويم الاهدان ــ تأليف ابن قزلة.
١٩ ــ كتاب الكليات ــ تأليف ابن رشد.
٢٠ ــ كتاب الرسائل ــ تأليف الفارابي.
٢١ ــ كتاب الرسائل ــ تأليف ابن سينا.
٢٢ ــ كتاب الموسيقى ــ تأليف ابن باجة.
٢٣ ــ كتاب مقاصد الفلاسفة ــ تأليف الغزالي.

وفي الحقيقة ان الغربيين مدينون ــ فيما يتعلق بتأسيس جامعاتهم ــ للعلماء المسلمين، وذلك لاقتباسهم العلوم الدقيقة منهم. ومن العلماء المسلمين الذين ألّفوا كُتباً حول تقسيم العلوم:

١ ــ الفارابي في كتاب «احصاء العلوم».
٢ ــ ابن سينا في كتاب «رسالة في اقسام العلوم» وكتاب «الشفاء».
٣ ــ ابن خلدون في كتاب «المقدمة».

٤ ــ ابن حزم في كتاب «مراتب العلوم».

٥ ــ الشهيد الثاني في كتاب «منية المريد».

ان مؤلفات المسلمين في شتى مجالات العلوم ــ هي من الكثرة بحيث نحتاج الى تأليف كتاب مستقل وموسع لتدوين فهرست جميع الكتب التي الفت في المجالات المتعددة، ولكننا نكتفي هنا بذكر بعض أشهر المجالات العلمية الشائعة بين المسلمين:

١ ــ الحكمة والأخلاق

يقول ابن ابي الحديد ان ابرز مرسخ ومدوّن للحكمة والأخلاق في الإسلام بعد القرآن والسُنّة، هو الإمام علي (ع)، وان كتاب نهج البلاغة هو خير دليل على صحة هذا الكلام. وتأتي الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين (ع) بعد كتاب نهج البلاغة، و يأتي بعد ذلك كتاب «أُصول الكافي» لمؤلفه الكليني، و «تحف العقول» لمؤلفه الحر العاملي، وكتاب «الخصال» للشيخ الصدوق، وكتاب «تحصيل السعادة» للفارابي، وكتاب «أخلاقيات الشفاء» لابن سينا، وكتاب «أخلاق ناصري» لنصيرالدين الطوسي، وكتاب «احياء العلوم» للغزالي، وكتاب «مصابيح القلوب» لابي البيهقي، وكتاب «الآداب الدينية» للشيخ الطبرسي، وكتاب «ارشاد القلوب» الشيخ أبي محمدحسن الديلمي، وكتاب «مكارم الأخلاق» للشيخ أبي منصور الطبرسي، وكتاب «عيون الحكم والمواعظ» للشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، وكتاب «أخلاق جلالي» لملاجان دواني و... الخ.

٢ ــ الفقه، والحقوق، والقانون

هناك عدد هائل من الآثار القيّمة الخاصة بهذه المجالات، وهي بحق بحر لاينضب، ومن أهم تلك الآثار:

كتاب: «الألفاظ والمباحث» لهشام بن الحكم.

كتاب: «اختلاف الحديث ووسائله» ليونس بن عبدالرحمن.

كتاب: «الخصوص والعموم» لأبي سهل النوبختي.

كتاب: «الذريعة الى أُصول الشريعة» لعلم الهدى السيد المرتضى.

كتاب: «عدة الأُصول» للشيخ الطوسي.
كتاب: «المصادر» لسديد الدين الحمصي.
كتاب: «تهذيب الأُصول» للعلاَّمة الحلي.
كتاب: «المستصفى» لأبي حامد الغزالي.
كتاب: «مختصر الأُصول» لابن الحاجب.
كتاب: «كشف الأسرار» لعلاء الدين البخاري.
كتاب: «الموافقات» لأبي اسحق الشاطبي.

٣ ــ المعارف العقلية

وهذه المعارف تشمل أُفقاً واسعاً لا تعرف حدوده. وفي هذا الصدد نذكر بعض المفكرين الذين كان لهم تأثير مباشر في تكوين المعارف العقلية للأُوروبيين بعد عصر الرنسانس:

ــ يعقوب بن اسحق الكندي
ــ ابونصر الفارابي.
ــ ابو الوليد بن رشد.
ــ ابن سينا.
ــ ابن خلدون.
ــ ابن طفيل.
ــ السهروردي.

الشعر والفنون الإسلامية

اذا أردنا ان نعرف مدى تأثير الفن الإسلامي على آراء الفنانين المتأخِّرين الغربيين فمن الضرورة ان نراجع هذه الكتب الأُوروبية الثلاثة:

١ ــ «تاريخ الفن الإسلامي» بقلم: كريستيان برايس.
٢ ــ «مرشد الصناعات الإسلامية» لمؤلفه م. س. ديماند.
٣ ــ «ميراث الإسلام» تأليف عدد من المستشرقين، ومنهم البروفسور آربري، والبروفسور گيپ، وغيرهم...

الآداب الاسلامية:

ان الدخول في تفاصيل الآداب الإسلامية خلال هذه المقالة هو أمر غيرمتيسر لنا. و يكفي هنا ان نشير الى عدة ملاحظات: القصة الفلسفية ــ التربوية لحي بن يقظان/ تأليف ابن طفيل الأندلسي.

هذه القصة ترجمت خلال الأعوام ١٩٤٩ــ ١٩٦٣م الى اللغات: العبرية، واللاتينية، والهولندية، والإنجليزية، والألمانية، والأسبانية، والفرنسية، والروسية، والبولندية، وطبعت لمرات عديدة. كما كان لها تأثير في المجالات السينمائية عند الغربيين.

يقول البروفسور گيپ الذي كتب القسم الأدبي من كتاب «ميراث الاسلام»:

«لأبدَّ ان نعرف بأن المشرق، أي الإسلام، فتح مجالاً جديداً للاوروبيين، وصلوا من خلاله الى المستوى الحالي في الآداب».

والملاحظة الثانية هي ان الآداب الإسلامية لم تترك آثاراً ملحوظة على النتاجات الأدبية عند الغرب فحسب، بل ان المسلمين ألّفوا كُتباً في هذا المجال، وقد تُرجمت ونقِّحت من قبل المحققين الغربيين، ومن جملة تلك الكتب:

ــ ترجمة لاتينية لكتاب «التصريف» لعبد الوهاب الزنجاني، مع نصٍ كُتِبَ من قبل زيموندیس في فلورنسا عام ١٦١٠م.

ــ ترجمة لاتينية لكتاب الأجرومية لمحمدبن داود الصنهاجي من قبل القس أوبيشيني سنة ١٦٣١م كما تُرجم الكتاب المذكور الى اللغة الفرنسية من قبل **Bresnier** عام ١٨٤٦م.

ــ ترجمة كتاب «الألفية» لزين الدين أبوالحسن يحيى الى اللغة الهولندية مع نص وتعليق **k.V.Zetterstiee** والّذي طبع في لايبزغ عام ١٨٩٧م. كما تُرجم الكتاب المذكور الى اللغة الفرنسية من قبل **L.Pinto** وطبع في القسطنطينية سنة ١٨٨٧م، كما طبع في بيروت عام ١٨٨٨م من قبل

ــ ترجمة فرنسية لكتاب «شرح القطر» لابن هشام الأنصاري، مع نص كُتِبَ من قبل **A.Goguget** عام ١٨٨٧.

ــ ترجمة فرنسية لكتاب «شرح الكتاب» لسيبويه مع مقدمة وحاشية

باللغة الفرنسية من قبل H.Dererbouvg عام ١٨٨٩م.

ـ ترجمة انجليزية لكتاب «الكافية» لمؤلفه ابن الحاجب، وقد ترجم من قبل J.J.S.Perowne وطبع عام ١٨٣٢ م في كمبرج.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «فلحة العراب» لمؤلفه الحريري البصري، وقد تُرجم من قبل L.Pinto في باريس عام ١٩٠٤م. وتحتوي الترجمة على شرح وتعليق.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «الخزرجية» وقد تُرجم في الجزائر عام ١٩٠٢م. من قبل Rene basset

العلوم الأُخرى:

تركت الحضارة الإسلامية آثاراً واضحة على المدنية الحديثة، وتُعدُّ الآثار التي تركتها في علم الفلسفة، والمنطق، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والعلوم الطبيعية، والطب، والتكنولوجيا، والميكانيك، أُموراً مبتكرة ومحيرة لم يسبق لها مثيل، ويجب تسميتها بالإبداعات العلمية.

والكتب التالية: «الآثار الباقية» لأبي ريحان البيروني (وهو كتاب يهتم بمعرفة ثقافة وآداب الشعوب) و«احصاء العلوم» للفارابي (وهو كتاب يهتم بتصنيف العلوم) و«الاتقان» للسيوطي (وهو كتاب يهتم، بفلسفة الوجود والعرفان) و«الحيوان» للجاحظ (وهو كتاب يهتم بمعرفة الحيوانات) و«الخلاف» للشيخ الطوسي (وهو يهتم بالحقوق التطبيقية) و«الشافي» للسيد المرتضى (وهو كتاب يبحث في النظرة الكونية الاسلامية وفلسفة القيادة والسياسة) و«الفهرست» لابن النديم (وهو كتاب يهتم بمعرفة الكتب) و«المراجعات» للسيد شرف الدين (وهو كتاب يهتم بالمحاورة العلمية) و«المناظر» لابن الهيثم (وهو كتاب يدور البحث فيه عن معرفة الضوء)، و«زيج صابي» للبتّاني (وهو كتاب يهتم بالرصد ومعرفة النجوم)، و«الشفاء» لابن سينا (وهو كاب يحتوي على بحوث فلسفية)، و«شكل القطاع» لنصير الدين الطوسي (وهو كتاب في علم المثلثات) و«القانون» لابن سينا (وهو كتاب في الطب الوصفي) و«مفتاح السعادة» (في معرفة العلوم) لمؤلفه طاشكبري زاده، وكتاب «مقدمة ابن خلدون» (و يدور حول علم العمران وفلسفة التاريخ)، و«المكاسب» للشيخ الانصاري (وهو كتاب يهتم بالفقه النظري والاقتصاد)، و«مفاتيح العلوم» لمحمدبن أحمد الخوارزمي،

و«جامع العلوم» لفخرالدين الرازي، و«مفتاح العلوم» لسراج الدين السكاكي، و«درة التاج» لقطب الدين الشيرازى، و«الرسالة الثقافية في العلوم» للسيوطي، و«التعريفات» لسيد شريف الجرجاني، و«كشاف اصطلاحات الفنون» لمحمدبن علي تاتوي (وهو كتاب في المصطلحات العلمية)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (وهو كتاب جغرافي)، و«المقررات» لابن البيطار (وهو كتاب يهتم بمعرفة الأدوية)، و«تاج العروس» للزبيدي (وهو كتاب يهتم باللغة والاعلام)، و«بحارالانوار» للعلامة المجلسي (وهو كتاب في التفسير والاخبار) و... الخ تعتبر جزءاً من الكتب الاسلامية المعروفة التي كانت أساساً لظهور العلوم الحديثة.

والملاحظ ان الايمان القرآني الذي وجد في قلوب المؤمنين، ولّد في داخلهم حركة لم تقتصر آثارها عليهم وعلى نجاحهم العلمي فحسب، بل انهم تمكّنوا وبسرعة من جذب غيرالمسلمين نحوهم. ولهذا فعندما كانت أقدام المسلمين تطأ أرضاً ما، فإنَّ أهاليها كانوا يميلون نحوالإسلام، ويصبحون مسلمين.

واذا تأدَّب المسلمون ــ اليوم ــ بتلك الآداب، فإنهم سوف لايمسكون بزمام الإبتكارات العلمية فحسب، بل انهم ــ و بالتربية الإسلامية ــ سيصبحون عاملاً مؤثراً في توعية العالم ازاء الإسلام والقرآن.

وفي الختام نلقي نظرة الى عناوين مضمون أحد الكتب الخاصة بالتربية والتعليم الإسلاميين، الذي ألّفه الخواجة نصيرالطوسي قبل عدة قرون، لنرى كيف كانوا يأخذون بنظر الإعتبار العلم والعمل، والأخلاق والحكمة معاً.

والكتاب المذكور مقسم الى اثني عشر باباً، هي :

١ ــ باب : ماهية العلم وفضيلته.

٢ ــ باب : الإخلاص في طلب العلم.

٣ ــ باب : التدقيق في انتخاب الفرع.

٤ ــ باب : بذل الجهد اللازم.

٥ ــ باب : زمن تحصيل العلم.

٦ ــ باب : التوكل عند التعلم.

٧ ــ باب : فترة التعلم.

٨ ــ باب : تجنب البخل والحسد.

٩ ــ باب: تجنب اضاعة الوقت.

١٠ ــ باب: التحلي بالتقوى.

١١ ــ باب: كيفية تقوية الذاكرة وادراك الأمور.

١٢ ــ باب: الصحة وامرار المعاش والعمل بأحكام الدين والقناعة عند التعلم.

و يقول نصيرالدين الطوسي في الباب الثامن:

«يجب ان يسعى الأُستاذ ليجعل من تلميذه اُستاذاً معروفاً وعالماً في زمانه».

أجل، هذه هي التعاليم القرآنية، وصدق سبحانه وتعالى في قوله:

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين».

(البقرة/ ٢)

المصدر الاول
من مصادر الشريعة الاسلامية

الدكتور ابراهيم سلقيني/ سوريا

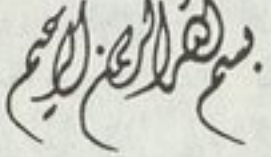

«**المصادر**» جمع مصدر، والمصدر مايتفرع عنه غيره. فصادر الشريعة هي: ما تؤخذ منها الأحكام الشرعية.

ومما تجدر الإشارة اليه: ان الشريعة الإسلامية لم تكن في أُصولها ومصادرها وليدة أُمور محلية طرأت، أوظروف آحاطت بمجتمع ما في زمن معين، حتى تكون صدىً لتلك الظروف، أو انعكاساً لتلك الأحداث، كما انها لم تكن أثراً للإرادة الإسلامية بما يحرّك تلك الإرادة من دوافع النفس وانفعالاتها حتى تكون خاضعة للأهواء والأغراض والمصالح الشخصية، ولم يتمخض هذا التشريع عن صراع بين مصلحة الفرد والمجتمع حتى يتحدد على ضوء افتئات احداهما على الأخرى.

التشريع الإسلامي سماوي الأُصول، فطري النزعة، يتصل بالفطرة الإنسانية التي فطرالله الناس عليها «**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطرالناس عليها...**»[1]. وهو ما أُنزل إلاّ ليخرج الناس عن دواعي أهوائهم، وشطط نزعاتهم ومصالحهم الخاصة وأنانياتهم وأغراضهم.

وهكذا صوناً لمصالح الخلق من عبث الأنانية الفردية، وتخليصاً لنفوسهم من وطأة الجور في الحكم، وحفظاً لهم من شر الهوى والتسلط، جعل الإسلام

---

١ ــ من سورة الروم آية/ ٣٠.

أساس التشريع فيه لله وحده «...إن الحكم إلاّ لله...»[٢]، و يتجلى هذا المصدر السماوي بالقرآن الكريم، وان بقية المصادر تابعة للقرآن أو مبينة وكاشفة لحكم الله، وليست منشئة له، فالمسلم لايقبل إلاّ حكم الله تعالى.

وأما أولوا الأمر في الأُمة، فلايلون من أمر التشريع إلاّ اذا كانوا من المجتهدين الذين توفرت فيهم أهلية الإجتهاد، ذلك لأنهم أفقه لكتاب الله وسُنَّة رسوله، وأعمق إدراكاً لقواعد الإسلام الكلية ومقاصده التشريعية في حفظ مصالح الأُمة.

وعلى هذا فما يأتون به من حكم، لايعتبر تلقائياً، ولاتشريعاً إبتداعياً مستملى من هوى ولا مستوحى من أثرة مستبدة أو مصلحة ذاتية: وانما هو تشريع مستنبط من نصوص الشريعة وروحها ومقاصدها. فهو في حقيقة الأمر: إظهار لحكم الله، وكشف له، وليس ابتداعاً لأحكام من عند أنفسهم. على ان الرسول صلى الله عليه وسلم رغم عصمته فقد أمره الله تعالى بالشورى، مع أنه في غنى عنها، إذ لايقر على خطأ، ولكن ليوصل أصلاً، و يرسي قاعدة، وهي: «**الشورى في الحكم**»، «**...وأمرهم شورى بينهم...**»[٣] «**...وشاورهم في الأمر...**»[٤]، وهكذا لم يخلق الله الناس عبثاً، ولم يتركهم وشأنهم يستبد كل برأيه، بل شرَّعَ لهم لكل فعل من أفعالهم حكماً يختص به، وجعل لهذه الأحكام مصادر تؤخذ منها، إلاّ أن هذه المصادر منها ما هو متفق على حجيته عند جمهور العلماء وتسمى «أصلية»، ومنها ما هو محل خلاف بينهم، وتسمى «**مصادر تبعية**»، لأنها ترجع الى الأُولى وتتبعها.

وعلى أي حال: فالمصادر كلها ترجع الى مصدر واحد، وهو النصوص، وهي الكتاب والسنة، فكل مصدر بعد ذلك منبعث منها، معتمد عليها. ولذا يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «**ان الأحكام لاتؤخذ إلاّ من نص أو من حمل على نص**»، واذا كان القرآن هو مصدر المصادر، فهو مقدم عليها جميعاً، وهو المرجع الأول لمن أراد معرفة حكم من الأحكام، فإنْ لم يجد فيه رجع الى السُّنَّة، وان لم

---

٢ ــ من سورة الأنعام آية/ ٥٧.

٣ ــ من سورة الشورى آية/ ٣٨.

٤ ــ من سورة آل عمران آية/ ١٥٩.

يجد في السُّنَّة رجع الى الإجماع، فإنْ لم يكن في المسألة إجماع رجع الى القياس، فالقياس آخر الأدلة الأصلية الأربعة، وهي مرتبة كما بينت: **الكتاب، السُّنَّة، الإجماع، القياس.**

والبرهان على الإستدلال بهذه المصادر قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأُولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيءٍ فردوه الى الله والرسول...**».[٥]

والدليل على هذا الترتيب ما رواه البغوي من حديث معاذبن جبل رضي الله عنه: «**ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمابعثه قاضياً على اليمن قال له صلى الله عليه وسلم: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: اقضي بكتاب الله: قال: فإنْ لم تجد؟ قال: فبسُنَّة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رايي ولا آلو** ــ**أي لا أقصر في البحث والإجتهاد**ــ **قال معاذ: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده، ثم قال: الحمدلله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله**».

ولقد قال عمر ــ رضي الله عنه ــ في كتابه الذي أرسله الى أبي موسى الأشعري: «**الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا في سنة إعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك**».

وأما الأدلة الفرعية ــ التي لم يتفق جمهور العلماء على الإستدلال بها، فمنهم من استدلَّ بها ومنهم من أنكر الإستدلال بها ــ فكثيرة وأشهرها: الإستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع.

وسأبحث في كل من هذه المصادر المتفق عليها، والمختلف فيها في مبحث على حدة، إلاَّ انني أبيِّن قبل ذلك أُموراً تشملها جميعاً.

الأمر الأول

تقسيم الأدلة الى قسمين: **أدلة نقلية، وأدلة عقلية.**

فالأدلة النقلية طريقها النقل، ولا دخل للمجتهد في ايجادها، كالكتاب والسُّنَّة، فلادخل للمجتهد فيها، وكذلك الإجماع، فإنه موجود قبل اجتهاد المجتهد، وكذلك العرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي، فكل ذلك راجع الى العمل

---

٥ ــ من سورة النساء آية/ ٥٩.

بأمر ثابت لا دخل للمجتهد في وجوده ولا انشائه.

والأدلة العقلية هي التي يكون للمجتهد دخل في وجودها، كالقياس والمصالح المرسلة والإستحسان.

وهذا التقسيم إنما هو بالنظر لذات الأدلة، لا بالنظر للإستدلال بها، فكل واحد من النوعين مفتقر الى الآخر، ولا غنى له عنه.

فالإستدلال بالمنقول لابُدَّ فيه من النظر بالعقل، والإستدلال بالمعقول لايعتد به في نظر الشارع، إلاَّ اذا كان معتمداً على النقل، إذ العقل المحض لا دخل له في تشريع الأحكام.

الأمر الثاني

ان الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول السليمة. فلا يمكن أن يوجد دليل صحيح يعارض العقل السليم، والتعارض إنمَّا يقع في حالة عدم صحة الدليل، أو عدم فهمه فهماً صحيحاً، أو في حالة اصابة العقل بمرض كالعته، أو اصابته بهوى أو غرض أو مصلحة ذاتية.

فالله تبارك وتعالى أقام الأدلة وأنزلها على الأنبياء والرسل لتتلقاها عقول المكلفين بالقبول: حتى يعملوا بمقتضاها، ولوكانت متعارضة مع القول لم تتلقها بالقبول، وبالتالي لم تعمل بها، ولو كانت الأدلة أو التكاليف متناقضة مع العقول لكان التكليف بها تكليفاً بما لايطاق، وذلك من جهة التكليف بما لايصدقه العقل ولايتصوره.

وبناءً على ذلك: لا تكون هناك فائدة من تشريع الشرائع وتنزيل الكتب لتبليغها للناس، ويكون ذلك كله عبثاً، والله تعالى لايفعل العبث، بل منزَّه عنه. وهذا يؤكد أن تكون الأدلة متلائمة مع العقل السليم، وإلاَّ لوجاءت على خلاف مايقتضيه العقل، لكان لزوم التكاليف على العاقل أشد من لزومها على المجنون والصبي والنائم، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لايصدق، بخلاف العاقل الذي يأتيه مما لايمكن تصديقه لتناقضه مع العقل، ولكان التكليف ساقطاً عن العقلاء من باب أولى.

الأمر الثالث

ان المصادر نوعان، منها: ما هو أصل مستقل بنفسه في التشريع، كالكتاب والسُّنَّة، ومنها: غير مستقل بنفسه، كالقياس والإستحسان.

وانما كانت الأُولى مستقلة في ذلك، لأنها لاتحتاج في اثبات الحكم بها لأي شيء آخر.

وانما كان القياس وما شابهه أصلاً غير مستقل بنفسه، لاحتياجه في اثبات الحكم به الى أصل وارد في الكتاب أو السنة، أو الإجماع، وكذلك معرفة العلة التي من أجلها شرع الحكم في الأصل، وبدون ذلك لايثبت الحكم بالقياس.

فالقياس في الحقيقة، لم يثبت الحكم في الفرع، وانما أظهر شمول النص أو الإجماع لذلك الفرع، ولذلك قال العلماء: **ان القياس مظهر للحكم، لامثبت.**

المصدر الاول: الكتاب (القرآن)

ويتناول مايلي: ــ

(١) ــ (تعريف الكتاب لغةً واصطلاحاً، وتعريف القرآن).

(٢) ــ (نزوله).

(٣) ــ (حفظ القرآن وجمعه).

(٤) ــ (ترتيب السور والآيات).

(٥) ــ (خصائص القرآن).

(٦) ــ (حجية القرآن واعجازه).

(٧) ــ (وجوه اعجازه).

(٨) ــ (أنواع أحكامه).

(٩) ــ (دلالة القرآن على الأحكام).

(١) ــ تعريف بالمصدر الأول، الكتاب (القرآن الكريم)

اذا دققنا النظر، وجدنا أن مصدر الأحكام الشرعية واحد، وهو قول الله تعالى، إذ قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) خبر عن الله تعالى أنه حكم بكذا

وكذا. والإجماع يستند الى قرآن أو سُنَّة، فالحكم لله تعالى وحده.

فالكتاب هو المصدر الأول والأساس، وهو محور الشريعة وقطب رحاها، وهو أجلُّ من أن يعرف أو يحدَّ بحد.

والكتاب في اللغة: مصدر كتب، وهو اسم للمكتوب. وفي اصطلاح أهل الشرع: هو القرآن الكريم. والقرآن في اللغة: مصدر قرأ، بمعنى القراءة، كما في قوله تعالى: «**فاذا قرأناه فاتَّبع قرآنه**»[٦] والمراد به: كلام الله تعالى المقروء على ألْسُنة العباد. و يعرف: انه كلام الله تعالى الذي نزل به جبريل على قلب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بألفاظه العربية ليكون حجةً للرسول، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، و يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، والمنقول بالتواتر، والمعجز بألفاظه ومعانيه، والمحفوظ من أي تبديل أو تغيير: «**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**».[٧]

وقد قسم القرآن الى سور بلغ مجموعها أربع عشرة ومئة سورة، أولها: سورة الفاتحة، وآخرها: سورة الناس.[٨]

وتتألف كل سورة من آيات، وقد بلغ مجموع ما في القرآن من آيات (٦٣٤٢) آية.

(٢) ــ نزول القرآن، وأول وآخر ما نزل

لقد كان نزوله منجماً، أي مفرقاً، تنزل الآية، أو الآيات، أو السورة حسب مقتضيات الأحوال والحاجات، وأول ما نزل من القرآن، بسم الله الرحمن الرحيم: «**إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**»[٩] وذلك في اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من عمره «صلى الله عليه وسلم».[١٠]

---

٦ ــ من سورة القيامة آية/ ١٨.

٧ ــ من سورة الحجر آية/ ٩.

٨ ــ انظر ارشاد الفحول للامام الشوكاني (٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢)، ط: أولى. وأنظر الإحكام في أصول الاحكام للعلامة الآمدي (١: ٢٢٨ ــ ٢٤٠)، ط: مطبعة المعارف ١٣٣٢هـ.

٩ ــ من سورة العلق آية/ ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

١٠ ــ رواه البخاري عن السيدة عائشة (١: ٦) ورواه مسلم (١: ١٤٤)

وآخر ما نزل قوله تعالى: «**واتقوا يوماً تُرجعون فيه الى الله ثم تُوفى كلُّ نفسٍ ماكسبت وهم لايظلمون**»[11]، فهذه آخر آية نزلت على الاطلاق، نزلت قبل وفاة الرسول «صلى الله عليه وسلم» بتسع ليال، أما الآية: «**... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً...**»[12] فهي آخر آية من الآيات التشريعية، لا آخر آية على الاطلاق.

والمدة بين بداية التنزيل واختتامه، اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً.

(٣)ـ حفظ القرآن وجمعه

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كلّما نزلت آية، أو آيات، جمع كُـتّاب الوحي وحفاظ القرآن فيحفظون و يكتبون، وهكذا لم ينتقل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الى الملأ الأعلى إلاّ والقرآن الكريم محفوظ في صدور الحفاظ يحفظه الكبير والصغير والرجل والمرأة، ومكتوب في صحف الكتاب، ولم يكن مجموعاً في مصحف واحد في عصر الرسول «صلى الله عليه وسلم»، نظراً لترقب نزول الوحي، ولقصر المدة بين آخر ما نزل و بين وفاته «صلى الله عليه وسلم» فقد كانت تسع ليال على القول الراجح.

ولقد جمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) حيث روى الثقات أن سيدنا عمر أول من تنبه لضرورة جمع القرآن بعد استشهاد سبعين شهيداً من الحفاظ المشهورين في موقعة اليمامة فذهب الى سيدنا أبي بكر الخليفة، وقال له: **اني أرى أن تأمر بجمع القرآن خشية ضياع شيء منه باستشهاد حفاظه، فقال له أبو بكر «رضي الله عنه»: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر رضي الله عنه: هو والله خير، وما زال عمر يراجع أبابكر حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر، فأرسلا الى زيد بن ثابت وعرضا عليه الأمر وقالا له: انك شاب عاقل لانتهمك وانك كنت تكتب الوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن وآجمعه، فقال لهما: كيف تأمراني أن**

١١ـ من سورة البقرة آية/ ٢٨١.

١٢ـ من سورة المائدة آية/ ٣.

أفعل فعلاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالا له: هو والله خير، وما زالا يراجعانه حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فقال: والله لو كلفتموني نقل جبل لكان أهون عليَّ، فانطلق بجمعه من صدور الرجال ومن الرقاع التي كان مكتوباً عليها ومن سعف النخل، وغير ذلك، وكان لايقبل كتابة آية حتى يشهد شاهدان أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبها بين يديه.

وهذا هوالجمع الأول، ثم حفظ المصحف عند أبي بكر مدة خلافته، ثم عند عمر مدة خلافته، ثم عند حفصة ابنة عمر وأم المؤمنين بعد وفاة عمر.

وفي عهد عثمان تنبه حذيفة بن اليمان حينما كان يحارب في أرمينيا وآذربايجان الى اختلاف الناس في لهجاتهم، فأسرع الى الخليفة عثمان وقال له: ادرك هذه الأُمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين، وطلب منها أن ترسل المصحف لأجل نسخه في مصاحف متعددة، وكلَّف زيدبن ثابت، وسعيدبن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله بن الزبير أن يقوموا بكتابة نسخ عن النسخة الأصلية، فتمَّ ذلك ونسخوا ستة مصاحف أُرسلت الى الأمصار والعواصم، وأمر عثمان بحرق ما سواها من الصحف.

(٤) ترتيب السور والآيات

ومما يجب أن يلاحظ أن ترتيب السور في المصحف وأسماءها، وكذلك ترتيب الآيات توقيفي عن الله عزَّ وجلَّ، فكان جبريل كلما نزلت آية أو آيات يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: «يا محمد ضعها على رأس كذا من سورة كذا».

(٥) خصائص القرآن

خصائصه كثيرة، منها:

أ)ــ ان ألفاظ عربية أنزلها الله على قلب رسوله، وبهذه الخاصة يمتاز القرآن عن غيره من التوراة والإنجيل، لأنها نزلت بغير العربية، فتفسير سورة أو آية بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن، دالة على ما دلت عليه ألفاظه، لا يعد قرآناً مهما كان مطابقاً في دلالته، بل يسمى تفسيراً، كما ان ترجمة القرآن أو ترجمة آية بأي لغة غير عربية لا تعد قرآناً مهما روعي في الترجمة من الدقة والمطابقة، نعم تعتبر

تفسيراً اذا كانت الترجمة مطابقة وتتم على يد من يوثق بدينه واختصاصه وأمانته وحذقه، ولكن على أي حال لا تعتبر قرآناً، ولا تصح الصلاة بها، ولا يتعبد بتلاوتها.

ب)ــ ومن خصائص القرآن أيضاً: ان الألفاظ والمعاني كلاهما منزل من عندالله عزوجل، ووظيفة الرسول «صلى الله عليه وسلم» التبليغ الى الناس، وبيان ما يحتاج الى البيان، وبهذه الخاصة يمتاز القرآن عن الأحاديث الصادرة عن الرسول «صلى الله عليه وسلم»، سواء منها الأحاديث القدسية أو النبوية: لأن معاني الأحاديث من الله تعالى، أما الألفاظ من الرسول «صلى الله عليه وسلم» لأنه(ص)، لاينطق عن الهوى، ان هو إلاّ وحي يوحى.

ج)ــ ومن خصائص القرآن: انه نُقل الينا بطريق التواتر، يرويه جمع كثير عن جمع كثير بحيث يستحيل احتمال اتفاقهم على الكذب، والتواتر ثابت للقرآن كتابة ومشافهة في جميع العصور من وقت أن نزل الى يومنا هذا، وذلك لأن القرآن كتبه عن الرسول(ص) ــ كما بينت ــ كتاب الوحي، وحفظه جمع كبير من الصحابة، لايمكن اتفاقهم على الكذب، ثم تناقلته الجموع الكثيرة حفظاً في الصدور والسطور جيلاً بعد جيل الى أن وصل الينا مكتوباً في المصاحف، ومحفوظاً في الصدور، من غير تحريف ولا تبديل «**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون**».[١٣]

وهكذا نقل الينا بطريق يفيد اليقين والقطع بصحة الرواية، فيعتبر القرآن أصح وثيقة عرفها الإنسان.

(٦) حجية القرآن وإعجازه

القرآن حجة على الناس يجب عليهم اتباعه: لأنه من عندالله، نقل الينا بطريق قطعي لاشبهة فيه، ولايجوز العدول عنه الى غيره من الأدلة، لأنه كلام الله عزّوجلّ الذي (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد**)[١٤] أنزله ليكون دستوراً للناس يهديهم الى الحق.

أما البرهان على أن القرآن من عندالله فهو اعجازه. والإعجاز معناه نسبة

١٣ــ من سورة الحجر آية/ ٩.

١٤ــ من سورة فصلت آية/ ٤٢.

العجز الى الغير واثباته له، لكن المراد منه مايلزمه من اظهار صدق النبي في دعوى الرسالة، ولا يتحقق الاعجاز إلاّ بتوفر اُمور ثلاثة، الأول: التحدي، والثاني: وجود المقتضي الذي يدفع المتحدي الى المباراة، والثالث: أن ينتفي المانع الذي يمنعه من المباراة.

والقرآن الكريم توفر فيه التحدي به، ووجد المقتضي لمن تحدوا به أن يعارضوه، وانتفى المانع الذي يمنعهم من معارضته أيضاً.

أما التحدي: فقد تحداهم بألفاظ قارعة واخزة أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، وأقسم أنهم لا يأتون بمثله ولن يأتوا، قال تعالى «**قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً**»[15]

وقال تعالى: «**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشرِ سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**»[16]، وقال سبحانه: «**وان كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين**».[17]

وأما وجود المقتضي للمعارضة: لأن الرسول إدّعى أنه رسول الله، وجاءهم بدين يبطل دينهم، وسفه عقولهم، وسخر من أوثانهم وما يعبدون، واحتج على دعواه بأن القرآن من عندالله، وتحداهم أن يأتوا بمثله، فما كان أشد حرصهم على أن يأتوا بمثله ليبطلوا أنه من عندالله، و بذلك يدافعون عن دينهم.

وأما انتفاء المانع عن المعارضة: فلأن، القرآن بلسان عربي، وألفاظه، من أحرف العرب، وعباراته على أسلوبهم، وهم أهل البلاغة والبيان والفصاحة. ولقد قال قائلهم: «**والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعرف برجز الشعر، والله مايشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله إنَّ في قوله لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلى عليه، وانه ليحطم ماتحته**».

١٥ــ من سورة الاسراء آية/ ٨٨.

١٦ــ من سورة هود آية/ ١٣.

١٧ــ من سورة البقرة آية/ ٢٣ــ ٢٤.

(٧)ـ وجوه إعجاز القرآن

ان القرآن الكريم لم يكن اعجازه في ناحية معينة، بل في نواحٍ متعددة: لفظية ومعنوية، تجمعت فأعجزت الناس أن يعارضوه. كما انه من المتفق عليه: ان العقول لم تصل حتى الآن الى ادراك جميع نواحي الاعجاز أو حصرها، بل كلّما زاد التأمل والتدبر في آيات القرآن الكريم، وكلّما كشف البحث العلمي عن أسرار الكون وسننه، ظهرت نواحٍ جديدة من نواحي الإعجار، وقام دليل جديد على ان القرآن من عندالله تعالى. فلم يكن القرآن معجزاً للعرب وحدهم، بل للناس أجمعين، ولعل من أبرز نواحي الإعجاز:

أ)ـ اتساق عباراته ومعانيه وأحكامه

يتكون القرآن من أكثر من ستة آلاف آية، نزلت خلال فترة زادت عن عشرين سنة، وعَبَّرَتْ عما قصدت بعبارات متنوعة وأساليب شتى، وتعرضت لموضوعات متعددة: في الإعتقاد، والأخلاق والتشريع، وقررت نظريات كونية واجتماعية، ومع كل ذلك لاتجد في عبارات القرآن وألفاظه خلافاً، ولا تجد عبارة أرقى مستوى، في بلاغتها من عبارة أُخرى، بل كل لفظ في موضعه الذي يجب أن يكون فيه، كما لا تلاحظ فيه معنى من معانيه يعارض معنى آخر، أو حكماً يناقض حكماً، أو مبدءاً يهدم مبدءاً. كما لا اختلاف في عباراته وألفاظه، ولا في معانيه وأحكامه، ولا في مبادئه وقواعده، ولو كان صادراً من عند غيرالله أفراداً أو جماعات لما سلم من اختلاف بعضه مع البعض الآخر، لأن العقول الإنسانية مهما كملت ونضجت، لايمكنها ان تكون ستة آلاف آية في ثلاث وعشرين سنة لاتختلف آية عن آية في مستوى بلاغتها، ولا تعارض آيةٌ آيةً في معناها، أوما اشتملت عليه، والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز، أشارت الآية الكريمة: «**أفلا يتدبّرون القرآن، ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**».[١٨]

١٨ـ من سورة النساء آية/ ٨٢.

ب)ــ بلاغة ألفاظه وفصاحة عباراته

بلاغة القرآن وارتفاعها الى دجة لم تعرف في كلام العرب قط، وقد أدرك ذلك الذين كانوا يتذوقون البيان العربي و ينقدونه، وقد وازنوا بينه و بين ما كانوا يعرفون من شعر بليغ ونثر فصيح، فوجدوه متميزاً، رأوا فيه جزالة في الألفاظ وأسلوباً رائعاً، يشتد أحياناً كالقارعة بل تراه أشد من الصخر، و يرق أحياناً وكأنه أرق من الماء، وألين من الهواء، ومع هذه الجزالة في الألفاظ والروعة في الأسلوب ترى النظم الخاص المحكم الذي ليس على ميزان الشعر المقفى، ولا على منهاج النثر المسجوع، أو المرسل، إنما هو منهاج قائم بذاته، وليس فيه لفظ ينبو عن السمع أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، وعباراته في مطابقتها لمقتضى الأحوال في أعلى مستوى بلاغي. و يتجلى هذا لمن له ذوق عربي بلاغي. ولقد روى مسلم في صحيحه أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: «**لقد لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم ان الله أرسله. قلت: فما يقول الناس عنه؟ قال يقولون: شاعر كاهن ساحر.** وكان أنيس من الشعراء، ولكنه قال: **سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، وقد وضعته على أقوال الشعراء فلم يلتئم على لسان أحد، بأنه شعر، والله انه لصادق، والله انهم لكاذبون**».

جـ)ــ إخبار القرآن عن مغيبات القرون السابقة

فقد أخبر عن عاد وثمود وقوم نوح وابراهيم وقوم لوط وأخبار موسى وقومه وفرعون وأمره، وأخبار مريم وولادتها، وأخبار الأنبياء السابقين. وكانت أخباره صدقاً تتفق مع الصادق المعقول من كتب أهل الكتاب، وكل ذلك جاء على لسان أمي لايقرأ ولا يكتب ولم يجلس الى معلم، ولم يتخرج في مدرسة أو جامعة. وما كانت بيئته بيئة علم وكتاب حتى يمكن أن يتعلم الأخبار والوقائع منهم، لذلك كان دليلاً على ان ماجاء به من عندالله تعالى، ولذا يقول سبحانه: «**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**».[19] ولما تحيَّر الجاحدون، أرادوا أن يفتروا الكذب، وادعوا انه يعلمه بشر، ولم يجدوا بمكة إلاَّ

١٩ــ العنكبوت، آية/ ٤٨.

فتىً رومياً لايحسن العربية ولايعلم من علم الأولين شيئاً، ولهذا قال سبحانه: «ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يُعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون اليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ» [٢٠] والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز، أرشد سبحانه فقال: «تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا...». [٢١]

د)ــ ومن وجوه الاعجاز اخباره عن المغيبات المستقبلة

أخبر القرآن عن وقوع حوادث مستقبلة وقعت كما أخبر، ومن ذلك اخباره عن انهزام الفرس بعد انهزام الروم، فقد قال سبحانه: «ألم* غُلبت الروم* في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين...» [٢٢]، واخباره بالنصر في غزوة بدر، فقد قال سبحانه: «وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنّها لكم وتودُّون أنَّ غير ذات الشَّوكة تكون لكم...» [٢٣]، كما وعدالله عزَّ وجلَّ بدخولهم المسجد الحرام، فقال سبحانه: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلّقين رؤسكم ومقصّرين لاتخافون، فعلم ما لم تعلموا...». [٢٤]

كما وعدالله سبحانه المؤمنين بالاستخلاف في الأرض. قال تعالى: «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم...». [٢٥] وقد تحقق كل ما أخبر عنه القرآن الكريم، وهذا دليل قاطع على ان القرآن من عندالله سبحانه.

هـ)ــ ومن وجوه اعجاز القرآن

اتفاق ما جاء به مع الحقائق العلمية المكتشفة (اليقيني من العلم) لقد نزل القرآن الكريم ليكون دستوراً للناس يسيرون على هديه. ولم ينزل ليكون كتاب فلك أو كتاب كيمياء أو فيزياء، ولم يكن من مقاصده تقرير نظريات

٢٠ــ النحل، آية/ ١٠٣.

٢١ــ هود، آية/ ٤٩.

٢٢ــ الروم، آية/ ١، ٢، ٣، ٤.

٢٣ــ الأنفال، آية/ ٧.

٢٤ــ الفتح، آية/ ٢٧.

٢٥ــ النور، آية/ ٥٥.

علمية في خلق الإنسان أو الكواكب، ولكنه في مجال الإستدلال على وجوده سبحانه ووحدانيته، أو تذكير الناس بنعمه، عرض كثيراً من الحقائق العلمية في خلق الإنسان والأرض والسماء، ولقد اثبت العلم الحديث صدقها مما لامجال لانكار منكر لها، بل كلما كشف البحث العلمي حقيقة علمية ــ كان القرآن قد أشار اليها ــ ظهر دليل جديد على ان القرآن من عندالله سبحانه، والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز أشارت الآية الكريمة: «**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيدٌ**».[٢٦]

من ذلك قوله سبحانه: «**بلى قادرين على أن نُسوِّي بنانه**»[٢٧]، وقوله: «**فمن يرد الله أنْ يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيِّقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء...**»[٢٨] وقوله سبحانه: «**وأرسلنا الرياح لواقح...**»[٢٩]، وقوله تعالى: «**أولم ير الذين كفروا أنَّ السماوات والأرض كانتا رتْقاً ففتقناهما، وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ**»[٣٠]، وقوله سبحانه: **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين * ثُمَّ إنَّكم بعد ذلك لميِّتون * ثم إنَّكم يوم القيامة تُبعثون**»[٣١]، وقوله تعالى: «**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**»[٣٢]، وقوله سبحانه: «**...وكل في فلكٍ يسبحون**»[٣٣]، وقوله سبحانه: «**وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب صُنع الله الذي أتقن كل شيءٍ...**»[٣٤]، وغير ذلك من الآيات الكونية المنبثة في ثنايا القرآن الكريم وهي دلائل قاطعة على ان هذا القرآن من

٢٦ــ فصلت، آية/ ٥٣.
٢٧ــ القيامة، آية/ ٤.
٢٨ــ الأنعام، آية/ ١٢٥.
٢٩ــ الحجر، آية/ ٢٢.
٣٠ــ الأنبياء، آية/ ٣٠.
٣١ــ المؤمنون، آية/ ١٢ــ١٦.
٣٢ــ يس، آية/ ٣٨.
٣٣ــ يس، آية/ ٤٠.
٣٤ــ النمل، آية/ ٨٨.

عندالله تعالى: لأنه لايتصور من أمي لايقرأ ولا يكتب، لم يطلع على علم، ولم يغادر مكة إلاّ مرتين الى الشام، الأولى: في الثانية عشرة، والثانية: في الخامسة والعشرين من عمره، يمكن ان يعلم هذه الحقائق التي لم يكتشفها العلم إلاّ بعد قرون وقرون.

و)ـ ومن وجوه اعجاز القرآن

ما اشتمل عليه من أحكام منظمة وتشريعات شاملة لأفعال الناس كفيلة بأرقى حضارة يتطلع اليها الإنسان وأرفع مدنية ينشدها، وكفيلة بانشاء الإنسان الراقي المتحضر، وايجاد العالم الجديد المتحرر، الذي يقوم على الحق والفضيلة والعدالة والمساواة والأُخوة والتعاون: فلقد وضع القرآن في ذلك أرفع المبادئ وأقوم القواعد التي تنظم أُمور الدين والدنيا، وبما يحقق مصلحة الفرد والجماعة دون أن تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ودون ان تطغى مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، فتهدر كيانه ووجوده. بل وضع النظم التي تسعد الإنسان، وتحقق له الإستقرار والطمأنينة والرفاهية. ولقد جاء القرآن بهذه النظم والتشريعات، المنظمة للعلاقات الفردية والدولية، الى قوم لم يكن فيهم قانون ولانظام، بل يسود فيهم النظام العشائري المبني على العادات والتقاليد. فجاءهم بشريعة اعتبرت الناس جميعاً صانعهم واحدا هوالله تعالى، وطينتهم واحدة وهي التراب، فالناس جميعاً أمام التشريع سواء، فلا مجال لتمايز، لابلون ولا بجنس ولا بثروة ولابسلطة، فلو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها، وأعطى الحرية الكاملة لكل بالغ، لافرق بين ذكر وأُنثى، وأعطى المرأة حقها كاملاً، وجعل لها ذمة مالية كاملة، ومستقلة عن ذمة الزوج، ولم تصل الى هذا الحق الأخير الى اليوم إلاّ في بعض التشريعات الحديثة.

كما أقام القرآن نظاماً دقيقاً عادلاً للمواريث لم يصل الى مثله أي نظام، لا في الماضي ولا في الحاضر، وكل القانونيين المنصفين يعترفون انه أمثل نظام عرفته البشرية، وقد جاء كل هذا على لسان أمي، ولم يعلم أحد ان شيئاً من هذه الأحكام قد وجد في تشريع قبله. واذا كان القانون الروماني كما يقول العلامة أبوزهرة جاء نتيجة لتجارب قرون، وانتفع من نظم أثينا، ونظم اسبرطة، وجمهورية افلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو وغيره، ومع ذلك جاء ناقصاً بالنسبة

لما جاء به ذلك الأُمي الذي لايقرأ ولا يكتب، ولم يجلس الى معلم. فبأي شيء نفسر سبق شريعة القرآن في كل شيء، واذا كان هو يقول: انها من عندالله، فبأي حق أو مستند نكذبه؟ والإمارات شاهدة والبيِّنات قاطعة.

ولذلك نؤكدان شريعة القرآن هي أقوى وجوه الإعجاز، وهي دالّة على اعجازه الى يوم القيامة، وهي قائمة الى اليوم حجة على العرب وغيرهم، لايفترق في قبولها من يعرف لسان القرآن ومن لايعرفه، كما قال سبحانه: «**...قد جاء كم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ* يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه، ويهديهم الى صراطٍ مستقيمٍ**»[35]، وقال تعالى: «**إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...**».[36]

(٨)ـ أنواع الأحكام التي آشتمل عليها القرآن

اشتمل القرآن الكريم على جميع الأحكام التي تتعلق بالإنسان إجمالاً، سواء في الحياة الدنيا، أو الآخرة. وأُبيِّن فيما يلي بايجاز أنواعها:

أولاً:

الأحكام الاعتقادية التي تتناول أمور العقيدة وأركانها، وما يفترض على المسلم اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ثانياً:

الأحكام الأخلاقية التي تتعلق بالمحاسن والآداب والفضائل والسلوك الذي يجب أن يكون عليه الفرد المسلم.

ثالثاً:

الأحكام العملية وهي تشتمل على نوعين:

٣٥ـ المائدة، آية/ ١٥ ـ ١٦.

٣٦ـ الاسراء، آية/ ٩.

النوع الأول:ـ

أحكام العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذور ونحوها من العبادات.

والنوع الثاني:ـ

أحكام المعاملات التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات، أم أُمماً. وهي تتناول مايلي:

أ)ـ أحكام الأُسرة ـ من نكاح ونسب وطلاق ونفقة وميراث وجميع ما ينظم العلاقات بين أفراد الأُسرة من الزوجين والأولاد والأقارب، وهو مايسمى بالأحوال الشخصية.

ب)ـ الأحكام المتعلقة بتعامل الناس بعضهم مع بعض في الأموال والحقوق من معاوضات مالية وأمانات وفصل منازعات من بيع واجارات وشركات وعقود توثيق، وتسمى أحكام المعاملات أو الأحكام المدنية.

جـ)ـ الأحكام التي تتعلق بضبط النظام الداخلي بين الناس وعقاب المجرمين، مما يقصد به حفظ: الحياة، والعرض، والمال، وسائر الحقوق، وهي تشمل: القصاص، والحدود، والتعازير، وتسمى العقوبات أو الأحكام الجنائية.

د)ـ الأحكام المتعلقة بنظام القضاء والشهادات والاجراءات لتحقيق العدل بين الناس، وتسمى بأحكام المرافعات أو أصول المحاكمات.

هـ)ـ الأحكام المتضمنة لنظام الحكم وأصوله وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وحقوق وواجبات كل منهما، وتعرف بالأحكام السلطانية أو الدستورية.

و)ـ الأحكام المتعلقة بتنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء، بين الدولة والأفراد، وتنظيم الموارد والمصارف في الدولة، وتعرف بالأحكام الاقتصادية.

ز)ـ الأحكام التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأُخرى في السلم والحرب، وتنظيم المعاهدات ومعاملة غيرالمسلمين في الدولة الاسلامية من ذميين، وتعرف بأحكام الجهاد والسير أو الأحكام الدولية.

هذا مجمل الأحكام التي تناولها القرآن الكريم، وهي تهدف الى سعادة

الإنسان وصلاحه، وان المتأمل في آيات الأحكام يستنتج : ان القرآن قد فصل في أمور العقيدة وفي أحكام الأحوال الشخصية والميراث، والحدود، والكفارات، وأصول العبادات : لأن أكثر أحكام هذه الأنواع لامجال للعقل فيه، ولا يتغير بتغير الظروف او البيئات، فلا يتغير بتغير الزمن.

وأما ما عدا العبادات، والأحوال الشخصية، والميراث، والحدود من الأحكام؛ الدستورية، والجنائية، والدولية، والمدنية، والاقتصادية، فأحكامه فيها كانت عبارة عن مبادئ عامة وقواعد كلية اجمالية، ولم يتعرض القرآن فيها للأحكام الجزئية، إلاّ نادراً، فقد رسم القرآن الخطوط العريضة، وترك للمجتهدين سعة في أن يفصلوا حسب المصالح، لتكون الأحكام متطورة بتطور البيئات والمصالح، وملبية للحاجات والظروف مما يجعلها خالدة شاملة.

(٩)ــ دلالة القرآن على الأحكام

الكتاب قطعي الثبوت : لأنه وصل الينا بطريق التواتر الذي يفيدنا القطع بصحة ما نقل الينا، كما بيّنت، فقد نقله الجمع الكثير عن الجمع الكثير في الصدور والمصاحف جيلاً بعد جيل، مما يستحيل بالعقل امكان التواطؤ على الكذب، فهو أصح وثيقة عرفتها البشرية.

أما دلالة القرآن على الأحكام، فهي نوعان :ــ

أ)ــ اما أن تكون دلالة قطعية كآيات المواريث والحدود «**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين...**»[٣٧]، «**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة...**»[٣٨]، «**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منها مائةَ جلدة...**»[٣٩]، فان المئة والثمانين والنصف والربع والثلث ونحو ذلك ، من الألفاظ التي تدل على معناها دلالة قطعية، ولا تحتمل أي تأويل. ولهذا لا مجال للإجتهاد فيها، ولا للإختلاف في التفسير أو الفهم، فأحكامها لاتقبل أي تبديل أو تغيير أو تعديل، لأن تعديلها يؤدي الى مخالفة النص، فالدلالة قطعية.

٣٧ــ من سورة النساء، آية/ ١١.

٣٨ــ من سورة النور، آية/ ٤.

٣٩ــ من سورة النور، آية/ ٢.

ب)ــ واما أن تكون دلالة النص القرآني ظنية، وذلك اذا كان اللفظ الوارد في النص محتملاً لأكثر من معنى، وذلك كلفظ القروء في قوله تعالى: «**والمطلقات يتربصن بأنفسهنَّ ثلاثة قُرُوءٍ...**»[٤٠]، فإنَّ القرء يحتمل أن يراد به الحيض أو يراد به الطهر لاستعماله في اللغة لكل من المعنيين بطريق الإشتراك ، فتكون الدلالة على كل واحد بعينه ظنية لاقطعية، ولهذا يكون النص محلاً للاجتهاد واختلاف المجتهدين، فمنهم من فسَّره بالحيض كالحنفية، ومنهم من فسَّره بالطهر كالشافعية، وكذلك قوله تعالى: «**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...**»[٤١].

فاليد تشمل اليد اليمنى واليد اليسرى، فهي مشترك وتحتمل كلاً منهما، كما يحتمل ان يراد باليد من الأصابع الى الرسغ أو الى المرفق أو الى الأبط، لذا تكون الدلالة ظنية، وتأتي السُّنَّة بعد ذلك لتبيِّن المراد ■

٤٠ــ من سورة البقرة، آية/ ٢٢٨.

٤١ــ من سورة المائدة، آية/ ٣٨.

نظرية الانسان
في القرآن الكريم

البروفسور
اسماعيل فاروقي/ امريكا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، نحمده ونؤمن به، ونستعينه ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله الا الله، وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك ، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير، ونشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

عباد الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يشرفني أن أنقل إليكم تحية إخوانكم المسلمين في أمريكا، كما أنقل اليكم تعظيمهم للثورة الإسلامية المباركة، واجلالهم لقائدها الأكبر إمام الأُمة آية الله الخميني.

وقد حمَّلني اخواني في أمريكا أجمل آيات التهنئة والتبريك بهذه الذكرى الخامسة لقيام الثورة الإسلامية، أنتم الأُمة المجاهدة، رافعو راية الإسلام وكلمة الله عالياً تدوي في آفاق الدنيا. وهم يؤيدونكم في جهادكم ضد الإستعمار الأمريكي والروسي، كما يؤيدونكم في جهادكم ضد الأنظمة العميلة للإستعمارين، ويتمنون لو كانوا معكم، ليذوقوا طعم الشهادة في سبيل الله، وليساهموا معكم في هذه النهضة المباركة، التي شرَّفت هذا القرن، وستخلده ــ إن شاء الله ــ قرن الثورة الإسلامية، وهم يتوجهون الى الله تعالى ان ينصر حزبه، وان يتولَّى شهداء الأُمة الإسلامية برحمته، وان يدفع بجنده وجنود الأُمة الى الفتح القريب ان شاء الله.

وقد أوصوني أنْ أحمل إليكم تطلعهم الشديد للتعاون معكم في التخطيط والعمل البنّاء للمستقبل الزاهر، الذي ينتظر هذه الأُمة ــ بفضل اهتدائها بهدى الإسلام ــ وينتظر العالم أجمع، بفضل قيادة هذه الأمة للعالم ــ إنْ شاء الله ــ قيادة رشيدة وأسوة حسنة، ودعوة الى الله.

اخواني:

حديثي اليوم عن نظرية الإنسان في القرآن الكريم وتتألف مقالتي من خمسة فصول:

الفصل الأول هو: غاية الوجود من الإنسان.

وغاية الوجود هي الخلافة: استخلاف الإنسان لله في الأرض، قال الله تعالى لنا في كتابه العزيز:

«واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة».

(البقرة/ ٣٠)

فهذه الخلافة لها فحوى، وهذه الفحوى هي أمانة الله.

وقد علّمنا الله سبحانه وتعالى أيضاً في كتابه: ان الله سبحانه وتعالى عرض هذه الأمانة على السماوات والجبال والأرض، ولكنهن أشفقن منها، وأبين أنْ يحملنها، ولكن حملها الإنسان. وفحوى هذه الأمانة، هي الأخلاق، هي العمل الصالح، هي الإحسان، اذ قال الله تعالى لنا أيضاً في كتابه العزيز:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملاً».

(الملك / ٢)

اما الفصل الثاني فيتعلق بخطة التحقيق لهذه الغاية.

والخطة هي: وهب الانسان بمواهبه وملكاته من لغة ولسان وشفتين وأركان تعمل، وقلب يستطيع ان يدرك، وعقل يفكر ويمحص، يعلّم ويتعلم، وقدرة على العمل، عمل بالأركان في الدنيا، وقابلية في الدنيا، هي ما سماه الله في كتابه العزيز (التسخير). فالدنيا كلها من قمر وشمس، من حيوان ونبات، من جبل ونهر، مسخرة لعمل الإنسان، قابلة لتأثيرة فيها.

وهذه الخطة تحمل خطرين. وهذان الخطران لا بُدَّ منها لحرية الإنسان، اذ يمكن للانسان بكل ما أُوتي من هذه المواهب أن يُخطىء في معرفة إرادة الله، ويمكنه أيضاً ــ وهذا هو معنى الحرية الأخلاقية ــ ان يعصي، فاذا أخطأ أو عصى

كان لابُدَّ له من مصحح، اما الخطأ فتصحيحه في الوحي، وفي ما أنزل الله تعالى من كلام وأوامر ونواهٍ، من حلال وحرام، وأما المعصية فتصحيحها بالايمان والهداية.

وبالرغم من هذا الخطر فالغاية كبرى، ومهمة جداً جداً، ولابُدَّ للإنسان من تحقيقها، لأنَّ بتحقيقها تأكيداً للحياة، وتأكيداً لإرادة الله سبحانه وتعالى. ان الله تعالى أمرنا بالعمل، فالعمل والإنتاج عبادة، لاسيَّما اذا كانت متفقة مع ما أنزله الله، من أوامر بالقسط والمعروف والزكاة والأُخوة.

نتيجة هذا العمل لابُدَّ وأن تكون عمراناً، عمراناً يزيد في قيمة الخلق، يزيد في قيمة الدنيا، ويزينها ويجملها.

ان الله سبحانه وتعالى زيَّنها أجمل زينة، ولكن فوق هذه الزينة، زينة العمل والإحسان من قبل الإنسان.

ولهذا العمل الأخلاقي المزين للدنيا، الذي يزيد وبضاعف قيمتها عندالله، شروط. ومن أهم هذه الشروط: عالمية العمل والإتجاه. انالله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه العزيز:

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عندالله أتقاكم».

وقال لنا الله تعالى انه خلقنا جميعاً من نفس واحدة وفي هذا معارضة ــ لابُدَّ من اقامتها في حياتنا ــ للعنصرية والقومية والقبلية في كل أشكالها. فكلها تستمد من عصبية الجاهلية.

واذا قام الإنسان بهذه الأعمال البنَّاءة العمرانية بهذا الشكل ــ أي على أساس من الإيمان بالله ــ وعلى محبة بطاعته وبتحقيق أوامره ونواهيه، وعلى عدم التفريق بين الإنسان والإنسان، وكان ذلك العمل مسؤولاً، أي اذا تحمَّل الإنسان هذا العمل بمسؤولية شخصية أكيدة، تلقى حسابه في هذه الدنيا وفي الآخرة، تلقي هذا الحساب من جنة ونعيم، أو من نار وجحيم.

وبهذا تتحقق للإنسان أكبر منزلة عرفها التاريخ، لأن نظريات الإنسان في التاريخ عددها قليل، هي من أربعة أنواع، تشترك البوذية والمسيحية في نوع واحد، هو ما حققاه من قدر الإنسان ومن قدر هذا الوجود.

فالبوذية كانت تقول: ان الحياة شر، والوجود شر، ولابدَّ من التخلص

منها. ولذلك لم تستطع البوذية ان تبني عمراناً، أو أن تأتي بثقافة وحضارة، وكانت حركة شخصية تطمع فقط في تهدئة أعصاب من تبعها.

والمسيحية تشارك البوذية هذا، الا انها أضافت على رأي البوذية: «ان الله جلَّ وعلا، أراد أن يخلِّص البشر من سقوط محقق أنزله فيه سيدنا آدم (ع) ففعل مافعل» تعالى الله عما يصفون.

أي ان الله تعالى ــ كما يدعون ــ تجسَّم ونزل الى هذه الأرض كي يموت فدى ومحاولة لتبرئة الإنسان من خطيئته ومعصيته، ولذلك قال المسيحيون، أو تنبه المسيحيون الى أنهم طراز أعلى من البشر، لأن الله أحبهم محبة لاغنى له عنها فيهم ــ تعالى الله عمايصفون.

هكذا يقولون، هكذا يدعون، وهذه الفطرة لا تؤمن للإنسان قيامه بعملية العمران، لأنها تدك العمران، وتسقط العمران، و بنفس الوقت ترفع من شأن الإنسان ارتفاعاً هائلاً، تسمح له فيه بالتجبر والتكبر واستعمار الآخرين من البشر.

ولأنَّ هذه شكلت ضغوطاً هائلة على المسيحية ــ كما عرفنا في عصر النهضة وفي عصر التنوير ــ قام المسيحيون بإزالة هذا الأثر من حياتهم، ودعوا الى علمانية لا دين فيها، وهذه العلمانية نظراً لأن الأخلاق المبنية على الدين اخرجت منها ــ لم يكن لديها شيء تركز عليه إلاَّ اللذة والطمع.

فقامت هذه العلمانية تدعو الى اتباع اللذة، وتحصيل اللذة، وزيادة الإنتاج المادي لتحقيق هذه اللذة. ولذلك أسقطوا من أنفسهم، ووصلوا بالإنسان الى درك الحيوان، وها هم يعانون أشد المعاناة من هذه العلمانية التي حكموها في حياتهم، هذه النظرية التي جعلت الانسان حيواناً أنانياً يطمع في الحصول على المادة، وفي سبيل تحصيل هذه المادة، يسمح لنفسه بالنهب والسرقة والقتل، لاسيما اذا كان الملك واذا كانت الحياة، واذا كان المحتقر شخصاً آخر غير ابن عصبيته، غيرابن قبيلته.

الحمدلله الذي هدانا الى الإسلام وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

فالإسلام له نظرية في الإنسان، عالمية، مؤكدة لطيبة هذه الحياة ولبراءتها، ومطالبة إياه بأنْ يعمل طاعة لله ومحبة له، ونوع العمل المطلوب هو الإحسان، نوع العمل المطلوب هو عمران هذه الدنيا، وعمران هذه الدنيا بالقسط

والتآخي حتى تصبح هذه الدنيا أي الإنسانية كلها جنة يكبّر فيها الله و يعبد ولا يعبد إلاّ هو.

هذه هي خلاصة بحثي في نظرية القرآن الكريم للإسلام، واسمحوا لي أيُّها الأخوة، ان اتطرق الى هذه الأفكار بالتفصيل:

الانسان أفضل المخلوقات

تبيِّن الآيات القرآنية بانَّ الباري عزَّ وجلَّ قد أخبر الملائكة بأنه يريد أنْ يخلق إنساناً:

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون». (البقرة/ ٣٠)

وعن خِلْقَة الإنسان يقول جلَّ شأنه في آيات قرآنية أُخرى:

«انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان...».

(الأحزاب/ ٧٢)

والأمانة التي لم تستطع السماوات والأرض والجبال ان تحملها هي التقوى، ذلك ان ارادة الله تنفذ جبراً في السماء والأرض، وجميع المخلوقات ومن ضمنها الملائكة تطيع الإرادة الإلهية بصورة اجبارية، وطاعة المخلوقات تعتبر جزءاً من قوانين الطبيعة والإرادة الإلهية الجبرية في الخلقة، ولايمكن الخروج عنها مطلقاً.

قال تعالى:

«ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

(الفتح/ ٣٣)

فلا يمكن ان يفعلوا غير ذلك. وان الباري تعالى جعل هذه الطاعة إحدى سننه في خلقتهم، وخلق الإنسان ــ فقط ــ حراً ليطيعه أو يعصيه باختياره، وهذا الإختيار هو شرط التقوى. والتقوى تعتبر أكبر وأعظم القيم التي يؤكد عليها الله. ولذلك فقد خلق الله الإنسان حراً لكي يطيعه باختياره، وهذا الإختيار وان كان

يوجد خطر عدم الطاعة إلاّ انه مَنع للإنسان. وفي الحقيقة ان التقوى، أي اطاعة الله، هي قيّمة بنظر الله، الى درجة انه سبحانه وتعالى يصرّح في القرآن الكريم بأنه خلق الإنسان من أجل التقوى:

قال تعالى:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدونِ».

(الذاريات/ ٥٦)

وقال جلّ شأنه:

«وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...».

(هود/ ٧)

وقال تعالى:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور».

(الملك/ ٢)

إنَّ الحرية أو امكانية التحلّي بالتقوى وتحقيق القيم الأخلاقية، هي أعظم صفة منحها الله للإنسان. ولكي يتمكّن الإنسان من الإستفادة منها و يعمل بها، فقد منحه الباري الشعور والحواس والقلب وقابلية الإدراك والقضاء لكي يستفيد من هذه القدرات بهدف التوصل الى المعرفة.

«ان السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسئولاً».

(الاسراء/ ٣٦)

ان الله عزَّ وجلَّ جعل للإنسان لساناً وفماً ليتفاهم بواسطتهامع الآخرين، و يستفيد من تجاربهم:

«... ولساناً وشفتين».

(البلد/ ٩)

وخلق الإنسان كاملاً، أي خلقه بشكل يكون معه قادراً على العمل، وجعل أعضاءه متناسبة فيما بينها:

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».

(التين/ ٤)

«الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين».

(السجدة/ ٧)

«الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوَّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين».

(المؤمن/ ٦٤)

«خلق السماوات والأرض بالحق وصوَّركم فأحسن صوركم واليه المصير».

وخلق تعالى الشمس والقمر:

«وسخَّر الشمس والقمر».

(الرعد/ ٢)

وخلق الأنهار والبحار:

«وسخَّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخَّر لكم الأنهار».

(ابراهيم/ ٣٤)

وخلق الليل والنهار:

«وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخَّرات».

(النحل/ ١٢)

وسخر الله للإنسان ما في السماوات والأرض، أو بالأحرى جميع المخلوقات، ليستطيع هذا الموجود ان يستفيد منها بإرادته:

«الم تروا أن الله سخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة».

(لقمن/ ٢٠)

«الم تر أن الله سخَّر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم».

(الحج/ ٦٥)

«الله الذي سخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون».

(الجاثية/ ١٢)

وبالإضافة الى ذلك، فإنَّ الله علَّم الإنسان الحقيقة بصورة مباشرة، وأكد له بأنَّ الحقيقة أمر موجود وقابل للفهم، وان لكل شيءٍ ماهية وطبيعة. كما أكد

للإنسان بأنه قادر على درك ماهية تلك الأشياء، ولذلك فانه سبحانه علّم الأسماء للإنسان، بعبارة أُخرى علّمه ماهية وطبيعة كل شيء.

«وعلّم آدم الأسماء كُلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين».

الإنسان يعتبر مخلوقاً نموذجياً كاملاً، يتمتع بحرية الإختيار، و يستطيع ان يتعلّم العلم والحكمة. و يظهر بوضوح بأنَّ الإنسان هو الهدف النهائي للخلقة، ولأجل ان يتكامل هذا المخلوق فلا بُدَّ له من العبور من جسر التقوى.

ومن المسلّم به ان الإنسان، هذا المخلوق الرائع الذي أودع الله فيه كل هذه المواهب، هو أفضل من الملائكة، لأنه يستطيع ان يكون متقياً، أي انه يستطيع ان يطيع الله رغم امتلاكه للإرادة. ولهذا السبب فقد عرض الله هذا المخلوق الرائع على الملائكة وطلب منهم ان ينافسوا الإنسان في مجال المعرفة إنْ هم استطاعوا على ذلك:

«وعلم آدم الأسماء كُلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علّمتنا انك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماواتِ والأرضِ وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون * واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى وآستكبر وكان من الكافرين».

فالله سبحانه وتعالى أمر ملائكته بالسجود لآدم بعد ما آختاروا من معرفة آدم الفائقة، و بذلك سجدوا للإنسان، وآعترفوا بأفضليته.

وهناك نوعان من الخطر يهددان حرية الإختيار عند الإنسان: الأول؛ التمرد وعدم الطاعة، والثاني؛ الخطأ. فالأول يعني ان الإنسان يمكنه و بإرادته ان يطيع أوامر الله أو ان يعصي الله بإرادته. ومن الممكن ان يتحرك الجوهر المعنوي للإنسان بواسطة عوامل؛ كالكبر والغرور وسوء النية أو فساد الباطن. والخطر الثاني؛ يعني ان من الممكن ان يكون خطأ الانسان ناشئاً من عدم الإدراك الصحيح للقيم الأخلاقية أو معيار التقوى أو بسبب خطأ الرأي حول ترتيب القيم ودرجاتها، أو بسبب خطأ الرأي حول صحة وتناسب الوسيلة المنتخبة من أجل تحقيق القيمة المقصودة.

إنَّ آدم (ع) هو أول انسان ارتكب الخطأ:

«فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه».

(البقرة/ ٣٦)

«واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى وآستكبر وكان من الكافرين».

(البقرة/ ٣٤)

«واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى».

(طه/ ١١٦)

ان تكبر ابليس ــ الذي كان من الجن ــ قد منعه من أنْ يعترف بتفوق الإنسان و يسجد له. ولذلك وسوس في نفس آدم ليأكل من الشجرة المحرَّمة.

«فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لايبلى».

(طه/ ١٢٠)

فأنخدع آدم، لكن سرعان ما أحسَّ بخطئه، فندم وتاب عندالله، فقبل الله توبته:

«ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى».

ان الله عزَّ وجلَّ بلطفه ورحمته، ولأجل أنْ لايقع سائر البشر في الخطأ، أظهر ارادته على آدم، وعلَّمه أحكام التقوى.

«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التوَّاب الرحيم».

(البقرة/ ٣٧)

ووعد بارشاد البشر نحو الجهة الصحيحة، و بيان أحكامه عن طريق الوحي:

«قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

(البقرة/ ٣٨)

كما وعدالله (في نفس الآية) المطيعين لأوامره بأنْ لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.

و يبين الله في الآيتين ١٣٣، ١٣٤ من سورة طه بانَّ سبب ذلة البشر، يعود الى عدم اتباعهم الأنبياء:

«وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى * ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى».

ان عدم تنفيذ آدم لأمرالله لم يكن سبباً في إفساد طبيعته، ولم ينتقل هذا الخطأ الى أبنائه بالوراثة، وليس من الصحيح ان نتصور أنَّ الفرد ومنذ ولادته يعتبر مذنباً لأنَّ آدم(ع) قد أخطأ. فخطأ آدم يقتصر على مكان وزمان معينين، ولا ينطبق على كل الأماكن والأزمنة، ولم يلوث البشرية جمعاء. ولذلك فإنَّ هذا التصور، وهوان البشرية مقدر لها ان تعيش في بؤس وشقاء بسبب خطأ آدم، هو تصور خاطئ. ان عدم تنفيذ آدم لأمرالله هو خطأ يقع على عاتق آدم فقط ثم ان الله قد تاب عليه. ولم يكن ذنب آدم فاجعة ومصيبة لكل البشرية. بل ان ذلك الذنب أوجد ظروفاً كانت نتيجتها عرض الأحكام الأخلاقية أو التقوى من قبل الله و بواسطة الوحي على آدم وخلفائه لكي يتمكنوا بواسطة تلك الأحكام من تطبيق التعاليم الإلهية.

مفهوم الأمانة الإلهية

لم يكن الهدف من خلق الإنسان، هدفاً سلبياً أبداً، فالباري تعالى يقول و بصراحة: «يريد الله بكم اليسر».

ان مفهوم كلمة «اليسر» يدرك بسهولة، لانه ضد العسر، والحرمان، وعدم الراحة، والضغط والقلق وماشاكل ذلك.

والإسلام دين يعتبر الحياة والعالم ايجابيين، ويهدف الى بناء الإنسان، وان الله قد أودع الغرائز والميول والعواطف فينا، ولم يطلب منا أنْ نكبح جماحها، بل يدعونا لاستخدام هذه الغرائز والميول والعواطف بالشكل الصحيح لتساعدنا في مسيرة بناء أنفسنا. وهذه المواهب كلها مفيدة.

ان ارضاء الغرائز والميول والعواطف، لايعتبر أمراً مشروعاً فحسب، بل يعتبر واجباً، فهذه المواهب هي جزء من نعم الله على الإنسان، وتعتبر من السنن الإلهية. وان القرآن يرفض بصراحة الرهبنة التي تكبح جماح هذه المواهب:

«ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في

قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

(الحديد/ ٢٧)

ان الإرضاءَ المشروع للميول والغرائز، أمر لا يخالف التقوى، كما ان مساعدة الآخرين في ارضاء غرائزهم وطلباتهم، أمر واجب، بل هي في الحقيقة جزء من الطاعات والعبادات مثلما يجب على رب العائلة ان يرفّه عن أفراد عائلته، و يعمل الحاكم لتحسين أوضاع الناس، أو وظيفة الأخ تجاه أخيه، وإلاّ فانَّ أكثر القيم؛ كالأخلاق، والتقوى، تصبح أموراً خاطئة وكاذبة أو متناقضة، و يفقد مفهوم تزكية النفس والأخوة الاسلامية معناه الحقيقي.

ان الله سبحانه وتعالى قد جعلنا في الأرض، وأمرنا باستعمارها لنحيا فيها ونستفيد منها أقصى الإستفادات.

«والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض وآستعمركم فيها فآستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب».

(هود/ ٦١)

كما زيَّن سبحانه وتعالى الأرض ليستفيد الإنسان منها في بناء نفسه:

«إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً».

(الكهف/ ٧)

«والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

(النحل/ ٨)

«ولقد جلعنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين».

(الحجر/ ١٦)

«انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب».

(الصافات/ ٦)

وأمرنا تعالى ان نستفيد من هذه الزينة والنعمة:

«يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين».

(الأعراف/ ٣١)

«قل من حرَّم زينة الله التي اخرج لعباده، والطيبات من الرزق قل هي للذين

آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون».

(الاعراف / ٣٢)

والقرآن الكريم لايقبل بوجود أرض غير عامرة أو الأرض المهملة بعد اعمارها:

«فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد».

(الحج / ٤٥)

«هوالذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار».

(الحشر / ٢)

«ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكرفيها آسمه وسعى في خرابها اولئك ماكان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

(البقرة / ١١٤)

«واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً».

(الكهف / ٤٣)

ومن ضمن العقوبات التي فرضها الله على الكافرين والعصاة، هو هدم ديارهم، ومدنهم، وتخريب مزارعهم وأراضيهم وبساتينهم، واخراجهم من بيوتهم، والقضاء عليهم:

«أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أوبعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وآنظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وآنظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبيَّن له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير».

(البقرة / ٢٥٩)

«فكأيّنْ من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة

وقصر مشيد».

(الحج/ ٤٥)

«فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون».

(النمل/ ٥٢)

«سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية».

(الحاقة/ ٧)

ان الصالحين ومتبعي الحق يتمنون على الدوام أن لا تصيبهم مثل هذه العقوبات والمصائب، وان الله عزّ وجلّ يعد عباده بأنهم لايصابون بمثل هذه العقوبات إنْ هم أطاعوا أوامره:

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

(النور/٥٥)

والإسلام هوالدين الوحيد الذي يحث على البناء والإعمار، و يعتبر ذلك عملاً محبذاً في الحياة الدنيوية. وهذه الفكرة واضحة في الإسلام. وهو في الحقيقة دين يحث اتباعه على العيش بأفضل وجه، واستعمار الأرض. وهذه الحقيقة قد أثبتها تاريخ الشعوب الإسلامية. وقد اشتهر المسلمون في مهارتهم ورغبتهم في اعمار المدن، كما اشتهروا في البستنة والزراعة والصناعة ورفع المستوى الصحي، والثقافي، واشتهروا أيضاً بنشر العلم. إضافة الى ذلك فانَّ المسلمين كانوا متفوقين على غيرهم في تزيين كل شيء كالأواني والفرش والبيوت.

الإسلام دين عالمي

لوقام مؤسس مذهب ما بالدفاع عن فئة معينة، ولم يبد اهتماماً بالآخرين، فإنَّ ذلك المذهب حتى وإنْ كان أفضل مذهب، فانه سيكون مرفوضاً ومذموماً.

ان تطبيق نظرية انسانية تختص بمجموعة معينة من الناس، يشكل في الحقيقة سبباً في رد تلك النظرية وتقليل شأنها، فتصبح غير لائقة وغير جديرة بالإنسان. ولا شيء اكثر ضرراً من أنْ نجعل لمجموعة من البشر مزايا ونحرم الآخرين منها.

ان هذه التفرقة تسبب الحروب والدمار والغربة والعداوة بين الناس، وهي عصبية جاهلية حاربها الاسلام منذ ظهوره في مكة، لأنَّ الله لايقبل بالعصبية الجاهلية، وينبذها بشدة.

والعصبية الجاهلية على أنواع وأشكال مختلفة، منها؛ العصبية العرقية، والعصبية الوطنية، والعصبية القومية، والعصبية الطائفية و... الخ وان دراسة هذه الظاهرة توضح لنا بأنَّ جذور هذا الخطأ تكمن في معرفة طبيعة الأشياء، أي ان الأمور المادية حلَّت مكان الأمور المعنوية.

وتنشأ العصبية الجاهلية من تصور الفرد الجاهل بأنَّ المادة تمثل المعنوية والحقيقة. وَحَمَلَة مثل هذه الأفكار يتَّخذون من الطبيعة الجغرافية واللغة وشكل ومظهر الإنسان والظروف الإجتماعية والمادية، دليلاً على استعلائهم على سائر البشر الذين يفتقرون الى تلك المزايا، وحسب وجهة نظر هؤلاء فإنَّ أية مزية من هذه المزايا يمكن ان تكون معياراً لتفضيل فرد على آخر. والشخص الجاهل والمتعصب يقيس الأمور المعنوية وسمو الأخلاق (بالنسبة للبشر) على أساس هذه المزايا المادية الظاهرية، كما يعتبر الأفراد الذين يفتقرون لتلك المزايا المادية والظاهرية أفراداً سيئين من الناحية الأخلاقية، وذوي منزلة منحطة.

ان لجوء الفرد الى التعصب الأعمى، يجعله يغض النظر عن الأمور المعنوية والأخلاقية، بل و يؤدي به الى اعتبار الأمور المعنوية والأخلاقية أدوات تتعين قيمها وفق المعايير المادية والظاهرية كلون البشرة والجنس والمكانة الإجتماعية وكمية الثروة وما شا كل ذلك.

بالإضافة الى ذلك فانَّ تعريفهم للمجموعة أو الجنس نادراً ما يكون صحيحاً ودقيقاً، حتى أنهم يضربون القوانين التي صادقوا عليها بعرض الحائط ارضاءً لميولهم وأهوائهم الشخصية، وأفضل مثال على ذلك مايجري من التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا، إذ يعتبرون اليابانيين من الجنس الأبيض، بينما يعتبرون الفرد المصري أو السوري من الجنس الأسود، أو ماجرى خلال الحكم

النازي الذي اعتبر كل الأوربيين عدا اليهود منهم من الجنس الأبيض.

ان العصبية الجاهلية التي تقوم على أُسس تاريخية وجغرافية و بيولوجية أو على أُسس فيزيولوجية هي مفهوم خاطئ. ومقابل تلك العصبية نرى ان القرآن الكريم يطرح للبشرية رؤية كونية صحيحة. وان الله سبحانه وتعالى قد بيَّن بوضوح بانَّ كل البشر خلقوا من نفس واحدة.

«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً».

(النساء/ ١)

«هوالذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون».

(الأنعام/ ٩٨)

وطبقاً لما يقوله القرآن فإن كل البشر من آدم وحواء:

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير».

(الحجرات/ ١٣)

وكل البشر يعتبرون سواسية أمام القوانين الإلهية، وتعتبر التقوى المعيار الوحيد عند الله لتمييز فرد عن آخر. وفي الحقيقة أن كل صفحة من القرآن لاتخلو من الحث على التحلي بالايمان والعدالة والرأفة والإحسان والشجاعة والصبر والأُخوة والعفة والاستقامة والحسم. حتى ان رسول الله (ص) حثَّ المسلمين في آخر خطبة له على نبذ التفرقة العنصرية، وبيَّن لهم أن لافرق بين عربي وأعجمي أو أسود وأبيض إلاَّ بالتقوى. والله سبحانه وتعالى ينذر الأفراد العاصين لأوامره بأنه سيغضب عليهم:

«ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم».

(محمد/ ٣٨)

وقد سئل رسول الله (ص) عن هؤلاء القوم الذين يكونون أمثال أصحابه،

فوضع يده على كتف سلمان الفارسي وقال (مامعناه): **هم قوم هذا الرجل، فلو كان العلم في الثريا لنالته أيدي رجال من فارس.**

ان الله قد بعث الرسول (ص) الى كل البشر، كما أن الآيات القرآنية التي نزلت على الرسول (ص) كانت لكل البشرية:

«وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون».

(سبأ/ ٢٨)

والقرآن هو ذكر لكل البشر:

«وما هو إلا ذكر للعالمين».

(القلم/ ٥٢)

وهو نذير للعالمين:

«تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً».

(الفرقان/ ١)

والرسول (ص) هو رحمة من الله لعباده:

«وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين».

(الانبياء/ ١٠٧)

كما ان رسالة الرسول (ص) هي لكل البشرية:

«إن أول بيت وضع للناس ببكة مباركاً وهدىً للعالمين».

(آل عمران/ ٩٦)

ان عالمية القرآن، أمر مطلق لاشك فيه وليس هناك أي استثناء. كما ان القرآن يبين للمسلمين بأنّ عليهم ان لاينظروا الى لون البشرة، والعرق، والقومية، والجنس، وآداب وتقاليد البشر.

ان تمسك المسلمين بالقرآن، جعلهم يوجدون مجتمعاً عالمياً يتساوى فيه كل الأفراد مع بعضهم. واليوم فإن العالم الإسلامي خليط من مختلف الأجناس البشرية واللغات والثقافات. والملاحظ في المجتمع الإسلامي ان المدن الكبيرة تضم كل الأجناس البشرية تقريباً، و يتزاوج هؤلاء فيما بينهم، و يعيشون سوية تحت راية الإسلام العالمية.

مسؤولية الإنسان

بما ان الإنسان قد خلق منزّهاً وغير مذنب، فقد كان ومنذ لحظة ولادته مستعداً من أجل التعرف على الأعمال الصالحة وتحقيق القيم الإنسانية. ولن يكون معذوراً فيما لو تكاسل في أداء الفرائض الإلهية. وما من شك في ان كل انسان يمتلك قابليات وقدرات تختلف عن قابليات وقدرات الآخرين، ولكن الباري عزَّ وجلَّ وعد البشرية بأنْ لايحملها مالا طاقة لها به:

«لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت».

(البقرة/ ٢٨٦)

وبالطبع فان أفراد البشر يؤثر بعضهم على بعض بأشكال مختلفة، وكل فرد مسؤول عن عمله، ولا يحمل على عاتقه وزر الآخرين وان عمله يعود لنفسه:

« ألاتزروازرة وزر أخرى* وان ليس للإنسان إلاّ ماسعى».

(النجم/ ٣٨، ٣٩)

«إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلَّ فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل».

(الزمر/ ٤١)

«من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد».

(فصلت/ ٤٦)

ولذلك فانَّ القرآن الكريم يبيِّن بأنَّ اثم أي فرد، لايقع على عاتق الآخرين، كما ان عمله الصالح لنفسه ولايحسب على الآخرين. اما المسؤولية الأخلاقية، أي واجب الإنسان في تنفيذ الأوامر الإلهية فتعتبر أمراً شخصياً، وان المسؤولية تعتبر عبئاً ثقيلاً على عاتق الإنسان. وبالرغم من ثقل هذه المسؤولية إلاّ ان حملها يعتبر فخراً وامتيازاً، وهذه المسؤولية الشخصية هي من القيمة بحيث تستحق ان يتحمل الفرد المخاطر والمشاكل من أجلها. اذ انه يتمكن من خلال ذلك من تقرير مصيره بنفسه و يتمكن من استخدام هذا الإمتياز الذي منحه الله له فقط. واذا استفاد الإنسان من هذا الإمتياز بالشكل الصحيح فسوف يصبح صانعاً للتاريخ وحاكماً عليه بدلاً من ان يكون تابعاً له. واذا لم يكن الإنسان ليحمل مسؤولية فما كان جديراً بأنْ يكون خليفة الله على أرضه.

وملخص كلامنا ان الإنسان ليس العوبة (حتى بيدالله) وحتى اذا ماقادته تصرفانه الى العذاب الأبدي فان مرتبته الإنسانية تبقى نفسها التي منحها الله له. وفي الحقيقة ان العامل الوحيد الذي يبرر عذابه الأبدي، هو حريته وقدرته، والأهم من ذلك مسؤوليته. واذا مالم يكن هناك حساب في العمل فإن المسؤولية والتقوى والأخلاق تصبح عبثاً، كما ان المسؤولية جاءت بمعنى الحساب تقريباً، فبدون حساب لايمكن ان تكون هناك مسؤولية، كما ان القرآن الكريم يؤكد مراراً على وجود حساب للإنسان. وان مفاهيم الحساب والقضاء واليوم الآخر، والساعة الأخيرة والجنة والنار والثواب والعقاب موجودة في كل صفحة من القرآن.

ان الله عزَّ وجلَّ عادل، وجميع أحكامه عادلة:

«ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجراً عظيماً».

(النساء/ ٤٠)

«ان الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون».

(يونس/ ٤٤)

«واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً».

(الكهف/ ٥٠)

ان العدل الإلهي يقتضي بأن لا تهمل ولو ذرة من أعمال ونيات الإنسان، وان أعمال الإنسان ونياته تتجلى يوم القيامة وسوف يحاسب عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

«اذا زلزلت الأرض زلزالها* وأخرجت الأرض أثقالها* وقال الإنسان مالها* يومئذ تحدث أخبارها* بأن ربك أوحى لها* يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم* فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».

(الزلزلة/ ١ــ٨)

يقول صعصعة ابن صوحان بأنَّ رسول الله (ص) عندما سمع هذه السورة قال (ما معناه): **«اذا لم أسمع من القرآن شيئاً بعد هذه السورة فإنَّ هذه السورة**

تكفي في عظتي».

بسم الله الرحمن الرحيم

«القارعة* ماالقارعة* وما أدراك ما القارعة* يوم يكون الناس كالفراش المبثوث* وتكون الجبال كالعهن المنفوش* فأما من ثقلت موازينه* فهو في عيشة راضية* وأما من خفّت موازينه* فأُمه هاوية* وما أدراك ماهيه* نارحامية».

(سورة القارعة)

ومن الممكن ان تنفذ العدالة الإلهية (أي أنْ يحاسب الإنسان) في هذه الدنيا، ذلك ان ارادة الله قد تقتضي ان يتذوق الإنسان المحسن ذرة من ثواب الآخرة، وقد تقتضي أنْ يتذوق الإنسان المذنب ذرة من عذاب الآخرة:

«قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون».

(الأعراف/ ٣٢)

«ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(البقرة/ ٢١)

وعلى أية حال؛ فإن التنفيذ الكامل للعدالة الإلهية مؤجل الى يوم القيامة الذي يحاكم فيه المرء، فيثاب أو يعاقب تبعاً لعمله:

«ثم انكم يوم القيامة تبعثون».

(المؤمنون/ ١٦)

ان عالم الآخرة هو عالم يجازى فيه كل انسان فيثاب أو يعاقب وفقاً لما قام به من عمل. ولأجل ضمان اجراء العدالة المطلقة فإنَّ القرآن الكريم يبيِّن وبصورة جازمة بأنَّ الله لايقبل الشفاعة من أي شخص إلاَّ من أذن له الله ورضي له قولاً.

«يومئذ لا تنفع الشفاعة إلاَّ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً».

(طه/ ١٠٩)

ان رسول الله (ص) قد أعلن يوم وفاة ابنه ابراهيم بأن الإنسان وحتى ابن الرسول لا تنفعه مكانته يوم القيامة.

حب البشرية

لقد ظهرت خلال تاريخ الإنسانية مذاهب مختلفة تتعلق بالإنسان، إدَّعى أنصارها بأنَّ مذاهبهم تتلاءم وحب البشرية. وان انصار كل مذهب حاولوا أن يبرهنوا على أن مذهبهم الذي يدافعون عنه يرفع من شأن الإنسان و يوصله الى مقام خاص، أو انه يعطيه دوراً سامياً في عالم الوجود أو يقوده الى مصير مشرق.

و بالرغم من ان هذه المذاهب مبالغ فيها وتصوَّر بأنها عالمية تشمل كل البشرية (على الظاهر) إلاَّ انها في الحقيقة لا تشمل حال كل البشرية، ولم توضع في الأصل من أجل ضمان منافع الإنسانية، بل وضعت ليقتصر نفعها على الجنس الذي وضعها ولصالح ثقافته. وأسوأ هذه المذاهب هوالمذ هب اليهودي المتعصب. فهذا المذهب يدَّعي بأن اليهود هم أبناءالله والمقربون الوحيدون عنده، بعبارة أُخري يدَّعي هذا المذهب بأن اليهود حتى وان عصوا أوامر الله وارتكبوا أنواع الخطايا واتبعوا سائر الآلهة (حسب تعبير نبيهم) (Hoseah) فانهم يبقون أبناء أعزة عندالله، وان الله قد فضلهم على سائر أفراد البشر (بصورة الزامية).

ولو قارنا بين المذهب البوذي والمسيحية ونظرية انكار الدين الحديثة والإسلام لاتضح لنا و بكل جلاء بأن الدين الإسلامي الحنيف هو المدافع الحقيقي عن البشرية جمعاء، وهو الهادي لها الى السعادة في الدنيا والآخرة.

أما مذهب بوذا فيقول إن حياة الإنسان لايوجد فيها شيء غيرالتعب والشقاء، وكل نقطة مشرقة في حياته هي سراب تسبب له متاعب وآلاماً كثيرة، ولذلك فان مذهب بوذا لايعتقد بعالم الغيب وماوراء الطبيعة، وكل جهده منصب من أجل تخفيف متاعب وآلام البشرية رغم اعتقاده بأنَّ هذه المتاعب والآلام لايمكن القضاء عليها كلياً، و بانَّ الكمال المطلوب يكمن في موت جسم الإنسان. وفي تلك الحالة فقط ــ حسب اعتقاد البوذيين ــ لايكون هناك وجود للألم والتعب. وللوصول الى هذه الحالة (طبقاً للعقيدة البوذية) فلا بُدَّ من تحمل الآلام، والإبتعاد عن مسرح الحياة.

إن أكبر نقص في مذهب بوذا هو تأكيده على بؤس وشقاء الإنسان،

وكأنَّ حياة الإنسان والخلقة ماهما إلأبؤس وشقاء، ولذلك يدعو هذا المذهب الى تحمل الآلام وترك العمل وفق رغبات النفس فقط، و بذلك يجعل من أتباعه أناساً متخلفين عن أحداث التاريخ، و يعتبر أي جهد في مسير الثقافة والحضارة أمراً عبثاً. وحسب مفهوم هذا المذهب فإن من يريد ان يفلح في حياته يجب ان يتحمل الآلام والصعوبات، وأنْ تكون له قدرة تحمل كبيرة، وعليه أنْ يعيش في فقر وحرمان، ولايتدخل في شؤون الآخرين، وأنْ يفكر في إبعاد الأذى والشقاء عن نفسه فقط. وواضح بأن حياة انسان كهذا تعتبر عديمة الجدوى بالنسبة لنفسه. بل وللآخرين أيضاً.

اما (المسيحية المحرَّفة) فانها تقبل ادعاء المذهب البوذي بشأن ماهية الحياة، إلا انها تضيف على ذلك بأنَّ الذنوب والإنحرافات والسقوط هي من الأمور الحتمية في حياة الإنسان بنفس نسبة الآلام والمتاعب التي تعترض حياته.

ان المذهب البوذي يعتبر الآلام والمتاعب أموراً سيئة، إلاَّ انه لايعتبرها مرتبطة بالذنوب، بينما المسيحية تعتبر الآلام والمتاعب التي تصيب الإنسان انما هي نتيجة لفساده وتمرده.

وترى (المسيحية المحرَّفة) (كما يقول باول تيليج) ان الله يعرف الذنوب التي سيرتكبها الإنسان الذي يريد ان يخلقه، ولذلك فانَّ الخطأ والإنحراف والذنوب الذاتية تلوث الإنسان قبل أنْ يولد.

واذا طرحنا على أصحاب هذه النظرية السؤال التالي: وفق أية أُسس وضعت نظريتكم المبالغ فيها؟ فإن جوابهم سيكون: بما أن الله قد أرسل ابنه من أجل أن يصلب، وأخذ هو على عاتقه مسؤولية هداية البشر، إذن فانَّ وجود الذنب في ذات الإنسان أمر ضروري، أما اذا لم تكن الحالة كذلك فلم يكن للملحمة الإلهية ضرورة وكان عيسى في مثل هذه الحالة بمنزلة رجل حكيم، أو كان من الأنبياء (على أبعد الحدود) لا أنْ يصبح الله على هيئة عيسى.

وتدَّعي (المسيحية المحرَّفة) بأنَّ الله ظهر على هيئة عيسى وهي تحتقر الإنسان لأنه مذنب، ولكنها ــ فجأة ــ ترفع من شأنه الى حد اشراكه مع الله، مدَّعية بأنَّ الإنسان مخلوق ذوشأن، بحيث ان الله سبحانه وتعالى لم يتمكن من أن يراه يقع في التهلكة، ولذلك فقد ظهر (الله) على هيئة انسان أوجد ملحمة نجاة البشر.

وفي الحقيقة ان المسيحية بادعائها هذا تكون قد أجازت للإنسان أن يغتر بنفسه غروراً مفرطاً، ذلك أنها تدَّعي بأنَّ الله ضحى بنفسه من أجل هذا الموجود!

و يظهر بوضوح بأنَّ ادعاء (المسيحية المحرَّفة) ادعاء كاذب و ينم عن جهل.

ان (المسيحية المحرَّفة) تتفق مع المذهب البوذي الذي يدعي بؤس وشقاء الإنسان لكنها تعزوهما الى ذنب الإنسان الذاتي أو البيولوجي. ولأجل ان يخرج الإنسان من هذا الوضع المزري فقد ابتكرت قصة أُخرى، وهي ان الله قد أصبح على شكل انسان، وضحى بنفسه من أجله، ثم أحياها من جديد. وهذه الأفكار والقصص تعتبر غلواً وكذباً تتعارض مع الحقيقة تماماً.

ان الإدراك الصحيح لماهية خطأ الإنسان، سيبطل و بالتأكيد كل الأكاذيب التي نسبت لله والمتعلقة بنجاة الإنسان. وهذه الأفكار الحمقاء والمبالغ فيها لا تفيد الإنسان، كما ان الأفكار والاحكام الموضوعة وغير المنطقية للكنيسة، وكذلك المعاملة القاسية من قبل القساوسة، جعلت الحياة الإنسانية تصاب بخلل واضطراب، ومنعتها كذلك من الوصول الى الحقيقة والسعادة.

ولو كان القادة الأوائل للمسيحية قد اعترفوا بالحقائق، وعرَّفوا و بيَّنوا الأعمال الحسنة والسيئة، لما اضطروا الى الكذب والإستدلال بالأحكام غير الصحيحة والبعيدة عن الحقيقة.

ان الإدعاءات الكاذبة والإستدلالات الخاطئة وممارسات التزوير التي قام بها رجال الدين المسيحي، أدت الى ظهور نظرية «نبذ الدين المسيحي».

الا ان اعتقادهم وحبهم لقول الزور والذي وجد عندهم، إضافة الى العنصرية التي كانت تعشعش في أذهانهم، لم تسمح لهم بأنْ يرفضوا (المسيحية المحرَّفة) بصورة كاملة، ولذلك فقد سعى المثقفون الى وضع نظرية تحرر الإنسان من الكنيسة والقيم الدينية، بحيث تكون متلائمة مع الطموحات الإستعمارية للأوربيين للتسلط على آسيا وافريقيا، ونتج عن هذه النظرية مزيج من العنصرية وحب الذات. وقد أدى هذا الوضع الى ظهور فوضى في الحرية والديمقراطية. وفي روسيا كانت ردود الفعل تجاه الكنيسة أعنف من أي مكان آخر، فحلَّت الأفكار المادية مكان الأفكار الكنسية، وانتشرت هذه العقيدة وهي : ان الهدف الوحيد في العالم هو ضمان رفاه الطبقات العمالية.

ان النظرية الماركسية تدّعي بانَّ الإنسان موجود منتج ومستهلك وتنحصر احتياجاته في اللذات المادية للحياة.

ونظرية تحرر الإنسان جاءت لايجاد الفوضى رغم ادعاءاتها الكبيرة، إلاَّ اذا كانت حالة مجموعة عرقية أو دولة ما لا تقتضي ايجاد الفوضى فيها. وهذا الأُسلوب يعتبر من أكثر الأساليب شيوعاً في تطبيق مايسمى بنظرية (حرية الإنسان).

وهذه المذاهب شأنها شأن المذاهب الوطنية أو القومية لا تعود بالنفع إلاَّ على فئة معينة. وفي مقابل ذلك فإنَّ الأفراد أو المجموعات أو الشعوب التي تستعمر من قبل أصحاب هذه المذاهب تفقد حقوقها الإنسانية. اما عن محتوى هذه المذاهب فلابدَّ من القول انها لا تتعدى حدود اللذات المادية، وان أياً من هؤلاء المثقفين المدافعين عن هذه المذاهب مثل: جرمي بنتام، وجان استيوارت ميل، و براتراند راسل، ولو يس بري، وجون ديوي لم يتمكنوا لحد الآن من الإجابة بجزم عن هذا السؤال: لماذا يجبر الإنسان على الذهاب الى طبيب الأسنان؟ فكيف بهم يجيبون على نداء وجدان الإنسان الذي يصرخ و يقول رغم ان اللذة تعتبر لذة، لكنها قد تكون مغايرة للأخلاق.

وازاء كل ذلك فإنَّ النظرية الإنسانية للإسلام تعتبر عالمية مئة بالمئة، وتشمل كل البشرية. فما يريده الإسلام من المسلمين لايختلف عما يريده من البشر، كما انه يعتبر الإنسان مخلوقاً خلق على أفضل وجه ويحمل مقداراً عظيماً من الإدراك والإستعدادات التي تمكنه من مسايرة الزمان والمكان وايجاد التغييرات المطلوبة، وهو «أي الإسلام» يوجب على الإنسان تسيير كل أبعاد حياته: كالبعد الفيزيولوجي، والبعد الإجتماعي، والبعد الثقافي، والبعد العلمي، والبعد المعنوي، والروحي سوية، مما يعني ان الإسلام يقدر مكتسبات الحياة البشرية و يعمل على تطويرها وزيادة قيمة مجموع العالم.

ان الإسلام لايعتبر أي قوة بأنها قوة سيئة على الإطلاق، لكنه يعتبر الأعمال التي يقوم بها البشر خلافاً لأوامر الله على أنها أعمال دنيئة، كما يؤكد على وجود أعمال سيئة ولكنه لايعطيها حالة مطلقة، و يقبل بوجود أعمال حسنة ولكنه لايعطيها حالة مطلقة أيضاً.

والإسلام يصرح بانَّ أي تخلف للإنسان عن الأوامر الإلهية أو أي عمل

حسن يقوم به سيحاسب عليه من قبل الله، وسيثاب أو يعاقب وفقاً لأعماله، كما يعتبر الإنسان مخلوقاً أفضل من الملائكة لأنه جسر بين الله والتاريخ.

ومن المؤكد بأن الإنسان هو أسمى المخلوقات، كما يعتبر تتويجاً للخلقة، ولكنه يخضع لسلطة وارادة الله، وليست له أية قدرة قباله.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ الباري عزَّوجلَّ ليس عدواً للإنسان، كما لايعتبر الإنسان رقيباً له، والدين الإسلامي يعتبر جميع أفراد البشر سواء أكانوا مسلمين أم لم يكونوا، من مخلوقات الله، وسيحاسبون طبقاً للعدالة الإلهية، ولافضل لإنسان على آخر ■

المرأة في المجتمع القرآني

الدكتورة لميعة فاروقي/ امريكا

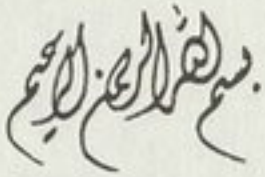

لقد انتخبت هذا الموضوع للمؤتمر لاعتقادي بأنَّ البشرية في هذا العصر تعاني من مشاكل اجتماعية حادة ومنها ما تتعلق بالمرأة و بعلاقة الرجل والمرأة في المجتمع. وعلى الرغم من أن هذه المشاكل قد يمكن ان تبدو أعمق وأكثر ألماً من غيرها، لكننا قلَّما نجد منطقة في العالم تخلو من مشاكل تتعلق بالمرأة وعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع.

إذن فهناك حاجة ماسة من أجل ايجاد حل عملي لهذه المسألة، ثم انني اتصور بأن القرآن يطرح أفضل سبيل من أجل اصلاح المجتمع. ولذلك رأيت من المناسب ان استعمل المصطلح القرآني فيما يتعلق بالمرأة والمجتمع.

يمكن ان تتعجبوا من عنوان هذه المحاضرة وهو «**المرأة في المجتمع القرآني**» ولكن اسألوا أنفسكم، لماذا لم نقل: «المرأة في المجتمع المسلم» «أو» «المرأة في مجتمع اسلامي»؟

اسمحوا لي أنْ أُوضح لكم سبب عدم استعمالي مصطلح المسلم أو الإسلامي، واستعمالي مصطلح «المجتمع القرآني» غيرالمتداول نسبياً.

هناك ثلاثة أدلة ــ على الأقل ــ على سبب انتخابي لهذه العبارة:

الدليل الأول: ان كثيراً من العقائد والأعمال تسمى اسلامية دون ان تكون اسلامية. وهناك مايقرب من أربعين دولة تدَّعي بأنَّ غالبية سكانها من المسلمين، وتعتبر نفسها نموذجاً للمجتمعات الإسلامية أو المسلمة. و بالطبع فعندما

يطرح هذا السؤال وهو؛ أي مجتمع من هذه المجتمعات يعتبر نموذجاً للمجتمع الإسلامي الحقيقي والمؤمن؟ فلا تتيسر الإجابة عليه بسهولة في غمرة هذه الأوضاع. واذا ما طرح هذا السؤال على المسلمين فغالباً مايكون جواب كل واحد منهم هو؛ ان مجتمعنا أو شعبنا يؤمن بالله أكثر من أي شيء آخر.

ومن جهة أُخرى فانَّ الأفراد غيرالمسلمين وخاصة الباحثين الغربيين ــ فيما يتعلق بمعرفة الإنسان ــ الذين يجوبون العالم لدراسة آداب ورسوم الشعوب، يقيسون الفوارق في العالم الإسلامي بدرجة واحدة. و يعزى هذا الأمر الى اعتقادهم بنظرية خاصة.

ان مؤيدي تلك النظرية يعتبرون المسلمين نماذج مختلفة من النوع الإنساني، و بالطبع فانهم يطبقون هذه النظرية على سائر الناس غيرالغربيين. فهؤلاء يتوجهون الى منطقة ما و يلتقطون الصور لكل شيء عجيب وغير اعتيادي حسب وجهة نظرهم، و يكتبون ملاحظات حوله ويحسبونه على الإسلام، ثم يذهبون الى منطقة أُخرى من العالم الإسلامي و يستعملون نفس الوسائل والأساليب، فيلتقطون الصور، و يكتبون التقارير و يبيّنون الإختلاف الظاهري في الآداب والسلوك بين هذه المنطقة والمنطقة الأولى، ويحسبونه على الاسلام.

ان المحققين الغربيين نادراً ماسعوا الى معرفة الإسلام بصورة كلية، و بذلك تصبح قضية الشك والنسبية عالقة في ذهن المحقق، فيعود الى بلده متصوراً بانه لاوجود لإسلام واحد في العالم، بل ان للإسلام أشكالاً متعددة. ولذلك يكتب في تحقيقاته بأنَّ دورالمرأة في المجتمع الإسلامي دورٌ متباينٌ جداً ويضع تعريفاً خاصاً حسب ما يدور في ذهنه و يطلق صفة «الإسلامي» على ذلك، حتى وان كانت بعض الأعمال والتصرفات منحرفة عن أُصول واعتقادات المسلمين التي تصدر من جانب بعض الأفراد المنحرفين.

ومن المعلوم انه لايمكننا الاكتفاء ــ فيما يتعلق بالمسائل التي تلعب دوراً مهماً ومصيرياً في حياتنا ــ بذكر التقارير التي كتبت حول الأفراد الذين يعتبرون مسلمين في الظاهر والذين أُطلقت على آدابهم وسلوكهم صفة «الإسلامية».

ان هذه الصفة تُطلق ــ أحياناً ــ على بعض الأفراد أو على أعمالهم إشتباهاً، ومن جهة أُخرى فانَّ صفة «قرآني» هي صفة مشخصة و واضحة وتتعلق ببحثنا.

الدليل الثاني: ان إطلاق صفة «المجتمع القرآني» يعتبر مناسباً لانه يرشدنا الى ايجاد الأُصول الأساسية التي يعلمها لنا القرآن والتي تشكل أساس مجتمعاتنا في العالم الإسلامي.

ان هدفنا الحقيقي هو بناء مجتمع يقوم على أساس الأُصول القرآنية، ومع ذلك ينحرف البعض منا عن هذه الأُصول من دون أن يدري. واذا أردنا ان نعيش الشعوب الإسلامية بسعادة فيجب علينا ان نسعى جميعاً لايجاد المجتمع الإسلامي القائم على أُسس قرآنية. ويجب ان لانتصور أبداً بأنَّ المجتمع القرآني مجتمع يتألف من أندونيسيا أو مصر أو نيجيريا أو السعودية أو الباكستان وغيرها مثلاً، بل ان المجتمع القرآني يجب ان ينطبق مع تعاليم القرآن الكريم مئة بالمئة، وعليه ان يتبع الأُصول القرآنية بجد. وفي مثل هذا المجتمع فقط يمكننا ان نجد تعريفاً صحيحاً عن دور المرأة في المجتمع. وبما ان هدفي هو البحث في التعاليم القرآنية، لذلك انتخبت عنوان «**المرأة في المجتمع القرآني**» كأفضل عنوان فيما يتعلق بموضوع بحثنا.

الدليل الثالث: والهدف الآخر من انتخاب هذا العنوان هو التأكيد على ان القرآن يجب ان يكون مرشداً في كل نواحي حياتنا، لا أن نعتبره مرجعاً أولياً في عقائدنا وأعمالنا وواجباتنا الدينية فقط، بل يجب أن يكون مرشدنا في كل جانب ومرحلة من مراحل حياتنا و حضارتنا الإسلامية.

في القرون الماضية التي كان يتمتع فيها المسلمون بقوة وعظمة، كان القرآن الكريم يتحكم في الإبداعات الفنية والنواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية للشعوب الإسلامية. فاذا أردنا ان نحظى بحياة إسلامية ونستفيد من قوة وعظمة الإسلام، كان علينا الإستناد الى القرآن في جميع الشؤون.

ان الدين لاينحصر و يتحدد في الأركان الخمسة التالية: التشهد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، بل ان كلمة «الدين» لايمكن ان نجعلها مترادفة مع كلمة Religion التي تعني الدين في الإنجليزية، ذلك ان الدين لعب و يلعب دوراً مؤثراً في جميع أبعاد حياة الإنسان وتصرفاته.

ومما لاشك فيه ان هدفنا يجب ان يتمثل بربط جميع الأفعال بالدين، وذلك من خلال الرجوع الى القرآن الكريم، وجعله مرشداً لنا في جميع المجالات.

تعالوا لنرى ماذا يعطينا القرآن من تعاليم من أجل الوصول الى المجتمع القرآني، وما هي آثار تلك التعاليم على شخصية المرأة؟ وكيف ينظر المجتمع

القرآني الى المرأة وماهي الإمتيازات التي يمنحها اياها؟.

وللإجابة على هذا السؤال يمكن ان تذكر خمس مزايا رئيسة ومهمة وغير قابلة للتغيير في المجتمع القرآني. و بالرغم من اننا ندرس هذه المزايا بصورة منفصلة عن الأُخرى، إلاَّ ان الحقيقة هي ان هذه المزايا غيرمنفصلة عن بعضها، و يؤثر بعضها على البعض الآخر.

ان علاقة هذه المزايا الخمس تشكل سبباً في عدم إمكانية فصلها عن بعضها، أو التطرق اليها كل واحدة على حدة.

وتلك المزايا هي عبارة عن :

١ ــ تساوي مقام وقيمة الرجل والمرأة

ان المزية الأُولى للمجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة هي ان المرأة والرجل متساو يان من ناحية المقام والقيمة، و بعبارة أُخرى ان القرآن يبيِّن لنا بأنَّ خالق المرأة والرجل واحد وهو الله تعالى، وهما متساويان من حيث التقييم وهذا لايعني بأنَّ المرأة والرجل متكافئان تماماً من ناحية القوة والقدرة، ويمكن اثبات صحة تساوي مقام وقيمة المرأة والرجل من خلال القرآن نفسه. فهناك أربعة مواضيع يبحثها القرآن فيما يتعلق بحياة الإنسان وعلاقة البشر فيما بينهم :

ألف: الشؤون الدينية

إنَّ أول تأثير للقرآن فيما يتعلق بمساواة الرجل والمرأة، يمكن مشاهدته في الشؤون الدينية كنشأة البشرية، والواجبات الدينية، والثواب والعقاب.

١ ــ نشأة البشرية : يخلو القرآن الكريم من القصص التي زوِّرت في التوراة بهدف تحقير المرأة. فلا يوجد في القرآن أقل إشارة الى ان أول امرأة خلقها الله كانت قيمتها أقل من أول رجل خلقه الله، أو ان المرأة قد خلقت من أحد أضلاع الرجل، بل على العكس، فالقرآن يذكر بأنَّ المرأة والرجل خلقا من نفس واحدة و يكمل أحدهما الآخر.

قال تعالى:

«يا أيها الناس آتقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منها رجالاً كثيراً ونساءً وآتقوا الله الذي تَساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان

عليكم رقيباً».

(النساء/ ١)

وقال عزَّ شأنه:

«هُو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها...»

(الأعراف/ ١٨٩)

والملاحظ ان التوراة (المحرَّفة) مكتوب فيها بأنَّ حواء كانت بمثابة الشيطان عند ما كانت في جنة عدن، وهي التي ساعدت الشيطان في خداع آدم ليعصي أمرالله. غير ان القرآن الكريم ينظر الى آدم وحواء بنظرة واحدة، و يتكلم عنهما بنبرة واحدة. واستناداً الى القرآن الكريم فانَّ كلاً من آدم وحواء كانا مذنبين بنفس الدرجة، وكان جزاء تقصيرهما هواخراجهما من الجنة. لكن حين تابا الى الله قبلت توبتهما.

٢ ــ الواجبات الدينية والثواب والعقاب

ان القرآن الذي يساوي بين المرأة والرجل من ناحية الخلقة، يساوي بينها أيضاً في الواجبات الدينية، وكذلك في الثواب والعقاب. قال تعالى:

«إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمين والصائماتِ والحافظينَ فروجهمْ والحافظاتِ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أعدَّالله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً».

(الأحزاب/ ٣٥)

وقال تعالى:

«وعدالله المنافقينَ والمنافقاتِ والكفّارنار جهنم خالدين فيها، هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذابٌ مُقيمٌ».

(التوبة/ ٦٨)

ب ــ الواجبات الأخلاقية والثواب

ان المرأة والرجل متساويان في وظائفهما الأخلاقية والثواب، والقرآن الكريم يصرح بذلك بصورة جلية:

قال تعالى:

«ومن يعمل من الصالحاتِ من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً».

(النساء/ ١٢٤)

وقال جلَّ شأنه:

«من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينَّه حياةً طيبةً ولنجزينَّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

(النحل/ ٩٧)

وقال جلَّ جلاله:

«المنافقونَ والمنافقاتُ بعضهم من بعضٍ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، نسوا الله فَنَسِيَهُمْ إنَّ المنافقين هم الفاسقون».

(التوبة/ ٦٧)

وقال تعالى:

«وعدَ الله المؤمنينَ والمؤمناتِ جنّات تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكن طيِّبةً في جناتِ عدنٍ ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم».

(التوبة/ ٧٢)

ولو كان الرجل والمرأة قد خُلقا غيرمتساويين من ناحية القيمة والمنزلة فإنَّ هذه الأدلة الواضحة التي تدل على ان الرجل والمرأة متساويان من ناحية الواجبات والثواب والعقاب ما كانت لتذكر في القرآن اذا كان الأمر خلاف ذلك.

ج ــ التربية والتعليم

رغم ان التعاليم الخاصة بتساوي حقوق المرأة والرجل في التربية والتعليم غالباً ما توجد في الأحاديث، إلاَّ اننا يمكن ان نستنبط من الآيات القرآنية بأنَّ القرآن الكريم يحث الناس نساءً ورجالاً على طلب العلم، فمثلاً ان القرآن يأمر الجميع ــ دائماً ــ بقراءة القرآن وتلاوته والتدبُّر بآيات الله في الطبيعة وأخذ العبر. وفي الحقيقة ان أول آية نزلت على الرسول (ص) كانت ترتبط بالعلم.

قال عزَّ وجلَّ:

«إقرأ باسم ربّك الذي خلق».

(العلق/ ١)

ان العلم في المجتمع القرآني لايقتصر على فئة معينة أو جنس واحد، بل ان طلب العلم فريضة علم كل مسلم ومسلمة، كما أمر بذلك الرسول (ص) حتى وان تَطَلَّبَ الأمر السفر الى الصين[١].

قال الرسول الأعظم (ص):

«أطلب العلم ولوفي الصين».

حتى انه (ص) أمر بتعليم الخدم[٢]، وطلب من شفيعة بنت عبدالله ان تعلّم زوجته حفصة[٣]، كما ان الرجال والنساء كانوا يجتمعون من أجل الإستماع الى ما يقوله (ص). وبعد وفاته وجدت الكثير من النساء العالمات، فعائشة زوج الرسول كانت بارعة في العلوم القرآنية، وكان (ص) يحث أصحابه على التعلم من عائشة[٤].

د ــ الشخصية الحقوقية «القانونية»:

والدليل الرابع الموجود في القرآن والذي يثبت تساوي الرجل والمرأة هو ان القرآن يجعل لكل انسان من لحظة ولادته أو بعد موته حقوقاً وقوانين، خلافاً للمجتمع الغربي الذي كان وحتى الى ماقبل القرن المنصرم لايجيز للمرأة بأنْ تمارس البيع والشراء أو تحوّل ملكها الى شخص آخر دون إذن من زوجها[٥] اما القرآن الكريم فهو يؤكد بأنَّ لكل امرأة حق الشراء والبيع والمعاملة والتكسب

---

١ ــ وهو حديث نبوي. كما يرجى مراجعة كتاب «المرأة في القرآن والسنة»/ تأليف محمد عزة دروزه/ ص٤٤، ٤٧، ٥١/ طبع المكتبة العصرية بيروت ــ سنة ١٩٨٠.

٢ ــ راجع كتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان»/ تأليف محمد فؤاد عبدالباقي/ ج١. ص٣٠، ٣١/ طبع دار الكتاب الجديد ــ بيروت ١٩٧٠.

٣ ــ راجع أطروحة المرأة وبناء الدولة نقد وتحليل لمسألة المرأة في المجتمع المسلم في ملقا/ تأليف الحاج فيصل بن الحاج عثمان. وهذه الأطروحة مقدمة لجامعة تمبل.

٤ ــ راجع كتاب «المرأة في الإسلام»/ تأليف محمد خيرات/ ص١٠٨ طبع دائرة المعارف في القاهرة سنة ١٩٧٥.

٥ ــ دائرة المعارف الأمريكية «النساء والحقوق القانونية»/ تأليف مونراد باليسين، وردان بري، وامريكا ناكورب ــ سنة ١٩٨٠/ ج٢٩ ــ ص١٠٨، ١٠٩.

والتصرف وادارة أموالها وثرواتها. قال تعالى:

«ولا تتمنوا ما فضّل الله بعضكم على بعضٍ، للرجالِ نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن وآسألوا الله من فضله، إنَّ الله كان بكلّ شيءٍ عليماً».

(النساء/ ٣٢)

اضافة الى ذلك حدَّد القرآن الكريم للمرأة سهماً من إرث العائلة. قال تعالى:

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً».

(النساء/ ٧)

وقال تعالى:

«يُوصيكم الله في أولادكم لِلذَّكَرِ مثل حَظِّ الأُنثيين، فإنْ كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهنَّ ثُلثا ما ترك، وان كانت واحدةً فلها النصف، ولأبويه لكلّ واحدٍ منهما السدس مما ترك إنْ كان له ولدٌ فإنْ لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمّه الثُلُثُ فإنْ كان له إخوةٌ فلأُمّه السدس من بعد وصيةٍ يوصي بها أودَيْنٍ، آباؤكم وأبناؤكم لاتدرونَ أيُّهُمْ أقرب لكم نفعاً، فريضةً من الله، إنَّ الله كان عليماً حكيماً».

(النساء/ ١١)

كما أن القرآن الكريم يخالف ان تحرم المرأة من حقها، قال تعالى:

«وإنْ أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وآتيتم إحدا هُنَّ قِنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بُهتاناً وإثماً مُبيناً».

(النساء/ ٢٠)

والقرآن يصرح وبوضوح بأنَّ مهر المرأة هو حلالها، ولايحق لزوجها ان يغتصبه، قال تعالى:

«الطَّلاقُ مرَّتان، فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان، ولايحلُّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنَّ شيئاً إلاّ أنْ يخافا ألاّ يُقيما حُدودَ الله فإنْ خِفتم ألاّ يُقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به، تلك حُدُودُ الله فلا تعتدوها، ومن يتعدَّ حدود الله فأُولئك هم الظالمون».

(البقرة/ ٢٢٩)

وهذا الأمر مذكور أيضاً في الآيات ١٩، ٢١، ٢٥، من سورة النساء،

فقد جاء في الآية ٢١:

«وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعضٍ وأخذنَ مِنكم ميثاقاً غليظاً» ٦.

وجاء في الآية ١٩:

«يا أيها الذين آمنوا لايحلُّ لكم أنْ تَرِثوا النِّساءَ كرْهاً، ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ...».

وفي نفس الوقت الذي يوفِّر القرآن الكريم للمرأة شخصيتها من الناحية الحقوقية، فانه يضع حدوداً للمرأة التي ترتكب اثما إجتماعياً كالزنا والسرقة ومحاربة الله ورسوله، وان عقابها لايختلف عن عقاب الرجل.

قال تعالى:

«والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيْدِيَهُما جَزاءً بما كسبا نَكالاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ».

(المائدة/ ٣٨)

وقال عزَّ وجلَّ:

«الزانيةُ والزاني فاجلدوا كُلَّ واحدٍ منها مائةَ جلدةٍ، ولا تأخذكم بها رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابها طائفةٌ من المؤمنين».

(النور/ ٢)

وطبقاً لأوامر القرآن الكريم فاذا ظُلمت امرأة أو أُلحق أذىً بها، فيجب ان تأخذ حقها كالرجل.

كما يؤكد القرآن وبصراحة على ضرورة معاملة المرأة معاملة حسنة وعادلة.

قال جلَّ وعلا:

«يا أيُّها الذين آمنوا لايحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرْهاً ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ إلاّ أنْ يأتين بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ وعاشروهنَّ بالمعروف فإنْ كرهتموهُنَّ

---

٦ ــ راجع كتاب «المرأة بين الفقه والقانون»/ تأليف مصطفى السباعي/ ص٣٨. طبع المكتبة العربية في حلب ــ سنة ١٩٧٦. وكتاب الدستور القرآني في شؤون الحياة/ تأليف محمد عزّة دروزه ــ ص٧٨.

فعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيهِ خيراً كثيراً.

(النساء/ ١٩)

و يظهر بوضوح ان القرآن لايؤكد على مساواة الرجل والمرأة فحسب، بل انه يرد بشدة على من يدّعي بأنَّ الإسلام يحتقر المرأة، و يبين خطأ نظرة اليهود والنصارى للمرأة على أنها أقل شأناً من الرجل.

٢ ــ مجتمع الجنسين بدل الجنس الواحد

والآن نتطرق الى المزية الثانية من مزايا المجتمع القرآني فيما يتعلق بمنزلة المرأة. ففي نفس الوقت الذي يساوي فيه القرآن الكريم بين الرجل والمرأة، فانه لايصرح بأنَّ المرأة والرجل متكافئان من ناحية القوة والإستعدادات. وقد تكونوا قد اطلعتم على الحركة التي ظهرت في هذا العصر والتي تهدف الى توحيد الأزياء، والأحذية والأعمال، والتصرفات والزينة بين الرجال والنساء. ففي أمريكا غالباً ما لايمكن التمييز بين المرأة والرجل نتيجة لشيوع الظاهرة التالية في المجتمع الغربي وهي انه لايوجد فرق بين الرجل والمرأة من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية وحتى اذا ما وجدت فوارق، فهي طفيفة جداً، ولذلك ــ وحسب عقيدتهم ــ لايوجد فرق بين دور ونشاط الاثنين في المجتمع[٧].

ان هذه الظاهرة جعلت من المجتمع، مجتمع الجنس الواحد الذي يعتبر فيه عمل الرجل الذي يعمل على جمع المال والتسلط على الآخرين عملاً قيّماً. كما يستهان ــ في مثل هذا المجتمع ــ بالنشاطات التي كانت تقوم بها المرأة. ان هذه الفكرة حدت بالمرأة الى ان تقلد الرجل وتشعر بالضجر من انوثتها، كما انها أوجدت في المجتمع فكرة حب التظاهر بالرجولة. ونتيجة لغفلة النساء واصرارهن على هذه الفكرة فان المجتمعات الغربية تسير نحو الفساد. وفي الحقيقة ان هذه الفكرة أنست المرأة دورها الخاص الذي تلعبه، أو انها أدت الى ان تسلّم المرأة الى المؤسسات الحكومية أو التجارية غير المنحازة.

---

٧ ــ تقول كارولين بردي حول حركة التحرر في أمريكا:

«ان هذه الحركة تكافح فكرة وجود فرق طبيعي بين المرأة والرجل. وهذه الأفكار تطرح ــ بصورة عامة ــ من أجل اعطاء قيمة للتقاليد، مثل: الزواج، وتشكيل الأسرة، وعلاقات المرأة، والرجل»/ راجع دائرة المعارف الامريكية/ حرية النساء/ ج ٢٩. ص ١١١.

اما المجتمع القرآني فهو مجتمع الجنسين، يقوم فيه كل من المرأة والرجل بواجباته الخاصة. وهذا النظام يؤمّن سلامة ورفاه المجتمع، وهو في صالح جميع أعضاء المجتمع. وفي مجال تقسيم العمل، فإنَّ المسؤولية الإقتصادية ملقاة على عاتق الرجل أكثر من المرأة. اما عن دور المرأة فقد قال تعالى:

«والوالداتُ يُرضعن أولادهُنَّ حولَينِ كاملين لمن أراد أن يُتمَّ الرضاعة وعلى المولود له رزقهُـنَّ وكسوتهُنَّ بالمعروف، لاتُكلَّفُ نفسٌ إلاّ وسعها، لاتُضارَّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده وعلى الوارث مثلُ ذلكَ فإنْ أرادا فِصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جُناحَ عَلَيهما، وإنْ أردتُمْ أنْ تَسترضِعوا أولادكم فلا جُناحَ عليكم إذا سَلَّمْتُمْ ما آتيتم بالمعروف، واتَّقوا الله واعلموا أنَّ الله بما تعملون بصيرٌ».

(البقرة/ ٢٣٣)

وقال تعالى:

«والذين يتوفون منكم ويذرُون أزواجاً وصيَّةً لأزواجهم متاعاً الى الحولِ غير إخراجٍ فإنْ خرجنَ فلا جُناح عليكم في ما فعلن في أنفسهنَّ من معروف والله عزيزٌ حكيمٌ * وللمطلَّقاتِ متاع بالمعروف، حقاً على المتقين».

(البقرة/ ٢٤٠، ٢٤١)

وقال تعالى:

«الرِّجالُ قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله، واللاتي تخافون نُشوزهُنَّ فعظوهُنَّ واهجروهن في المضاجع واضربوهنَّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، إنَّ الله كان عليّاً كبيراً».

(النساء/ ٣٤)

ان المرأة بتربيتها لأبنائها تساهم في إدارة المجتمع، كما ان الإسلام يقدّر دورها في ادارتها شؤون المنزل وتربية أبنائها، وهذا ما جاء في سورة البقرة ٢٣٣ والآية ١٨٩ من سورة الأعراف وهي:

«هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرّتْ به فلما اثقلت دعوا الله ربَّهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين».

اما من ناحية الإرث فانَّ القرآن الكريم قد جعل حصة الرجل من الإرث

أكثر من حصة المرأة ليكون ــ من الناحية الإقتصادية ــ عوناً للرجل الذي تقع على عاتقه مسؤولية نفقة العائلة. وهو ــ القرآن ــ في نفس الوقت يعطي المرأة التي تقع على عاتقها ادارة شؤون المنزل والزوج والأبناء حصتها من الإرث، ولكن أقل من حصة الرجل.

ان فكرة الجنس الواحد التي تجعل المرأة والرجل يتنافسان فيما بينهما، أوجدت مصائب للمجتمعات التي تسود فيها، وهو ما نشاهده في امريكا. فالشباب والكهول والأطفال والمتأهلون والعزاب والآباء والأمهات والرجال والنساء يعيشون في عذاب، وفي مقابل ذلك نرى ان مجتمع الجنسين ــ والذي يقوم فيه كل من الرجل والمرأة بدوره الخاص ــ يقوم على أساس التفاهم والتعاون بين الرجل والمرأة، وهذا هو النظام المناسب كما ثبت ذلك على مرّ التاريخ في مجتمعات كثيرة، وان الفكرة القائلة بتساوي الرجل والمرأة في كل الأمور، هي فكرة حديثة بدأت في المجتمعات الغربية. وهناك دلائل علمية دوّنت في الغرب تبيّن وجود فرق عاطفي وفكري بين المرأة والرجل، وهي دليل لإثبات بطلان فكرة الجنس الواحد ــ أي تساوي المرأة والرجل تماماً ــ الشائعة في المجتمعات الغربية. ولانعلم الى متى سيستمر هذا الواضع المؤسف، ومتى سيعترف مؤيدو هذه الفكرة بأخطائهم؟.

ومن المسلم به هو اننا باعتبارنا أشخاصاً مسلمين، علينا ان نعي هذه المسائل والمشاكل، ونصون مجتمعاتنا وشبابنا من المخاطر التي توجدها أمثال تلك الأفكار السخيفة.

ان مؤيدي فكرة مجتمع الجنس الواحد يدّعون بأن مجتمع الجنسين يعود بالضرر على المرأة وعلى سعادتها. هذا الكلام صحيح اذا ما كان هناك تمييز بين جنس وآخر في المجتمع، الا ان المجتمع القرآني الحقيقي والذي يجب علينا جميعاً ان نسعى لإقامته لايكرم جنساً على حساب جنس آخر، وفي نفس الوقت ينظر بعين الإعتبار الى الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل وفرق الدور الذي يلعبه الإثنان.

والقرآن يبيّن بصراحة بأنّ المرأة والرجل متساويان في مقام الإنسانية، ولهذا يقبل تساوي الرجل والمرأة من الناحية الأخلاقية والحقوقية، ولكنه يرفض فكرة ان الرجل والمرأة متعادلان. ومامن شك بأنّ ليست فكرة تعادل الرجل والمرأة لا تعتبر فخراً لأحدهما على الآخر فحسب، بل انها تعتبر في الحقيقة تحقيراً أو إهانة

لكليهما. وعندما يعين القرآن الكريم وظائف مختلفة للمرأة والرجل، و يضع أحكاماً فيما يتعلق بالتوريث والنفقة، فهو يريد ان يثبت وجود فرق لايمكن انكاره بين المرأة والرجل.

٣ ــ تبعية أعضاء المجتمع لبعضهم البعض

والمزية الثالثة للمجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة ارتباط افراد المجتمع بعضهم مع البعض الآخر خلافاً لميول المجتمع الغربي الذي يؤكد على حقوق فرد على حساب حقوق الأفراد والجماعات. والقرآن الكريم يؤكد كثيراً على ارتباط المرأة والرجل، وكذلك ارتباط اعضاء المجتمع مع بعضهم البعض، فقد جاء في الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

«أُحِلَّ لكم ليلة الصّيام آلرَّفَثُ إلى نِسائِكم، هُنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لَهنَّ...»

وقال تعالى:

«هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها».

كما أن القرآن بيّن لنا بأنَّ المرأة والرجل عنصران يكمل أحدهما الآخر ولايتنافسان فيما بينهما.

قال عزَّ شأنه:

«والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهُم أولياءُ بعض يأمرونَ بالمعروفِ و ينهونَ عن المنكر و يقيمونَ الصلاةَ و يؤتونَ الزكاة و يُطيعونَ الله ورسوله، أُولئك سيرحمهم الله، إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ».

(التوبة/ ٧١)

وقد طلب من كل واحد منها ان يقوم بدوره الخاص خدمة للآخرين. ولأجل ضمان هذا الإرتباط الذي يعتبر ضرورياً للسلامة الجسمية والنفسية للمرأة والرجل، فقد وضع الباري عزَّ وجلَّ مسؤوليات متقابلة لجميع أعضاء الأسرة؛ النساء، والرجال، والأمهات، والأبناء، والكهول، مؤكداً بأنَّ لكل فرد مسؤوليته وواجباته الخاصة.

قال عزَّ وجلَّ:

«وقضى ربُّك ألاّ تَعبدُوا إلاّ إيّاهُ و بالوالدين إحساناً، إمّا يَبْلُغَنَّ عندك

الكِبَر أحدُهما أو كِلاهُما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهُما وقل لهما قولاً كريماً».

(الإسراء/ ٢٣)

كما جاءت أحكام الله بهذا الصدد في سورة الشعراء، والآية الأولى من سورة النساء، وفي سورة الأعراف، وفي الآية ٤١ من سورة الأنفال، والآية ٩٠ من سورة النحل، وفي سور كثيرة. جاء في الآية ١٧٧ من سورة البقرة:

«ليسَ البِرَّ أن تُولّوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب ولكنَّ البِرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين، وآتى المالَ على حُبّه ذوي القربي واليتامى والمساكينَ وابن السبيلِ والسائلينَ وفي الرِّقابِ وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرينَ في البأساءِ والضراء وحينَ البأسِ أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون».

(البقرة/ ١٧٧)

ولذلك فالقرآن يوجد (عند المسلمين) شعوراً بالمسؤولية تجاه مجتمعهم، وهذا الشعور لايقيّد الفرد المسلم أبداً، بل على العكس انّ الفائدة التي تعود على أفراد المجتمع جراء شعورهم بالمسؤولية هي تشجيعهم، وبالتالي تنمية روح المسؤولية فيهم. ان وجود مثل هذه العلاقات يعود بالفائدة على أفراد المجتمع من الناحية الإقتصادية والاجتماعية والنفسية، بحيث يدرك كل فرد ان من صالحه ان يسيطر على أهوائه.

ان الشعور بالغربة وعدم التلاحم السائد ين في المجتمعات الغربية، قد أوجدا مشاكل جدية. وما الغربة وعدم الإهتمام بالكهول وكذلك سعة الهوة بين الأجيال، وارتفاع نسبة الإنتحار وشيوع الفساد والجرائم بين الشباب، إلاّ مظهر من مظاهر هذا التفسخ الإجتماعي وانكار حاجة الإنسان الى وجود علاقة ومسؤولية متقابلة بين اعضاء المجتمع. وهذه الأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

٤ ــ سعة العائلة

والمزية الأساسية الرابعة في المجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة هي تشكيل عائلة واسعة، وهذه المزية لها ارتباط وثيق بخصوصيات ارتباط اعضاء المجتمع. فالعائلة المسلمة تشمل (اضافة الى الأب والأم والأبناء) الأجداد والجدّات والأعمام والأحوال والخالات والعمات وأبناءهم، كما ان العوائل المسلمة تعيش

مجتمعة مع بعضها، أي يعيش ثلاثة أجيال أو أكثر في منزل واحد، واذا ما كانوا يعيشون في عدة أماكن فهناك علاقات واسعة وعميقة تربطهم بحيث ان آثار هذه العلاقات من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والنفسية وحتى السياسية، تعتبر أمراً ملموساً. والأحكام القرآنية تؤكد على ضرورة التلاحم بين أعضاء الأسرة أو العائلة الواسعة وتحث على تقويتها.

قال تعالى:

«وقضى ربُّكَ ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً، إمّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهُما أو كِلاهُما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جَناحَ الذلّ من الرحمة وقُل ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً * ربُّكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحينَ فإنّه كان لِلأوّابين غفوراً * وآتِ ذا القُربى حقَّه والمسكينَ وابن السبيل ولا تُبذِّرْ تبذيراً»

(الإسراء/ ٢٣، ٢٦)

وقال جلّ جلاله:

«لِلرِّجال نصيبٌ مما ترك الوالدانِ والأقربونَ، وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدانِ والأقربونَ مما قلَّ منه أو كَثُر، نصيباً مفروضاً * واذا حَضَرَ القسمةَ أولوا القربى واليتامى والمساكينُ فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً * وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذُرّيَّةً ضِعافاً خافوا عليهم، فليتقُّواالله وليقولوا قولاً سديداً»

(النساء/ ٧ — ٩)

وقال تعالى:

«وآعلموا أنّما غنمتُم من شيءٍ فَأنّ لله خُمُسَهُ وللرَّسول ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيل إنْ كُنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرقان يوم آلتَقَى الجَمْعانِ، والله على كلّ شيءٍ قديرٌ».

(الأنفال/ ٤١)

وقال عزَّ وجلَّ:

«ولا يَأتَلِ أولوا الفضل منكم والسعة أن يُؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تُحبُّونَ أنْ يَغفرَ الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ».

(النور/ ٢٢)

كما أوصى عزَّ وجلَّ ــ في آيات أُخرى ــ بأهمية حسن المعاملة بين الأقارب وأفراد المجتمع. قال عزَّ شأنه:

«وإذْ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدونَ إلاّ الله، وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسْناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثُمَّ توليتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون».

(البقرة/ ٨٣)

وجاء في الآيتين ٩٠، ٩١ من سورة النحل:

«إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون* وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إنَّ الله يعلم ماتفعلون».

ولا يقتصر تقسيم الإرث على أعضاء العائلة الصغيرة (الأب والأم والأبناء) بل يشمل أعضاء العائلة الكبيرة. فقد جاء في الآيات ١٨٠ الى ١٨٢ من سورة البقرة:

«كُتِبَ عليكم إذا حَضَرَ أحَدَكُم الموت إنْ ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين* فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يُبدِّلونه إنَّ الله سميعٌ عليمٌ* فمن خاف مِنْ مُوص جَنَفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثمَ عليه، إن الله غفورٌ رحيمٌ».

كما جاء ذلك في الآية ٣٣ والآية ١٧٦ من سورة النساء، قال تعالى:

«يستفتونك قُلِ الله يُفتيكم في الكلالَةِ، إنِ آمْرُؤٌ هلك ليس له ولدٌ وله أختٌ فلها نِصفُ ماترك وهويرثها ان لم يكن لها ولدٌ فإن كانتا اثنتين فلهما الثُلثان مما ترك وإن كانوا إخوةً رجالاً ونساءً فللذَّكر مثل حَظِّ الأنثيين يُبين الله لكم أن تَضلُّوا والله بكل شيءٍ عليمٌ».

(النساء/ ١٧٦)

ومن لايطبق أحكام القرآن ولا يَعتنِ بحقوق أفراد عائلة والمجتمع فسوف يعاقب عقاباً شديداً، ومأواه جهنم، كما جاء في الآيات ٧ ــ ١٢ من سورة النساء.

وجاء في الآية ١٠ من سورة النساء:

«إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً إنما يأكلونَ في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً».

لذلك فان العائلة الكبيرة حسب المفهوم الإسلامي لا تعتبر حصيلة التوسعة الإجتماعية بل انها وجدت بأمر من الله، وتدعم وتقوى وتنظم بواسطة الأحكام القرآنية. واذا تحلت العائلة الكبيرة بسائر صفات المجتمع القرآني، فانها ستعمل على اسعاد الرجال والنساء. وفوائد عائلة كهذه هي :

١ ــ ابتعاد أعضائها عن الغرور والتمحور، ذلك ان غرور أي فرد فيها سوف يواجه من قبل عائلة كبيرة تتألف من أفراد كبار وصغار ومن هم في عمره.

٢ ــ ان نساء عائلة كهذه قادرات على العمل خارج المنزل دون ان يصاب أزواجهن وأبناؤهن والأفراد المسنون بضرر. فهناك أفراد بالغون موجودون في المنزل باستمرار يساعدون الأُم أو الزوجة التي تعمل خارج المنزل، وفي مثل هذه العائلة لاتصاب النساء بالتعب والإرهاق نتيجة العمل، ولا يشعرن باقتراف الذنب ذلك ان عملهن لا يعود بالضرر على الزوج أو الأبناء. وفي الحقيقة لايمكن حل المشاكل التي تواجه المجتمع الغربي دون تغيير هيكل العائلة. وبالرغم من ازدياد عدد النساء العاملات، إلاَّ ان افراد الأُسرة الصغيرة (الأب والأُم والأبناء) غير قادرين على تأمين احتياجات العائلة. وبالطبع فانَّ العوائل التي تفقد أحد الوالدين (الأب أو الأُم) فإنَّ مشاكلها تتضاعف عشرات المرات، والضغط الذي تتحمله المرأة في العائلة الصغيرة كبير الى درجة تصاب فيها النساء بأمراض نفسية وجسمية، ويظهر توتر في العلاقات العائلية، وتتزعزع الأواصر الزوجية، مما يؤدي ذلك إلى تفكك العائلة وازدياد حالات الطلاق بشكل كبير وظهور الفوضى. وهذا الأمر زاد من قلق الأطباء والحقوقيين والمختصين في علم النفس والمختصين في دراسة المجتمع، وضاعف من قلق الضحايا أكثر من غيرهم في أمريكا والدول الغربية[٨].

٣ ــ ان العائلة الإسلامية الكبيرة هي ضمان للتربية الصحيحة للأطفال، حيث تجعل منهم أفراداً يحبون غيرهم. ومن الصعوبة في العائلة المحدودة جعل الطفل المعاند فرداً مطيعاً، ولكن الحالة لا تنطبق على عائلة كبيرة، ففي مثل هذه العائلة هناك أفراد بالغون ومسؤولون عن تربية الأطفال، ولهم نفوذ أكبر من

---

٨ ــ في عام ١٩٧٩ سُجلت في الولايات المتحدة الامريكية ٢٣٣١٠٠٠ حالة زواج مقابل ١١٨١٠٠٠ حالة طلاق. كما ان نسبة الطلاق السنوية في أمريكا في تصاعد كبير ومستمر.

أفراد العائلة المحدودة، ويستطيعون بسهولة معالجة عناد وتمرد الأطفال والشباب.

٤ ــ ان العائلة الإسلامية الكبيرة تمنح أعضاءها تنوعاً وشمولاً من الناحية النفسية والإجتماعية، حتى ان الأطفال والكبار يستفيدون بدورهم من هذه الموهبة. ونظراً لكثرة عدد أفراد مثل هذه العائلة، فانَّ علاقة الفرد بغيره هي أقل من غيرها، فكل فرد من العائلة أقل احتياجاً للآخرين من الناحية العاطفية. فاذا حدثت مشاجرة أو وقع اختلاف بين طفلين أوشابين أو كهلين في تلك العائلة، فان نسبة عدم الإرتياح فيما بين المتخاصمين هي أقل من نسبتها في عائلة محدودة. ويعود سبب ذلك لوجود أفراد آخرين في الأسرة يعملون بصورة مستمرة لحل المشاكل. حتى ان العلاقات الزوجية في العائلة الكبيرة تعتبر أكثر متانة وقوة من العائلة المحدودة، فعند ظهور الخلافات بين الزوجين في العائلة المحدودة، لايوجد فرد بالغ غيرهما يعمل على ضمان الإحتياجات المادية والنفسية والإجتماعية والفكرية لكل منهما.

٥ ــ ان العائلة الإسلامية الكبيرة تمنع من ظهور هوة بين الأجيال، فمشكلة الهوة الإجتماعية تظهر حين تنفصل الفئات أو الأجيال المختلفة في العمر عن بعضها البعض، وبذلك يصعب على تلك الفئات أو الأجيال ان تقيم علاقات ودية فيما بينها، لكن في العائلة الإسلامية الكبيرة يعيش ثلاثة أجيال أو أكثر معاً ويتعاملون ويتعاونون فيما بينهم بصورة مستمرة، وهذا ما يجعل الأطفال يحصلون على تجارب مفيدة، ويعدون أنفسهم لحياة اجتماعية صحيحة، كما يجعل الأفراد الكبار يشعرون بالطمأنينة التي هم بأمس الحاجة اليها.

٦ ــ ان وجود العائلة الكبيرة يزيل مشكلة الغربة التي يعاني منها سكان المدن في المجتمعات المعاصرة. كما ان النساء غيرالمتزوجات أو المطلقات أو الأرامل لايعانين في مثل هذه العوائل من المشاكل والصعوبات أبداً كما تعاني أمثالهن من النساء في أمريكا مثلاً. والمجتمعات التي تضم مثل هذه العوائل لاتحتاج الى فتح دور للعجزة أو غيرذلك ، فالإحتياجات النفسية والإجتماعية لكل فرد: رجلاً كان أو امرأة، شاباً كان أو كهلاً، تكون مضمونة.

ان العلاقات الزوجية في المجتمعات الغربية تتداعى يوماً بعد آخر، وتصبح المرأة ضحية لإنفراط عقد الأسرة. ففي حالة طلاق النساء فانَّ امكانية الزواج لهن مرة أُخرى تكون أقل من امكانية الرجل للزواج، إضافة الى ذلك

تترك مسألة الطلاق آثاراً سيئة على المرأة أكثر من الرجل.

٧ ــ في العائلة الكبيرة تكون العناية بالكهول أكبر من عناية العائلة المحدودة لهم. ففي العائلة المحدودة قد تقع مسؤولية المراقبة من الوالدين الكبيرين على أحد الزوجين، وغالباً ما تقع على عاتق الأم التي يجب ان تقوم بمهمة توفير الإحتياجات المادية والعاطفية للكبار علاوة على قيامها بواجباتها نحو سائر افراد العائلة. وفي مثل هذه الحالة تصبح المسؤولية التي تقع على عاتق المرأة صعبة جداً. لكن اذا كانت المرأة تعمل خارج المنزل فإنَّ الأب والأم ــ في اطار الأُسر الصغيرة ــ يرسلان في أكثر الأحيان الى دور العجزة لينتظرا لحظة موتهما، بعكس العائلة الاسلامية الكبيرة التي تخلو من هذه الظاهرة، فبتقسيم الواجبات والمسؤوليات تنعدم مثل هذه الحالة، ويؤدي كل فرد واجباته دون الشعور بأذىً جسمي أو نفسي.

٥ ــ النظام العائلي القائم على أساس قيمومة الأب

والمزية الخامسة للمجتمع القرآني هي ان هذا المجتمع تسود فيه قيمومة الأب. فالمجتمع القرآني يطرح مجتمعاً يُفَوَّضُ فيه دور القيادة واتخاذ القرار النهائي وتحديد شؤون العائلة الى الرجل. وهذا ما يتعارض مع أهداف حركات تحرير المرأة. فكل مجتمع يتألف من مجموعات انسانية، ومؤسسات حكومية، وأحزاب سياسية، وتنظيمات دينية، وشركات تجارية، وعوائل كبيرة وصغيرة لابُدَّ لكل منها ان تكون منظمة وثابتة ومرتبطة فيما بينها لكي تكون نافعة لها ولكافة افراد المجتمع. ولأجل ان تتحقق هذه الصفات الضرورية، فلا بُدَّ من وضع المسؤولية الكلية لكل من هذه الأجهزة والمجموعات على عاتق أحد الأفراد أو إحدى المجموعات.

ولذلك يحق للناس ان يدلوا بآرائهم، كما يمكن للبرلمان تشريع القوانين، ويمكن للشرطة تطبيق القوانين، ولكن التصميمات الأساسية والمهمة تقع على عاتق رئيس الدولة الذي يعتبر مسؤولاً تجاه قراراته. وعلى هذا المنوال فالمصنع يدار من قبل أفراد كثيرين، لكن الجميع لايكونون قادرين بنفس الدرجة على اتخاذ القرارات، كما وان نجاح أو عدم نجاح العمل لايقع على مسؤولية الجميع، بل على أفراد معينين.

وفيما يخص العائلة، فمن اللازم ان تلقى المسؤولية الكلية على عاتق أحد أفرادها. والقرآن الكريم يفوّض هذه المسؤولية الى أكبر فرد ذكر في العائلة، وان معنى الآية ٢٢٨ من سورة البقرة: «**وللرجال عليهنَّ درجة**» والآية ٣٤ من سورة النساء: «**الرجال قوامون على النساء**» هو تسليم القدرة والمسؤولية للرجل. وخلافاً للتفسير الخاطئ الذي يعطيه أعداء القرآن حول هاتين الآيتين فانَّ مفهوم هذه الآيات لايعني أنْ تكون تصرفات الرجال مع النساء تصرفات دكتاتورية تقلل من شأن المرأة. والأفراد الذين يفسّرون آيات القرآن بهذا الشكل الخاطئ يثبتون ــ على أنفسهم ــ بوضوح بأنهم قد اغمضوا أعينهم عن الآيات القرانية التي تؤكد على لزوم احترام المرأة. وفي الحقيقة ان المقصود من هذه الآيات القرآنية هو الوقوف بوجه الإختلافات وعدم اتخاذ القرار في محيط العائلة، وهذا أمر يعود بالفائدة على جميع أعضاء العائلة. والقرآن الكريم يريد أنْ تكون المسؤولية الكلية والنهائية بيد الرجل، إضافة الى ذلك فإنَّ كلمة «قوامون» المذكورة في الآية: «**الرجال قوامون على النساء**» والمتأتية من اسم الفعل «قوام» لا تعني التسلط الإستبدادي، بل تعني نهوض فرد لحماية ومساعدة فرد آخر. واذا كان الباري تعالى يريد ان يبيّن بأنَّ الرجال في المجتمع يجب ان يكونوا متسلطين ومستبدين بالنسبة للنساء، لكان قد استعمل كلمات أُخرى تعني الإستبداد والتسلط غير كلمة «قوامون». ان الإستعمالات الأُخرى لكلمة «قوامون» في القرآن تؤيد بأنَّ هذه الكلمة تشير الى الحماية، ولا تعني السلطة الدكتاتورية، فالآيتان ١٢٧، ١٢٥ من سورة النساء تثبتان هذه الحقيقة. ولذلك فان أي معنىً آخر يعطى الى هذه الآيات، مرفوض لغوياً وعقائدياً.

وحول السبب الذي دعا الى انتخاب الرجل لإدارة شؤون العائلة، يصرّح القرآن الكريم قائلاً:

«الرِّجالُ قوّامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم...»

(النساء/ ٣٤)

ولو تطلعنا الى التاريخ لوجدنا ان القسم الأعظم من مسؤولية تأمين الإحتياجات المالية كان يقع على عاتق الرجل. وبما ان الرجل لايعتبر مناسباً لتربية الأبناء من الناحية الجسمية، فإنَّ الباري قد أودع فيه قوىً جسمية أُخرى

يمكنه بواسطتها ان يؤمن نفقات عائلته. وسواء أقبل الناس أم لم يقبلوا فانَّ هناك فوارق بيولوجية بين المرأة والرجل.

ونظراً للمشاكل التي ظهرت في مجتمعات اليوم، فإنَّ بعض الغربيين يطرحون بعض الأسئلة مثل: من اين يجب ان نطلب العون؟ وماذا يجب ان نفعل ازاء مشكلة تشتت المجتمع؟.

المجتمع الغربي يتلوى الآن تحت سياط مشكلة تفتت وانفراط عقد المجتمع وتشتت شخصية أفراده، وقد حان الوقت لأن نوجد سبيلاً لحل هذه المشكلة.

والذي يجب أن نفعله بصفتنا أفراداً مسلمين، هو بناء مجتمعات قرآنية في جميع انحاء العالم الإسلامي كخطوة أُولى، فبدون إقامة المجتمعات القرآنية لايمكننا ان نجعل علاقات المرأة والرجل منطقية وصحيحة، فمن المحال في المجتمع الغربي وجود علاقات عادلة وأخوية، لكن اذا اقتنعنا بامتلاك مجتمعات إسلامية مزيفة، أي مجتمعات اسلامية في الظاهر، وغيراسلامية في الباطن، فلا نستطيع ان نأمل من ان تقوم أجيالنا القادمة باحترام مجتمعاتنا ومنظماتنا، أو الوفاء لها.

ان التصرفات وحتّىٰ المنظمات التي تطلق زوراً صفة «الإسلامية» على نفسها، إنَّما هي ضد الإسلام، ذلك انها تطلق على أعمالها وعقائدها غيرالإسلامية صفة «الإسلامية»، وهذا التصرف اللا إسلامي يجعل الكثير من المسلمين وغيرالمسلمين يحسبون ذلك على الإسلام، ولا بُدَّ لنا من ان نشرح و نوضح لسائر المسلمين ــ وخاصة الشباب الذين سيصبحون قادة المستقبل ــ أهمية وخلود السنن القرآنية المتعلقة بالمرأة والأُسرة والمجتمع. ورغم تقهقر الأفكار الغربية ــ اليوم ــ إلاَّ اننا نرى ان قسماً من المسلمين قد انخدعوا بتلك الأفكار، فيجب علينا ان نكون يقظين تجاه خطورة نتائج مثل هذه الأفكار والتصرفات الإجتماعية، واذا لم ندرك عواقب هذه الأفكار والتصرفات ولم تقف بوجهها فسوف نواجه مستقبلاً حالكاً كما واجهت ذلك سائر الشعوب. ان اسلامنا يقتضي منا ان لانقتنع بهذه الإجراءات. وباعتبارنا خليفة الله في الأرض، علينا ان نسعى لإنقاذ أفراد البشر.

قال تعالى:

«وإذ قال رَبُّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من

يُفسد فيها ويسفك ُ الدماء ونحن نُسبِّح بحمدك ونقدِّس لك ، قال إنّي أعلم مالا تعلمون».

(البقرة/ ٣٠)

ان الباري تعالى أمرنا بنشر تعاليمه والتبليغ لها، ولذلك يجب علينا ان نسعى لتعليم الآخرين ما تعلمناه من الأُمور المفيدة. وقد حان الوقت للإسلام والمسلمين لتوضيح سُبل حل مشاكل المجتمعات الراهنة، كما يجب أن لايقتصر ذلك على المسلمين فقط، بل يجب ان يشمل غيرالمسلمين أيضاً، وهذا الأمر لابُدَّ ان يتم عن طريق بيان نموذج حي للمجتمع القرآني الواقعي الذي تعتبر فيه مسألة المرأة والرجل أمراً منحلاً، وبالإضافة الى ذلك فانَّ على علمائنا أنْ يعملوا على توعية المسلمين وغيرالمسلمين وعليهم (من خلال نشرهم البحوث والمقالات) ان يبينوا لهم التعاليم الإسلامية الأصيلة وسبل حل المشاكل طبقاً للرؤية القرآنية. وهذا أفضل سبيل لإطاعة الله وخدمة البشرية، وليست هناك دعوة أفضل من مَدِّ يَدِ العون الى ضحايا مجتمعات اليوم لانقاذهم من المستنقع الذي يعيشون فيه.

مفهوم الامامة والخلافة
في القرآن

الدكتور صلاح الدين آش / تركيا

بسم الله الرحمن الرحيم

اننا اجتمعنا هنا اليوم بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية التي حقّقت انتصارات عظيمة... وكم هي رائعة وقيّمة هذه المراسم، إذ انها وبدلاً من أنْ تقام على أُسس فارغة، فانها تتضمن مؤتمراً نستطيع من خلاله اجراء دراسة جدّية حول القضايا المتعلقة بالمسلمين، وأيضاً حول المشاكل والصعاب التي تواجهنا.

ان الثورة الإسلامية الإيرانية تعتبر النهضة الإسلامية الوحيدة خلال القرون الأخيرة، حيث انها ومنذ انطلاقتها ولليوم تواصل الأهداف التي رسمتها لنفسها دون أن تنحرف عنها قط، وانها تحقق ــ كل يوم ــ في هذا الطريق مكاسب جديدة، وان شاء الله ستقوم بمواصلة هذا الطريق.

وطبيعي ان هذه النتائج لم تتحقق سوى نتيجة لمساعي ومحاولات وكفاح حزب الله في ظل القيادة الحكيمة للإمام الخميني التي تنشأ من العلم والعرفان.

نسأل الله وندعوه ان يطيل عمر الإمام الخميني، ويحقق الكمال للمسلمين عن طريق الشهادة؛ كما ونسأله ان يتلطف بعنايته ورحمته الواسعة على جميع الشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل رفع راية التوحيد خفّاقة، وخاصة آلاف الشهداء الذين قاموا مثل مسلمي ايران بدك عروش طواغيت شمال افريقيا، أي نظامي تونس والمغرب.

ان الثورة الإسلامية استخرجت المفاهيم والإصطلاحات والأُصول

الإسلامية من بين صفحات الكتب، وقامت وتقوم بتطبيقها ... المفاهيم والملاكات الشرعية التي لم تقم منذ عدة قرون حركة جديدة لتطبيقها، ولكنها، أي تلك المفاهيم والملاكات الشرعية تطبَّق اليوم في ايران الإسلام.

ومن هنا فانَّ أخاً لكم من أتباع المذهب السني يريد ان يتطرق الى مفهوم من هذه المفاهيم، يلزم خوض البحث فيه من جديد، الا انه ومع بالغ الأسف فانَّ الحوادث التي وقعت في العالم الإسلامي خلال القرون المنصرمة، وكذلك بعض المشاكل الراهنة، منعت من طرحها بين المسلمين بشكل جدي. وهذا المفهوم عبارة عن مفهوم وأصل الإمامة أو الخلافة في القرآن الكريم، الذي اذا طُبِّق من قبل المسلمين، استطاع ان يلعب دوراً كبيراً في تحقيق الوحدة بينهم. وأكرر مرة أُخرى وأقول انه مع الأسف ان هذا المفهوم لم يطرح لليوم بشكل صحيح بين المسلمين.

وقبل كل شيء أرى من الضرورة بمكان أنْ أقول بانني لا أعتزم اعطاء تحليل حول مفهوم الخلافة والإمامة المتكرر كثيراً في القرآن الكريم، إذ ان ما اريد القيام به هو الإجابة على التساؤلات الأساسية التي تشغل أذهان الكثير من المسلمين، حيث ان إحياء هذه المفاهيم الإسلامية الأصيلة يستلزم الإجابة على تلك التساؤلات.

نحن نعلم بأنَّ تقسيم المسلمين الى شيعة وسنة، يعود في الأصل الى تفاوت وجهات النظر بين الطرفين حول أصل الإمامة والخلافة. ورغم انه لايمكن القول بأنَّ المذهبين السني والشيعي لا يختلفان حول أصل الإعتقاد بالإمامة والخلافة ــ إذ ان الطرفين يؤمنان شرعاً وعقلاً بوجود الإمامة والخلافة ــ الا ان الخلاف يدور حول ظهور وصلاحيات إمام ما.

أنا لا أرى ضرورة لطرح الخلاف القائم حول الخلفاء الراشدين، حيث ان المسلمين السنَّةَ يعتقدون بأنَّ الإمامة تتحقق بالإنتخابات، غير ان الشيعة يعتقدون بانها تتحقق بالتنصيب. فأتباع المذهب السني يعتقدون بأنَّ الشخص الذي يدير زمام الأُمور من بعد الرسول الأكرم(ص) يجب ان يُعيَّن من قبل أهل الحل والعقد الذين ينتخبون من بين المسلمين المعروفين، على ان تتبعه الأُمة الإسلامية، في حين يعتقد أتباع المذهب الشيعي انه مثلما يبعث الله أنبياء الى البشر فانه يقوم بتنصيب الأئمة ... وهذا الأمر إنَّما هو مواصلة للنبوة بنظر هؤلاء

الاخوة.

والإمامة هي حق، يتحقق وفق وعد الهي، غيران الظالمين لايستطيعون تحقيق هذا المقام. ويمكن في هذا الخصوص مراجعة الآيات الواردة في سورة البقرة، والقصص، وهود، والأنبياء، وآيات كثيرة أُخرى.

ومثلما قيل مسبقاً فانَّ الطرفين يتفقان شرعاً وعقلاً حول ضرورة وجود إمام. لكن وحينما نلقي نظرة على الأحداث التي وقعت في التاريخ وخاصة بعد ثورة الإمام الحسين(ع) في كربلاء، نرى ان الأعداء كانوا يزعمون بأنَّ الشيعة فشلت امامتهم وخلافتهم في التاريخ بعد تلك الثورة، وبالمقابل انتصرت الخلافة التي يؤمن بها السنة. هكذا كانوا يخدعون الناس.

لكن وبعد الخلفاء الراشدين (رغم اننا فضَّلنا عدم خوض أي بحث حولهم في الوقت الحاضر) بل وقبل حادثة كربلاء، فانَّ الإمامة والخلافة التي وجدت من خلال الخروج على الخليفة الذي اتفقت الأُمة الإسلامية جميعاً حول خلافته وامامته، أي الإمام علي(ع)، كانت في الحقيقة (إمامة ظالمة). ومنذ ذلك الحين بدأت الإمامة الظالمة، وهذا ما يؤكده الحديث النبوي الشريف الذي ورد في كتب أهل السنة، اذ جاء في ذلك الحديث عن الرسول الأكرم(ص): «ان الإمامة من بعدي ستدوم ثلاثين عاماً، ثم يحل الظلم بعدها»[1].

اننا نواجه قضية عجيبة، ألا وهي ان أهل الحل والعقد الذين كانوا مطروحين في عهد الخلفاء الراشدين، عادوا اليوم منسيين، بل وان السيف قد حلَّ محل أهل الحل والعقد، كما وان التشاوريتم تبريره بقوة السيف، والسيف أصبح هو الذي يُعيِّن الخليفة. وبالمقابل ليست لدى الأُمة حيلة سوى التحرك نحو الجهة التي يرسمها لها السيف... وليست هناك بعد اليوم أية شروط للخليفة، حتى ان الخليفة يمكن ان يكون مقلداً من الناحية العلمية.

ان استسلام العلماء أمام سيوف الحُكَّام بدأ يُفسَّر بمثابة الإجماع على انتخاب الخليفة... فلقد كان الخليفة في السابق يُنتخب من قبل الأُمة، إلاَّ ان السكوت أمام حكام الجور الذين تتقطر الدماء من سيوفهم، أصبح اليوم يعتبر نوعاً من الإنتخاب.

ولذلك فانَّ بعض العلماء حين كان يُزاح الخليفة الذي كانوا قد بايعوه، فانهم كانوا يبايعون الطرف الثاني، ويعتبرونه شرعياً، الى درجة ان حكام الجور

لكي يواصلوا ظلمهم وجورهم كانوا يستخدمون بعض العلماء لاعطاء حكمهم صبغة شرعية. فهؤلاء بدل أن يكونوا ورثة الانبياء، كانوا يسيرون نحو الجهة التي تعينها السيوف لهم، ويذلّون أنفسهم... وهذا الوضع دام لعدة قرون، حتى ان أحد العلماء الذين كانوا يعيشون في عهد السلاطين العثمانيين، وأعدم على يد فرعون عصرنا الكبير، أي أتاتورك ... ذلك العالم الذي كان يدعى «عاطف أفندي»، كان قد قال في جواب له على سؤال يدور حول شرعية أو عدم شرعية الخلفاء العثمانيين: «**ان الخلفاء العثمانيين هم أشبه بالخلفاء العباسيين والأمويين**».

ولذا نرى ان العلماء كانوا يمتنعون على الدوام عن اظهار الحقيقة... مما ظهر خلال القرون المنصرمة الكثير من الأشخاص الذين ادّعوا الخلافة الإسلامية وواصلوا ظلمهم وجورهم بحق الأمة الإسلامية، أي ان ما كان يؤمن به السنة والشيعة حول الإمامة والخلافة خلال القرون الماضية ظل موجوداً في صفحات الكتب، وان الذين يحكمون البلاد الإسلامية منذ وقت طويل هم ظلمة ومعادون للدين.

ان الدين والعلماء، تبدلوا الى مصنع ينتج الفتاوى وفقاً لأهواء الحكام، وحتى ان بعض الأشخاص بدأوا يدّعون بأنَّ الله بعث النبي لسد الحاجات الدينية للناس، وبعث الملوك والسلاطين لادراة الشؤون السياسية... وبعض الاشخاص أمثال «البرفيسور محمد حميدالله» قال ما معناه: «**ان القرآن يؤكد على بعث الأنبياء لاجراء شؤون الدين، والملوك لاجراء الشؤون السياسية**».

وبالمقابل فانَّ بعض العلماء والمتدينين من الذين كانوا يرفضون الإستسلام أمام السيوف، لجأوا الى التصوف، مما أدى عملهم ذلك الى تقوية اسس الأنظمة والحكومات الجائرة، اذ ان جموع الناس التي كانت لا تستطيع اللجوء الى التصوف، تأسّرت بين السيوف والحراب المادية للسلاطين، والسيوف المعنوية للمتصوفين.

والآية «٦٠» من سورة النساء تدعو المؤمنين لعدم اللجوء الى الطواغيت في حل مشاكلهم: «**يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا ان يكفروا به**» بل الجهاد ضدهم والقضاء عليهم. لكن بعض من يسمون أنفسهم بالعلماء تجاهلوا هذه الآية، متخذين الآية التي تسبق الآية المذكورة والتي تدعو لإطاعة اولي الأمر دليلاً

لادعاءاتهم الواهية، وبذلك كانوا يدعون لاطاعة أوامر حكام الجور «**يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم**» وتجاهلوا الأحكام الإسلامية التي تنص على ان ولي الأمر يجب ان يكون عالماً، وان العلماء هم ورثة الأنبياء.

ان الدين الإسلامي يهدف للقضاء على الفتنة، ولكننا نرى المسلمين يستسلمون منذ قرون أمام مصادر الفتنة... والمسلمون ينشدون طريقاً للنجاة، لكنهم حين يلجؤون الى العلماء الذين عليهم ان يقودوهم، يرون ان هؤلاء قد استسلموا للطواغيت في اكثر أنحاء البلاد الإسلامية.

وبعض المسلمين حين يراجعون المصادر ليعوا كيفية مواجهة الظالمين، وماهي الموازين والمعايير المتوفرة في هذا المجال، يجدون مصادر كبيرة أمامهم وجدت لحفظ ما يسمّى بحقوق السلاطين. وحين يبحثون عن أهل الحل والعقد في مثل هذه المصادر يشاهدون ان أهل الحل والعقد في تلك المصادر انما هم اشخاص يعينهم حكام الجور... وفي هذا المجال يمكن مراجعة كتاب «الأحكام السلطانية» و«تفسير المنار» لرشيد رضا.

وبعض هؤلاء العلماء يستدلون على ضوء حديث ورد في أحد الكتب، انه طالما لم يأمر أمير أوحاكم ما بالمعصية، فإنّ اطاعته تكون لازمة. انهم يستدلون لاطاعة حكام الجور، في حين ينسون أنّ اطاعة صاحب المعصية، إنّما هي معصية كبيرة. ولكي لا يرتكب الإنسان معصية، عليه ان ينتخب ولي أمره وفق موازين شرعية.

والمسلمون ــ اليوم ــ يتساءلون، ألا يوجد في العالم الإسلامي قائد يستطيع ان يكون خليفة وإماماً لجميع المسلمين بعيداً عن سلبيات ما يسمّى بالخلفاء السابقين؟.

ألا نعلم بأنّ الحديث الشريف يقول بصراحة تامة: «**من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية**»؟

المسلمون يريدون ان يعرفوا انه اذا كانت هناك في العالم الإسلامي حكومة اسلامية، فانّ الحكومة الإسلامية لا تتحقق إلاّ بوجود إمام حق. إذن ومما لاشك فيه انه يوجد إمام حق، ومن المسلّم به انه يتوجب على كافة المسلمين ان ينضووا تحت لواء الإسلام وبقيادة إمام حق للوقوف بوجه الكفر العالمي، لا ان يتشتتوا. ونداء المسلمين المجاهدين لكل مسلمي العالم هو: «**تعالوا لنتحد معاً ونقف**

بوجه الكفر العالمي، ولا نشتت صفوفنا».

والسؤال المطروح هو: ترى ما هو موقف السنة من هذه الدعوة؟.

وهذا السؤال حين يطرح على بعض العلماء، فانهم ومع الأسف لايستطيعون الإجابة عليه بشكل صحيح وذلك نتيجة لتأثرهم بالثقافات والأفكار الطاغوتية السائدة منذ قرون.

وفي هذه الأثناء فانَّ الأشخاص الذين يقال عنهم انهم أئمة معنويون للناس، وأقصد بذلك شيوخ التصوف يعلنون بأنَّ الطريق الذي انتخبوه لأنفسهم هو أفضل طريق للنجاة، في حين ان الجبابرة الذين يديرون أُمور الناس بالقوة يحذِّرون الناس من مغبة مخالفة أوامرهم مدَّعين بأنهم أُولوا الأمر وان الخروج عليهم إنَّما هو خروج على الرسول الأكرم(ص).

ومن هنا نرى بان الحركات الإسلامية الأصيلة تنحرف بدورها على أيدي وعاظ السلاطين هؤلاء.

انني أكرر مرة أُخرى وأقول انه ليس هناك أي خلاف بين الشيعة والسنة حول أصل مسألة الإمامة وضرورة توفرها... فلوكنا نؤمن بوجود حكومة إسلامية، كان علينا ان نقبل بانه يوجد لدينا إمام، ولايجوز ان يكون هناك الى جانبه إمام آخر.

لذلك يجب على المسلمين ان يعلنوا عن مواقفهم بشكل واضح، و إلاَّ فاننا مهما ادعينا، وطالما لم نتحد نحن المسلمين بنفوسنا البالغة مليار مسلم في ظل قيادة إمام واحد، فاننا سنكون كقطيع من الغنم يفتقر الى راعٍ.

يجب علينا ان نعلم بأنَّ الحكومة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم ــ وان كانت تبدو صغيرة في الظاهر ــ استطاعت ان تتغلب على جميع القوى الكبرى آنذاك ، إلاَّ ان المسلمين اليوم يعيشون حالة من الفوضى الفكرية في مجال فهم الإسلام والإصطلاحات الإسلامية وكأنَّ الجميع يريدون ان يبرروا ويفسِّروا الإسلام حسب ما تشتهي أنفسهم.

ولكي نستطيع ان نصون أنفسنا من هذا الخطأ والخطر الكبير وهو ان يقوم كل شخص بتحديد طريق خاص له، ولكي نتقذ الإسلام، ونعمل على توحيد الأُمة الإسلامية، فانَّ المسألة المهمة والأساسية التي يجب ان نأخذها بنظر الإعتبار، تتمثل بمسألة الإمامة.

نحن نحمل على عواتقنا مسؤولية كبيرة وهي ان لانسمح بتكرر الأخطاء السابقة، لكي لايصبح الظالمون خلفاءَ وأئمةً لنا. ويجب علينا نحن المسلمين شيعة وسنة ان ننضوي ضمن المحافظة على مذاهبنا وعدم ايجاد التفرقة بيننا تحت لواء إمام وننتفض يداً واحدة ضد الكفر العالمي. وعلى المسلمين جميعاً ان يسعوا بجدية في هذا المجال.

نحن مكلّفون باحباط كافة المؤامرات التي تحاك لهذا الغرض من مثل ان الخليفة أو الإمام يجب ان يكون من البلد الفلاني أو العنصر الفلاني، أو امثالهما، التي تعتبر تافهة من الناحية الشرعية.

وعلى الأقل يجب ان يعلن المسلمون موقفهم بهذا الصدد سواء أكان ايجابياً أو سلبياً، ويجب ان لانسمح بأنْ تكون العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية مقبولة في الظاهر، ومرفوضة في الباطن، لأنَّ هذا الوضع إنَّما هو نوع من الرياء، لا تتحقق معه الوحدة الحقيقية مطلقاً.

وبهذا الصدد نرى ان قائد الثورة الإسلامية وبقية المسؤولين الايرانيين، يدعون الى الوحدة دائماً، وانني على يقين من انهم صادقون في دعوتهم هذه. انني وباعتباري أخاً لكم من المسلمين السنة، أتوقع مع آلاف الأشخاص الآخرين، ان يستجيب علماء السنة الحقيقيون لهذا النداء. واذا كانوا يعارضونه فانني آمل ان تكون معارضتهم وفق دلائل شرعية.

واذا كنا اليوم نشاهد المجتمع الايراني المسلم يستطيع ان يتحدى لوحده الكفر العالمي ويدافع عن الإسلام بقيادة إمامه الذي تتوفر فيه شروط الإمامة، فهذا يكفي لأنْ نقيّم وندرس القوة العظيمة التي يستطيع العالم الإسلامي ان يمتلكها فيما لوقام بالقضاء على الأنظمة الطاغوتية. والسلام على المجاهدين في سبيل الله ■

مفهوم الصلح فى القرآن الكريم

السيد قلب الدين حكمتيار
افغانستان

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسعدني أنْ أنتهز هذه الفرصة لأرفع نيابةً عن الشعب الأفغاني المؤمن والمضحّي في سبيل الله أسمى التهاني والتبريكات الى سماحة الإمامة الجليل القدر، والى عامة الشعب الايراني المجاهد بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران.

أسأل الله أن ينصر هذا الشعب العزيز، ليتمكّن من تطبيق التعاليم الإسلامية في جميع المجالات. كما وأتمنى للشعب الأفغاني المنتفض والصامد الذي يواصل منذ خمسة أعوام جهاده ضد الإتحاد السوفيتي المعتدي، وقدّم خلال تلك المدة مليون شهيد وأربعة ملايين ونصف مهجّر، أن يحرر بلاده بعون الله ويقيم نظاماً إسلامياً حقيقياً.

ان من القضايا التي تواجهها الحركات الإسلامية في هذه المرحلة الحساسة من التاريخ، والتي تحتاج الى دراسة معمّقة، هي قضية تحديد الشروط والمراحل للحركات الإسلامية لإيقاف نشاطاتها المسلحة، وحل قضاياها مع العدو عن طريق المباحثات.

ان الحركات الإسلامية المسلحة، سواء التي لجأت الى السلاح لتحقيق النصر للإسلام، أو التي فرضت عليها حرب مسلحة، عليها ان تعي ما هو موقف الإسلام من مسألة إيقاف الحرب، واقامة الصلح والتفاهم ؟ وعندما يدعونه الى الصلح والتفاهم، ويجبرونه للجلوس الى طاولة الحوار مع العدو، فبأي استدلال

محكم وواضح يؤكد على موقفه الإسلامي، وكيف يتجنب السقوط في وادي المساومة؟

فهل ان الإسلام وضّح لقيادات الحركات الراهنة كيفية تحديد وتشخيص مثل هذه المرحلة وشروط اقامة الصلح عن طريق اجراء المباحثات مع العدو؟ أم انه حدّد الخطوط العامة لمثل هذه القضية؟

وهل يسمح الإسلام بالصلح بأي نحو كان؟ أم ان الصلح لايقام إلاّ اذا انتهى لصالح الإسلام بحيث لايؤدي الى اذلال المسلمين وتقوية الأعداء؟

أي صلح يكون مرادفاً للمساومة القذرة؟ ومتى يؤدي الصلح الى اذلال واهانة الحركات الإسلامية، ويكون مرفوضاً؟

هذه الاسئلة وعشرات الاسئلة الأُخرى تطرح نفسها ــ اليوم ــ بإلحاح، وهي تتطلب منّا إجابات واضحة.

ولتحديد الخطوط العامة في هذا المجال، يلزم اجراء دراسة للمراحل الإبتدائية للنهضة في عصر صدر الإسلام، وذلك من خلال اللجوء الى القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ان المؤيدين للحلول السياسية والحلول السلمية يدّعون أحياناً بأنَّ الإسلام يوافق على مسألة التفاهم والتباحث مع العدو، ويؤيد الصلح، ويكره الحرب ويرفضه، ويجب التفاهم مع العدو والتباحث معه لإقامة الصلح حال ابداء استعداده لذلك، مستندين في ادعاءاتهم الى الآية الشريفة التي تصرح: «**وإنْ جَنحوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لها وتوكّل على الله...**» كما وانهم يستندون الى آية أُخرى تتحدث عن الصلح الذي أقدم عليه الرسول الأكرم (ص) والمعروف بصلح الحديبية، وكأنَّ الإسلام يسمح بالصلح وفقاً لشروط الأعداء!

انني ساحاول خلال هذه الفرصة أنْ أقوم بدراسة حول الصلح الإسلامي، وأحكام الصلح والحرب، والروايات التاريخية المتوفرة لدينا في هذا المجال منذ صدر الإسلام ولليوم.

توجد في القرآن الكريم آيتان، تتعلق إحداهما بالمرحلة الأُولى للمدينة، وتتعلق الأُخرى بالمرحلة الأخيرة من حياة الرسول (ص). فالآية الأُولى تنهى وبشدة عن الدعوة الى الصلح، بينما الأُخرى تأمر بالتصالح مع العدو فيما لو اظهر استعداده للصلح. وهاتان الآيتان تتعلقان بمرحلتين من الحركة. فالأشخاص

الذين يدرسون ظاهر الأوضاع وبعقول غير سليمة، يرتكبون الأخطاء على الدوام، لأنهم يشاهدون حُكمين متباينين ازاء مسألة معينة، أو انهم يأخذون إحدى الآيتين بنظر الإعتبار تاركين الآية الأُخرى جانباً، متصورين احداهما ناسخة والأُخرى منسوخة، أو انهم يتخلصون من المشكلة من خلال الإتيان ببعض التبريرات، في حين انه يجب النظر في الأحكام المذكورة وفق مجالاتها التاريخية وشروطها، ومعرفة أوجه التشابه والإختلاف بينها.

يقول القرآن الكريم: «**فلا تَهِنوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتُم الأعلَوْنَ واللّهُ معكم، ولن يَتِرَكُمْ أعمالكُمْ**».

ونفهم من الآية الشريفة جملة من المسائل الأساسية؛

أولها: ان هذا الحكم يتعلق بالمرحلة التي كانت فيها الحركة تشعر بالضعف، إذْ ان الآية توصي المسلمين بعدم التخاذل أمام العدو والإستسلام له رغم تفوقه عليهم من الناحيتين العسكرية والسياسية.

وثانيها: ان المسلمين يجب ان لايساوموا العدو بهدف إبعاد المخاطر عن أنفسهم، إذ ان أي صلح في حالة الضعف إنّما يرادف المساومة، ولأنَّ التصالح مع العدو القوي إنّما يقوم بضمان قوة العدو وتوجيه ضربة الى الحركة.

وثالثها: ان الحركة الإسلامية مكلّفة بعدم التصالح والمساومة مع العدو اذا كان متفوقاً عليها من الناحية العسكرية، وعليها ان لا تسمح بأنْ يشعر أفرادها بالذل والهوان أمام العدو... حيث يجب عليها من خلال الإتكاء على الايمان أن تؤكد لأعضائها بأن فيمهم الفكرية والأخلاقية تفوق قيم العدو، كما ويجب عليها أيضاً ان لا تعترف بالعدو مطلقاً إستناداً الى القرآن الذي يقول: «**وانتم الأعلون**».

ورابعها: نستنبط من جملة «**الله معكم**» في الآية الشريفة بأنَّ الحركة تمر بمرحلة تشعر معها بضرورة التعويض عن شعورها بالوحدة، لأنها محاصرة وتفتقر الى الدعم. حيث ان الجميع يقفون بوجه الحركة الإسلامية، لكنَّ الباري سبحانه وتعالى يوصي المؤمنين والأوفياء للحركة الذين يعانون من المشاكل، بعدم الشعور بالوحدة، مؤكداً لهم بانه سبحانه يقف الى جانبهم، وان الشعور بالوحدة يجب ان لايؤدي بالحركة للتساوم مع العدو، وانقاذ نفسها بهذه الوسيلة.

وخامسها: وفي آخر الآية يوصي جلَّ وعلا المؤمنين بالإتكال على سلاح الإيمان لئلا تذهب محاولاتهم هباء وتبقى دون نتيجة، لأنَّ تحقق نتائج الأعمال

لايتوقف على الظروف التي تواجهها الحركة، ولأنَّ الظروف العسيرة لاتمنع الإيمان من اعطاء ثماره.

ان حياة الرسول الأكرم(ص) لهي أكبر دليل على هذا الأمر، فقبل ان يهاجر(ص) من مكة، طلبوا منه ان يقبل بالصلح، لكنه رفض ذلك الطلب.

وفي المرحلة التي كانت فيها الحركة غير مكتملة، وضعيفة من الناحيتين السياسية والعسكرية قياساً الى العدو، فإنَّ القرآن الكريم أوصى المؤمنين بعدم المساومة مع العدو أو الشعور بالذل والهوان أمامه. يقول جلَّ شأنه: «**ولا تَهِنوا ولا تحزنوا وأنتُمُ الأعلَوْنَ إنْ كُنتم مُؤمنينَ**».

وهذا الأمر صدر في مرحلة وقعت فيها معركة أُحد التي فرَّ منها عدد من أصحاب الرسول الأكرم(ص) واستشهد خلالها ما يقرب من سبعين شخصاً من الصحابة.

وحول كفاح عباد الله على مرِّ التاريخ، يقول الباري سبحانه وتعالى: **وكأيِّنْ من نَبيّ قاتلَ معه رِبيُّونَ كَثيرٌ فما وَهنُوا لِما أصابَهُمْ في سَبيلِ الله وما ضَعفوا وما استكانوا، والله يُحِبُّ الصابرينَ**».

والقرآن الكريم ينهى المؤمنين في هذه الآية عن الإستكانة والشعور بالذل والضعف والهوان، و يدعوهم للتحلي بالصبر، مؤكداً بأنَّ العاملين في سبيل الله يجب ان يتحلوا بهذه الصفة.

كما و يشير القرآن العظيم الى مسألة رغبة الأعداء في المساومة، ويحذِّر الرسول الأكرم(ص) من الإستجابة لهذه الرغبة. يقول القرآن الكريم بهذا الصدد: «**فَلا تُطِعِ المُكذِّبينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنونَ**».

ونفهم من هذه الآية وسائر الآيات الأُخرى التي تشير الى المرحلة التي كانت الحركة ضعيفة فيها، بأنَّ القرآن الكريم يدعو المؤمنين للصمود والمقاومة والوقوف بعزم بوجه العدو وعدم المساومة أو التساهل معه، إذْ ان المساومة في مرحلة الضعف وفي الظروف التي يكون العدو فيها قوياً، تجرد الحركة من إمكانية المحافظة على كيانها ووجودها.

والإسلام العزيز لن يسمح مطلقاً لأتباعه المؤمنين بالإعتراف بالعدو، والخضوع له، والتفاهم معه، لأنَّه أي الاسلام لايستطيع تحمل الذل، كما وان المسلم لا يستسلم للذل في أي ظرف كان. يقول سبحانه وتعالى: «**ولله العزَّةُ**

ولرسوله وللمؤمنين...»

وفي غزوة الأحزاب التي أعلن فيها اليهود والمشركون والفئات العربية الأخرى حرباً على المسلمين، وشكّلوا جيشاً، وهاجموا المدينة، قام المسلمون بإحداث خندق حول المدينة لايقاف زحف العدو. وعن حالة اليأس التي سيطرت على المسلمين في تلك الحادثة يتحدث القرآن وكأنّ قلوب المسلمين قد وصلت الى حناجرهم نتيجة الإضطراب واليأس، اما يهود المدينة فقد اتفقوا مع العدو وتجاهلوا وعودهم في مجال الدفاع المشترك. وكان الرسول الأكرم (ص) يسعى لإرضاء هذا العدو الداخلي بشكل من الأشكال، ومنعه من التعامل مع العدو الخارجي. فتحدث مع سعد رضي الله عنه حول منح يهود المدينة محصول التمر لمدة عام. فقال سعد رضي الله عنه للرسول الأكرم: «**يا رسول الله هل أصدرت أمرك طبقاً للوحي أم رأيت الخير في هذا الأمر؟**» فقال له الرسول الأكرم: «**كلا، هذا ليس وحياً، لكنني رأيت المصلحة في هذا الأمر**»، فقال له سعد: «**يا رسول الله، قسماً بالله اننا لم ندفع الجزية في زمن الجاهلية لأي شخص. واليوم منحنا الله العزة، فكيف نسمح لأنفسنا باعطاء الجزية**» وبذلك انصرف الرسول الأكرم عن ذلك الإفتراح.

ان موضوع الصلح قد طرح في وقت لم تسفر جميع المصائب ومحاولات العدو في مجال القضاء على الحركة عن أية نتيجة، فالهجمات والحملات لم تعط ثمارها. وحين وصل الحال بالمدينة الى ان تحقق استقلالها وتتمكّن من الدفاع عن نفسها، وأثبتت طوال عدة سنوات بأنها قادرة للدفاع عن نفسها، والتصدي للهجمات، والمحافظة على وجودها، شعر العدو باليأس من مواصلة هجماته، كما وحان الوقت لتخرج الحركة من حالة الدفاع الى حالة الهجوم. وبذلك بدأ العدو يدافع عن نفسه هذه المرة لعدم تمكنه من الهجوم، وحققت الحركة تفوقاً من الناحية العسكرية، فبدأ العدو يشعر بالضعف والعجز أمام المسلمين، فما كان منه إلاّ ان يدعو الى الصلح.

ولذلك نرى بأنّ هذا الصلح لم يتحقق في المدينة وعند ما كان العدو في موقع الهجوم ومتفوقاً على المسلمين من الناحية العسكرية، حتى انه لم يتحقق في معركة بدر، أو أُحد، او الخندق، بل تحقق في الحديبية، بعد أن وصل المسلمون الى مرحلة من القوة عزموا فيها للحصول على حقهم في الطواف حول الكعبة، حيث

ساروا نحو مكة وتقدموا الى الأمام الى ان وصلوا منطقة الحديبية، وهناك تحقق الصلح.

ان بعض الأشخاص الذين يجهلون الإسلام، ولا يفهمون من التاريخ الإسلامي شيئاً، وتتحكم بهم عواطفهم، يتصورون بأنَّ معاهدة الحديبية إنَّما تعني قبول شروط العدو، ومثل هذا الصلح يعتبر عاراً، في حين ان القرآن يعتبر ذلك الصلح فتحاً مبيناً، حيث يقول: «**إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً...**»

وفي الواقع ان صلح الحديبية، جاء لصالح الإسلام، حيث تمَّ الإعتراف رسمياً بالمدينة على انها بلد مستقل له نظامه الخاص. والمسلمون الذين كانوا للأمس محرومين من الطواف حول الكعبة، أصبح لهم طبقاً لتلك المعاهدة الحق في الطواف حول الكعبة، وصارت لهم دولة خاصة بدين منفصل عن الأديان الأُخرى، حتى ان القريشيين أعلنوا موافقتهم على دخول المسلمين مكة بعد عام من الإتفاقية، على ان تكون سيوفهم في اغمدتها، وتخرج قريش من مكة لمدة شهر واحد، ولا تحارب المسلمين لمدة عشرة أعوام.

والنتيجة العملية لهذه الإتفاقية التي أدت الى فتح مكة، قد تجلَّت بعد مرور عام واحد على تلك الإتفاقية. ونفهم من الآية المباركة بانَّ الدعوة الى الصلح والرغبة فيه، قد بدأتا من جانب العدو، و إنْ دلتا على شيء فانما تدلان على ضعف العدو.

إنَّ صلح الحديبية إنَّما يعني انهزام قوات الكفر من ساحات القتال، واتخاذ سياسة دفاعية نتيجة لضغوط المسلمين بعد ان كانت هي التي تشن الهجمات على المسلمين وبالتالي تقديم اقتراح بشأن الصلح نتيجة لضعفها وتخاذلها، وموافقتها على استقبال المسلمين في مكة شريطة ان لايشهروا السيوف عند مجيئهم اليها.

وحول الأهداف الاستراتيجية ونهايتها يقول القرآن الكريم بصراحة تامة: «**فإذا لقيتُم الذين كفروا فَضَربَ الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمَّا مَنَّاً بَعْدُ وإمَّا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها**».

هذه الآية الشريفة توضِّح جملة من المسائل المهمة والأساسية الخاصة باستراتيجية الحرب في الإسلام، وهي:

١ ــ اذا دُعي المسلمون للجهاد ضد أعداء الإسلام الذين حملوا

السلاح، فإنَّ الوظيفة الأُولى الملقاة على عاتقهم تتمثل بضرب الرقاب.

٢ ــ اذا فكَّر المسلمون بأسر الكفار وأعداء الإسلام، عليهم في المرحلة الأولى ان يقضوا عليهم، ومن ثم السعي للقبض على أسرى الحرب.

٣ ــ ان الهدف من اللجوء الى الحرب هو انهاء الحرب، حيث من واجب المؤمنين أنْ يحاربوا لإنهاء الحرب. وبهذا الصدد يقول القرآن الكريم: «**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كلُّه لله**».

و يتفق أكثر العلماء والمحققين على ان الفتنة إنَّما تعني غلبة جبهة الكفر والشرك. ولذلك يأمر القرآن الكريم المؤمنين بالقتال، حيث يقول: «**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...**» وذلك لإنهاء الحرب وسلب العدو قدرته «**... حتى تضع الحرب أوزارها**».

ان الحركة الإسلامية في افغانستان كانت هي الأُخرى تواجه مثل هذه الحالة، حيث ان الروس لكي يخدعوا العالم، و يوقفوا جهاد شعبنا المسلم، تقدَّموا باقتراحات تقضي بإقامة الصلح، في حين انهم يرسلون في كل يوم قوات جديدة الى افغانستان.

واليوم يبلغ عدد القوات الروسية في افغانستان ٢٠٠/٠٠٠ جندي مسلح يعملون ليلاً ونهاراً لتقوية مواقعهم، وان الطائرات الروسية مازالت تواصل قصفها للمدن والقرى، واستشهد لحد الآن مليون شخص افغاني، وقد هاجر أربعة ملايين ونصف المليون من أبناء وطننا الى باكستان وايران، وليست هناك أية مؤشرات تؤكد على ان الروس مستعدون للإنسحاب من افغانستان، لكنهم (أي الروس) وبهدف خدع العالم يعلنون باستمرار استعدادهم لايجاد حل سلمي للقضية الأفغانية.

اننا سنواصل جهادنا مستلهمين من القرآن الكريم والخط الإسلامي الذي انتخبناه لأنفسنا، ونعتقد بأنَّ الجهاد هو الحل الكفيل لإنهاء هذه القضية، واذا لم ترتفع راية الإسلام خفَّاقة في ربوع أفغانستان المجاهدة التي دمَّرها المعتدون الروس، فاننا سوف لن نلقي السلاح على الأرض.

ان الروس لم يستطيعوا خلال السنوات الماضية من احتلالهم لبلدنا الإسلامي ان يقضوا على الحركة الإسلامية، رغم أساليب القمع والإرهاب والقتل الوحشية التي انتهجوها. وان قواتنا الإسلامية المجاهدة تقوى يوماً بعد آخر،

الى درجة ان الروس بدأوا يواجهون هجمات قواتنا على معسكراتهم. وخلال العام الجاري خاضت قواتنا المجاهدة معارك ضارية ضد المعتدين في المدن الكبيرة وفي ضواحي معسكرات القوات الروسية.

اننا على يقين تام من ان القوات الروسية المعتدية سوف لن تستطيع مواصلة احتلالها لأفغانستان، ومالم تنسحب هذه القوات دون أية قيود وشروط، فلن يكون هناك أي طريقٍ لحل القضية.

ان شعبنا المؤمن مصمم على مواصلة الجهاد وعدم القاء السلاح الى ان يخرج آخر فرد روسي من بلاده، و يقام نظام اسلامي حقيقي فيه، ولقد تحمّل و يتحمل أنواع المشقات والصعاب، لكن حركته تتصاعد يوماً بعد آخر، وانه سيستمر في جهاده رغم مؤامرات القوى العظمى الشرقية والغربية.

واننا على يقين من ان جميع هذه التضحيات سوف لن تذهب هباءً، إذْ يقول الباري سبحانه وتعالى: **«والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم»**.

وسيأتي اليوم الذي ترتفع فيه راية الإسلام العزيز خفاقة على ربوع أرضنا... أرض الشهداء... وما ذلك على الله بعزيز... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

حاجة الناس الى القرآن

الشيخ نيك عبدالعزيز/ ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نتكلم عن القرآن الكريم، علينا أن نتكلم عن عدة نواحٍ، لأنَّ القرآن كتاب اختاره الله الى الإنسان، بعد ما اعرضت عنه السماوات والأرض والجبال. والإنسان نفسه مخلوق تجمَّعت فيه كل أوصاف الخلائق. فقد قالوا قديماً: وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد.

لذلك فالكلام عن الإنسان هو كلام عن السماء، وكلام عن الأرض، وكلام عن المخلوق، عن المرئي وغيرالمرئي. فالكلام يتشعب، والشيء بالشيء يذكر والوقت ليس له متسع.

كل ما أريد أن أقول في هذه اللفتة المباركة: أن القرآن قدَّم لنا فكرة إمتزاج الجسد والروح، أو قل: إمتزاج الأرض والسماء، أو بتعبير أقرب الى القرآن: امتزاج الدنيا بالآخرة.

لذلك فعند ما نراجع أنفسنا، نشعر بكل الأسى الذي لا حدَّ له، لأنَّ الإنسان مهما طال عمره ومقدرته، فإنَّه يعيش في عمر واحد فقط. والعمر الواحد لايكفي، فللانسان آمال وتمنيات لاحدَّ لها... له أمل الإستيلاء والتملك على كل ما حوله من الدنيا وما فيها، وله أمل الصعود الى المريخ الذي لايتحقق إلاَّ بعد مرور ثلاثة أجيال على الأقل، كما قالوا، وله أمل أن يكون نقياً نقاوة الملائكة، وغيرذلك. مع أن كل تلك الأشياء هي آمال لا يسعفه عمره المحدود بانجازها.

لذلك كان من الواجب على الإنسان، أن يبحث عن شيء يمده و يطيل

من عمره المحدود، ليريحه من عناء التخبط والحياة في الآمال الفارغة.

هنا و بالضبط، نجد القرآن يوافينا بالموضوع... نجد القرآن يأمرنا أول ما يأمر، بالقراءة... إقرأ.. كرر ذلك سيدنا جبريل عليه السلام عدة مرات.. وذلك لأنَّ الإنسان عندما قرأ كتاباً، فمعناه أنه أضاف الى عمره واستزاد في خبرته، مقداراً من الزمن يساوي مدة ما أنفق فيها الكاتب من عمره. فإذا كتب شخص كتاباً وأنفق في كتابته سنة أو سنتين، يجمع ويحذف، يزيد و ينقح، فمعناه أننا قد أضفنا في عمرنا ــ بعد الفراغ من قراءته ــ سنة أو سنتين تساوي ما أنفقه الكاتب من عمره في الكتابة.

وهكذا فكلَّما ازدادت حصتك في القراءة، ازدادت سنوات عمرك، وتكاثرت خبرتك في الحياة، فتعيش انت في عمرك مع أعمار غيرك.

إلاَّ أن القرآن الكريم درَّبنا على الإستزادة في الكيف لا في الكم. بمعنى أن زيادة عمرك بالقراءة لا تقاس على عدد الكتب المقروءة. انها تقاس على مدى جودة ما تقرأ وعلى جديَّة مباحثها، لأنَّ المطابع ــ كما قالوا ــ كالمرأة الحامل، تلد الذكي والغبي والصالح والفاسق على السواء.. كذلك المطابع تنتج ما تنتج، فمن علوم ترفع الإنسان الى أرفع مراتب الكمال، ومن مجلات خليعة جنسية تملأ بالفجور وتسيء الى أخلاق الناس.

ولما كان القرآن الكريم يعد من أُمهات الكتب قاطبة، أرضيتها وسماويتها، كان هو الأجدر بأنْ يكون كتاباً للناس، كتابا عالمياً يصدر من جميع مطابع الدنيا، و ينبت به جميع شفاه ما في الكون.

فالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أُنزل عليه القرآن وأداه الينا بكل أمانة، لم يتتلمذ على يد أي انسان مثله، بل نزله روح القدس من لدن حكيم خبير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لذلك، فمن قرأ شيئاً ليستزيد في علمه، فأمامه القرآن، ففيه علم الأولين والآخرين، من لدن آدم الى أن تنتهي الدنيا. ومن تفحَّص عن العزة والكمال، فالقرآن يقول: «**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**»، بتقديم الخبر على المبتدأ الذي يفيد الحصر. لا عند اليهود وعملائهم المغضوب عليهم، ولا عند النصارى وأذيالهم الضالين ومن بحث عن السكون والراحة النفسية فالقرآن يقول: «**ومن آياته أن**

خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» بمعنى ان الراحة لا ولن تكون أبداً عند البنات الفاجرات في الفنادق والكباريهات، فَهُنَّ يزدن في تهييج الأعصاب وتدمير البيوتات، فملفات البوليس في جميع أنحاء العالم تحكي لك ذلك كله، فما من سلب ونهب في الدنيا إلاَّ ووراءه إمرأة: كما قالوا.

وهكذا أيُّها السادة؛ تبيَّن لنا بكل وضوح ان النساء بأجمعهنَّ بحاجة ملحة الى القرآن، فانه منزَّل ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الايعلم من خلق، وخالق الشيء أعلم من غيره بما خلق.

بقي عندي كلمة، وهي أن القرآن وإنْ كان منزلاً خصيصاً للإنسان، إلاَّ ان القرآن نفسه يذكِّرنا دائماً بالمصارعة الدائمة بين الخير والشر، وبين التقوى والفجور: **«ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها»**.

لذلك نرى الصراع المتواصل بين الشعب المسلم والحكومة الدخيلة على الشعب، لأنَّ زمام الحكم ــ منذ أمد طويل ــ في أيدي المتخرجين في جامعات الكفر والإلحاد. فهل لنا نحن اليوم أن نضع حداً لهذا الصراع، ونرنو الى هذه البقعة المباركة ايران المسلمة؟

ان ايران المسلمة على موعد مع التاريخ. فقبل ظهور الإمام القائد السيد الخميني ظهر قبله السيد جمال الدين الأفغاني، ثم ظهر بعده السيد محمد عبدة، وحسن البنا، والمودودي. هؤلاء (رحمة الله عليهم أجمعين) قد مهَّدوا السبل ووضعوا اللبنات المتراصة لتعمير الإسلام، فهل أقول ثانياً: ان ايران المسلمة اليوم على موعد مع التاريخ؟

حقاً! ان ظهور الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يأتي بعد ظهور عيسى وموسى (عليهما السلام) بمثابة الفجر الكاذب والفجر الصادق لطلوع الشمس الوضاء، محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقديماً قال الرسول (ص) ما معناه؛ **«لو كان الإيمان في الثريا لناله أبناء فارس»**.

والصحابي الجليل سلمان الفارسي دخل التاريخ الإسلامي من أوسع أبوابه، فقد أنقذ الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه) المسلمين من المأزق الخطير أيام حرب الخندق المشهور!! فلا غرو أن أنقذ أبناؤه وأحفاده اليوم

المسلمين من هذه المآزق التي تخنق الإسلام.

وان تتولوا ـ أيها العرب المسلمون ـ يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ■

التمسك بالقرآن

السيد عمار الطالبي

بسم الله الرحمن الرحيم

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ».

انه لمن أعز لحظات أيامي أن أعيش لأُشاهد الإسلام يتمكّن من إقامة حكومة في عصرنا الحالي بعد ان ظنَّ البعض في ان المسلمين قد أصبحوا خبراً بعد عين، وان الإسلام لايكتب له ان يوجِّه التاريخ وان يقود حياة الناس في هذا العالم من جديد.

ان هذا المؤتمر الذي خُصِّص للقرآن العظيم، لبرهان على عزم المسلمين الصادقين على ان يحكموا القرآن في حياتهم بعد ان انحرفوا عنه واتخذوه مهجوراً، وشعروا ان هجرهم القرآن علة تخلفهم وضعفهم، فاتَّجهوا الى القرآن من جديد ليمدَّهم بالحياة والطاقة للدخول مرة اخرى الى مسرح التأريخ، وتوجيه الحضارة.

ان المكانة التي وضعها القرآن الكريم للأُمة الإسلامية هي؛ الإمامة، وقيادة العالم، والشهادة على الناس «**وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**».

ولا تكون الأُمة، وسطاً، وخيرالأُمم، إلاَّ بشروط أخلاقية وجهادية، إذ لا يمكن لأُمةٍ واهنةٍ ضعيفةٍ ان تكون شاهدة على الناس، كما لايمكن لأُمةٍ جاهلةٍ مستكينةٍ أن تكون مؤهلة للشهادة، وقد نبَّهنا القرآن الى الصفات التي تؤهِّل الأُمة لنيل الإمامة، والشهادة على العالم، منها؛ الإيمان بالله، والإعتصام به، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

وعبَّر القرآن عن ذلك بصيغة المضارع ليدل على الإستمرار والتجدد والدوام، ومنها الدعوة الى الخير بمفهومه العام: الخير المعنوي، والخير المادي «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون».

إنَّ أعظم فتنة مزَّقت الأُمة الإسلامية هي فتنة الإستبداد والجور. لذلك نجد القرآن الكريم يوجِّه أنظارنا الى ان سبب هلاك الأُمم هوالظلم، وان سقوط الحضارات يعود الى الجور: «كم أهلكنا من قرية كانت ظالمة» وموعد انهيار الأُمم يتحقق بالظلم، كما ينص القرآن الكريم على ذلك بكل وضوح: «وتلك القرىٰ أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لمهلكهم موعداً».

ان الخلاص من المحن والفتن التي تعرَّض لها المسلمون، وما يزالون يحترقون بها، إنَّما يكون بتجديد أنفسنا وتجديد صلتنا بالقرآن، لتكون صلة حية فياضة ليفيض على قلوبنا، فتنقشع كل الظلمات وكل المظالم والمحن. واذا ما غيَّرنا أنفسنا وزكيناها مما بها من أوضار، ومما ران عليها فإننا نغير التاريخ تبعاً لذلك: «قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها».

فالفلاح في الحياة وفي التاريخ يتوقف على تزكية النفس من عبودية الهوى. والخيبة إنَّما هي نتيجة لدس النفس وعبوديتها لإله الهوى والطغيان «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون».

تلك سُنَّة من سنن الله في التاريخ، قررها القرآن، وأكدها بقوله تعالى: «واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً». (الاسراء/١٦)

ولو أن الأمة الإسلامية أدركت كيف تتعلم من القرآن، لكانت أقوىٰ أُمة، سواء من حيث القوة الأخلاقية، أو القوة المادية، فلو كان من يتولى أمر الدفاع عن الأُمة الإسلامية، يوجِّه نظره الى القرآن، لكانت هذه الأُمة اقوى أُمة عسكرياً، ولنضرب لذلك مثلاً بآية واحدة هي قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم».

إنَّ قوة الأُمة الإسلامية المعنوية والمادية أيضاً، تمكن في تجديد صلتها بالقرآن تجديداً روحياً وعقلياً وسلوكياً. وتلك هي حياتنا وزادنا في التاريخ وسلاحنا في كل المحن وقوة قلوبنا في أي زمن وخاصة زماننا هذا الذي اشتد فيه الصراع الفكري والمادي وكاد المسلمون أن يصبحوا فتنة للذين كفروا في ضعفهم الحضاري والثقافي ولكن الحمد لله ان النور نور الإسلام بدأ يلوح من جديد في الآفاق، وتباشيره تشرق في النفوس فتحركها الى تحقيق رسالة الإسلام في واقع المجتمع وفي حياة الناس بعد ان افلست الآيديولوجيات المعاصرة، وظهر لنا زيفها واضاليلها الخادعة وكأن الله تعالى شاء ان يهيِّئ الظروف لرسالة القرآن ليظهر فجرها من جديد: «**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**» واذا لم يغتنم المسلمون هذه الفرصة وهذه الظروف، فقد قامت عليهم الحجة، وكانوا من الغافلين عن سُنن الله في التاريخ.

واختم كلمتي هذه بتحية خالصة لإخواننا الذين أشرفوا على هذا المؤتمر القرآني العظيم، وشرَّفونا بدعوتنا لحضوره، وعلى رأسهم الأخ محمد علي التسخيري والى إخواننا من الشباب المؤمن الذين نقرأ في ملامح وجوههم صفاء الإيمان، وقبساً من أخلاق القرآن، ولطف المؤمنين وعزم أصحاب الرسالات، وصانعي التاريخ.

«**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم**»

«**الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور**» ■

«عودة الامام القائد»

الشيخ قاسم عباس الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

سرنا الى النصر عين الله ترعانا ... مذ صار للشعب روح الله ربّانا

نادى البشير أقرَّ الله أعينكم ... عاد الإمام فعمَّ الخير ايرانا

قد جاء كالغيث فاخضرت مرابعنا ... واعشبت ارضنا سهلاً ووديانا

كالرعد جاء يهز الكفر مقدمه ... مزلزلاً من كيان الشرك أركانا

كالشمس لكن من الغرب اتبرى ألقاً ... فأشرقت ببزوغ الشمس دنيانا

° ° °

في يمن النصر والثورات عاد وقد ... هبَّت ملايينا شيباً وشبانا

واستقبلته مع التكبير فارشةً ... له قلوباً حوت صدقاً وايمانا

ايران قد اشرقت لمَّا أتى وغدت ... كل الروابي بها روحاً وريحانا

وافى فحياه كل الشعب مبتهجاً ... وراح يفرش بالأزهار طهرانا

فقال مهلاً أيا شعب الجهاد فما ... ثرتم لأمشي على الأوراد نشوانا

لله ثرنا رسول الله قدوتنا ... لانبتغي شهرة يوماً وسلطانا

سنجعل الكوخ والمحراب منطلقاً ... لثورة الدين والآفاق ميدانا

هنا نشيِّد للإسلام قاعدة ... وسوف نجعل من ايران بركانا

يفجِّر الأرض تحت الظالمين لظى ... محطماً من عروش البغي بنيانا

° ° °

في عزم موسى الإمام الموسوي أتى ... ليهزم اليوم فرعوناً وهامانا
إنْ كان موسى أتى فرعون ينذره ... وفي يديه يري نوراً وثعبانا
فذا الخميني جاء اليوم منتصراً ... على العدى حاملاً سيفاً وقرآنا
وبختيار ادعى من أنه بطل ... في البحر موج طغى لم يخش طوفانا
لكنه فرَّ مثل الشاه منهزماً ... يشكو من الحكم إفلاساً وحرمانا

«والفجر»

والفجر جاءت مع البشرى مجددة ... في بهمن الخير ذكراها ولقيانا
والفجر عادت مع الذكرى تكللنا ... براية النصر حيث الفتح وافانا
والفجر انشودة للنصر رددها ... جند الرسالة الحاناً فالحانا
قد حرَّروا أرض ايران وقد زحفوا ... نحو العراق وفجر الفتح قد بانا
كرّوا على زمر الشيطان فانهزمت ... كالمعز تلعن في بغداد شيطانا

° ° °

فرّوا جميعاً الى صدام قد حملوا ... له مع الخزي خسراناً وخذلانا
فراح يعدمهم سراً ويمدحهم ... على هزائمهم جهراً واعلانا
على الفرار يكافيهم ويبعثهم ... الى الهلاك زرافات ووحدانا
هذي نهاية من باعوا كرامتهم ... واصبحوا للخنا جُنداً وأعوانا
ان يجرعوا الذل من شرالطغاة وأن ... يواجهوا في كلا الدارين نيرانا
إلاَّ اذا لجأوا للدين كي يجدوا ... في ظل دولته عدلاً واحسانا

«لبنان»

لبنان يا بهجة الدنيا بروعتها ... ما زال مغناك يا لبنان فتانا
يا آية الحسن عاشت في ضمائرنا ... شوقاً فها نحن نهواها وتهوانا
يا وردة في رياض الشوق ما ذبلت ... إلاَّ ترقرق دمع في محيانا
يا جنة الكرم والزيتون ما تركت ... بها لظى الحرب أشجاراً وافنانا
ويا جبالاً بجيد البحر قد نضدت ... كأنما رصعت دُراً ومرجانا
ويا جنوباً رباه الغض مات ظماً ... ولم يزل في مدى الأيام ريانا

قد كنت مهداً لكل المكرمات وفي ... تاريخ أهليك تجسيد لمعنانا
تخاذلوا عنك يا لبنان واتحدوا ... مع اليهود ووالوا شر أعدانا
أولاء للعرب حكام وسادتهم ... في الغرب باعوهم ديناً وأوطانا
باعوا الديار وما فيها وماغنموا ... إلاّ الهوان وإلاّ الخزي أثمانا
وسلّموا كل خيرات البلاد لهم ... واقطعوها لهم أرضاً وجدرانا
وحاربوا ثورة الإسلام مذ علِموا ... حفظ اليهود لهم حكماً وتيجانا

«جند الله»

زحفاً جنود الهدى نحو العراق الى ... أرض الحسين فيوم الفتح قدحانا
لترفعوا فيه للإسلام رايته ... وتسحقوا فيه صداماً ومترانا
لتسندوا شعبه في يوم محنته ... وتنقذوا من سجون البعث أسرانا
طريقكم من بلاد الرافدين الى ... قدس لتنجوا فلسطيناً ولبنانا
سيدخل القدس روح الله قائدنا ... محرراً من يد الأرجاس أقصانا

سيرى على اسم الله للتحرير

شاعر الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

سيري على اسم الله للتحريرِ ... وتقحَّمي ساحَ الدَّم المسعورِ
وتصبَّبي حُمماً تبيد ولم تَذَر ... للكفر من أثر ولا مأثورِ
وتلاحمي فالعاديات ضبيحةٌ ... وتنكَّبي للمارد المقهورِ
وتزاحمي صفاً يَسير بجنبه ... صفٌّ كما البُنيان في التَّسييرِ
لا ترهبي جيش الظلام وجُنده ... فالصُّبح يمحق فحمة الدَّيجورِ
يا أُمة القرآن فجرك حافل ... بالفتح والإنذار والتَّبشيرِ
فتيقَّني بالنَّصر منه ووعده ... مادمتِ سائرةً الى التحريرِ
والقدس في درب الشهادة جنةٌ ... وبكر بلاءَ مرابعٌ للحُورِ
يا أُمة الإسلام فتحُك ناظرٌ ... «والفجر» نافذة الى المنظورِ
سيري على اسم الله في أُنشودةٍ ... للحق ناشدةً دم الموتورِ
وتدرَّعي بالصبر في رَأدِ الضُّحى ... جَلَداً، ودكِّي قلعة المدحورِ
والليل رافعة الأكف الى السماء ... في دعوةٍ من قلبك المكسورِ
واستبشري الفتحَ القريب جحافلاً ... تترى لجحفل جيشك المنصورِ
يا أُمة الإسلام قد طال السُّرى ... والليلُ عسعس فابشري بالنورِ
«فجراً» يطلُّ على الدُّنى بشعاعة ... ليبيد ليل الظلم والتأسيرِ
و«الحملة الكبرى» نذيرٌ شاملٌ ... يقضي على التخريب والتدميرِ
لا تجزعي فالنائبات عواصفٌ ... وبها تُدَك قلاع قوم بُورِ
وذري اللظى تَهَبُ اللظى لِعُتَاتِها ... فالنَّار طِبُّ الأرعن المغرورِ

وبخيبرٍ للحادثات تطابق وبتلكم التاريخ جِدُّ خبيرِ

° ° °

عفواً إمام العصر طالت غيبةٌ فاسمع ملاحم نغمة الشحرورِ
هي من قريح القلب شكوىً قد غدت لحناً يردد نفثة المصدورِ
فإلى مَ صدامٌ يُقتِّل شعبنا ويُشيع كلَّ مفاسدٍ وشرورِ
ويلزُّ إعداماً بخير شبابنا وبكلّ فذٍّ عالمٍ نحريرِ
فانهض وَقُدْ هٰذي الطلائع شاهراً سيف العدالة ضد حُكمِ الزورِ
فالله منّ على الورى بطليعة سارت وراء لوائك المنشورِ
عجِّل فديتك فالجموع سميعةٌ ومُطيعةٌ لصدور حُكْمٍ نفيرِ
فقد ابتدا «رُوحُ الإلهِ» بثورةٍ كُبرى تمدُّ ليومك المعمورِ[1]

° ° °

---

١ ــ نظمت بمناسبة حملات والفجر المظفرة وفتوحات «خيبر» البطولية.

1145

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر : ٦٠٠ ريال

VETVS &
NOVVS
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Jan Feb 1988
We're Quality Bound